

جَوَامِعُ الْجَامِعِ

تأليف

أَمِينُ الْإِسْلَامِ آيَةُ عَلَى الْفَضْلِ بْنِ الْحَسَنِ الطَّائِفِيِّ

ت ٥٤٨ هـ

مُحَقَّقٌ

جَوَادُ السَّيِّدِ كَاطِلَةُ الْجَحِيكَةِ

الجزء الأول

سورة الفاتحة - سورة النساء

مراجعته واعتنى بشره

مَشْرِفُ الْمَشْرِفِ الْإِسْلَامِيِّ الْإِسْلَامِيِّ



جَوَادُ مَعَ الْجَامِعِ

تأليف

أَمِينُ الْإِسْلَامِ أَبِي عَلِيٍّ
الْفَضْلُ بْنُ الْحَسَنِ الطَّبْرَسِيِّ
ت ٥٤٨ هـ

تحقيق

جَوَادُ السَّيِّدِ كَاطِمُ الْحَكِيمِ
الجزء الأول

سورة الفاتحة - سورة النساء

مراجعته واعتنى بنشره

قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية





العتبة العباسية المقدسة

قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية

WWW.MK.IQ

E.mail: media@mk.iq

الموبايل: ٠٠٩٦٤٧٧١١١٧٣١٠٨

الطبرسي، الفضل بن الحسن بن الفضل، 468-548 هجري
جوامع الجامع / تأليف امين الاسلام ابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي ؛ تحقيق جواد السيد
كاظم الحكيم.- الطبعة الأولى.- كربلاء، العراق : العتبة العباسية المقدسة، قسم شؤون المعارف
الإسلامية والإنسانية، ١٤٣٩ هـ. = ٢٠١٧.

٦ مجلد : صور طبق الاصل ؛ ٢٤ سم
يتضمن نبذة مختصرة عن حياة المؤلف.
يتضمن مصادر وكشافات.

١. القرآن--تفاسير الشيعة--القرن ٦ هـ. الف. الحكيم، جواد كاظم--محقق. ب. العنوان.

BP130.4 .T33 2017

مركز الفهرسة ونظم المعلومات

الكتاب: جوامع الجامع

تأليف: أمين الاسلام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي

تحقيق: جواد السيد كاظم الحكيم

راجعه واعتنى بشره: قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية

جهة الاصدار: العتبة العباسية المقدسة - قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية

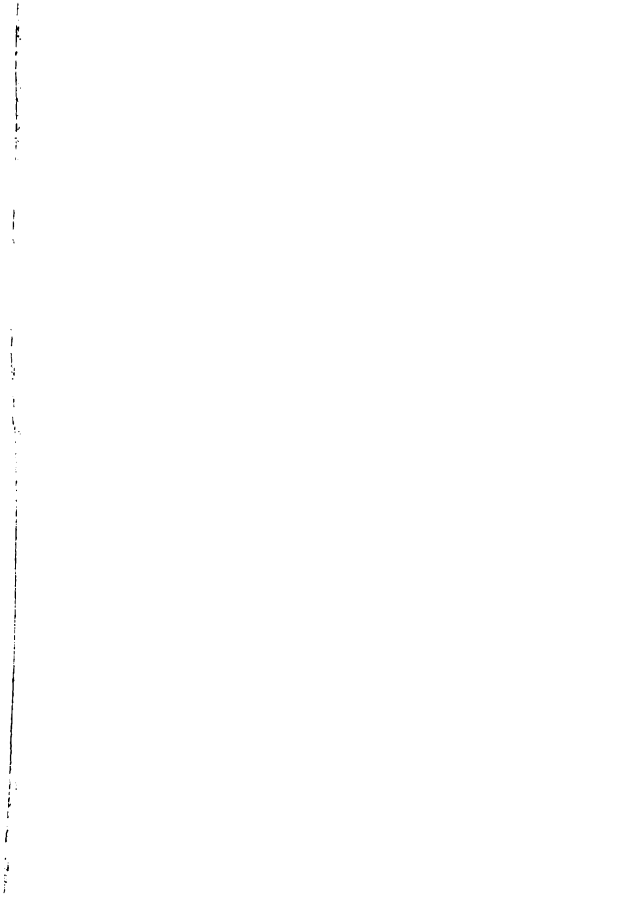
الطبعة: الأولى

المطبعة: دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع

سنة الطبع: ١٤٣٩ هـ / ٢٠١٨ م

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٤٣٢١) لعام ٢٠١٧ م





بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جمع جوامع كلامه في كتابه العزيز الحميد، الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ
الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾، وصلى الله على نبيه
المبعوث لنشر كتابه، وعلى آله ذوي القربى، مبينى آياته، وحجّاب بابه.
وبعد:

مهما بعد المجتمع الإنساني اليوم عن جادة الطريق تراه يتعطش إلى الغذاء
الروحي، فهو المنهل له والمعين، والناس على اختلاف أديانهم ومشاربهم
يسلكون طريق الدين بفطرتهم، فترى كتب الأديان السماوية فيها حجة
للخلق بين أتباعها وعدم أتباعها، حجة تجسدها الآية الشريفة ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ
هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾، والقرآن منها ظهر ﴿لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ
وَيُظِلَّ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾.

وقد ضمّ القرآن الكريم ما بين (محكم ومتشابه، وحلال وحرام، وناسخ
ومنسوخ، وأمر ونهي، وخاص وعام، و...)، وهدانا الله تعالى إليه بتبيان عن
لسان رسوله وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين، ثم وصل حديثهم عن
طريق أولي العلم من خلقه، فضمته التفاسير والمصنّفات.

و(جوامع الجامع) الكتاب الذي بين يديك للمفسّر الجليل أمين الإسلام
الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسيّ (ت ٥٤٨هـ) تفسير وسيط في

المقدار والحجم بين تفسيره الكبير (مجمع البيان)، وتفسيره الصغير (الكافي الشافي)، وقد ألفه بعدهما، وانتخبه منهما بالتماس ولده الحسن بن فضل كما صرح به في أوله، وتممه في اثني عشر شهرًا بعدد خلفاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونقباء موسى عليه السلام، فقد شرع فيه بتاريخ ١٨ من صفر سنة ٥٤٢هـ، وفرغ منه في ٢٤ من محرم سنة ٥٤٣هـ، وهو من التفاسير التي أبقاها لنا الدهر، وصاغها جوهرة نترن بها في حياتنا العلمية والعملية.

ويسرُّ قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية التابع للعتبة العباسية المقدسة أن يعنى بنشر التفسير هذا بحلته القشبية، التي ازدانت بالتحقيق الرشيق المُعتمد على عدّة نسخ للكتاب، وعلى الفهارس الفنية التي تسهّل وصول الباحثين لمرادهم العلمي، ونحن إذ نستبشر بطابعته اليوم، نقدّم جزيل شكرنا وامتناننا إلى فضيلة السيّد جواد السيّد كاظم السيّد محسن الحكيم على تحقيقه الكتاب، داعين له بالتوفيق الدائم والتسديد لتحقيق كتب أخرى من كتب التراث الإسلامي.

والحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين.

عمار الهلالي

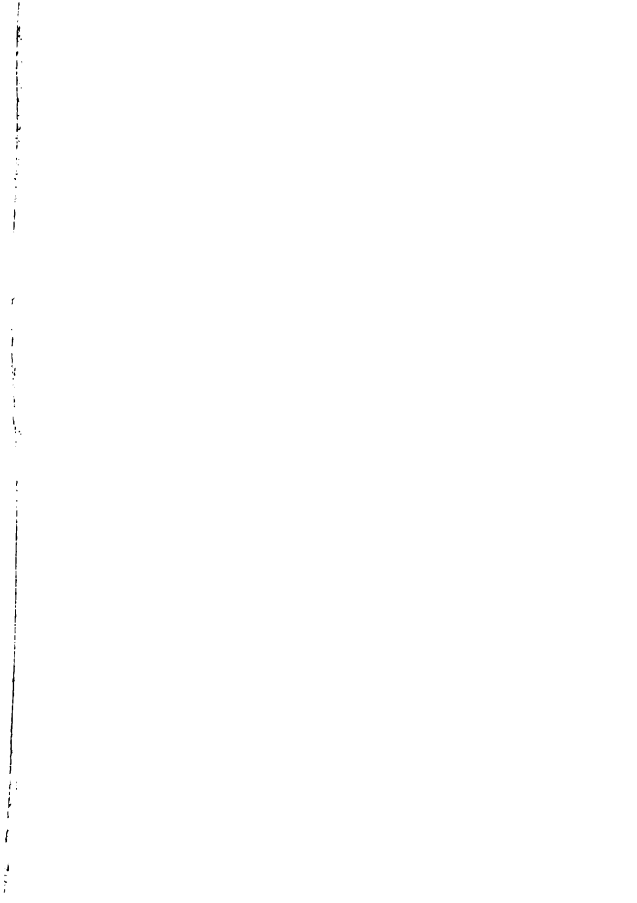
رئيس قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية

كربلاء المقدسة

٢٤ / ربيع الثاني / ١٤٣٩ هـ

١٣ / ٣ / ٢٠١٨ م

مقدمة التحقيق



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرين.

وبعد..

فلما كان مؤلف الكتاب الشيخ أمين الإسلام أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي رحمه الله من عيون الطائفة وأجلّائها وأعلامها، الذين لا يكاد يخلو كتاب من كتب التراجم من ذكرهم، فقد كان عالماً، فاضلاً، فقيهاً، محدثاً، نحويّاً، مفسّراً، أديباً، شاعراً، وبارزاً في علمي الحساب والجبر؛ لذلك رأيت أن أترجم له ترجمة مختصرة مع ذكر مصادرها لمن أراد التوسّع فيها^(١).

(١) ينظر ترجمته: تاريخ بيهق للبيهقي، الفهرست لمستجب الدين ابن بابويه، معالم العلماء لابن شهر آشوب، إنباء الرواة على أنباء النحاة للقفطي، نقد الرجال للتفريشي، كشف الظنون لحاجي خليفة، جامع الرواة للأردبيلي، أمل الآمل للحرّ العاملي، رياض العلماء للأفندي، تعلّيق على منهج المقال للوحيد البهبهاني، منتهى المقال للمازندراني، مقابس الأنوار للتستري، روضات الجنات للخوانساري، إيضاح المكنون للبغدادي، معجم المطبوعات العربية لإليان سركيس، الكنى والألقاب للقمي، أعيان الشيعة للأمين العاملي، الذريعة للطهراني، طبقات أعلام الشيعة للطهراني، الأعلام للزركلي، معجم رجال الحديث للخوئي، معجم المؤلفين لكحالة، موسوعة طبقات الفقهاء للسبحاني، وغيرها.

نسبته:

أصله من طبرس، وهو منزل بين قاسان وأصفهان كما صرح بذلك معاصره المؤرخ علي بن زيد البيهقي^(١) في كتابه (تاريخ بيهق)^(٢)، وقد ذهب الكثير من الباحثين إلى أن أصله من طبرستان^(٣)، وهي بلاد مازندران الحالية.

ولادته:

لم تذكر المصادر المتوفرة سنة ولادته بالتحديد، ولكن بملاحظة كتابيه (مجمع البيان) و(جوامع الجامع) يتضح أنه ولد في العقد السابع من القرن الخامس الهجري، فقد ذكر في مقدمة مجمع البيان: (أنه ذرف على الستين...) وقال في نهاية الجزء الأول منه: (أنه فرغ من تأليفه سنة ٥٣٠هـ)، وقال في مقدمة جوامع الجامع: (فلقد ذرفت على السبعين سنيناً)، وقال في خاتمته: (وكان ابتدائي بتأليفه سنة ٥٤٢هـ)، ومن هذا يظهر أن ولادته كانت في أواخر الستينيات من القرن الخامس الهجري.

استوطن مدينة مشهد، وكان يختلف إلى تاج القراء الكرمانى - أحد علماء النحو والتفسير - ثم عاد إلى بيهق سنة ٥٢٣هـ، وأشرف على مدرسة (دروازه عراق)^(٤).

(١) أبو الحسن علي بن زيد البيهقي، كان من العلماء الأعلام وله الكثير من المصنفات في مختلف العلوم كالفقه وأصوله وعلوم القرآن والأدب والطب وغيرها، ولد في سبزوار سنة ٤٩٩هـ وتوفي سنة ٥٦٥هـ. ينظر: معجم الأدباء ج ١٣: ٢١٩.

(٢) تاريخ بيهق: ٤٢٠.

(٣) ينظر: أعيان الشيعة ج ٤٢: ٢٨٢، روضات الجنات ج ١: ٦٤، رياض العلماء ج ٤: ٣٥٧ وغيرها.

(٤) تاريخ بيهق: ٢٤٠.

شيوخه في الرواية:

ذكرت المصادر أنّه يروي عن جماعة من الأعلام، منهم:

- ١- السيّد أبو طالب محمّد بن الحسين الحسينيّ القصبّي الجرجاني^(١).
- ٢- السيّد أبو الحمد مهديّ بن نزار الحسينيّ القائيّ^(٢).
- ٣- الشيخ أبو عليّ الحسن ابن الشيخ الطوسي^(٣).
- ٤- الشيخ أبو الوفاء عبد الجبار بن عبد الله بن عليّ المقرئ النيسابوريّ الرازيّ الملقّب بالمفيد^(٤).
- ٥- الشيخ الحسن بن الحسين بن الحسن بن بابويه القميّ الرازيّ المدعو (حسكا)، وهو جدّ الشيخ منتجب الدين ابن بابويه صاحب الفهرست^(٥).
- ٦- الشيخ موفق الدين الحسين بن أبي الفتح الواعظ البكر آباديّ الجرجانيّ^(٦).
- ٧- الشيخ أبو الفتح عبيد الله^(٧) بن عبد الكريم بن هوازن القشيريّ المتوفى

(١) إعلام الوري بأعلام الهدى: ٣٤٩.

(٢) مجمع البيان ج ٣-٤: ١٥٩، ٥٣٤، ٢١٠، وغيرها.

(٣) مناقب آل أبي طالب ج ١: ١٣.

(٤) إعلام الوري بأعلام الهدى: ٣٠٩، مجمع البيان ج ٥-٦: ٤١٣.

(٥) مكارم الأخلاق: ٥٠٦.

(٦) مكارم الأخلاق: ٥٠٦.

(٧) ذكرت المصادر التي تنقل رواية الصحيفة أنّه (عبد الله)، والظاهر أنّه تصحيف من النسخ، لأنّ عبد الله بن عبد الكريم أخا أبي الفتح عبيد الله يكتى بـ (أبي سعد) وقد توفي سنة ٤٧٧ هـ. ينظر: تاريخ نيسابور: ٤٤٥، الوافي بالوفيات ج ١٧: ١٥٨.

سنة (٥٢١ هـ)^(١)، حيث روى عنه صحيفة الرضا عليه السلام في سنة (٥٠١ هـ) داخل القبة التي فيها قبر الإمام الرضا عليه السلام^(٢).

٨- الشيخ أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن أحمد البيهقي^(٣).

٩- الحاكم الموفق بن عبد الله العارف النوفائي^(٤).

١٠- الشيخ أبو عبد الله جعفر بن محمد الدوريسي^(٥).

١١- الشيخ أبو القاسم محمود بن حمزة بن نصر الكرماني المعروف بـ(تاج القراء)^(٦).

تلامذته والراوون عنه:

ذكرت المصادر جملة من تلامذته ومن روى عنه، وهم:

١- ولده الشيخ الجليل رضي الدين أبو نصر الحسن بن الفضل الطبرسي^(٧).

٢- الحافظ محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني^(٨).

٣- الشيخ منتجب الدين علي بن عبد الله بن الحسن الملقب بـ(حسكا)

(١) تاريخ نيسابور: ٤٦٦، ذيل تاريخ بغداد ج ٢: ٥٤، الأنساب للسمعاني ج ٤: ٥٠٣.

(٢) صحيفة الرضا عليه السلام: ٥٧.

(٣) مجمع البيان ج ٧-٨: ٦٧، ٢٩٨.

(٤) إعلام الوري بأعلام الهدى: ٣٢١.

(٥) قصص الأنبياء: ١٢٩.

(٦) تاريخ بيهق: ٤٢١، وفيه أنه كان يختلف إليه. علماً أنّ تاج القراء كان من العلماء وله تصانيف في

النحو والتفسير. ينظر: ترجمته في معجم الأدباء ج ١٩: ١٢٥، بغية الوعاة ج ٢: ٤٤.

(٧) مكارم الأخلاق: ٢٨٠.

(٨) معالم العلماء: ١٣٥ الرقم ٩٢٠.

الرازي القمي^(١).

٤- السيد الجليل الإمام ضياء الدين فضل الله بن علي بن عبيد الله الحسيني الراوندي^(٢).

٥- الشيخ الإمام قطب الدين أبو الحسين سعيد بن هبة الله بن الحسن الراوندي، المعروف بـ (القطب الراوندي)^(٣).

٦- السيد عز الدين شرفشاه بن محمد الحسيني الأفطسي النيسابوري من آل زيارة^(٤)، والذي سكن في النجف مجاوراً حتى مات بها، وإليه ينسب جبل شرفشاه في محلة العمارة.

٧- الشيخ أبو محمد عبد الله بن جعفر بن محمد الدورستاني^(٥).

٨- الشيخ أبو الفضل شاذان بن جبرائيل القمي^(٦).

٩- الشيخ برهان الدين محمد بن محمد بن علي القزويني^(٧).

(١) الفهرست لمنتجب الدين: ٩٧.

(٢) مقابس الأنوار: ١٤.

(٣) قصص الأنبياء: ١٢٩.

(٤) رياض العلماء ج ٤: ٣٤٢.

(٥) روضات الجنات ج ٥: ٣٥٨.

(٦) رياض العلماء ج ٤: ٣٤٢.

(٧) لؤلؤة البحرين: ٣٤٦.

مصنفاته:

- ١- الآداب الدينيّة للخزانة المعينيّة^(١)، (مطبوع).
- ٢- الاختيار من شرح الحماسة - الطائية - للمرزوقي^(٢).
- ٣- الاختيار من المقتصد في النحو، لعبد القاهر الجرجاني^(٣)، والذي شرح فيه كتاب الإيضاح لأبي عليّ الفارسيّ.
- ٤- إعلام الوريّ بأعلام الهدى^(٤)، (مطبوع).
- ٥- تاج المواليّد^(٥)، (مطبوع).
- ٦- جوامع الجامع، وهو الكتاب الذي بين يديك.
- ٧- جواهر النحو^(٦).
- ٨- عدّة السفر وعمدة الخضر^(٧).
- ٩- غنية العابد ومنية الزاهد^(٨).
- ١٠- الفائق^(٩).

(١) معالم العلماء: ١٣٥ رقم ٩٢٠.

(٢) تاريخ بيهق: ٤٢١.

(٣) تاريخ بيهق: ٤٢١.

(٤) معالم العلماء: ١٣٥ الرقم ٩٢٠.

(٥) الفهرست لمنتجب الدين: ٩٧.

(٦) الذريعة ج ٥: ٢٦٦.

(٧) الذريعة ج ١٥: ٢٣٠.

(٨) الفهرست لمنتجب الدين: ٩٧.

(٩) معالم العلماء: ١٣٥ الرقم ٩٢٠.

١١ - الكاف الشاف من كتاب الكشف^(١).

١٢ - كنوز النجاش^(٢).

١٣ - المؤلف من المختلف^(٣)، (مطبوع).

١٤ - مجمع البيان لعلوم القرآن^(٤)، (مطبوع).

١٥ - النور المبين^(٥).

وهناك بعض المصنفات نُسبت له رحمته ولغيره، نذكر أهمها:

١ - أسرار الإمامة^(٦).

٢ - حقائق الأمور في الأخبار^(٧).

٣ - العمدة في أصول الدين والفرائض والنوافل - بالفارسية -^(٨).

٤ - معارج السؤول^(٩).

٥ - نثر اللثالي^(١٠)، (مطبوع).

(١) معالم العلماء: ١٣٥ الرقم ٩٢٠.

(٢) مهج الدعوات: ٢٩٤.

(٣) الذريعة ج ٢٣: ٢٤٥.

(٤) معالم العلماء: ١٣٥ الرقم ٩٢٠.

(٥) معالم العلماء: ١٣٥ الرقم ٩٢٠.

(٦) الذريعة ج ٢: ٤١.

(٧) الذريعة ج ٧: ٣٠.

(٨) ينظر: الذريعة ج ١٥: ٣٣٣.

(٩) روضات الجنات ج ٥: ٣٦١.

(١٠) ينظر: الذريعة ج ٢٤: ٥٣.

وغيرها^(١).

وهناك مصنفات نسبت له في بعض المصادر وثبت أنها لغيره، مثل كتاب الاحتجاج للشيخ أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، وكتاب شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني، وكتاب مشكاة الأنوار لحفيد المصنف الشيخ علي بن الحسن بن الفضل الطبرسي. وجميعها مطبوعة.

شعره:

ذكر البيهقي في تاريخه: إن له أشعاراً كثيرة نظمها في عهد الصبا، وذكر بعضها في كتابه (الوشاح)^(٢) من جملتها:

إِلَهِی بِحَقِّ الْمُصْطَفَى وَوَصِيِّهِ وَسِبْطِيهِ وَالسَّجَادِ ذِي الثَّنَاتِ
وَبَاقِرِ عِلْمِ الْأَنْبِيَاءِ وَجَعْفَرِ وَمُوسَى نَجِيِّ اللَّهِ فِي الْخَلَوَاتِ
وَبِالْطُّهْرِ مَوْلَانَا الرِّضَا وَمُحَمَّدٍ تَلَاهُ عَلَيَّ خَيْرَ الْخَيْرَاتِ
وَبِالْحَسَنِ الْهَادِي وَبِالْقَائِمِ الَّذِي يَقُومُ عَلَى اسْمِ اللَّهِ بِالْبَرَكَاتِ
أَنْلِنِي إِلَهِی مَا رَجَوْتُ بِحُبِّهِمْ وَبَدَّلْ خَطِيئَاتِي بِهِمْ حَسَنَاتٍ^(٣)
وله أيضاً:

أَطِيبُ يَوْمِي بِذِكْرَاكُمْ وَأُسْعِدُ نَوْمِي بِرُؤْيَاكُمْ
لَنْ غِثُّمُ عَنْ مَغَانِيكُمْ فَإِنَّ فُؤَادِي مَغْنَاكُمْ

(١) ينظر: رياض العلماء ج ٤: ٣٤٠-٣٥٨.

(٢) هو كتاب وشاح دمية القصر للباخرزي، فرغ البيهقي من تصنيفه سنة ٥٣٥هـ. ينظر: معجم الأدباء ج ١٣: ٢٢٩.

(٣) تاريخ بيهق: ٤٢٠.

فَلَا بَأْسَ إِنْ رَبُّ دَهْرِي أَتَى
فَنَصْرُ مِنَ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ
وَعَقْدٌ وَلَا يَنِي لَكُمْ شَاهِدٌ
لَكُمْ فِي جُدُودِكُمْ أَسْوَةٌ
وَكَمْ مِثْلُهَا أَفْرِجَتْ عَنْكُمْ
كَمَا صُفِّي التُّبْرُ فِي كُورِهِ
بِمَا لَا يَسُرُّ رَعَابَاكُمْ
وَفَضْلٌ مِنَ اللَّهِ يَغْشَاكُمْ
بِأَنِّي فَتَاكُمْ وَمَوْلَاكُمْ
إِذَا سَاءَ كُمْ عَيْشُ دُنْيَاكُمْ
وَحُطَّ بِهَا مِنْ خَطَايَاكُمْ
كَذَلِكَ اللَّهُ صَفَّاكُمْ

وله أيضاً:

قُلْ لِلَّذِي يَبْغِي إِلَى قَصْرِ الْعُلَا
أَقْصِرْ فَقَدْ خَلَقَ الْمَحَامِدُ وَالْعُلَا
عَيْثُ إِذَا غِيَضَ الْمَكَارِمِ خَضِرِمِ
وَتَقَاصَرَتْ أَيْدِي الْوَرَى عَنْ مُبْتَغَى
لَوْ عُصِرَ مِنْ خَدْيِهِ مَاءُ حَيَاتِهِ
قُدَحَ الْعُلَا مِنْ مَائِهِ الْمَغْصُورِ^(١)

كما ورد في مقدمة كتابه (مجمع البيان) ثلاثة أبيات في مدح جلال الدين أبي

منصور محمد بن يحيى الحسيني:

حَتَّى يُجُوزَ مِنَ الْمُنَى غَايَاتِهَا
وَيَفُوزَ بِالْأَمَالِ غَيْرِ مُدَافِعِ
تَجَلُّوْا عَلَيْهِ جُزْمَهَا بِأَنَاتِهَا^(٢)
مُتَلَقِّيًا بِيَمِينِهِ رَايَاتِهَا
يَتَلَوْا عَلَيْهِ سَعْدُهُ آيَاتِهَا

(١) إنباء الرواة ج ٣: ٦.

(٢) مجمع البيان ج ١- ٢: ١٠.

وجاء في مقدّمة كتابه (إعلام الورى بأعلام الهدى) هذه الأبيات في مدح الملك علاء الدولة عليّ بن شهربار:

لِأَنَّهَا الْغَايَةُ الْقُصْوَى الَّتِي عَجَزَتْ عَنْ أَنْ تَأْمَلَ إِذْ رَاكَاتِهَا الْهَمَمُ
مَا تَسْتَحِقُّ مُلُوكَ الدَّهْرِ مَرْتَبَةً إِلَّا لِصَاحِبِهَا مِنْ فَوْقِهَا قَدَمُ
فَرَأَيْتُهُ إِنْ دَجَا لَيْلُ الشُّكُوكِ هُدًى وَظِلُّهُ إِنْ خَطَا صَرْفُ الرَّدَى حَرَمُ

كما ورد هذان البيتان في نفس المقدّمة في مدح الملك المذكور:
فَكُلُّ أَرْوَغٍ مِنْ آلِ النَّبِيِّ نَجْدٌ جَذْلَانِ يَزْفُلُ مِنْ نَعْمَاءٍ فِي حُلَلٍ
فَلَوْ أَجَابَ كِتَابُ اللَّهِ سَائِلَهُ مَنْ خَيْرِ هَذَا الْوَرَى لَمْ يُسَمَّ غَيْرَ عَلِيٍّ^(١)

وفاته ومدفنه:

توفي بقصبة سبزوار ليلة العاشر من ذي الحجة سنة ٥٤٨هـ، ونقل إلى مدينة مشهد ودفن في الموقع الذي يقال له (قتلكاه)، ثم نقل منه إلى مشهد الإمام الرضا عليه السلام وقبره الآن معروف يزار ويتبرّك به، وقد أرّخ وفاته البروجرديّ في نخبة المقال^(٢):
وَفَضْلُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ الْفَضْلِ أَبُو عَلِيٍّ الطَّبْرَسِيُّ الْعَدْلُ
شَيْخُ ابْنِ شَهْرَاشُوبَ عَنْهُ يَنْشُرُ مُفَسِّرَ عَامِ الْوَقَاةِ (مُخَشَّرُ)

٥٤٨هـ

(١) إعلام الورى بأعلام الهدى: ١٧.

(٢) طبرسي ومجمع البيان ج ١: ٢١٢.

مع الكتاب

ذكر المصنّف في مقدّمة الكتاب أنّه لما فرغ من تأليف كتابه (مجمع البيان في تفسير القرآن)، عثر على كتاب (الكشاف) للزمخشري المتوفى سنة (٥٣٨هـ) واستفاد منه في تفسيره الثاني (الكاف الشاف)، ثمّ اقترح عليه ولده أبو نصر الحسن أن يؤلّف كتاباً ثالثاً يكون مجمع بينهما، فاستجاب لطلبه وصنّف تفسيره الثالث - كتابنا هذا - وأسماه (جوامع الجامع).

ومن الواضح أنّه لم يتخذ نفس المنهجية التي اتبعها في (مجمع البيان)، بل اتبع بشكل كامل منهجية صاحب الكشاف في ترتيبه، ولكنّه كان يختصر منه بشكل غير مخلّ، ليكون كما أراد كتاباً وسيطاً خفيف الحجم، كثير الغنم.

فقد كان يذكر مجموعة من الآيات الشريفة - كما في الكشاف - ثمّ يعتمد إلى شرحها مستعيناً بأقوال المفسّرين من الصحابة والتابعين وغيرهم، وزاد على الكشاف بنقل ما روي عن الأئمة (عليهم السلام) في معنى الآية مورد التفسير.

كما يتطرّق إلى ألفاظ الآيات الكريمة من حيث المعنى اللغويّ، والنحو، والصرف، والبلاغة، والبيان، وفي هذا كان يتبع صاحب الكشاف في الأعم الأغلب، وكان يشير إلى مواضع الاختلاف معه، كما في تفسير الآية (٦) من سورة البقرة، والآية (٨٨) من سور الزخرف، والآيات (١٣-١٤) من سورة الإنسان. كما تبع صاحب الكشاف في اعتماد بعض القراءات على غير رواية المصاحف المتداولة، ولم يعتمد عليها هو في (مجمع البيان)، مثل قوله تعالى: ﴿يَقْصُصُ الْحَقَّ﴾^(١)،

(١) الأنعام: ٥٧.

وقوله تعالى: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ﴾^(٢) وغيرها.

أما بالنسبة لآيات الأحكام فقد كان يذكر ما روي عن الأئمة عليهم السلام في ذلك، أو أقوال علمائنا بالحكم المفروض، إضافة إلى أقوال الشافعي وأبي حنيفة، ولم يذكر قول مالك إلا مرة واحدة في حدّ السرقة في تفسير الآية (٣٨) من سورة المائدة .

أما بالنسبة لمسائل العقائد فقد كان يردّ على صاحب الكشف بشكل علمي مستدلّ بما يوافق الطريقة الحقّة، كما في تفسير الآية (٤٨) من سورة النساء، والآية (٦) والآية (٥٥) من سورة المائدة، والآية (٤٣) من سورة التوبة، والآية (١) من سورة التحريم، والآية (١) من سورة الكوثر.

النسخ المعتمدة في التحقيق :

اعتمدت في تحقيق الكتاب على النسخ الخطيّة التالية:

١- النسخة المحفوظة في مكتبة الإمام الحكيم العامّة بالرقم ١٩٧٨ .

وهي نسخة حسنة الخط، وتشتمل على المجلد الأول من الكتاب - من المقدمة إلى آخر سورة الكهف - كتبها سلطان حسن الحسيني القميّ المجاور بالنجف المقدّس في الحضرة الغرويّة المرتضويّة. وهي بدون تاريخ، وعليها تاريخ إنهاء كتبه السيّد جعفر بن أحمد الملحوس الحسيني^(٣) ما نصّه: (أنهـا دامت سيادته في عدة مجالس آخرها يوم الخميس الحادي والعشرين من جمادى الآخرة سنة ثمان

(١) الأعراف: ١٦٣.

(٢) يونس: ٢.

(٣) كان فقيهاً إمامياً كبيراً محققاً جليلاً، صنف كتاب المنتخب وكتاب تكملة الدروس للشهيد الأوّل المتوفى سنة (٧٦٨هـ)، ولا يعرف تاريخ وفاته. ينظر: موسوعة طبقات الفقهاء ج ٩: ٨٢.

وثلاثين وثمانمائة هجرية نبوية، وكتب الفقير إلى الله تعالى جعفر بن أحمد الملحوس الحسيني عفا الله عنه). ويظهر أن الإنهاء هو إنهاء قراءة الناسخ على السيد الملحوس. ويذكر أن الناسخ قام بكتابة نسخة من كتاب (تحرير الأحكام الشرعية) للعلامة الحلبي المتوفى سنة (٧٢٦هـ) بتاريخ شهر رجب سنة (٨٣٣هـ)^(١)، ونسخة من كتاب (التنقيح الرائع) للمقداد السيوري المتوفى سنة (٨٢٦هـ) بتاريخ شهر ربيع الأول سنة (٨٣٤هـ)^(٢).

وقد كتبت الآيات بالمداد الأحمر، وعلى النسخة هوامش كثيرة وبلاغات. وتقع في ٢٠٤ ورقة، وقياسها ١٨×٢٧ سم، وعدد أسطرها ٢٩. وقد رمزت لها بالرمز (أ).

٢- النسخة المحفوظة في مكتبة الإمام الحكيم العامة بالرقم ١٠٦٤. نسخة حسنة الخط، كتبها ماجد بن مسعود بن شمس بن كمال المهزومي يوم الثلاثاء التاسع عشر من شهر ذي القعدة سنة (٩٨٥هـ). وقد كتبت الآيات بالمداد الأحمر، وعلى النسخة هوامش توضيحية وكلمات نسخ البذل، وقد تضررت بدايتها ونهايتها بالرطوبة، والنسخة ناقصة الصفحة الأخيرة.

تقع في ٣٥٨ ورقة، وقياسها ٢١×٣٠ سم، وعدد أسطرها ٢٧. وقد رمزت لها بالرمز (ب).

٣- النسخة المحفوظة في مكتبة الإمام الحكيم العامة بالرقم ٨٥٧.

(١) ينظر: فهرستواره دستنوشت هاي إيران (دنا) ج ٢: ٨٣٧.

(٢) ينظر: فهرستواره دستنوشت هاي إيران (دنا) ج ٣: ٣٦٨.

٩- إرجاع الأشعار والأراجيز المصرّح بأسماء قائلها الواردة في الكتاب إلى مصادرها، ونسبة الأخرى إلى قائلها بالاعتماد على المصادر.

١٠- تخريج الأمثال المذكورة في الكتاب.

١١- التعريف بشكل مختصر بأسماء البقاع والأماكن الواردة في الكتاب بالرجوع إلى مصادرها.

١٢- كتابة النسخة وفق القواعد الإملائية.

١٣- إعداد فهرس عامة في آخر الكتاب تضمّنت فهرساً للأحاديث الشريفة والأخبار، وآخر للأعلام، وفهرساً للأمثال، وآخر للآيات الشعرية والأراجيز، وفهرساً للأماكن والبقاع... الخ.

١٤- ذكر المصادر المعتمدة في التحقيق.

ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أتوجّه ببالغ الشكر والامتنان للعتبة العباسية المقدّسة ممثلة بالمتولي الشرعي للعتبة ساحة السيد أحمد الصافي «دام عزه»، كما لا يفوتني تقديم الشكر لقسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية ورئيسه ساحة الشيخ عمار الهلالي «دام توفيقه» على جهودهم في مراجعة الكتاب وطبعه.

وفي الختام أرجو من القارئ الكريم التجاوز والصفح عما وقع فيه من الخلل والتقصير، كما أشكره تعالى شأنه على توفيقه لإكمال الكتاب، سائلاً منه أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعني به يوم ألقاه، وما توفّقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، وهو حسبي ونعم الوكيل.

جواد السيد كاظم الحكيم
النجف الأشرف

نماذج من المخطوطات



1904
1905
1906

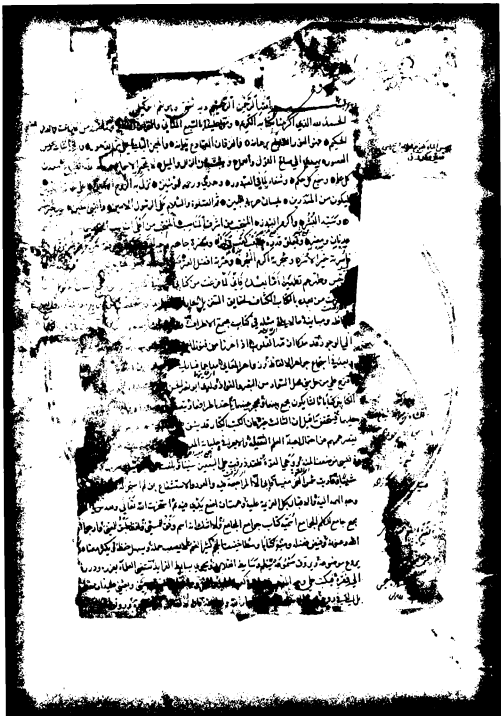
کتابخانه المصلح
مدرسه
شور و غشایه
کتابخانه
مدرسه

كانت لهم خنات الغزو دوس نزلوا خالدين فيها لا يتبعون عنها جولا ولولا كان المحر
 بدا اذا الكلام تربي لنفد البحر قبل ان تنفذ كلها تربي ولو جئنا بثلثه مددا
 فلانا البشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد فمن كان يرجوا لقاء ربه
 فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا الجول والتحول بقلا جلا من كان
 حولا قالوا عادى جئنا عودا لا يطلبون تحولا معنا الى موضع آخر لعل فيها المدا اسم ما يذهب الدابة
 المعنى لو كنيت كما تعلم الله فكنيت وكان البحر مدا لما هو المدا والبحر الجفيس لنفد البحر قبل ان تنفذ الماء
 ولو جئنا بثلث البحر مدا لنفد ايضا والكمالات لا تنفذ ومددا تمير كقولكم مثله رجلا والمدا مشر المدا
 وهو ما يذهب وقوى ينقد باله فريكان يرجوا في الما حسن لقاء ربه وان يلقاه لقاء ايضا وقبوله وفي
 كان ضايف مؤلفا والمدا بالنبي عن الماشراك بالصادة ان لا يرى يعمله وان لا يتبع به الا وجهه ربه خالصا
 لا يريد به غيره وعن النبي صلى الله عليه قال قال الله عز وجل انما اعني الشركاء من الشركاء في الساعة التي
 فيه تجزي فانما يدرك الله هو الله لا يشرك به ما من احد يبدوا آخر الكون عند التوم لا ينقطع في الساعة التي
 والمحسد لله رب العالمين وصلى الله على خير خلقه محمد وآله الطاهرين

(قوله)

انما دامت سبابة في سورة
 بحال الخ حابر الخ حابر لما
 من جبر الله من سببنا ومن سببنا
 ما به محمد بن عبد الله
 تعال من جبر الله من سببنا

كرم المجلد الاول من الجوامع ورفق محمد والمدة ورفق من كان به المحسن الفوز
 المتصور على نفي السلم النفسه الاله العظمى المجدد والحق والحق
 الجاهل بالانفس طرادا تعاقب في تصليقا على عتبة والادوم
 وشكوه بالجلد والثاق صرحهم



الصفحة الأولى من النسخة المخطوطة - ب -

[illegible]

الذي علمه ان يغتر وهو منسوب الى الغتر وهو التبرك بالبرج والنيات لما روى ابن
 عنه عليه السلام ان الشيطان وضع خطره على قلبه ابراهيم فاذكر له خسران من لا يتق الله
 من سيرة من زنى على الخلق طاعة العوازل والنسب والرجوع الى الشر ويحسن ان يقف الفارق
 للجانس من يدى الذي يوسوس على احد من المؤمنين بالرجوع من الجنة والناس بان لا يفرحوا
 على ان يكون من جرحي ونفى كالفراشة بالبرج والانس من اوفى ركة الرجل هو بغير الله
 من الشيطان والانس يجوز ان يكون من لا يتق الله الغاية وتعلق بوسوس اى يوسوس في صدق
 من جهة اللين ومن جهة الانس ومن الصادق اذا قرات قلبه عود برب الناس وهذا الخبر
 كتاب الجامع للجامع وهو المهدى للكر على ايده وشديد على لا واخر استرالى استرالى
 ابتدأ بالقيمة سنة ثمان واربعين وخمسين في يوم السبت الثامن عشر من شهر صفر
 فرأى منه هون الله وفضلت عين من الحرم الشهر الثاني عشر في هذه شهر والعام بقيا
 منى لا علم بارض شام في سبعة الايام وخلفا نبي احمد عليه وعليهم افضل الصلوة
 والسلام وانه الاسلام يوم العيون السلام فانه الكريم الحمد والرحيم اسد الله اليه يخلص
 كدى وكفى واحمد كفى وحدى في شيفه وتوضعه وقد ديب حتى جلا من كثر فرما
 فزهر في شفه سدحيا على جوارح الغيور وزواهره مكنته واطن على نظره عدد
 التطير في الكتب حذر ان يان يكتب بما لا يفتى من حلفه والحقه واكمل منادى اسفه
 ترى جميع من ختمته من افعى الحول الذين وفروهم طابق العقول ويسمى من يفتى الحق
 الغيوم والذات القيم والصبر المستقيم يستحق بركة الحاصلات وتستدفع به الحيات وتستدفع
 الاعلان ويستند به الاذن من صبح الرضوانه مود بالاجتنان وسببا لخواص رجاى كرام
 وادسا بزايم الاخر وصل الى شاعة النوى الصلح واهل بيته الغيوم الذين استضاءت
 باضنائهم ونعتت باضنائهم واعتدلت بمسارهم واقبقت من انوارهم الغم اركنت
 تعلم انهم الملب ذلك الامم حرك ولما اعتد به حرك فاصغ عن حرى وتجاوز عن
 يساق شفاعتهم وابتغى يوم القيمة في جلته واضع على جمال
 فلك والخصمى بطايف كرمك انك كرم النان وسلامة
 على سيدنا محمد وآله الطيبين الاخيار والظاهر والابرار
 فتشبهوا بالكرم المسمى بجمع الجامع في يوم الاثني عشر
 شهر جمادى سنة لحدوى وثلاثين والاف
 البعد

٢٢٢

ما في غير هذا

جلد الثاني
جامع الحواميع شرح
رسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

نحان ونسحر آية الحق الكون كله صانع له ولم يها عبده
ولم يطل صمداً وحدها صمد في حديث أبي كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما أوتي من قرآن إلا أحببته
من صديق زكريا ويحيى ومريم وعيسى موسى وهرون وإبراهيم واسحق ولا عبود ولا سمعيل ولا عيسى
الغيبية ثم صادق صمد آدم قرأ سورة مريم لم يحسب في الدنيا حتى يدرى فيها كائنات في نفسه
ودله فعالمه وأقبل في الآخرة فذلك سليمان بن داود عليه السلام الله الرحمن الرحيم
ذكر صفات ربك عظمة زكراً أذننا حتى دله بك أعجبنا قال رب أني وهن العلم مني
واستعمل الناس شيئاً لم أكن فيها لك ذنب شقياً وأني خفت أموال من وراني وكنيت
أعزيت عاقراً فاصب من لك ذنب ولينا يرضي ويرض عن العاقوب واجعل رزقنا
يا زكريا أنا عيشة بك بعد ما شئت عجي أم تجعل له من قبل شيئاً قال ربه أن يكون لك
فكانت أمراً من عاقر وأولغت من الكبر عتياً قال كذبت قال ذلك هو عتياً حين وقد فطنت
من قبل أنمرك شيئاً قد أبصره بآلاءه ما تفرج يا ودي في عاكسك وفي بآلاءه ما ذكر
صفت ربك زكريا عبده فذكر صفات المفضل ورزقه مضاف إلى المفاضل وانصب عليه لأن مفضل
لهم نوك والرحمة أصابته آباءه صمد دعاه وسأله الولد إذ خلقه زله نذا إلى دعاه وجماع
حقاً عجيباً في نفسه وفي الحديث خير الدعاء لمعنى وعن الحسن نذا ولا رياء وفيه إخفاء لئلا يظن
طلب الولد وقت الشفاعة وصاف الوهن إلى العظم لأن العظام البنية فإذا هزها من أسف
قوتها ولا الهلجس من هذا الجنس الذي هو العود والقوام قد أصاب الوهن وشبه الشيب وظهر
الذائق بياضه انخفاً وفي الشيب انشغال النازق واستدراك الشيب إلى كمال الشيب وعنده الولد
وجعل الشيب عجزاً ولم يقل لمعنى الكثرة بل المعنى طلب أن يرأسه فترسل إليه سبحانه بمصلحة

صوت من
العلم

[illegible][illegible]

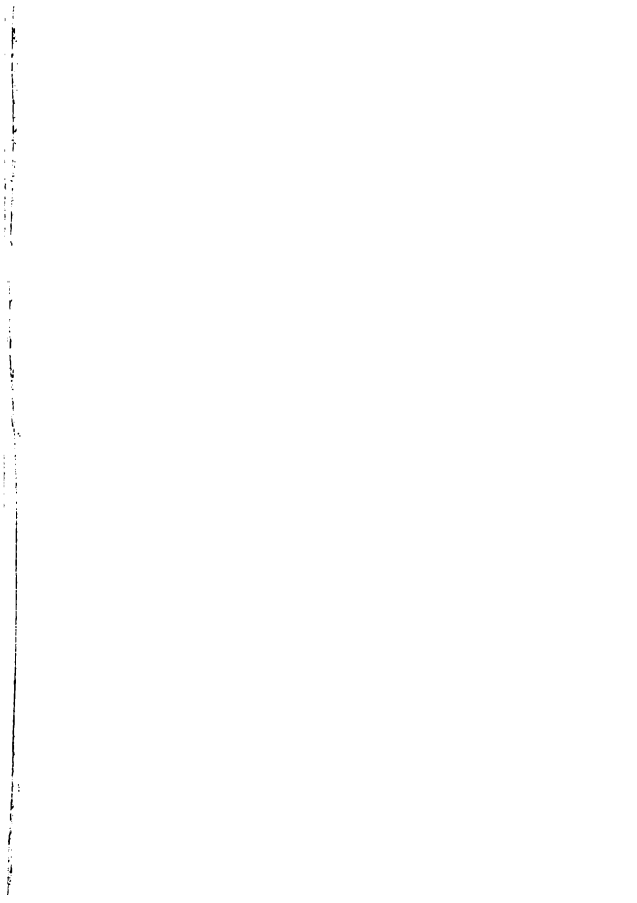


[illegible]

فَلَا تُحَدِّثْ فِي رَيْبِ النَّاسِ ① كَيْلَ الْيَأْسِ ② وَالْهَيْبِ ③ ④
تَوْشِيحٌ فِي مَذْهَبِ النَّاسِ ⑤ ⑥ أَيْخَرُ النَّاسِ ⑦
وَبِأَسْمَاءِ هَاجِرٍ مَعَهُمْ وَبِغَيْرِهَا ⑧
تَمْجِيسٌ بِأَسْمَاءِ النَّاسِ ⑨ تَمْجِيسٌ بِأَسْمَاءِ النَّاسِ ⑩
تَمْجِيسٌ بِأَسْمَاءِ النَّاسِ ⑪ تَمْجِيسٌ بِأَسْمَاءِ النَّاسِ ⑫
تَمْجِيسٌ بِأَسْمَاءِ النَّاسِ ⑬ تَمْجِيسٌ بِأَسْمَاءِ النَّاسِ ⑭
تَمْجِيسٌ بِأَسْمَاءِ النَّاسِ ⑮ تَمْجِيسٌ بِأَسْمَاءِ النَّاسِ ⑯
تَمْجِيسٌ بِأَسْمَاءِ النَّاسِ ⑰ تَمْجِيسٌ بِأَسْمَاءِ النَّاسِ ⑱
تَمْجِيسٌ بِأَسْمَاءِ النَّاسِ ⑲ تَمْجِيسٌ بِأَسْمَاءِ النَّاسِ ⑳
تَمْجِيسٌ بِأَسْمَاءِ النَّاسِ ㉑ تَمْجِيسٌ بِأَسْمَاءِ النَّاسِ ㉒
تَمْجِيسٌ بِأَسْمَاءِ النَّاسِ ㉓ تَمْجِيسٌ بِأَسْمَاءِ النَّاسِ ㉔
تَمْجِيسٌ بِأَسْمَاءِ النَّاسِ ㉕ تَمْجِيسٌ بِأَسْمَاءِ النَّاسِ ㉖
تَمْجِيسٌ بِأَسْمَاءِ النَّاسِ ㉗ تَمْجِيسٌ بِأَسْمَاءِ النَّاسِ ㉘
تَمْجِيسٌ بِأَسْمَاءِ النَّاسِ ㉙ تَمْجِيسٌ بِأَسْمَاءِ النَّاسِ ㉚
تَمْجِيسٌ بِأَسْمَاءِ النَّاسِ ㉛ تَمْجِيسٌ بِأَسْمَاءِ النَّاسِ ㉜
تَمْجِيسٌ بِأَسْمَاءِ النَّاسِ ㉝ تَمْجِيسٌ بِأَسْمَاءِ النَّاسِ ㉞
تَمْجِيسٌ بِأَسْمَاءِ النَّاسِ ㉟ تَمْجِيسٌ بِأَسْمَاءِ النَّاسِ ㊱
تَمْجِيسٌ بِأَسْمَاءِ النَّاسِ ㊲ تَمْجِيسٌ بِأَسْمَاءِ النَّاسِ ㊳
تَمْجِيسٌ بِأَسْمَاءِ النَّاسِ ㊴ تَمْجِيسٌ بِأَسْمَاءِ النَّاسِ ㊵
تَمْجِيسٌ بِأَسْمَاءِ النَّاسِ ㊶ تَمْجِيسٌ بِأَسْمَاءِ النَّاسِ ㊷
تَمْجِيسٌ بِأَسْمَاءِ النَّاسِ ㊸ تَمْجِيسٌ بِأَسْمَاءِ النَّاسِ ㊹
تَمْجِيسٌ بِأَسْمَاءِ النَّاسِ ㊺ تَمْجِيسٌ بِأَسْمَاءِ النَّاسِ ㊻
تَمْجِيسٌ بِأَسْمَاءِ النَّاسِ ㊼ تَمْجِيسٌ بِأَسْمَاءِ النَّاسِ ㊽
تَمْجِيسٌ بِأَسْمَاءِ النَّاسِ ㊾ تَمْجِيسٌ بِأَسْمَاءِ النَّاسِ ㊿

[illegible]

جَوَامِعُ الْجَامِعِ



جَوَادُ مَعَ الْجَامِعِ

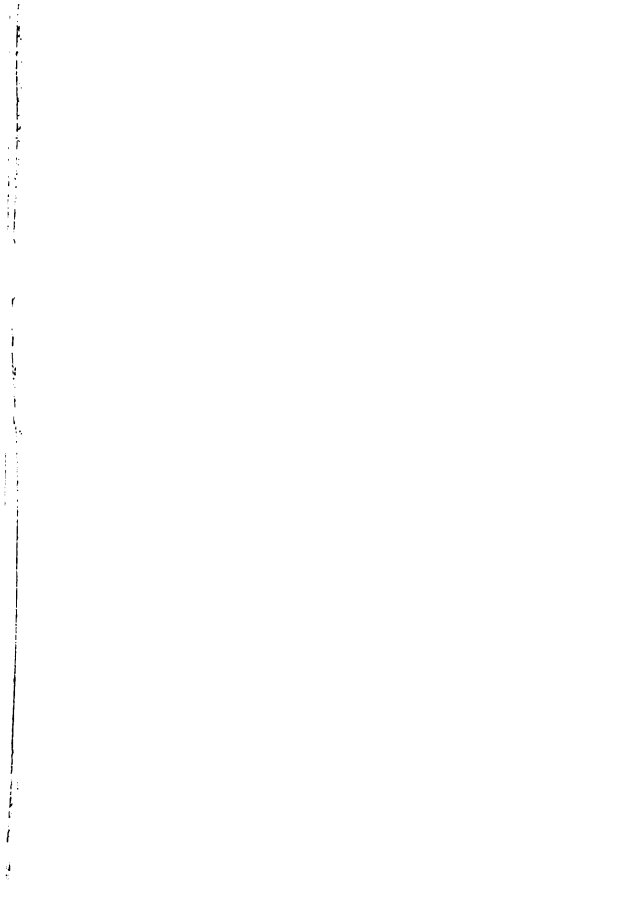
تأليف

أَمِينُ الْإِسْلَامِ أَبِي عَلِيٍّ
الْفَضْلُ بْنُ الْحَسَنِ الطَّبْرَسِيِّ

تحقيق

جَوَادُ السَّيِّدِ كَاظِمُ الْحَكِيمِ

الجزء الأول



بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين..

الحمد لله الذي أكرمنا بكتابه الكريم، ومنّ علينا بالسبع المثاني والقرآن العظيم، وما ضمّنه من الآيات والذكر الحكيم، فهو النور الساطع برهانه، والفرقان الصادع تبيان، والمعجز الباقي على مرّ الدهور، والحجة الثابتة سجيّس العصور^(١)، يهدي إلى صالح القول والعمل، ويثبت من الميل والزلل، لا تمجّه الأسماع، ولا تمّله الطباع، معدن كل علم، ومنبع كل حكم، وشفاء لما في الصدور، وهدى ورحمة للمؤمنين، نزل به الروح الأمين على خاتم النبيين ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين.

ثم الصلاة والسلام على الرسول الأمين والنبيّ المكين، محمّد خير البشر، وسيّد البُشر^(٢)، وأكرم النذر، المنتجب من أشرف المناصب، المنتخب من أعلى المناسب، الذي سما بسمو انتسابه اسم (عدنان)^(٣) و(مضر)^(٤)، وبعلو قدره علا

(١) سجيّس العصور: أبدأ. (الصحاح: مادة سجيّس)

(٢) البشر: جمع البشير.

(٣) عدنان، من أجداد النبي ﷺ.

(٤) مضر، من أجداد النبي ﷺ.

كعب (كعب) ^(١) وكبر، وبنضرة جاهه وجه (النضر) ^(٢) نضر، وبرفعة أمره استمر أمر (مزة) ^(٣) وأمر، فأسرته خير الأسر، وشجرته أكرم الشجر، وعترته أفضل العتر، صلى الله عليه وعلى أهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

أما بعد: فإني لما فرغت من كتابي الكبير في التفسير الموسوم بـ (مجمع البيان لعلوم القرآن) ^(٤)، ثم عثرت من بعد بالكتاب (الكشاف لحقائق التنزيل) ^(٥) لجار الله العلامة ^(٦)، واستخلصت من بدائع معانيه وروائع ألفاظه ومبانيه، مالا يلفى مثله في كتاب مجتمع الأطراف، ورأيت أن أسمه وأسميه بـ (الكاف الشاف)، فخرج الكتابان إلى الوجود، وقد ملكا أزمة القلوب، إذ أحرزا من فنون العلم غاية المطلوب، وجادت جدواهما، وتراءت ناراهما، وبُعِدَ في استجماع جواهر الألفاظ وزواهر المعاني مداهما، فسارا في الأمصار مسير الأمثال، وسريا في الأفطار مسرى الخيال؛ اقترح عليّ من حلّ متيّ محلّ السواد من البصر، والسويداء من الفؤاد، ولدي أبو نصر الحسن ^(٧) - أحسن الله نصره وأرشد أمري وأمره - أن أجرد من

(١) كعب، من أجداد النبي ﷺ.

(٢) النضر، من أجداد النبي ﷺ.

(٣) مزة، من أجداد النبي ﷺ.

(٤) مجمع البيان لعلوم القرآن للمصنف (رحمه الله) يقع في عشرة أجزاء، طبع عدة مرات.

(٥) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري يقع في أربعة أجزاء، طبع عدة مرات.

(٦) أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، صاحب التصانيف المشهورة في التفسير والنحو والحديث واللغة وعلم البيان، ولد سنة ٤٦٧ هـ سافر إلى مكة وجاور بها زماناً فصار يقال له: جار الله توفي سنة ٥٣٨ هـ. ينظر: طبقات المفسرين ج ٢: ٣١٤.

(٧) أبو نصر الحسن بن الفضل الطبرسي، فاضل كامل فقيه محدث جليل صاحب كتاب (مكارم الأخلاق). الكنى والألقاب ج ٢: ٤٠٩.

الكتابين كتاباً ثالثاً يكون مجمع بينهما، ومحجر عينهما، يأخذ بأطرافهما ويتصف بأوصافهما، ويزيد بأبكار الطرائف وبواكر اللطائف عليهما، فيتحقق ما قيل: إنّ الثالث خير؛ فإنّ الكتب الكبار قد يشق على الشادي حملها، ويثقل على الناقل نقلها، فأكثر أبناء الزمان تقصر همهم عن احتمال أعباء العلم الثقيلة، والإجراء في حلباته المديدة الطويلة.

فاستغفيتها من ذلك مرة بعد أخرى، لما كنت أجده في نفسي من ضعف المنّة ووهن القوة، فلقد ذرّفت^(١) على السبعين سنياً، وبلغت من الكبر عتياً، وصرت كالحنينة^(٢) حنياً، واشتعل الرأس شيباً، وقاربت شمس العمر مغياً.

فأبى إلا المراجعة فيه والعود، والاستشفاع بمن لم أستجز له الرد، فلم أجد بداً من صرف وجه الهمة إليه، والإقبال بكلّ العزيمة عليه، وهممت أن أضع يدي فيه، ثم استخرت الله تعالى وتقدّس في الابتداء منه بمجموع مجمع جامع للكلم الجوامع، أسميه كتاب (جوامع الجامع).

ولاشك أنّه اسم وفق للمسمّى، ولفظ طبق للمعنى، وأرجو أن يكون - بتوفيق الله وعونه، وفيض فضله ومّنه - كتاباً وسيطاً خفيف الحجم، كثير الغنم، لا يصعب حمله، ويسهل حفظه، ويكثر معناه وإن قلّ لفظه، يروّع موضوعه، ويروق مسموعه، ينظم وسائل القلائد، ويحوي بسائط الفوائد، يستضيء العلماء بفرره ودرره، ويفتقر الفضلاء إلى فقره، فيكتب على وجه الدهر، ويعلّق في كعبة المجد والفخر.

ومما حداني إليه، وحثني وبعثني عليه، أن خطر ببالي وهجس بضميري، بل

(١) ذرّف: زاد. (الصحاح: مادة ذرف)

(٢) الحنينة: القوس. (الصحاح: مادة حنا)

أُلقي في روعي محبة الاستمداد من كلام جار الله العلامة ولطائفه، فإنَّ لألفاظه لذة الجدة ورونق الحداثة، مقتصرأ فيه على إيراد المعنى البحت، والإشارة إلى مواضع النكت، بالعبارات الموجزة، والإيحاءات المعجزة، مما يناسب الحقَّ والحقيقة، ويطابق الطريقة المستقيمة. وإذا ورد في أثناء الآيات شيء قد تقدّم الكلام في نظيره، أعوّل في أكثره على المذكور قبل؛ إيثاراً للإيجاز والاختصار.

وأنا أسأل الله الكريم المنان، مستشفعاً إليه بمحمّد المصطفى وآله مصابيح الإيمان ومفاتيح الجنان، عليه وعليهم الصلاة والسلام ما اختلف الضياء والظلام، أن يجعل وكدي^(١) وكدي في تأليفه - مع تحاذل الأعضاء وتواكل الأجزاء - موجباً لغفرانه، ومؤدياً إلى رضوانه، ويمنّ بالتسهيل والتيسير، فإنّ تيسير العسير عليه - جلّت قدرته - يسير، وهو على ما يشاء قدير، نعم المولى ونعم النصير.

سورة فاتحة الكتاب

مكية، سبع آيات بلا خلاف، إلا أن أهل مكة عدّوا ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ آية من الفاتحة، وغيرهم عدّوا ﴿أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ آية.

وروي عن ابن عباس أنه قال: من ترك ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فقد ترك مائة وأربع عشرة آية من كتاب الله تعالى^(١). وعن الصادق عليه السلام أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾^(٢)، فقال: ((هي سورة الحمد، وهي سبع آيات منها ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾))^(٣). وعن أبي بن كعب^(٤) قال: قال رسول الله ﷺ: ((أَيُّمَا مُسْلِمٍ قَرَأَ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ أُعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ كَأَنَّمَا قَرَأَ ثُلْثِي الْقُرْآنِ، وَأُعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ كَأَنَّمَا تَصَدَّقَ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ))^(٥). وعن جابر بن عبد

(١) الدر المنثور ج ١: ٧ بالمعنى.

(٢) الحجر: ٨٧.

(٣) تفسير العياشي ج ١: ١٩، وروي قريب منه مرفوعاً. الكشف والبيان ج ١: ٨٩.

(٤) أبي بن كعب بن قيس الأنصاري النجاري، من أصحاب العقبة الثانية، شهد بدرًا والمشاهد كلها مع النبي ﷺ، قيل: إنه مات في زمن عمر، وقيل: في زمن عثمان. ينظر: الإصابة ج ١: ٢٠، معجم رجال الحديث ج ١: ٢٠٢.

(٥) الضعفاء الكبير ج ١: ١٥٧.

الله ^(١) عن النبي ﷺ قال: ((هي شفاء من كل داء إلا السام، والسام الموت)) ^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أصل الاسم: سمو، لأن جمعه أسماء وتصغيره (سمي).

﴿اللَّهُ﴾ أصله: إله، فحذفت الهمزة وعوّض عنها حرف التعريف، ولذلك قيل في النداء: يا الله - بقطع الهمزة - كما يقال: يا إله. ومعناه: إنه الذي تحق له العبادة، وإنها حقّت له العبادة لقدرته على أصول النعم.

فهذا الاسم مختص بالمعبود بالحق لا يطلق على غيره، وهو اسم غير صفة لأنك تصفه فتقول: إله واحد، ولا تصف به فلا تقول: شيء إله.

(الرحمن) فعلان من (رحم) كـ(غضبان)، و(الرحيم) فاعيل منه كـ(عليم).

وفي ﴿الرَّحْمَنِ﴾ من المبالغة ما ليس في ﴿الرَّحِيمِ﴾، ولذلك قيل: (الرحمن بجميع الخلق، والرحيم بالمؤمنين خاصة) ^(٣). ورووا عن الصادق عليه السلام أنه قال: ((الرحمن اسم خاص بصفة عامة، والرحيم اسم عام بصفة خاصة)) ^(٤).

وتعلّقت الباء في ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ بمحذوف تقديره: بسم الله أقرأ، ليختص اسم الله بالابتداء به، كما يقال للمعرس: باليمن والبركة، بمعنى: أعرست. وإنما قدر المحذوف متأخراً لأنهم يبتدئون بالأهم عندهم، ويدلّ على ذلك قوله: ﴿بِسْمِ

(١) جابر بن عبد الله بن عمرو الأنصاري السلمي، شهد العقبة الثانية، ثم شهد تسع عشرة غزوة مع النبي ﷺ، شهد صفين مع الإمام علي عليه السلام، مات سنة ٧٨ هـ. ينظر: الإستيعاب ج ١: ٢٢١، معجم رجال الحديث ج ٤: ١١.

(٢) تفسير العياشي ج ١: ٢٠.

(٣) عن الصادق عليه السلام. تفسير القمي ج ١: ٢٥، وعن الضحاك. الدر المنثور ج ١: ٩.

(٤) الكشف والبيان ج ١: ٩٩.

اللَّهُ يَجْزَاهَا وَثُمَّ سَاهَا ﴿١﴾.

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾

﴿الْحَمْدُ﴾ والمدح أخوان، وهو الثناء على الجميل من نعمة وغيرها، وأما الشكر فعلى النعمة خاصة، والحمد باللسان وحده، والشكر يكون بالقلب وباللسان وبالجوارح، ومنه قوله ﷺ: ((الحمد رأس الشكر))^(١)، والمعنى في كونه رأس الشكر: إن الذكر باللسان أجلى وأوضح وأدلّ على مكان النعمة، وأشيع للثناء على موليتها من الاعتقاد وعمل الجوارح. ونقيض الحمد الذم، ونقيض الشكر الكفران.

وإنما عدل بالحمد عن النصب الذي هو الأصل في كلامهم - على أنه من المصادر التي تنصب بأفعال مضمرة، كقولهم: شكراً وعجباً... ونحو ذلك - إلى الرفع على الابتداء، للدلالة على ثبات المعنى واستقراره، دون تجدد وحدوثه في نحو قولك: أحمد الله حمداً. ومعناه: الثناء الحسن الجميل والمدح الكامل الجزيل للمعبود المنعم بجلال النعم، المنشئ للخلائق والأمم.

والرب: السيد والمالك، ومنه قول صفوان^(٢) لأبي سفيان^(٣): (لأن يربني رجل من قريش أحب إليّ من أن يربني رجل من هوازن)^(٤). يقال: ربّه يربّه فهو

(١) هود: ٤١.

(٢) مصنف عبد الرزاق ج ١٠: ٤٢٤.

(٣) صفوان بن أمية بن خلف الجمحي، أحد المؤلفة قلوبهم، قتل أبوه يوم بدر مشركاً، شهد مع النبي ﷺ حينئذ والطائف وهو كافر، ثم أسلم، مات بمكة سنة ٤٢ هـ. ينظر: الاستيعاب ج ٢: ١٨٣.

(٤) أبو سفيان صخر بن حرب الأموي، أحد المؤلفة قلوبهم، كان رأس المشركين يوم أحد ويوم الأحزاب، أسلم عام الفتح، توفي في زمن عثمان. ينظر: الإصابة ج ٢: ١٧٨.

(٥) نقله المصنف تبعاً لصاحب الكشف، والمذكور في المصادر المتوفرة أن صفوان قال ذلك لكلدة بن لبي

ربّ، ولم يطلقوا الربّ إلا في الله وحده، ويقيد في غيره فيقال: ربّ الدار، وربّ الضيعة.

والعالم: اسم لأولي العلم من الملائكة والثقلين^(١). وقيل: هو اسم لما يعلم به الصانع من الجواهر والأجسام والأعراض. وجمع بالواو والنون. وإن كان اسماً غير صفة. لدلالته على معنى العلم، ويشمل كل جنس مما سمي به.

الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢﴾

مرّ معناهما.

مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٣﴾

من قرأ: ملك يوم الدين، فلأنّ الملك يعمّ والملك يخصّ، ولقوله سبحانه: ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾^(٢)، ومن قرأ: مالك - بالالف - فهو إضافة اسم الفاعل إلى الظرف على طريق الاتساع، أجري الظرف مجرى المفعول به والمعنى على الظرفية. والمراد: مالك الأمر كله في يوم الدين، وهو يوم الجزاء من قولهم: ((كما تدين تدان))^(٣).

وهذه الأوصاف التي هي كونه سبحانه ربّاً مالكاً للعالمين لا يخرج منهم شيء من ملكوته وربوبيته، وكونه منعماً بالنعم المتوافرة الباطنة والظاهرة، وكونه مالكاً للأمر كله في الدار الآخرة بعد الدلالة على اختصاص الحمد به في قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾؛ فيها دلالة باهرة على أنّ من كانت هذه صفاته لم يكن أحد أحقّ منه بالحمد والثناء.

١٢ الحنبل - وهو أخوه لأمه - في غزوة حنين. ينظر: تاريخ الطبري ج ٣: ١٢٨، سيرة ابن هشام ج ٤: ١٢٣.

(١) الثقلان: الإنس والجن. (الصحاح: مادة ثقل)

(٢) الناس: ٢.

(٣) الخصال: ٣٠٣، مصنف عبد الرزاق ج ١١: ١٧٩.

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾

(إِيَّا) ضمير منفصل للمنصوب، والكاف والهاء والياء اللاحقة به في (إِيَّاكَ) و(إِيَّاه) و(إِيَّاي) لبيان الخطاب والغيبة والتكلم، ولا محل لها من الإعراب، إذ هي حروف عند المحققين، وليست بأسماء مضمرة كما قال بعضهم^(١).

وتقديم المفعول إنَّما هو لقصد الاختصاص، والمعنى: نخصك بالعبادة ونخصك بطلب المعونة.

والعبادة ضرب من الشكر وغاية فيه وكيفيته، وهي أقصى غاية الخضوع والتذلل، ولذلك لا تحسن إلا لله سبحانه الذي هو مولى أعظم النعم، فهو حقيق بغاية الشكر.

وإنَّما عدل فيه عن لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب على عادة العرب في تفنهم في محاوراتهم، ويسمى هذا التفاتاً. وقد يكون من الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى التكلم، كقوله سبحانه: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلِّ وَجَرِيرَٰنَ بِهِم﴾^(٢)، وقوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ﴾^(٣).

وأما الفائدة المختصة به في هذا الموضع، فهي أنَّ المعبود الحقيق بالحمد والثناء لما أجري عليه صفاته العليا، تعلّق العلم بمعلوم عظيم الشأن حقيق بالعبادة والاستعانة به في المهمات، فخطوب ذلك المعلوم المتميّز بتلك الصفات، فقيل: إِيَّاكَ -يا من هذه صفاته- نخصّ بالعبادة والاستعانة، لا نعبد غيرك ولا نستعينه، ليكون

(١) معاني القرآن وإعرابه ج ١: ٤٨.

(٢) يونس: ٢٢.

(٣) فاطر: ٩.

الخطاب أدلّ على (أنّ العبادة له لذلك المتميّز الذي لا تحقّ العبادة إلاّ له)^(١).

وقرنت الاستعانة بالعبادة ليجمع بين ما يتقرّب به العباد إلى ربّهم وبين ما يطلبونه ويحتاجون إليه من جهته، وقدّمت العبادة على الاستعانة، لأنّ تقديم الوسيلة يكون قبل طلب الحاجات ليستوجبوا الإجابة إليها، وأطلقت الاستعانة ليتناول كل مستعان فيه.

والأحسن أن تراد الاستعانة به وبتوفيقه على أداء العبادة، فيكون قوله: ﴿أَهْدِنَا﴾ بياناً للمطلوب من المعونة، كأنّه قيل: كيف أعينكم؟ فقالوا:

أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١﴾

أصل (هدى) أن يتعدّى باللام أو بـ(إلى)، كقوله تعالى: ﴿يَهْدِي لِلّٰثِي هَمِيْ أَقْوَمُ﴾^(٢)، و﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٣)، فعومل معاملة (اختار) في قوله تعالى: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾^(٤).

و(السرّاط) - بالسّين - الجادة، من سرّط الشيء إذا ابتلعه، لأنّه يسرّط المارة إذا سلّكه، كما سميّ لقمّاً لأنّه يلتقم السابلة؛ وبالصاد من قلب السّين صاداً لأجل الطاء، وهي اللغة الفصحاء.

و﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ هو الدين الحقّ الذي لا يقبل الله من العباد غيره. وإنّما سميّ الدين صراطاً، لأنّه يؤدي بمن يسلكه إلى الجنّة، كما أنّ الصراط يؤدي

(١) في أ: (أنّ العبادة له لذلك المتميّز الذي لا تحقّ العبادة إلاّ به).

(٢) الإسراء: ٩.

(٣) الشورى: ٥٢.

(٤) الأعراف: ١٥٥.

بمن يسلكه إلى مقصده.

وعلى هذا فمعنى ﴿أَهْدِنَا﴾: زدنا هدى بمنح الألفاظ، كقوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادْهُمْ هُدًى﴾^(١). ورووا عن أمير المؤمنين عليه السلام: أن معناه: ثبتنا^(٢). وفي بعض الأخبار: إن الصادق عليه السلام قرأ: اهدنا صراط المستقيم، بإضافة (صراط) إلى (المستقيم).

صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ
وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾

هو بدل من ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، وهو في حكم تكرير العامل، فكأنه قال: اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم. وفائدة البذل التوكيد، والإشعار بأن الطريق المستقيم بيانه وتفسيره: صراط من خصهم الله تعالى بعصمته، وأمدهم بخواص نعمته، واحتج بهم على بريته، وفضلهم على كثير من خليفته، فيكون ذلك شهادة لصراطهم بالاستقامة على أكد الوجوه، كما تقول: هل أدلك على أكرم الناس فلان؟ فيكون ذلك أبلغ في وصفه بالكرم من قولك: هل أدلك على فلان الأكرم؟ لأنك تثبت كرمه مجملاً أولاً ومفضلاً ثانياً، وأوقعت فلاناً تفسيراً للأكرم، فجعلته علماً في الكرم، فكأنك قلت: من أراد رجلاً جامعاً للكرم فعليه بفلان، فهو المعين لذلك غير مدافع فيه.

وأطلق الإنعام ليشمل كل إنعام.

وروي عن أهل البيت عليه السلام: صراط من أنعمت عليهم، وعن عمر بن الخطاب

(١) محمد: ١٧.

(٢) معالم التنزيل ج ١: ٩.

وعمر بن الزبير^(١). والصحيح هو المشهور.

﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ بدل من ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، على معنى: إنَّ المنعم عليهم هم الذين سلموا من غضب الله والضلال؛ أو صفة على معنى: إنَّهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة العصمة، وبين السلامة من غضب الله والضلالة. ويجوز أن يكون (غير) هاهنا صفة وإن كان (غير) لا يقع صفة للمعرفة، ولا يتعرف بالإضافة إلى المعرفة، لأنَّ ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ لا توقيت فيهم، فهو كقوله:

وَلَقَدْ أَمَرُ عَلَى اللَّيْمِ يَسْبِي فَمَضَيْتُ نَمَتَ قُلْتُ لَا يَغْنِيَنِي^(٢)

ولأنَّ ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ و﴿الضَّالِّينَ﴾ خلاف المنعم عليهم، فليس في (غير) إذا الإبهام الذي يأبى له أن يتعرف.

وقيل: (إنَّ) ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ هم اليهود، لقوله تعالى: ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾^(٣)، و﴿الضَّالِّينَ﴾ هم النصارى، لقوله تعالى: ﴿قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ﴾^(٤)^(٥).

ومعنى غضب الله: إرادة الانتقام منهم وإنزال العقاب بهم، وأن يفعل بهم ما يفعله الملك إذا غضب على من تحت يده.

(١) عمرو بن الزبير بن العوام كان موالياً لبني أمية ومن أشد الناس عداوة لأخيه عبد الله، قاد جيشاً لبني أمية لمحاربة أخيه فهُزم وأسر ثم قتل. ينظر الفتوح ج ٥: ١٥٣.

(٢) البيت لرجل من بني سلول. الكتاب ج ٣: ٢٤، وعجزه ساقط في ب، ج.

(٣) المائدة: ٦٠.

(٤) المائدة: ٧٧.

(٥) عن عدي بن حاتم مرفوعاً. تفسير الطبري ج ١: ٦١-٦٤.

وَمَحَلَّ ﴿عَلَيْهِنَّ﴾ الأولى نصب على المفعولية، ومَحَلَّ ﴿عَلَيْهِنَّ﴾ الثانية رفع على الفاعلية.

وأصل الضلال: الهلاك، ومنه قوله: ﴿وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾^(١) أي: أهلكها. والضلال في الدين هو الذهاب عن الحق.

سورة البقرة

مدينة، مائتان وست وثمانون آية كوفي، وسبع بصري. ﴿الْم﴾ و﴿تَتَفَكَّرُونَ﴾ كوفي، ﴿إِلَّا خَائِفِينَ﴾ و﴿قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ و﴿الْحَيِّ الْقَيُّومُ﴾ بصري.

عن أبي عن النبي ﷺ قال: ((من قرأ (سورة البقرة) فصلوات الله عليه ورحمته، وأُعطي من الأجر كالمرابط في سبيل الله سنة لا تسكن روعته))^(١)، وقال لي: ((يا أبا، مُرِ المسلمين أن يتعلموا (سورة البقرة)، فَإِنَّ تَعْلَمَهَا بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة، قلت: يا رسول الله مَنِ البطلة؟ قال: السحرة))^(٢).

وعن الصادق عليه السلام قال: ((من قرأ (البقرة وآل عمران) جاء يوم القيامة يظلانه على رأسه مثل الغمامتين أو مثل الغيابتين))^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْم

اختلف في هذه الفواتح المفتحة بها السور، فورد عن أئمتنا عليه السلام: ((إنها من

(١) مجمع البيان ج ١-٢: ٣٢.

(٢) المستدرک علی الصحیحین ج ١: ٥٦٤ عن أبي أمامة.

(٣) نواب الأعمال: ١٠٤.

المتشابهات التي استأثر الله بعلمها، ولا يعلم تأويلها غيره^(١). وعن الشعبي^(٢) قال: (لله تعالى في كل كتاب سرّ، وسرّه في القرآن حروف التهجي في أوائل السور)^(٣).

وقال الأكثرون في ذلك وجوهاً:

منها: أنها أسماء للسور، تعرف كل سورة بما افتتحت به.

ومنها: أنها أقسام أقسم الله تعالى بها لكونها مباني كتبه، ومعاني أسمائه وصفاته، وأصول كلام الأمم كلها.

ومنها: أنها مأخوذة من صفات الله عزّ وجل، كقول ابن عباس في ﴿كهيعص﴾^(٤): (إنّ الكاف من كاف، والهاء من هاد، والياء من حكيم، والعين من عليم، والصاد من صادق؛ و﴿المر﴾ معناه: أنا الله أعلم).

ومنها: أنّ كل حرف منها يدلّ على مدة قوم وآجال آخرين، إلى غير ذلك من الوجوه^(٥).

على أنّ هذه الفواتح وغيرها من الألفاظ التي يتهجى بها عند المحققين أسماء، مسمّياتها حروف الهجاء التي رُكبت منها الكلم، وحكمها أن تكون موقوفة كأسماء الأعداد، تقول: (ألف)، (لام)، (ميم)، كما تقول: (واحد)، (اثنان)، (ثلاثة). فإذا وليتها العوامل أعربت، فقيل: هذه (ألف)، وكتبت (لاماً)، ونظرت إلى (ميم).

(١) التبيان ج ١: ٤٨.

(٢) عامر بن شراحيل الكوفي ينسب إلى شعب، بطن من همدان، يعد من كبار التابعين، توفي سنة ١٠٤ هـ بالكوفة. ينظر: وفیات الأعيان ج ٢: ٢٢٧، معجم رجال الحديث ج ٩: ١٩٩.

(٣) الدر المنثور ج ١: ٢٣.

(٤) مريم: ١.

(٥) ينظر: تفسير الطبري ج ١: ٦٧ - ٧٤.

قال الشاعر:

إِذَا اجْتَمَعُوا عَلَى أَلِفٍ وَيَاءٍ وَوَاوٍ هَاجَ بَيْنَهُمْ جِدَالٌ^(١)

ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢٠﴾

إن جعلت ﴿الْمَ﴾ اسماً للسورة، ففيه وجوه:

أحدها: أَنَّ ﴿الْمَ﴾ مبتدأ، و﴿ذَلِكَ﴾ مبتدأ ثانياً، و﴿الْكِتَابُ﴾ خبره، والجملة خبر المبتدأ الأول. فيكون المعنى: إن ذلك هو الكتاب الكامل الذي يستأهل أن يسمى كتاباً، كأن ما سواه من الكتب ناقص بالإضافة إليه، كما تقول: هو الرجل، أي: الكامل في الرجولية.

والثاني: أن يكون ﴿الْكِتَابُ﴾ صفة. فيكون المعنى: هو ذلك الكتاب الموعود.

والثالث: أن يكون التقدير: هذه ﴿الْمَ﴾ فتكون جملة، و﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ جملة أخرى.

وإن جعلت ﴿الْمَ﴾ بمنزلة الصوت كان ﴿ذَلِكَ﴾ مبتدأ، ﴿الْكِتَابُ﴾ خبره، أي: ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل؛ أو ﴿الْكِتَابُ﴾ صفة، والخبر ما بعده، أو قدر مبتدأ محذوف، أي: هو - يعني المؤلف من هذه الحروف - ذلك الكتاب.

والريب: مصدر رابه يريبه، إذا حصل فيه الريبة، وحقيقة الريبة: قلق النفس واضطرابها. وفي الحديث: ((دع ما يريبك إلى ما لا يريبك))^(٢)، والمعنى: إنه من

(١) البيت ليزيد بن الحكم. خزنة الأدب ج ١: ١١٣.

(٢) معجم الطبراني الكبير ج ٣: ٧٥، كنز الفوائد: ١٦٤.

وضوح دلالاته بحيث لا ينبغي أن يرتاب فيه، إذ لا مجال للريبة فيه.

والمشهور الوقف على ﴿فِيهِ﴾، وبعض القراء يقف على ﴿لَا رَيْبَ﴾، ولا بد لمن يقف عليه أن ينوي خبراً، ونظيره قوله: ﴿لَا ضَيْرَ﴾^(١)، والتقدير: لا ريب فيه.

﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ والهدى: مصدر على فعل كالسرى، وهو الدلالة الموصلة إلى البغية، وقد وضع المصدر الذي هو (هدى) موضع الوصف الذي هو (هاد).

والمتقي في الشريعة هو الذي بقي نفسه تعاطي ما يستحق به العقاب من فعل أو ترك، وسماهم عند مشارفتهم لاكتساء لباس التقوى: (متقين)، كقول النبي ﷺ: ((من قتل قتيلًا فله سلبه))^(٢)، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَلْدُوا إِلَّا فَاكِرًا كَفَّارًا﴾^(٣) أي: صائراً إلى الفجور والكفر. فكأنه قال: هدى للصائرين إلى التقى. ولم يقل: هدى للضالين، لأن الضالين فريقان: فريق علم بقاؤهم على الضلالة، وفريق علم مصيرهم إلى الهدى، فلا يكون هدى لجميعهم.

وأيضاً: فقد صدرت السورة التي هي أولى الزهراوين^(٤)، وسنام القرآن، وأول المثاني؛ بذكر المرتضين من عباد الله وهم المتقون.

الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ

الموصول إما أن يكون مجروراً بأنه صفة لـ ﴿الْمُتَّقِينَ﴾، أو منصوباً، أو مرفوعاً

(١) الشعراء: ٥٠.

(٢) معجم الطبراني الكبير ج ٧: ٢٤٥، تحف العقول: ٢٥٤.

(٣) نوح: ٢٧.

(٤) الزهراوين: مثني الزهراء وهما: سورة البقرة وسورة آل عمران.

على المدح على تقدير: أعني الذين يؤمنون، أو هم الذين يؤمنون. وإما أن يكون منقطعاً عما قبله مرفوعاً على الابتداء وخبره ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى﴾.

والإيمان إفعال من الأمن. يقال: (أمنت شيئاً) و(أمنت غيري)، ثم يقال: (آمنه) إذا صدّقه، وحقيقته: آمنه التكذيب والمخالفة. وعدّي بالباء ف قيل: (آمن به)، لأنّه ضمّن معنى: أقرّ واعترف. ويجوز أن يكون على قياس فعلته فأفعل، فيكون (آمن) بمعنى صار ذا أمن في نفسه بإظهار التصديق.

وحقيقة الإيمان في الشرع هو المعرفة بالله وصفاته، وبرسله، وبجميع ما جاءت به رسله؛ وكل عارف بشيء فهو مصدّق به.

ولما ذكر سبحانه الإيمان علّقه ﴿بِالْغَيْبِ﴾، ليعلم أنّه التصديق لله تعالى فيما أخبر به رسوله مما غاب عن العباد علمه، من ذكر القيامة والجنة والنار وغير ذلك. ويجوز أن يكون ﴿بِالْغَيْبِ﴾ في موضع الحال، ولا يكون صلة لـ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾، أي: يؤمنون غائبين عن مرأى الناس، وحقيقته متلبسين بالغيب، كقوله: ﴿يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾^(١) فيكون الغيب بمعنى: الغيبة والخفاء. وعلى المعنى الأول يكون الغيب بمعنى: الغائب، من قولك: غاب الشيء غيباً، فيكون مصدراً سمي به.

ثم عطف - سبحانه - على الإيمان بذكر الصلاة التي هي رأس العبادات البدنية، فقال: ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ أي: يحافظون عليها ويتشمترون لأدائها، من قولهم: (قام بالأمر)، أي يؤدونها، فعبر عن الأداء بالإقامة. أو يعدّلون أركانها، من قولهم: أقام العود، إذا قومه.

وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٢﴾

ثم عطف على ذلك بالعبادة المالية التي هي الإنفاق، فقال: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ أسند الرزق إلى نفسه، للإعلام بأنهم ينفقون الحلال الطلق الذي يستأهل أن يسمى رزقاً من الله تعالى، و(من) للتبعض، فكأنه يقول: ويخصون بعض المال الحلال بالتصدق به. وجائر أن يراد به الزكاة المفروضة لاقترائه بالصلاة، وأن يراد هي وغيرها من الصدقات والنفقات في وجوه البر لمجيئه مطلقاً. وعن الصادق عليه السلام: ((ومما علمناهم يبتون))^(١).

وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ
يُوقِنُونَ ﴿١﴾

يحتمل أن يراد بهؤلاء مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلام^(٢) وغيره، فيكون المعطوف غير المعطوف عليه، ويحتمل أن يراد وصف الأولين، فيكون المعنى: إنهم الجامعون بين تلك الصفات.

وهذه وقوله: ﴿هُم يُوقِنُونَ﴾ تعريض بأهل الكتاب، وأنهم يثبتون أمر الآخرة على خلاف حقيقته، ولا يصدر قولهم عن إيقان.

والآخرة: تأنيث الآخر وهي صفة الدار، بدليل قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾^(٣) وهي من الصفات الغالبة وكذلك (الدنيا).

والإيقان واليقين: هو العلم الحاصل بعد استدلال ونظر، ولذلك لا يطلق الموقن على الله تعالى لاستواء الأشياء في الجلاء عنده.

(١) تفسير القمي ج ١: ٣٠.

(٢) عبد الله بن سلام كان من يهود بني قينقاع، أسلم عند قدوم النبي ﷺ المدينة، توفي سنة ٤٣ هـ.

ينظر: الإصابة ج ٢: ٣٢٠.

(٣) الفصص: ٨٣.

أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥٠﴾

الجملة في محلّ الرفع إن كان ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ مبتدأ، وإلا فلا محلّ لها.

وفي اسم الإشارة الذي هو ﴿أُولَئِكَ﴾ إيذان بأن ما يرد عقيبهِ فالمذكورون قبله أهل له من أجل الخصال التي عدت لهم.

ومعنى الاستعلاء في قوله: ﴿عَلَى هُدًى﴾ مثل لتمكّنهم من الهدى واستقرارهم عليه، شَبّهت حالهم بحال من اعتلى شيئاً وركبه. ومعنى ﴿مِّن رَّبِّهِمْ﴾: منحوه وأعطوه من عنده، وهو اللطف والتوفيق على أعمال البر.

ونكر ﴿هُدًى﴾ ليفيد ضرباً مبهماً لا يبلغ كنهه، كأنه قيل: على أيّ هدى.

وفي تكرير ﴿أُولَئِكَ﴾ تنبيه على أنهم تميّزوا بكل واحد من الإثنتين اللتين هما الهدى والفلاح عن غيرهم.

و﴿هُمْ﴾ سَمّاهُ البصريون فصلاً، والكوفيون عماداً. وفائدته: الدلالة على أنّ المذكور بعده خبر لا صفة وتوكيد، وإيجاب أنّ فائدة الخبر ثابتة للمخبر عنه دون غيره. ويجوز أن يكون ﴿هُمْ﴾ مبتدأ و﴿الْمُفْلِحُونَ﴾ خبره، والجملة خبر ﴿أُولَئِكَ﴾.

والمفلح: الفائز بالبغيّة، كأنه الذي انفتحت له وجوه الظفر. والمفلج - بالjim - مثله.

وقوله: ﴿عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ أدغمت بغنة وغير غنة، والغنة: صوت خفي يخرج من الخيشوم.

والنون الساكنة والتنوين لهما ثلاثة أحوال مع الحروف في جميع القرآن:

الإظهار، وذلك مع حروف الحلق.

والإدغام، وذلك مع الميم، نحو ﴿هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾، و﴿وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾^(١)، لا يجوز إلا الإدغام هنا لاشتراك النون والميم في الغنة.

والإخفاء، وذلك مع سائر الحروف، نحو ﴿مِن دَابَّةٍ﴾^(٢) و﴿وَمَن فِيهَا﴾^(٣).

وهذا عند جميع القراء إلا أبا عمرو^(٤) وحمزة^(٥) والكسائي^(٦) فإنهم يدغمونها

في اللام والراء نحو: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ و﴿مِن رَّبِّهِمْ﴾، ويدغمها حمزة والكسائي

في الياء نحو: ﴿مَن يَقُولُ﴾^(٧)، ويدغمها حمزة في الواو، نحو: ﴿ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ

وَبَرْقٌ﴾^(٨). فاللام والراء والواو والياء عندهم بمنزلة الميم، ويقال لها: حروف

يرملون، لأنها أيضاً تدغم في النون نحو: (مني) و(متا).

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا

يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾

(١) هود: ٤٨.

(٢) الأنعام: ٣٨.

(٣) المؤمنون: ٨٤.

(٤) هو أبو عمرو زيان بن العلاء بن عمار المازني البصري، أحد القراء السبعة، ولد بمكة سنة ثمان أو خمس وستين للهجرة، مات بالكوفة سنة ١٥٤ هـ. ينظر: معجم الأدباء ج ١١: ١٥٦.

(٥) حمزة بن حبيب بن عمار الكوفي التميمي، أحد القراء السبعة، ولد سنة ٨٠ هـ، وتوفي سنة ١٥٦ هـ. ينظر: وفيات الأعيان ج ١: ٤٥٥.

(٦) أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله الكسائي الأسدي بالولاء، إمام الكوفيين في النحو واللغة، أحد القراء السبعة، مات بالري سنة ١٨٩ هـ على قول. ينظر: بغية الوعاة ج ٢: ١٦٢.

(٧) العنكبوت: ١٠.

(٨) البقرة: ١٩.

لما قدّم سبحانه ذكر الأتقياء، عقبه بذكر الأشقياء وهم الكفار الذين لا ينفع معهم اللطف، وسواء عليهم وجود الكتاب وعدمه، وإنذار الرسول وترك إنذاره. و﴿سَوَاءٌ﴾ اسم بمعنى الاستواء، وصف به كما يوصف بالمصادر، وهو خبر (إن).

و﴿ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ﴾ في موضع الرفع بالفاعلية، كأنه قيل: مستو عليهم إنذارك وعدمه، كما تقول: إن زيدا مختصم أخوه وابن عمه. أو يكون ﴿ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ﴾ في موضع الابتداء، و﴿سَوَاءٌ﴾ خبراً مقدماً بمعنى: سواء عليهم إنذارك وعدمه، والجملة خبر لـ (إن). كذا ذكره جار الله العلامة - الله درّه -^(١)، وما أوردناه في مجمع البيان^(٢) فهو من كلام أبي علي الفارسي^(٣).

والإنذار: التخويف من عقاب الله تعالى.

وقوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ جملة مؤكدة للجملة قبلها، أو خبر لـ ﴿إِنَّ﴾ والجملة قبلها اعتراض.

قيل: نزلت هذه الآية والتي بعدها في أبي جهل وأضرابه^(٤)، وعلى هذا فيكون التعريف في ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ للعهد. وقيل: هي في جميع من صتم على كفره على العموم^(٥)، فيكون التعريف للجنس.

(١) الكشف ج ١: ٤٧.

(٢) مجمع البيان ج ١-٢: ٤٢.

(٣) أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي، واحد زمانه في علم العربية، أخذ عن الزجاج وابن السراج، له تصانيف كثيرة في النحو، توفي ببغداد سنة ٣٧٧ هـ. ينظر: بغية الوعاة ج ١: ٤٩٦.

(٤) عن الربيع بن أنس. تفسير الطبري ج ١: ٨٤.

(٥) عن ابن عباس. تفسير الطبري ج ١: ٨٤.

خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ
عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾

الختم والكتم أخوان.

والغشاوة فعالة من غشاه: إذا غطاه، وهذا البناء لما يشتمل على الشيء كالعمامة.

والختم على القلوب والأسماع وتغشية الأبصار من باب المجاز، وهو نوعان: استعارة وتمثيل، ويحتمل هنا كلا النوعين.

أما الاستعارة، فأن يجعل قلوبهم - لأن الحق لا ينفذ فيها لإعراضهم واستكبارهم عن قبوله - وأسماعهم - لأنها تنبؤ عن استماعه - كأنها مختوم عليهما، وأبصارهم كأنها غطي عليها وحيل بينها وبين الإدراك.

وأما التمثيل، فأن تمثل حيث لم يستنفعوا بها في الأغراض الدينية التي خلقوا من أجلها بأشياء ضرب حجاب بينها وبين الانتفاع بها بالختم والتغطية.

وأما إسناد الختم إلى الله، فللتنبيه على أن هذه الصفة في فرط تمكّنها كالشيء الخلقي غير العرضي، كما يقال: فلان مجبول على كذا ومفطور عليه، يريدون أنه مبالغ في الثبات عليه.

ووجه آخر: وهو أنهم لما علم الله سبحانه أنه لا طريق لهم إلى أن يؤمنوا طوعاً واختياراً فلم يبق إلا القسر والإجاء، ولم يقصرهم لثلا يتنقض الغرض في التكليف، عبّر عن ترك الإجاء والقسر بالختم، إشعاراً بأنهم قد بلغوا الغاية القصوى في لجاجهم واستشرائهم^(١) في الغي والضلال.

(١) استشرى في الأمر: لجّ فيه. (الصحاح: مادة شرى)

وَوَحَّدَ السَّمْعَ لِأَنَّهُ مُصَدَّرٌ فِي الْأَصْلِ، وَالْمَصَادِرُ لَا تَجْمَعُ، وَلَا تُنْهَمُ قَالُوا:

كُلُّوا فِي بَعْضِ بَطْنِكُمْ تَعَفُّوا فَإِنَّ زَمَانَكُمْ زَمَنٌ خَفِصٌ^(١)

يفعلون ذلك إذا أمن اللبس، وإذا لم يؤمن لم يفعلوا، لا تقول: (ثوبهم) و(غلامهم) وأنت تريد الجمع.

والبصر: نور العين، وهو ما يبصر به الرائي، كما أَنَّ البصيرة نور القلب وهو ما به يستبصر ويتأمل.

والعذاب مثل النكال بناء ومعنى، لَأَتَّكَ تقول: أعذب عن الشيء إذا أمسك عنه، كما تقول: نكل عنه، ثم اتسع فيه فسَمِيَ كل ألم فادح عذاباً وإن لم يكن نكالاً، أي: عقاباً يرتدع به الجاني.

والعظيم: نقيض الحقير كما أَنَّ الكبير نقيض الصغير، فَإِنَّ العظيم فوق الكبير، كما إِنَّ الحقير دون الصغير. ويستعملان في الجثث والأحداث جميعاً، تقول: رجل عظيم وكبير جثته أو خطره.

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾

افتتح سبحانه بذكر الذين آمنوا بالله سرّاً وعلانية، ثم ثنى بالذين كفروا قلوباً وألسنة، ثم ثلث بالمنافقين الذين أبطنوا خلاف ما أظهروا، وهم أخبت الكفار وأمقتهم عنده. ووصف حال الذين كفروا في آيتين، وحال الذين نافقوا في ثلاث عشرة آية، وقصّتهم معطوفة على قصّتهم كما تعطف الجملة على الجملة. وأصل (ناس) أناس حذف همزته تخفيفاً، وحذفها مع لام التعريف كالإلزام، لا يكاد يقال: الأناس. ويشهد لأصله (إنسان) و(إنس)، وسمّوا بذلك

لظهورهم، وأنهم يؤنسون أي: يبصرون، كما سمي الجن جنّاً لاجتماعهم.
 ﴿مَنْ﴾ في ﴿مَنْ يَقُولُ﴾ موصوفة، كأنه يقول: ومن الناس ناس يقولون
 كذا، كقوله: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ﴾^(١)، هذا إن جعلت اللام للجنس، وإن جعلتها
 للعهد فموصولة، كقوله: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ﴾^(٢).
 وفي تكرير (الباء) أنهم ادّعوا كل واحد من الإيانيين على صفة الصحة، وفي
 قوله: ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ من التوكيد والمبالغة ما ليس في قولك: وما آمنوا، لأنّ
 فيه إخراج ذواتهم وأنفسهم من أن تكون طائفة من طوائف المؤمنين، فقد انطوى
 تحته نفي ما ادّعوه لأنفسهم من الإيمان على القطع.

يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا
 يَشْعُرُونَ ﴿١﴾

المعنى: إنّ هؤلاء المنافقين قد صنعوا صنع الخادعين، حيث تظاهروا بالإيمان
 وهم كافرون، وصنع الله معهم صنع الخادع، حيث أمر بإجراء أحكام المسلمين
 عليهم، وهم عنده أهل الدرك الأسفل من النار^(٣)، وكذلك صورة صنع المؤمنين
 معهم حيث امثلوا أمر الله فيهم، فإنّ حقيقة الخدع أن يوهم الرجل صاحبه خلاف
 ما يريد به من المكروه.

ويجوز أن يريد: يخادعون رسول الله، لأنّ طاعته طاعة الله ومعصيته معصية
 الله، كما يقال: قال الملك كذا، وإنّما القائل وزيره أو خاصته الذين قولهم قوله.

(١) الأحزاب: ٢٣.

(٢) التوبة: ٦١.

(٣) كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ النساء: ١٤٥.

﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ لَأَنّ ضررها يلحقهم ولا يعدوهم إلى غيرهم. ومن قرأ: يخادعون، أتى به على لفظ يفاعلون للمبالغة.

والنفس: ذات الشيء وحقيقته، ثم قيل للقلب: نفس، لأنّ النفس به نفس. قالوا: (المرء بأصغريه)^(١)، أي بقلبه ولسانه. وقيل أيضاً للروح: نفس، وللدن: نفس، لأنّ قوامها بالدم، وللهاء: نفس، لفرط حاجتها إليه، ونُفْس الرجل أي: عين، وحقيقته: أصيبت نفسه، كما قيل: صُدِر الرجل وفُئِد، وقالوا: فلان يؤامر نفسه، إذا تردد في الأمر واتجه له رأيان لا يدري على أيّهما يعول، كأنهم أرادوا داعي النفس.

والمراد بالأنفس هاهنا: ذواتهم، ويجوز أن يراد قلوبهم ودواعيهم وآراؤهم. والشعور: علم الإنسان بالشيء علم حس، ومشاعر الإنسان: حواسه.

فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا

يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾

استعير المرض لأعراض القلب، كسوء الاعتقاد، والغلّ، والحسد، وغير ذلك مما هو فساد وآفة شبيهة بالمرض، كما استعيرت الصحة والسلامة في نقائص ذلك. والمراد به هاهنا ما في قلوبهم من الكفر، أو من الغلّ والحنق على رسول الله ﷺ والمؤمنين.

﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ بما ينزل على رسوله من الوحي، فيكفرون به ويزدادون كفرًا إلى كفرهم، فكأنّه سبحانه زادهم ما ازدادوه. أسند الفعل إلى

السبب كما أسنده إلى السورة في قوله: ﴿فَزَادْتُهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾^(١) لكونها سبباً. أو أراد: كلما زاد رسوله نصرة وتمكناً في البلاد والعباد ازدادوا غلاً وحسداً، أو ازدادت قلوبهم ضعفاً وجبناً وخوراً^(٢).

و(ألم) فهو (أليم) كـ(وجع) فهو (وجيع)، ووصف العذاب به كقوله:

نَحِيَّةٌ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجِيعٌ^(٣)

وهذا على طريقة قولهم: (جدّ جدّه). والألم في الحقيقة للمؤلم كما أنّ الجدّ للجدّ.

﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ أي: بكذبهم. وفي هذا إشارة إلى قبح الكذب، وأنّ لحوق العذاب الأليم من أجل كذبهم. وقرئ: يكذبون، من كذبه الذي هو نقيض صدقه، أو من كذب الذي هو مبالغة في كذب، أو بمعنى الكثرة.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾

هذا معطوف على ﴿يَكْذِبُونَ﴾، ويجوز أن يكون معطوفاً على ﴿يَقُولُ آمَنَّا﴾ لأنّك لو قلت: ومن الناس من إذا قيل لهم: لا تفسدوا، صح الكلام.

والفساد: خروج الشيء عن حال استقامته وكونه منتفعاً به، ونقيضه الصلاح. وكان فساد المنافقين بميلهم إلى الكفار، وإفشاء أسرار المسلمين إليهم وإغرائهم عليهم.

ومعنى ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾: إنّ صفة المصلحين تمحضت لهم وخلصت

(١) التوبة: ١٢٥.

(٢) الخور: الضعف. (الصحاح: مادة خور)

(٣) شعر عمرو بن معد يكرب: ٣٧، وصدرة: وخيل قد دلفت لها بخيل.

من غير شائبة قاذحة فيها بوجه من وجوه الفساد.

﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (١٢)

﴿أَلَا﴾ مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي، لإعطاء معنى التنبيه على تحقيق ما بعدها، والاستفهام إذا دخل على النفي أفاد تحقيقاً، كقوله: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ﴾^(١).

رد الله سبحانه دعواهم أنهم المصلحون أبلغ رد بما في كلتا الكلمتين: (ألا) و(إن) من التأكيدين، وبتعريف الخبر، وتوسيط الفصل، وقوله: ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا

إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٣)

السفه: خفة الحلم وسخافة العقل. والمعنى: إذا نُصَحُوا وبُصِّرُوا طريق الرشد بأن قيل لهم: صدّقوا رسول الله كما صدّقه الناس.

واللام في ﴿النَّاسُ﴾ للعهد، أي: كما آمن أصحاب رسول الله وهم ناس معهودون، أو عبد الله بن سلام وأضرابه، أي: كما آمن أصحابكم وإخوانكم؛ أو للجنس، أي: كما آمن الكاملون في الإنسانية. أو جعل المؤمنون كأنهم الناس على الحقيقة، ومن عداهم كالبهائم في فقد التمييز بين الحق والباطل.

والاستفهام في ﴿أَنُؤْمِنُ﴾ للإنكار. واللام في ﴿السُّفَهَاءُ﴾ مشار بها إلى الناس.

وفصلت هذه الآية بـ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ والتي قبلها بـ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾، لأنّ أمر الديانة والوقوف على أنّ المؤمنين على الحق وهم على الباطل يحتاج إلى نظر واستدلال

حتى يعلم، وأما النفاق وما فيه من الفساد فأمر دنيوي، فهو كالمحسوس المشاهد؛ ولآته قد ذكر السفه فكان ذكر العلم معه أحسن.

وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنُوا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا

مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ ﴿١٤﴾

هذا بيان ما كانوا يعملونه مع المؤمنين، أي: إذا لقوهم أو هموهم أنهم معهم، وإذا فارقوهم إلى رؤسائهم من الكفار أو اليهود الذين أمروهم بالتكذيب قالوا: إننا على دينكم، وصدقوهم ما في قلوبهم.

وخلوت بفلان وخلوت إليه بمعنى: انفردت معه.

﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ أي: إننا مصاحبوكم وموافقوكم على دينكم.

وقولهم: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ﴾ تأكيد لقولهم: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾، لأن المعنى في ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ الثبات على اليهودية، وقولهم: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ﴾ رد للإسلام ودفع له، لأن المستهزئ بالشيء وهو المستخف به منكر له ودافع، ويجوز أن يكون بدلاً منه أو استئنافاً.

اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾

معنى استهزاء الله سبحانه وتعالى بهم: إنزال الهوان والحقارة بهم، وإجراء أحكام المسلمين عليهم عاجلاً وقد أعد لهم أليم العقاب آجلاً. وسمى جزاء الاستهزاء باسمه كقوله: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾^(١).

وفي استئناف قوله: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ﴾ من غير حرف عطف، أن الله تعالى هو الذي يتولى الاستهزاء بهم انتقاماً للمؤمنين، ولا يحوج المؤمنين إلى أن يعارضوهم

بذلك.

وقوله: ﴿وَيَسُدُّهُمْ﴾ من مدّ الجيش وأمدّه إذا زاده. والمعنى: إنّه يمنعه من أطافه التي يمنحها للمؤمنين، ويخذه من بسبب كفرهم، فتبقى قلوبهم يتزايد الرين والظلمة فيها، كما يتزايد الانسراح والنور في قلوب المؤمنين. وأسند ذلك التزايد إلى الله سبحانه لأنّه مسبب عن فعله بهم بسبب كفرهم. وعن الحسن البصري^(١) قال: (في ضلالتهم يتهادون)^(٢).

والطغيان: الغلو في الكفر، ومجاوزة الحد في العتو. وفي إضافة الطغيان إليهم ما يدلّ على أنّ الطغيان والتمادي في الضلال مما اقترفته نفوسهم. والعمه مثل العمى، إلا أنّ العمه في الرأي خاصة، وهو التحير والتردد، لا يدري أين يتوجه.

أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتِ بِتَحَرُّثِهِمْ وَمَا

كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١١﴾

معنى اشتراء الضلالة بالهدى: اختيارها عليه واستبدالها به على سبيل الاستعارة، لأنّ الاشتراء فيه إعطاء بدل وأخذ آخر.

و﴿الضَّلَالَةَ﴾: الجور عن القصد، وفي المثل: (ضلّ دريص نفقه)^(٣)، فاستعير للذهاب عن الصواب في الدين.

والربح: الفضل على رأس المال، وأسند الخسران إلى التجارة مجازاً. والمعنى:

(١) أبو سعيد الحسن بن يسار البصري، أحد سادات التابعين وكبرائهم، توفي بالبصرة سنة ١١٠ هـ. ينظر: وفيات الأعيان ج ١: ٣٥٤، معجم رجال الحديث ج ٤: ٢٧٩.

(٢) الكشف ج ١: ٦٨.

(٣) مجمع الأمثال ج ٢: ٢٦١. والدرس: ولد الفأرة واليربوع وأشباه ذلك، ونفقه: جحره.

إنَّ المطلوب في التجارة سلامة رأس المال والربح، وهؤلاء قد أضاعوا الطلبتين معاً، لأنَّ رأس المال كان هو الهدى فلم يبق لهم، ولم يصيبوا الربح لأنَّ الضال خاسر.

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ

بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَةٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾

ثم زاد سبحانه في الكشف عن حالهم بضرب المثل، فقال: ﴿مَثَلُهُمْ﴾ أي: حالهم كحال ﴿الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾، وضع (الذي) موضع (الذين)، كقوله سبحانه: ﴿وَحُضِّنْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾^(١)، أو قصد جنس المستوقدين، أو أراد الجمع الذي استوقد ناراً. على أنَّ المنافقين لم تشبه ذواتهم بذات المستوقد، بل شُبِّهَتْ قِصَّتُهُمْ بِقِصَّةِ الْمُسْتَوْقَدِ، فلا يلزم تشبيه الجماعة بالواحد.

واستوقد: طلب الوقود، والوقود: سطوع النار وارتفاع لهبها. والإضاءة: فرط الإنارة، وهي متعدية في الآية، ويحتمل أن تكون غير متعدية مسندة إلى ﴿مَا حَوْلَهُ﴾. والتأنيث للحمل على المعنى، لأنَّ ما حول المستوقد أشياء وأماكن.

وجواب ﴿لَمَّا﴾: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾، ويجوز أن يكون محذوفاً، لطول الكلام وأمن الالتباس، كأنه قيل: فلما أضاءت ما حوله خمدت فبقوا متحيرين متحسرين على فوت الضوء. وعلى هذا فيكون ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ كلاماً مستأنفاً، كأنهم لما شُبِّهَتْ حالهم بحال المستوقد اعترض سائل فقال: ما بالهم قد أشبهت حالهم حال هذا المستوقد؟ فقل له: ذهب الله بنورهم.

ويجوز أن يكون قوله: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ بدلاً من جملة التمثيل على سبيل

البيان.

والفرق بين (أذهبه) و(ذهب به): أَنَّ معنى أذهبه: أزاله وجعله ذاهباً، وذهب به: استصحبه ومضى به معه، قال: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ﴾^(١). فالمعنى: أخذ الله نورهم وأمسه، وما يمسك الله فلا مرسل له، فهو أبلغ من الإذهاب.

و(ترك) بمعنى طرح وخلي، قالوا: (تركه ترك الظبي ظله)^(٢). فإذا ضَمَنَ معنى (صير) تعدى إلى مفعولين وجرى مجرى أفعال القلوب، نحو قول عنتره:

فَتَرَكْتُهُ جَزَرَ السَّبَاعِ يُنْشِئُهُ يَقْضِضُنْ حُسْنَ بَنَانِهِ وَالْمِغْصَمِ^(٣)

والمراد بالإضاءة انتفاع المنافقين بالكلمة المجرة على ألسنتهم، ووراء استضاءتهم بنور هذه الكلمة ظلمة النفاق الذي ترمي بهم إلى ظلمة سخط الله والعقاب الدائم. ويجوز أن يكون قد شبه اطلاع الله على أسرارهم بذهاب الله بنورهم.

ووجه آخر: وهو أنهم لما وصفوا باشتراء الضلالة بالهدى، عقّب ذلك بهذا التمثيل، ليمثل هداهم الذي باعوه بالنار المضيئة ما حول المستوقد، والضلالة التي اشتروها بذهاب الله بنورهم.

صُمُّكُمْ عَمِّي فَهَمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾

كانت حواسهم صحيحة، لكنهم لما أبوا أن يصيخوا مسامعهم إلى الحق، وأن ينطقوا ألسنتهم بالحق، وأن ينظروا ويتصروا بعيونهم؛ جعلوا كأنهم انتقضت

(١) يوسف: ١٥.

(٢) مجمع الأمثال ج ١: ٢١٣.

(٣) شرح ديوان عنتره: ١٧٤، وفيه: ما بين قلة رأسه والمغصم.

بنى مشاعرهم التي هي أصل الإحساس والإدراك كقوله:

صُمْ إِذَا سَمِعُوا خَيْرًا ذُكِرَتْ بِهِ وَإِنْ ذُكِرَتْ بِسُوءٍ عِنْدَهُمْ أَذِنُوا^(١)

و﴿لَا يَرْجِعُونَ﴾ معناه: لا يعودون إلى الهدى بعد أن باعوه، أو عن الضلالة بعد أن اشتروها، أو بقوا متحيرين لا يدرون أيتقدمون أم يتأخرون، وكيف يرجعون إلى حيث ابتدأوا منه؟.

أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْنَعَهُمْ
فِي آذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾

الصَّيْبُ: المطر الذي يصب، أي: ينزل ويقع، ويقال للسحاب: صَيَّب أيضاً.

هذا تمثيل آخر لحال المنافقين، ليكون كشفاً لها بعد كشف. والمعنى: أو كمثل ذوي صَيْب، أي: كمثل قوم أخذهم المطر على هذه الصفة فلقوا منها ما لقوا.

قالوا: شبه دين الإسلام بالصَّيْب، لأنَّ القلوب تحيى به كما تحيى الأرض بالمطر، وشبه ما يتعلق به من شبهات الكفار بالظلمات، وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق، وما يصيبهم من أهل الإسلام بالصواعق.

وقيل: شبه القرآن بالمطر، وما فيه من الابتلاء والزجر بالظلمات والرعد، وما فيه من البيان بالبرق، وما فيه من الوعد آجلاً والدعاء إلى الجهاد عاجلاً بالصواعق.

وجاءت هذه الأشياء منكّرة، لأنَّ المراد أنواع منها، كأنه قيل: في الصَّيْب ظلمات داجية، ورعد قاصف، وبرق خاطف.

(١) البيت لقعن بن أم صاحب. عيون الأخبار ج ٣: ٨٤.

والضمير في ﴿يَجْعَلُونَ﴾ يرجع إلى أصحاب الصيِّب المضاف، مع كونه محذوفاً وقيام الصيِّب مقامه. و﴿يَجْعَلُونَ﴾ استئناف لا محل له.

و﴿يَنْزِلُ الصَّوَاعِقُ﴾ يتعلّق بـ﴿يَجْعَلُونَ﴾ أي: من أجل الصواعق يجعلون أصابعهم في آذانهم. وصعقته الصاعقة: أهلكته فصعق أي: مات إما بشدة الصوت أو بالإحراق. و﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ مفعول له.

ومعنى إحاطة الله بالكافرين: إنهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط به حقيقة. وهذه الجملة اعتراض.

يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ
عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠﴾

الخطف: الأخذ بسرعة.

لما ذكر الرعد والبرق على ما يؤذن بالشدة والهول، فكأن قائلًا قال: كيف حالهم مع مثل ذلك البرق؟ فقل: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾، فهذه جملة مستأنفة أيضاً لا محل لها. و﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ﴾ استئناف ثالث، كأنه جواب لمن يقول: كيف يصنعون في حالتي خفوق البرق وخفوته؟.

وهذا تمثيل لشدة الأمر على المنافقين بشدته على أصحاب الصيِّب وما هم فيه من غاية التحير والجهل بما يأتون به ويذرون، إذا خفق البرق مع خوفهم أن يخطف أبصارهم انتهزوا تلك الخفقة فرصة، فخطوا خطوات يسيرة، فإذا خفي بقوا واقفين متحيرين، ولو شاء الله لزاد في قصيف الرعد فأصمّتهم، وفي برق البرق فأعماهم.

و﴿أَضَاءَ﴾ إما متعدّد والمفعول محذوف، بمعنى: كلما نور لهم مسلكاً أخذوه، وإما غير متعدّد بمعنى: كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره. ومعنى ﴿قَامُوا﴾ وقفوا وثبتوا في مكانهم.

[ومفعول ﴿شَاءَ﴾ محذوف، لأنّ الجواب يدلّ عليه^(١). والمعنى: ولو شاء الله أن يذهب بسمعهم وأبصارهم لذهب بهما، وقد كثر هذا الحذف في (شاء) و(أراد)، ولم يبرزوا المفعول إلا في النادر، كقوله: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ هَؤُلَاءِ لَتَّخِذُنَا مِنْ لَدُنَّا﴾^(٢)، ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾^(٣).
والشيء: ما يصح أن يعلم ويخبر عنه.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ
تَتَّقُونَ ﴿١١﴾

ولما عدّد سبحانه فرق المكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين، أقبل عليهم بالخطاب، وهو من الالتفات الذي تقدّم ذكره^(٤)، وهو فن من الكلام فيه هرّ وتحريك من السامع، وتنبيه واستدعاء لإصغائه إلى الحديث.
و(يا) حرف وضع في أصله لنداء البعيد، و(أي) و(الهمزة) لنداء القريب، و(أي) وصلة إلى نداء ما فيه الألف واللام، كما أنّ (ذو) و(الذي) وصلتان إلى الوصف بأسماء الأجناس، ووصف المعارف بالجمل.

(١) بين المعقوفتين زيادة من الكشف يقتضيها السياق.

(٢) الأنبياء: ١٧.

(٣) الزمر: ٤. وتمّة الآية: ﴿لَا ضَظْفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ وهي ساقطة من ب، ج، ط.

(٤) تقدم عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَعْبُدُ وَإِنَّا كُنَّا نَسْتَعِينُ﴾.

وهو اسم مبهم يحتاج إلى ما يوضحه، فلا بد أن يردفه اسم جنس أو ما يجري مجراه يتصف به حتى يتضح المقصود بالنداء، والذي عمل فيه حرف النداء (أي) والاسم التابع له صفته. وقد كثر في كتاب الله النداء على هذه الطريقة، لاستقلاله بأوجه من التأكيد في التدرج من الإيهام إلى التوضيح.

وكلمة التنبيه المقحمة بين (أي) وصفته لتعاضد حرف النداء بتأكيد معناه، وتكون عوضاً مما يستحقه من الإضافة.

وكل ما نادى الله لأجله عباده من الأوامر، والنواهي، والوعد، والوعيد، وغير ذلك؛ أمور عظام ومعانٍ جليلة عليهم أن يتيقظوا لها، فاقتضت الحال أن ينادوا بالآكد الأبلغ.

﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ صفة لـ ﴿رَبِّكُمْ﴾ جرت عليه على سبيل المدح والثناء، أي: ﴿اعْبُدُوا رَبِّكُمْ﴾ على الحقيقة. والخلق: إيجاد الشيء على تقدير واستواء.

و(لعل) للترجي أو الإشفاق، وقد جاء في مواضع من القرآن على سبيل الإطعام^(١)، ولكن لأنه إطباع من كريم رحيم إذا أطمع فعل ما يطمع فيه لا محالة، جرى إطعامه مجرى وعده المحتوم وفاؤه به.

و(لعل) في الآية ليس مما ذكرته في شيء، بل هو واقع موقع المجاز، لأنه سبحانه خلق عباده ليكلفهم، وأزاح عنهم في التكليف من الإقدار والتمكين وأراد منهم الخير، فهم في صورة المرجو منهم أن يتقوا، لترجح أمرهم - وهم مختارون بين الطاعة والمعصية - كما ترجحت حال المرتجي بين أن يفعل وأن لا يفعل، ومصادقه قوله: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾^(٢)، وإنما يبلو ويختبر من

(١) مثل قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾. البقرة: ١٨٩، آل عمران: ٢٠٠، ١٣٠.

(٢) الملك: ٢.

تخفى عليه العواقب، ولكن شبهه بالاختبار بناء أمرهم على الاختيار.

الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ
مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾

قدّم سبحانه من موجبات عبادته خلقهم أحياء قادرين أولاً، ثم خلق الأرض التي هي مستقرّهم الذي لا بد لهم منه ومفترشهم، ثم خلق السماء التي هي كالقبة المضروبة على هذا المستقر، ثم ما سواه سبحانه من شبه عقد النكاح بينهما بإنزال الماء من المظلة منهما على المقلّة، والإخراج به من بطنها أشباه النسل من ألوان الثمار رزقاً لبني آدم، ليقابلوا هذه النعمة العظيمة بواجب الشكر، ويتفكروا في خلق أنفسهم وخلق ما فوقهم وما تحتهم، فيعلموا أنّه لا بد لها من خالق ليس كمثلهما، حتى لا يجعلوا المخلوقات أنداداً له وهم يعلمون أنّها لا تقدر على بعض ما هو قادر عليه.

ومعنى جعل الأرض فراشاً وبساطاً ومهاداً للناس: إنهم يتقلبون عليها كما يتقلب على الفراش والبساط والمهاد.

والبناء مصدر سمي به المبنى، وأبنية العرب: أخبيتهم، ومنه: بنى على امرأته.

و(من) في ﴿مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ للتبويض، كأنّه قال: أنزلنا من السماء بعض الماء، فأخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم، لأنّه لم ينزل من السماء الماء كله، ولا أخرج بالمطر جميع الثمرات، ولا جعل الرزق كله في الثمرات. ويجوز أن تكون (من) للبيان، كما تقول: أنفقت من الدراهم ألفاً.

وإذا كانت (من) للتبعيض كان قوله: ﴿رِزْقًا﴾ منصوباً بآته مفعول له، وإذا كانت للبيان كان ﴿رِزْقًا﴾ مفعولاً به لـ (أخرج).

والند: المثل، ولا يقال الند إلا للمثل المخالف المناوئ، أي: هو الذي خصكم بهذه الدلائل النيرة الشاهدة بالوحدانية، فلا تتخذوا له شركاء ﴿وَأَنْتُمْ﴾ أهل المعرفة والتمييز، أو أنتم تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت، أو أنتم تعلمون أنه لا يماثل.

وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ۚ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِمَّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾

لما احتج سبحانه على الناس بالتوحيد وعلم الطريق إلى تصحيحه، عطف على ذلك الحجة على نبوة نبيه محمد ﷺ فقال: إن ارتبتم فيما ﴿نَزَّلْنَا﴾، أتى بلفظ التنزيل، لأن المراد النزول على سبيل التدرج نجومًا سورة بعد سورة، وآيات بعد آيات على حسب النوازل والحوادث ﴿عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ ورسولنا محمد، فهاتوا أنتم سورة من أصغر السور.

والسورة إن كانت واوها أصلاً: فإما أن سميت بسور المدينة، لأنها طائفة من القرآن محدودة، أو لأنها محتوية على فنون من العلم كاحتواء سور المدينة على ما فيها؛ وإما أن سميت بالسورة التي هي الرتبة، لأن السور بمنزلة المنازل والمراتب، أو لرفعة شأنها في الدين.

وإن كانت واوها منقلبة عن همزة، فلائها قطعة من القرآن، كالسورة التي هي البقية من الشيء.

﴿مِمَّنْ مِثْلِهِ﴾ متعلق بـ (سورة) صفة لها، أي بسورة كائنة من مثله، والضمير لـ ﴿مَا نَزَّلْنَا﴾ أو لـ ﴿عَبْدِنَا﴾. ويجوز أن يتعلق بقوله: ﴿فَأْتُوا﴾ والضمير للعبد،

والمعنى: فأتوا بسورة مما هو على صفته في البيان الغريب وحسن النظم، أو هاتوا ممن هو على حاله من كونه بشراً عربياً أو أمياً، لم يأخذ من العلماء ولم يقرأ الكتب. وردّ الضمير إلى المنزل أوجه، لقوله: ﴿سُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ وقوله: ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾^(١)، ولأنّ الحديث في المنزل لا في المنزل عليه، فمن حقّه أن لا يرد الضمير إلى غيره، لأنّ المعنى: وإن ارتبتم في أنّ القرآن منزل من عند الله فهاتوا أنتم نبذاً مما يهائله ويحانسّه.

وإن كان الضمير مردوداً إلى رسول الله ﷺ فالمعنى: وإن ارتبتم في أنّ محمداً منزل عليه فهاتوا قرآناً من مثله.

والشهداء: جمع شهيد بمعنى الحاضر أو القائم بالشهادة، والمعنى: ادعوا كل من يشهدكم واستظهروا به من الجن والإنس إلا الله تعالى فإنه القادر على أن يأتي بمثله دون كل شاهد.

فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَكِنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ
وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾

لما أرشدهم سبحانه إلى الوجه الذي منه يعرفون صحة نبوة النبي ﷺ قال لهم: فإذا لم تعارضوه بسورة مثله، ولم يتيسر لكم ذلك، وبأن لكم أنه معجز، فأمنوا واتقوا النار المعدة لمن كذب به.

وفيه دليلان على إثبات نبوته: صحة كون القرآن معجزاً، والإخبار بأنهم لن يفعلوا أبداً، وهو غيب لا يعلمه إلا الله تعالى.

والوقود: ما يوقد به النار وهو الخطب، والمعنى في قوله: ﴿وَقُودُهَا

النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴿ إِنَّا نَارٌ مِمَّا تَمْتَاةُ عَنِ النَّارِ الْآخِرِ ، بَأْتَا لَا تَتَقَدُّ إِلَّا بِالنَّاسِ وَالْحِجَارَةِ . وَقَرْنَ النَّاسَ بِالْحِجَارَةِ ، لِأَتَمُّ قَرْنُوا بِهَا أَنْفُسَهُمْ فِي الدُّنْيَا ، حَيْثُ نَحْتُوها أَصْنَامًا ، وَجَعَلُوها لِلَّهِ أَندَادًا وَعَبَدُوها مِنْ دُونِهِ ، قَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ ﴾ ^(١) .

ومعنى ﴿ أَعَدَّتْ ﴾ : هَيَّئَتْ وَجَعَلَتْ عِدَّةً لِعَذَابِهِمْ .

وَبَيَّرَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥٥﴾

ثم ذكر سبحانه الترغيب بعد التهيب ، وشفع الإنذار بالبشارة ، فبشر عباده الذين جمعوا بين الإيمان وصالح الأعمال ، بعد أن أُنذِر الكفار وأوعدهم بالعذاب والنكال . والبشارة : الإخبار بما يظهر سرور المخبر به .

والجنة : البستان من النخل والشجر ، وأصلها من الستر ، فكأنها لتكائنها والتفاف أغصان أشجارها سميت بالجنة التي هي المرة من مصدر (جنه) إذا ستره .

ولولا أَنَّ الماء الجاري من أعظم النعم وأكبر اللذات ، لما جاء الله سبحانه بذكر الجنات مشفوعاً بذكر الأنهار الجارية من تحتها في قرن واحد ، كالشيئين لا بد لأحدهما من صاحبه . وإسناد الجري إلى الأنهار إسناد مجازي ، كقولهم : بنو فلان يطوهم الطريق .

وإنما نكّرت الجنات، لأنّ دار الثواب تشتمل على جنات كثيرة مرتبة على حسب استحقاق كل طبقة من أهلها. وعرّفت الأنهار لإرادة الجنس، كما تقول: لفلان بستان فيه الماء الجاري والعنب والفواكه، أو يراد الأنهار المذكورة في قوله تعالى: ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ... الآية﴾^(١).

﴿كَلِمًا رُزِقُوا﴾ إما أن يكون صفة ثانية لـ ﴿جَنَّاتٍ﴾، أو خبر مبتدأ محذوف، أو جملة مستأنفة. والمعنى: إنهم كلما رزقوا من أشجار الجنات نوعاً من أنواع الثمار رزقاً ﴿قَالُوا هَذَا﴾ مثل ﴿الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ وشبهه، بدليل قوله: ﴿وَأَتُوا بِهِمْ مُتَشَابِهًا﴾، وهذا كقولك: أبو يوسف^(٢) أبو حنيفة^(٣)، تريد أنّه لاستحكام الشبه كأنّ ذاته ذاته.

والضمير في قوله: ﴿وَأَتُوا بِهِمْ﴾ يرجع إلى المرزوق في الدنيا والآخرة جميعاً، لأنّ قوله: ﴿هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ انطوى تحته ذكر ما رزقوه في الدارين. ويجوز أن يرجع الضمير في ﴿وَأَتُوا بِهِمْ﴾ إلى الرزق، كما أنّ ﴿هَذَا﴾ إشارة إليه. فيكون المعنى: إنّ ما يرزقونه من ثمرات الجنة يأتيهم متجانساً في نفسه، كما يحكى عن الحسن: (يؤتى أحدهم بالصحفة فيأكل منها، ثم يؤتى بالآخرى، فيقول: هذا الذي أُتينا به من قبل، فيقول الملك: كل فاللون واحد والطعم مختلف)^(٤).

﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَنْهَارٌ مَطَهَّرَةٌ﴾ طهرون مما يختص بالنساء من الحيض، وما

(١) محمد: ١٥.

(٢) القاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري، صاحب أبي حنيفة، ولد سنة ١١٣ هـ وتوفي سنة ١٨٢ هـ. ينظر: وفيات الأعيان ج ٥: ٤٢١، معجم رجال الحديث ج ٢٢: ١١١.

(٣) أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي التيمي بالولاء، صاحب المذهب، ولد سنة ٨٠ هـ وتوفي سنة ١٥٠ هـ. ينظر: وفيات الأعيان ج ٥: ٣٩.

(٤) الكشف ج ١: ١٠٩.

لا يختص بهنّ من الأقدار والأدناس، ويدخل تحت ذلك الطهر من دنس الطباع وسائر العيوب.

والخلد: الثبات الدائم والبقاء اللازم الذي لا ينقطع.

إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا
فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا
الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ
بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٥١﴾

لما ضرب الله تعالى المثّلين للمنافقين قبل هذه الآية، قالوا: الله أعلى وأجلّ من أن يضرب هذه الأمثال، فنزلت الآية^(١)، لبيان أنّ ما استنكروه من أن تكون المحقّرات من الأشياء مضروباً بها المثل ليس بموضع للاستنكار، لأنّ في التمثيل كشف المعنى ورفع الحجاب عن المطلوب، فإن كان الممثّل له عظيماً كان الممثّل به مثله، وإن كان حقيراً كان الممثّل به كذلك.

ووصف القديم سبحانه بالحياة في مثل قوله ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ حَيِّي كَرِيمٍ يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الْعَبْدَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهَا صَفْراً حَتَّى يَضَعَ فِيهِمَا خَيْرًا))^(٢) جارٍ مجرى التمثيل، لأنّ الحياة تغيّر وانكسار يعترى الإنسان من تخوّف ما يعاب به ويذم، واشتقاقه من الحياة، يقال: حيي الرجل، كما يقال: نسي، وحشي، وشطي الفرس: إذا اعتلت منه هذه الأعضاء.

جعل الحيي لما يعترّيه من الانكسار منتقص الحياة، فمثّل تركه سبحانه تحبيب

(١) أسباب النزول: ٢١.

(٢) مصنف عبد الرزاق ج ٢: ٢٥١، وينظر: من لا يحضره الفقيه ج ١: ٢١٣.

العبد لكرمه بترك من ترك رد المحتاج إليه حياء منه. وكذلك المعنى في الآية: إن الله تعالى لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي أن يتمثل بها لحقارتها.

و﴿مَّا﴾ هذه إبهامية وهي التي إذا اقترنت بنكرة زادته شياعاً، تقول: أعطني كتاباً ما، أو هي صلة زيدت للتأكيد نحو التي في قوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾^(١). والمعنى: إن الله لا يستحيي ولا يترك أن يتمثل للأنداد بها لا شيء أصغر منه وأقل.

وانتصب ﴿بَعُوضَةً﴾ بأنها عطف بيان أو مفعول لـ ﴿يَضْرِبُ﴾، و﴿مَثَلًا﴾ حال عن النكرة مقدّمة عليه، أو انتصبا مفعولين لـ ﴿يَضْرِبُ﴾، لأنّه أجري مجرى (جعل).

﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ فيه معنيان:

أحدهما: فما تجاوزها وزاد عليها في المعنى الذي ضربت فيه مثلاً، وهو القلة والحقارة.

والآخر: فما زاد عليها في الحجم.

و﴿الْحَقُّ﴾: الثابت الذي لا يسوغ إنكاره، يقال: (حق الأمر) إذا ثبت ووجب.

و﴿مَا ذَا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون (ذا) اسماً موصولاً بمعنى (الذي) فيكون كلمتين.

والآخر: أن يكون (ذا) مركبة مع (ما) فتكون كلمة واحدة.

والضمير في ﴿أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ للمثل أو لـ ﴿أَن يَضْرِبُ﴾، و﴿مَثَلًا﴾ نصب

على التمييز.

وقوله: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ جار مجرى التفسير والبيان للجملتين المتقدمتين، وأن فريق العالمين بآته الحق وفريق الجاهلين المستهزئين به كلاهما موصوف بالكثرة، وأن العلم بكونه حقاً من باب الهدى، وأن الجهل بحسن مورده من باب الضلالة.

وإسناد الإضلال إلى الله سبحانه إسناد الفعل إلى السبب، لأنه لما ضرب المثل فضل به قوم واهتدى به قوم تسبب لضلالتهم وهداهم. والفسق: الخروج عن طاعة الله.

الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ
أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٧٧﴾

النقض: الفسخ، وشاع استعمال النقض في إبطال العهد من جهة أنهم سموا العهد بالحبل على الاستعارة، ومنه قول ابن التيهان^(١) في بيعة العقبة: (يا رسول الله إن بيننا وبين القوم حبلاً ونحن قاطعوها، فنخشى إن الله أعزك وأظهرك أن ترجع إلى قومك)^(٢).

و﴿عَهْدَ اللَّهِ﴾ هو ما ركز في عقولهم من الحجة على التوحيد، [أو ما أخذ عليهم في التوراة من إتباع محمد ﷺ]^(٣)، أو ما أخذ عليهم من الميثاق بأنه إذا بعث

(١) أبو الهيثم مالك بن التيهان الانصاري الأوسي، كان أحد النقباء في بيعة العقبة، شهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ، وشهد صفين مع الإمام علي عليه السلام واستشهد بها. ينظر: الإصابة ج ٤: ٢١٢، معجم رجال الحديث ج ٢٢: ٩٨.

(٢) سيرة ابن هشام ج ٢: ٩٦.

(٣) ساقطة من ج.

إليهم رسول مؤيد بالمعجزات صدقوه واتبعوه.

والضمير في ﴿مِثْقَدٍ﴾ للعهد. ويجوز أن يكون الميثاق بمعنى: التوثقة، كما أن الميعاد والميلاد بمعنى الوعد والولادة. ويجوز أن يرجع الضمير إلى الله، أي: من بعد توثقته عليهم.

ومعنى قطعهم ﴿مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾: قطعهم الأرحام وموالاة المؤمنين. وقيل: قطعهم ما بين الأنبياء من الاجتماع على الحق في إيمانهم ببعض وكفرهم ببعض^(١).

والأمر: طلب الفعل ممن هو دونك، وبه سمي الأمر الذي هو واحد الأمور، لأن الداعي الذي يدعو إليه شبه بأمر يأمر به.

﴿هُمْ الْخَاسِرُونَ﴾ لأنهم استبدلوا النقص بالوفاء، والقطع بالوصل، والفساد بالصلاح.

كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ
يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾

معنى الهمزة التي في ﴿كَيْفَ﴾ مثله في قولك: أتكفرون بالله ومعكم ما يصرف عن الكفر ويدعو إلى الإيمان، وهو الإنكار والتعجب.

والواو في قوله: ﴿وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا﴾ للحال، أي وقصتكم هذه وحالكم أنكم كنتم أمواتاً نطفاً في أصلاب آبائكم ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾ فجعلكم أحياء ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ بعد هذه الحياة ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ بعد الموت. وهذا الإحياء الثاني يجوز أن يراد به الإحياء في القبر، وبقوله: ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ الحشر والنشور، ويجوز أن يراد بالإحياء

النشور، وبالرجوع المصير إلى الحساب والجزاء.

وعطف الأول بالفاء، لأن الإحياء الأول يعقب الموت بغير تراخ، وعطف الآخرين بـ ﴿ثُمَّ﴾، لأن الموت قد تراخى عن الإحياء، والإحياء الثاني مترأخ عن الموت إن أريد به النشور، أو الإحياء في القبر، والرجوع إلى الجزاء أيضاً مترأخ عن النشور.

هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَىٰ

السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٩﴾

قوله: ﴿لَكُمْ﴾ أي: لأجلكم ولانتفاعكم به في دنياكم، بأن تتمتعوا منه بفنون المطاعم والمناحك والمراكب والمناظر البهيجة، وفي دينكم بأن تنظروا فيه وما يتضمنه من عجائب الصنع الدالة على الصانع القادر الحكيم. وفي هذا دلالة على أن أصل الأشياء الإباحة إلى أن يمنع الشرع بالنهي، وجائز لكل أحد أن يتناولها ويستمتع بها.

و﴿جَمِيعًا﴾ نصب على الحال من قوله: ﴿مَا فِي الْأَرْضِ﴾.

والاستواء: الاعتدال والاستقامة، يقال: استوى العود، ثم قيل: استوى إليه كالسهم المرسل إذا قصده قصداً مستوياً من غير أن يلوي إلى شيء، ومنه استعير قوله: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ أي: قصد إليها بإرادته ومشيته بعد خلق ما في الأرض، من غير أن يريد فيها بين ذلك خلق شيء آخر. والمراد بالسماء جهات العلو، كأنه قال: ثم استوى إلى فوق.

والضمير في ﴿فَسَوَّاهُنَّ﴾ ضمير مبهم، و﴿سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ تفسيره،

كقولهم: (رَبِّهِ رَجُلًا). وقيل: الضمير راجع إلى السماء^(١)، والسماء في معنى الجنس. ومعنى (سَوَاهِنَ): عدل خلقهن وأتمه وقومه.

﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فلذلك خلق السماوات والأرض خلقاً محكماً متقناً من غير تفاوت على حسب ما اقتضته الحكمة.

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ اِنِّیْ جَاعِلٌ فِی الْاَرْضِ خَلِیْفَةً ۚ قَالُوْۤا اَنْتَ جَاعِلٌ فِیْهَا مَنْ یُّفْسِدُ فِیْهَا وَیَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۗ قَالَ اِنِّیْۤ اَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُوْنَ ﴿٣٠﴾

لما ذكر سبحانه إنعامه علينا بخلق السماء والأرض وما فيها، ذكر نعمته علينا بخلق أبنينا آدم عليه السلام.

و﴿وَإِذْ﴾ نصب بإضمار اذكر، ويجوز أن يتصبب ب﴿قَالُوا﴾، و﴿جَاعِلٌ﴾ من جعل الذي له مفعولان، والمعنى مصير ﴿فِي الْاَرْضِ خَلِیْفَةً﴾.

والخليفة: من يخلف غيره، والمعنى: خليفة منكم، لأن الملائكة كانوا سكان الأرض فخلفهم آدم فيها وذريته، واستغنى بذكر آدم عن ذكر بنيه كما تستغني بذكر أبي القبيلة في قولك: ربيعة ومضر، أو يريد من يخلفكم، أو خلقاً يخلفكم فوحد لذلك. ويجوز أن يريد خليفة مني، لأن آدم كان خليفة الله في أرضه وهو الصحيح، لقوله: ﴿يَا دَاوُدُ اِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِیْفَةً فِی الْاَرْضِ﴾^(٢).

﴿قَالُوا اَنْتَ جَاعِلٌ فِیْهَا مَنْ یُّفْسِدُ﴾ إنما عرفوا ذلك حتى تعجبوا منه من جهة اللوح، أو عرفوه بإخبار الله تعالى.

(١) معاني القرآن للأخفش: ٦٢.

(٢) ص: ٢٦.

﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ﴾ الواو للحال، كما تقول: أنحسن إلى فلان وأنا أحق منه بالإحسان. والتسبيح: تبعيد الله من السوء.

﴿وَبِحَمْدِكَ﴾ في موضع الحال، أي: نستبح حامدين لك وملتبسين بحمدك.

﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ﴾ من المصالح في ذلك ما هو خفي عليكم ولا تعلمونه، ولم يبين لهم تلك المصالح، لأنّ العباد كيفهم أن يعلموا أنّ أفعال الله تعالى كلها حسنة، وإن خفي عليهم وجه الحكمة، على أنّه قد بين لهم بعض ذلك في قوله: [وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا... الآية] ^(١).

وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ
أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾

أي: أسماء المسميات كلها، فحذف المضاف إليه لكونه معلوماً مدلولاً عليه بذكر الأسماء، لأنّ الاسم لا بد له من مسمى، وعوض منه اللام كقوله: ﴿وَاشْتَغَلَ الرَّأْسُ شَيْئًا﴾ ^(٢)، وليس التقدير: وعلم آدم مسميات الأسماء، فيكون حذفاً للمضاف، لأنّ التعليم يتعلّق بالأسماء لا بالمسميات، [لقوله: ﴿أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ﴾، ومعنى تعليمه أسماء] ^(٣) المسميات أنّه أراه الأجناس التي خلقها، وعلمه أنّ هذا اسمه فرس وهذا اسمه كذا، وعلمه أحوالها وما يتعلّق بها من المنافع الدينية والدنيوية.

(١) ساقطة من أ.

(٢) مريم: ٤.

(٣) ساقطة من ج.

﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ أي: عرض المسميات ﴿عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾، وإنا ذكر لأن في المسميات العقلاء فغلبهم ﴿فَقَالَ﴾ للملائكة: ﴿أَنِيبُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ﴾ استنبأهم وقد علم عجزهم عن الإنباء على سبيل التبكيت.

﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي: في زعمكم أنني أستخلف في الأرض من يفسد فيها إرادة للرد عليهم، وليبين أن في من يستخلفه من الفوائد العلمية - التي هي أصول الفوائد كلها - ما يستأهلون لأجله أن يستخلفوا، فيبين لهم بذلك بعض ما أجمل من ذكر المصالح في استخلافهم في قوله: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ

الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾

قالت الملائكة: ﴿سُبْحَنَكَ﴾ تنزيهاً لك عن أن يعلم الغيب أحد سواك، أو تعظيماً لك عن أن يعترض عليك في حكمك.

﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ وليس هذا في ما علمتنا ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ﴾ بجميع المعلومات، وهو صيغة مبالغة للعالم ﴿الْحَكِيمُ﴾ المحكم لأفعاله.

قَالَ يَتَذَكَّرُ أَنْبِيَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا

كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾

﴿أَنْبِيَهُمْ﴾ أي: أخبر الملائكة ﴿بِأَسْمَائِهِمْ﴾ علق الإنباء بالأسماء لا بالمسميات، فلم يقل: أنبئهم بهم، لما قلناه من أن التعليم يتعلق بالأسماء.

﴿فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ﴾ آدم، أي: أخبر الملائكة ﴿بِأَسْمَائِهِمْ﴾ أي: باسم كل شيء ومنافعه ومضاره وخواصه ﴿قَالَ﴾ سبحانه للملائكة: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ

غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿١﴾ أي: أعلم ما غاب فيها عنكم فلم تشاهدوه، كما أعلم ما حضركم فشاهدتموه.

﴿وَأَعْلَمُ مَا بُدُونُ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ أي: ما تعلنونه وما تضمرونه.

وفي هذا أنّ تعليمه سبحانه الأسماء كلها بما فيها من المعاني وفتق لسانه بذلك، معجزة أقامها الله تعالى للملائكة، دالة على نبوته وجلالة قدره وتفضيله عليهم.

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى
وَأَسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣١﴾

﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ استثناء متصل عند من ذهب إلى أنّ إبليس من الجن، وكان بين أظهر الألف من الملائكة مغموراً بهم، ثم استثنى منهم استثناء واحد منهم. ويجوز أن يكون منقطعاً.

﴿إِنِّي﴾ أي: امتنع مما أمر به ﴿وَأَسْتَكْبَرَ﴾ عنه ﴿وَكَانَ مِنْ﴾ جنس كافري الجن وشياطينهم. ولا شك أنّ الاستثناء متصل عند من ذهب إلى أنّه من الملائكة.

وفي الآية دلالة على فضل آدم عليه السلام على جميع الملائكة، لأنّه قدّمه على الملائكة إذ أمرهم بالسجود له، ولا يجوز تقديم المفضل على الفاضل. ولو لم يكن سجود الملائكة له على وجه التعظيم لشأنه وتقديمه عليهم، لم يكن لامتناع إبليس عن السجود له، وقوله: ﴿أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْت عَلَيَّ﴾^(١)، وقوله: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾^(٢)؛ وجهه، وكان يجب على الله تعالى أن يعلمه أنّه لم يأمره بالسجود له على

(١) الإسراء: ٦٢.

(٢) ص: ٧٦.

وجه تعظيمه وتفضيله عليه، ولما جاز أن يفعل ذلك إذا كان ذلك سبب معصية إبليس، فعلمنا أنه لم يكن ذلك إلا على وجه التفضيل له عليهم.

وَقُلْنَا يَتَادُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا
وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾

﴿أَنْتَ﴾ تأكيد للضمير المستكن في ﴿اسْكُنْ﴾ ليصح العطف عليه، و﴿رَغَدًا﴾ وصف للمصدر، أي: أكلاً رغداً واسعاً رافهاً، و﴿حَيْثُ﴾ للمكان المبهم، أي: أي مكان من الجنة ﴿شِئْتُمَا﴾. والمعنى: اتخذ أنت وامراتك الجنة مسكناً ومأوى. ﴿وَكُلَا مِنْهَا﴾ أي: من الجنة كثيراً واسعاً حيث شئتما من بقاع الجنة. ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ أي: لا تأكلا منها، والمعنى: لا تقرباها بالأكل. وهو نهي تنزيه عندنا لا نهي تحريم، وكانا بالتناول منها تاركين نفلاً وفضلاً.

﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أي: الباخسين الثواب [والناقصين للحظ]^(١) لأنفسكما بترك هذا المندوب إليه. [فصورته النهي والمعنى الأمر، أي: اتركا واهجرا، وهكذا قوله: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾^(٢) صورته الأمر ومعناه النهي، ولا يجوز أن يحمل على ظاهر النهي فتصير نهياً لكراهة الناهي المؤكل عنه، والحكيم لا ينهى إلا عن القبيح، والقبيح على الأنبياء غير جائز. والشجرة المنهية عنها الحنطة. وقيل: الكافور^(٣). وقيل: التين والعنب^(٤)].^(٥)

(١) ساقطة من أ، ط.

(٢) فصلت: ٤٠.

(٣) عن علي بن أبي طالب. التبيان ج ١: ١٥٨، معالم التنزيل ج ١: ٢٢.

(٤) عن ابن عباس وغيره: العنب، وعن ابن جريج: التين. تفسير الطبري ج ١: ٨٤.

(٥) ساقطة من أ، ج، ط.

فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا
بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسَفَّرٌ مَّتَعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٣٦﴾

﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ أي: حملهما على الزلة.

﴿الشَّيْطَانُ﴾ يعني: إبليس، نسب الزلة إلى الشيطان لما وقعت بدعائه

ووسوسته.

﴿عَنْهَا﴾ عن الجنة.

﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ من المنزلة والنعمة والدعة، وأضاف الإخراج إلى الشيطان لأنه كان السبب فيه، وإنما أخرج الله آدم من الجنة، لأن المصلحة اقتضت بعد تناوله الشجرة إهباطه إلى الأرض وابتلاءه بالتكليف وسلبه ثياب الجنة، كما تقتضي الحكمة الإفقار بعد الإغناء، والإماتة بعد الإحياء. ومن قرأ: فأزالهما، فالمعنى: فأزالهما مما كانا فيه من النعيم والكرامة أو من الجنة.

﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا﴾ خطاب لآدم وحواء، والمراد: هما وذريتهما، لأنهما لما كانا أصل الإنس جعلنا كائنها الإنس كلهم، ويدل عليه قوله في موضع آخر: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾^(١). والمعنى فيه: ما عليه الناس من التعادي والمخالفة وتضليل بعضهم لبعض.

والهبوط: النزول إلى الأرض، والمستقر: موضع الاستقرار أو الاستقرار.

﴿وَمَتَّعٌ﴾ أي: تمتع بالعيش ﴿إِلَى حِينٍ﴾ إلى يوم القيامة، وقيل: إلى الموت^(٢).

(١) طه: ١٢٣.

(٢) عن السدي. تفسير الطبري ج ١: ١٩٢.

قال ابن السراج^(١): (لو قيل: (ولكم في الأرض مستقر ومتاع) لظن أن ذلك غير منقطع، فقيل: (إلى حين) أي: إلى حين انقطاعه)^(٢).

فَلَقِيَ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ فَنَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ النَّوَابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾

معنى تلقي الكلمات استقبالها بالأخذ والقبول والعمل بها، أي: أخذها ﴿رَبِّهِ﴾ على سبيل الطاعة، ورغب إلى الله بها، أو سأله بحقها ﴿فَنَابَ﴾ الله ﴿عَلَيْهِ﴾. ومن قرأ: فلقى آدم - بالنصب - كلمات - بالرفع - فالمعنى: إن الكلمات استقبلت آدم ﷺ بأن بلغته.

والكلمات هي قوله: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٣)، وقيل: هي قوله: لا إله إلا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت^(٤)، وفي رواية أهل البيت : إن الكلمات هي أسماء أصحاب الكساء ^(٥). واكتفى بذكر توبة آدم عن ذكر توبة حواء لأنها كانت تبعاً له. و﴿النَّوَابُ﴾: الكثير القبول للتوبة، وهو في صفة العباد: الكثير التوبة.

قُلْنَا أَهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هَذَا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾

(١) أبو بكر محمد بن السري البغدادي المعروف بـ(ابن السراج)، أحد الأئمة المشاهير في النحو والأدب، كان أحدث أصحاب المبرد سناً، وله تصانيف مشهورة في النحو، توفي شاباً سنة ٣١٦ هـ. ينظر: بغية الوعاة ج ١: ١٠٩.

(٢) التبيان ج ١: ١٦٥.

(٣) الأعراف: ٢٣.

(٤) عن ابن مسعود. الكشف ج ١: ١٢٨.

(٥) تفسير العياشي ج ١: ٤١، وفي الدر المنثور ج ١: ٦٠ عن ابن عباس مرفوعاً.

كرر سبحانه ﴿قُلْنَا أَهْبِطُوا﴾ للتأكيد، ولما تبعه من قوله: ﴿فَأَمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ أي: فإن يأتكم مني هدى برسول أبعثه إليكم وكتاب أنزله عليكم. ﴿فَمَن تَبِعَ هَدَايَ﴾ بأن يقتدي برسولي ويؤمن به وبكتابه ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ من العقاب ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على فوت الثواب.

وجواب الشرط الأول الشرط الثاني مع جوابه، [كقولك: إن جئتني فإن قدرت أحسنت إليك] ^(١).

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾

﴿وَالَّذِينَ﴾ جحدوا رسلنا ﴿وَكَذَّبُوا﴾ بدلاتنا فـ ﴿أُولَٰئِكَ﴾ الملازمون للنار ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ أي: دائمون مؤبدون.

يَنبِئُ إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي
أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَأَرْحَبُكُمْ ﴿٤٠﴾

لما عم سبحانه جميع خلقه بالخطاب، وذكر لهم الحجج على توحيده، وعدد عليهم صنوف نعمه؛ خص بني إسرائيل [عقب ذلك بذكر ما أسداه إليهم من النعم، فقال: ﴿يَنبِئُ إِسْرَءِيلَ﴾] ^(٢). وإسرائيل هو (يعقوب) لقب له، ومعناه في لسانهم: (صفوة الله)، وقيل: (عبد الله) ^(٣).

﴿أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ أي: لا تخلوا بشكرها واستعظموها، وأراد

(١) ساقطة من ب، ج.

(٢) ساقطة من ج.

(٣) عن ابن عباس. تفسير الطبري ج ١: ١٩٧.

بالنعمة: ما أنعم به على آبائهم من كثرة الأنبياء فيهم، وإنجائهم من فرعون، وغير ذلك مما عدّده سبحانه عليهم.

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ أي: بما عاهدتموني عليه من الإيمان بي والطاعة لي ﴿أَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ﴾ بما عاهدتكم عليه من حسن الثواب. وقيل: أوفوا بعهدي في محمد ﷺ أن من آمن به كان له أجران، ومن كفر به تكاملت أوزاره؛ أوف بعهدكم أدخلكم الجنة^(١).

﴿وَإِنِّي فَأَرْحُبُونِ﴾ أي: فلا تنقضوا عهدي، وهو من قولك: زيدا رهبت. ف(إياي) ضمير منصوب بفعل مضمر يفسره (ارهبون).

وَأَمِنُوا بِمَا أُنزِلَتْ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآبَائِنِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَأَنْقُوتُ ﴿١٤﴾

أي: وصدقوا بما أنزلته على محمد من القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ من التوراة. ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ أي: أول من كفر به، أو أول فريق كافر به، أو ولا يكن كل واحد منكم أول كافر به، كما يقال: كسانا الأمير حلة، أي: كسا كل واحد منا حلة. وهذا تعريض بأنّه كان يجب أن يكون اليهود أول من يؤمن به، لمعرفتهم به وبصفته، ولأنهم كانوا يبشرون الناس بزمانه، ويستفتحون على الذين كفروا، وكانوا يقولون: إنا نتبعه أول الناس كلهم، فلما بعث كان أمرهم على العكس، كقوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾^(٢). وقيل: الضمير في ﴿بِهِ﴾

(١) تفسير ابن عباس ج ١: ٢٠ باختصار.

(٢) البقرة: ٨٩.

لما معكم^(١)، لأنهم إذا كفروا بها يصدّقه فقد كفروا به.

﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ الاشتراء استعارة للاستبدال، كما في قوله: ﴿اشْتَرَوْا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَىٰ﴾^(٢) أي: لا تستبدلوا بآياتي ثمنًا، وإلا فالثمن هو المشتري به. والثمن القليل: الرئاسة التي كانت لهم في قومهم خافوا فوتها باتباعه فاستبدلوا بآيات الله.

﴿وَلَا تَلْسِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكُنُوا الْحَقَّ وَانْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٣)

الباء في قوله: ﴿بِالْبَاطِلِ﴾ يجوز أن تكون مثل ما في قولك: لبست الشيء بالشيء: خلطته به، فيكون المعنى: ولا تكتبوا في التوراة ما ليس منها فيختلط الحقّ بالباطل. ويجوز أن تكون باء الاستعانة كما في قولك: كتبت بالقلم فيكون المعنى: ولا تجعلوا الحقّ ملتبساً مشتبهاً بباطلكم الذي تكتبونه.

﴿وَتَكُنُوا﴾ جزم معطوف على ﴿تَلْسِسُوا﴾ بمعنى: ولا تكتبوا، أو منصوب بإضمار (أن)، أي: ولا تجمعوا بين لبس الحقّ بالباطل وكتبان الحقّ، كقولك: لا تأكل السمك وتشرب اللبن.

﴿وَانْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه حقّ وتجدون ما تعلمون.

﴿وَأَقِمْوَا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾^(٤)

أي: وآدوا ﴿الصَّلَاةَ﴾ بأركانها، وأعطوا ما فرض الله عليكم من ﴿الزَّكَاةِ﴾. ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ من المسلمين، لأنّ اليهود لا ركوع لهم في صلاتهم.

(١) معاني القرآن وإعرابه ج ١: ١٢٣.

(٢) البقرة: ١٧٥.

وقيل: إن المراد به صلاة الجماعة^(١).

أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَكُونُونَ مِنَ الْكَاتِبِينَ
أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾

الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجيب من حالهم. والبر: سعة الخير، ومنه (البر) لسعته، ويتناول كل خير، ومنه قولهم: صدقت وبررت، وكانوا يأمرُونَ أقاربهم في السرّ باتباع محمد ولا يتبعونه.

﴿وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ تتركونها من البر.

﴿وَأَنْتُمْ لَا تَكُونُونَ مِنَ الْكَاتِبِينَ﴾ تبكيت، مثل قوله: ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٢)، يعني: تتلون التوراة وفيها صفة محمد ﷺ.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ توبيخ عظيم بمعنى: أفلا تفطنون لقبح ما تقدمون عليه، فيصدكم استقباحه عن ارتكابه فكأنكم قد سلبت عقولكم.

وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾
الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾

﴿وَأَسْتَعِينُوا﴾ في حوائجكم إلى الله بالجمع بين الصبر والصلاة، وأن تصلّوا صابرين على تكاليف الصلاة، وما يجب فيها من إخلاص القلب ودفع الوسوس، أو واستعينوا على البلى بالصبر عليها والاتجاء إلى الصلاة. وقيل: الصبر: الصوم^(٣)، ومنه قيل لشهر رمضان: شهر الصبر.

(١) تفسير ابن عباس ج ١: ٢١.

(٢) آل عمران: ٧١.

(٣) عن الصادق عليه السلام. تفسير العياشي ج ١: ٤٣.

﴿وَأَيُّهَا﴾ الضمير للصلاة أو للاستعانة ﴿لَكَبِيرَةٍ﴾ أي: شاقة ثقيلة ﴿إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ لأنهم الذين يتوقعون ما آذخر للصابرين على مشاقها فتهون عليهم. والخشوع: الإخبات والتطامن. والخضوع: اللين والانقياد.

[﴿الَّذِينَ يُطْئُونَ﴾] ^(١) أي: يتوقعون لقاء ثوابه ونيل ما عنده. وفي مصحف عبد الله ^(٢): يعلمون، ولذلك فسر ﴿يُطْئُونَ﴾ بـ(يتيقنون) ^(٣)، وكان النبي ﷺ يقول: ((يا بلال ^(٤) رَوْحًا)) ^(٥)، وقال: ((وجعلت قرّة عيني في الصلاة)) ^(٦).

يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَلِيَّ فَصَلَّيْتُكُمْ
عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾ وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا
يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٨﴾

﴿وَأَلِيَّ فَصَلَّيْتُكُمْ﴾ في موضع نصب عطف على ﴿نِعْمَتِيَ﴾ أي: اذكروا نعمتي وتفضلي إليّاكم.

﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ على الجمل الغفير من الناس، كقوله: ﴿بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ ^(٧)،

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) عبد الله بن مسعود الهذلي الصحابي المشهور، أحد السابقين إلى الإسلام، شهد بدرًا والحديبية، توفي سنة ٣٢ هـ بالمدينة. ينظر: الاستيعاب ج ٢: ٣١٦، معجم رجال الحديث ج ١٠: ٣٣٧.

(٣) عن مجاهد وغيره. تفسير الطبري ج ١: ٢٠٧.

(٤) بلال بن رباح مؤذن النبي، الصحابي المشهور، كان من السابقين إلى الإسلام شهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ، مات بالشام سنة ٢١ أو ٢٢ هـ. ينظر: الاستيعاب ج ١: ١٤١، معجم رجال الحديث ج ٣: ٣٥٨.

(٥) سنن أبي داود ج ٤: ٢٩٨ ح ٤٩٨٥ بالمعنى.

(٦) الخصال: ١٥٥، سنن النسائي ج ٧: ٦٢.

(٧) الأنبياء: ٧١.

يقال: رأيت عالماً من الناس، يراد به الكثرة. أو تفضيلي إياكم في أشياء مخصوصة كإنزال المن والسلوى، والآيات الكثيرة كفلق البحر، وتغريق فرعون، وكثرة الرسل فيكم.

﴿وَأَنْقُؤْا يَوْمًا﴾ يريد يوم القيامة ﴿لَا تَجْزِي﴾ أي: لا تقضي ﴿نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ حقاً وجب عليها الله أو لغيره، كقوله: ﴿لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾^(١). وهذه الجملة منصوبة الموضع صفة لـ ﴿يَوْمًا﴾ والعائد منها إلى الموصوف محذوف تقديره: لا تجزي فيه، حذف الجار ثم حذف الضمير. ومعنى التذكير إن نفساً من الأنفس لا تجزي عن نفس منها شيئاً من الأشياء.

﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ﴾ هذا مختص باليهود، فإنهم قالوا: آباؤنا يشفعون لنا، فأويسوا، لأن الأمة مجمعة على أن لنبينا صلوات الله عليه وآله شفاعة مقبولة وإن اختلفوا في كيفيتها، وإجماعها حجة.

﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ أي: فدية، لأنها معادلة للمفدي.

﴿وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ يعني: ما دلت عليه النفس المنكرة من النفوس الكثيرة، والتذكير بمعنى العباد والأناسي كما قالوا: ثلاثة أنفس.

وَإِذْ يَخْتَصِمُكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ
يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ
رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾

أصل ﴿آلٍ﴾ أهل، ولذلك صغر بـ (أهيل)، فأبدلت هاؤه ألفاً، وخص استعماله بأولي الخطر والشأن كالملوك وأشباههم.

و﴿فِرْعَوْنَ﴾ علم لمن ملك العمالة، مثل (قيصر) ملك الروم، و(كسرى) ملك الفرس.

﴿يَسْؤُمُونَكُمْ﴾ من سامه خسفاً إذا أواه ظليماً، وأصله من سام السلعة إذا طلبها، كآته بمعنى ييغونكم ﴿سَوْءَ الْعَذَابِ﴾ ويريدونكم عليه. و السوء: مصدر السيئ، وسوء الفعل قبحه.

و﴿يَذِيحُونَ﴾ بيان لـ ﴿يَسْؤُمُونَكُمْ﴾، ولذلك ترك العاطف. وإنا فعلوا بهم ذلك لأن الكهنة أذروا فرعون بأنه يولد مولود يكون على يده هلاكه كما أندر نمرود، فلم يغن عنهما تحفظهما وكان ما شاء الله أن يكون.

والبلاء: المحنة إن أشير بـ ﴿ذَلِكُمْ﴾ إلى صنيع فرعون، والنعمة إن أشير به إلى الإنجاء.

وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَمْجَنَ مِنْكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ
نَنْظُرُونَ ﴿٥٠﴾

﴿فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ﴾ فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت فيه مسالك لكم، يقال: فرق بين الشيئين وفرق - بالتشديد - بين الأشياء.

والمعنى في ﴿بِكُمْ﴾ إتهم كانوا يسلكونه ويفترق الماء عند سلوكهم، فكانت فرق بهم. ويجوز أن يراد بسبيكم وبسبب إنجائكم. ويجوز أن يكون في موضع الحال بمعنى: فرقناه ملتبساً بكم.

وروي: أن بني إسرائيل قالوا لموسى: أين أصحابنا لا نراهم؟ فقال: سيروا فإتهم على طريق مثل طريقكم، قالوا: لا نرضى حتى نراهم، فقال: اللهم أعني

على أخلاقهم السيئة، فأوحى الله إليه: أن قل بعصاك هكذا، فصارت فيها كوى^(١) وسمع بعضهم كلام بعض^(٢).

﴿وَأَنْتُمْ نَظَرْتُمْ﴾ إلى ذلك وتشاهدوهم لا تشكون فيه.

وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِۦ

﴿وَأَنْتُمْ ظَلِمْتُمْ﴾

أي: وعدنا موسى أن ننزل عليه التوراة، وضربنا له ميقاتاً ذا القعدة وعشر ذي الحجة.

وقيل: ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ لأنَّ الشهور عددها بالليالي. ومن قرأ: واعدنا، فلاَنَّ الله تعالى وعده الوحي، ووعد هو المجيء للميقات إلى الطور.

﴿ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِۦ﴾ أي: من بعد مضيه إلى الطور ﴿وَأَنْتُمْ ظَلِمْتُمْ﴾ باتخاذكم العجل إلهاً.

ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ آتَيْنَا

مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾

﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي: من بعد ارتكابكم الأمر العظيم.

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ النعمة في العفو عنكم.

﴿وَإِذْ آتَيْنَا﴾ أي: واذكروا إذ أعطينا ﴿مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾ أي:

الجامع بين كونه كتاباً منزلاً وفرقناً فارقاً بين الحق والباطل يعني التوراة، كقولك: (رأيت الغيث والليث) أي: الرجل الجامع بين الجود والجرأة، ونحوه

(١) كوى: جمع كوة، وهي نقب البيت. (الصحاح: مادة كوى)

(٢) تفسير الطبري ج ١: ٢١٩.

قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا﴾^(١) أي: الكتاب الجامع بين كونه فرقاناً وضياءً وذكراً.

ويجوز أن يريد بـ﴿الْكِتَابِ﴾ التوراة وبـ﴿الْفُرْقَانِ﴾ البرهان الفارق بين الكفر والإيمان من العصا واليد وغيرهما من الآيات، أو الشرع الفارق بين الحلال والحرام، أو انفراق البحر، أو النصر الذي فرق بينه وبين عدوه، كقوله: ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾^(٢) يريد يوم بدر.

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُورِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ
بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ
لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَنَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥١﴾

واذكروا ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِعَبْدَةِ الْعِجْلِ مِنْ قَوْمِهِ بَعْدَ رَجُوعِهِ إِلَيْهِمْ: ﴿يَنْقُورِ
إِنَّكُمْ﴾ أَضَرَرْتُمْ ﴿أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ﴾ معبوداً.

والبارئ: الذي برأ الخلق بريئاً من التفاوت، ومتميزاً بعضهم من بعض
بالصور والأشكال المختلفة.

﴿فَتُوبُوا إِلَى﴾ خالقكم ومنشئكم.

﴿فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أي: ليقتل بعضكم بعضاً. أمر من لم يعبد العجل أن

يقتل من عبده. روي: أن الرجل كان يبصر ولده وقريبه فلم يمكنهم إمضاء أمر
الله سبحانه، فأرسل الله عليهم ضباباً لا يترءون تحتها، وأمروا أن يحتبوا بأفنية
بيوتهم، وأخذ الذين لم يعبدوا العجل سيوفهم فقتلوههم إلى المساء حتى دعا موسى
وهارون، وقالوا: يا رب، هلكت بنو إسرائيل، البقية البقية، فكشفت الضباب

(١) الأنبياء: ٤٨.

(٢) الأنفال: ٤١.

ونزلت التوبة، فسقطت الشفار من أيديهم، وكانت القتل سبعين ألفاً^(١).

﴿ذَلِكُمْ﴾ إشارة إلى التوبة مع القتل ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ﴾ من إيثار الحياة الفانية. وكرّر ذكر بارتكم تعظيماً لما أتوا به مع كونه خالفاً لهم.

﴿فَنَابَ عَلَيْكُمْ﴾ تقديره: ففعلتم ما أمرتم به فتأب عليكم.

﴿إِنَّهُ هُوَ النَّوَّابُ﴾ القابل للتوبة عن عباده، ﴿الرَّحِيمُ﴾ بهم.

وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ

الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾

قيل: إنّ القائلين هذا القول هم السبعون الذين صعقوا^(٢).

أي: لن نصدّقك في قولك ﴿حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ﴾ عياناً، وهي مصدر من قولك: جهر بالقراءة، كأنّ الذي يرى بالعين جاهر بالرؤية، والذي يرى بالقلب مخافت بها. وانتصابها على المصدر، لأنّها نوع من الرؤية فنصبت بفعلها كما تنصب القرفصاء بفعل الجلوس؛ أو على الحال بمعنى ذوي جهرة.

و﴿الصَّاعِقَةُ﴾ نار وقعت من السماء فأحرقتهم. وقيل: صيحة جاءت من

السماء^(٣). والظاهر أنّه أصابهم ما ينظرون إليه فخرّوا صعقين ميتين.

ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾

ثم أحييناكم ﴿مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ لاستكمال آجالكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمة الله بعدما كفرتموها إذ رأيتم بأس الله في رميكم بالصاعقة، أو لعلكم تشكرون

(١) العرائس: ١٢٥.

(٢) عن الربيع بن أنس. تفسير الطبري ج ١: ٢٣٢.

(٣) عن الربيع بن أنس. تفسير الطبري ج ١: ٢٣٢.

نعمة البعث بعد الموت.

وَوَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلَوىَ
كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ
يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾

وجعلنا ﴿الْغَمَامَ﴾ يظلمكم، وكان ذلك في التيه، سخر الله لهم السحاب يسير يسيرهم يظلمهم من الشمس، وينزل بالليل عمود من نار يسرون في ضوءه. ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلَوىَ﴾ كان ينزل عليهم الترنجيب مثل الثلج، ويبعث الله الجنوب^(١) فتحشر عليهم السلوى وهي السمانى^(٢) فيذبح الرجل منها ما يكفيه.

﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ على إرادة القول.
﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ يعني: فظلموا بأن كفروا هذه النعمة وما ظلمونا، فاختصر لدلالة ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ عليه.

وَإِذ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاذْخُلُوا
الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَنَزِيدُ
الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾

﴿الْقَرْيَةَ﴾ بيت المقدس، وقيل: أريحا من قرى الشام^(٣)، أمروا بدخولها بعد التيه.

(١) الجنوب - بفتح الجيم -: الريح التي تقابل الشمال. (الصحاح: مادة جنب).

(٢) السمانى: طائر يلد بالارض ولا يكاد يطير إلا أن يطار. حياة الحيوان الكبرى ج ٢: ٢٦.

(٣) عن ابن زيد. تفسير الطبري ج ١: ٢٣٧.

و﴿آتَابَك﴾ باب القرية. وقيل: هو باب القبة التي كانوا يصلون إليها. وهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى، أمروا بالسجود عند الانتهاء إلى الباب شكراً لله وتواضعاً. وقيل: السجود أن ينحنوا داخلين ليكون دخولهم بخشوع^(١). وقيل: طوطى لهم الباب ليخفصوا رؤوسهم فلم يخفصوها^(٢).

﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ هي فعلة من الحط كالجلسة والركبة، وهي خبر مبتدأ محذوف، أي: مسألتنا حطة. والأصل النصب بمعنى: حط عنا ذنوبنا حطة، ورفع ليعطي معنى الثبات، كقوله: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾^(٣). وروي عن الباقر عليه السلام أنه قال: ((نحن باب حطتكم))^(٤).

﴿وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: ومن كان محسناً منكم كانت تلك الكلمة سبباً في زيادة ثوابه، ومن كان مسيئاً يغفر له ويصفح عن ذنوبه.

فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى

الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾

أي: فخالف الذين عصوا ووضعوا مكان ﴿حِطَّةٌ﴾، ﴿قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ أي: ليس معناه معنى ما أمروا به، ولم يمثلوا أمر الله، وقيل: إنهم قالوا مكان ﴿حِطَّةٌ﴾: حنطة^(٥). وقيل: قالوا: حطا سقماتنا^(٦)، أي: حنطة حراء، استهزاء منهم

(١) عن ابن عباس. تفسير الطبري ج ١: ٢٣٨.

(٢) عن مجاهد. تفسير الطبري ج ١: ٢٤١.

(٣) يوسف: ١٨.

(٤) تفسير العياشي ج ١: ٤٥.

(٥) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج ١: ٢٤١.

(٦) عن ابن مسعود. تفسير الطبري ج ١: ٢٤١.

بها قيل لهم.

وفي تكرير ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ زيادة في تقييح أمرهم، وإيدان بأن إنزال العذاب عليهم لظلمهم. والرجز: العذاب، وروي: أنه مات منهم في ساعة واحدة أربعة وعشرون ألفاً من كبرائهم^(١).

وَإِذْ أَسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ
فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ
كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾

عطشوا في التيه، فاستسقى موسى لهم ودعا لهم بالسقيا.

﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ اللام إما للعهد والإشارة إلى حجر معلوم، فقد روي: أنه حجر حمله معه من الطور، وكان حجراً مربعاً له أربعة أوجه كانت تنبع من كل وجه ثلاث أعين، لكل سبط عين تسيل في جدول إلى السبط الذي هي له^(٢). وإما للجنس، أي: اضرب الشيء الذي يقال له: الحجر، فقد روي عن الحسن: (أنه لم يأمره أن يضرب حجراً بعينه، قال: وهذا أظهر في الحجة وأبين في القدرة)^(٣).

﴿فَانفَجَرَتْ﴾ أي: ضرب فانفجرت ﴿مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ لكل سبط

عين.

﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾ يريد كل سبط ﴿مَّشْرِبَهُمْ﴾ عينهم التي يشربون

منها.

(١) التبيان ج ١: ٢٦٨.

(٢) عن عطاء. معالم التنزيل ج ٢٩: ١.

(٣) الكشف ج ١: ١٤٤.

﴿كُلُوا﴾ على إرادة القول ﴿وَأَشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ﴾ مما رزقكم الله من الطعام والشراب وهو المن والسلوى وماء العيون. وقيل: الماء ينبت منه الزروع والثمار فهو رزق يؤكل منه ويشرب.

﴿وَلَا تَعْتُوا﴾ العتي: أشد الفساد، أي: لا تتهدوا في الفساد.

﴿مُفْسِدِينَ﴾ أي: في حال إفسادكم.

وَإِذْ قُلْتُمْ يَنْحُوسِي لَنْ نَصِيرَ عَلَى طَعَامٍ وَجِدْ قَادَعُ لَنَا رَبِّكَ يُخْرِجُ لَنَا مِمَّا تُثْمِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَفُشَّيْهَا وَفُومَهَا وَعَدِيْهَا وَيَبْصِلُهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْطِلُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضَرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبِ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١﴾

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ﴾ نسب قول أسلافهم إليهم ﴿يَنْحُوسِي لَنْ نَصِيرَ عَلَى طَعَامٍ وَجِدْ﴾ أرادوا بالواحد مالا يختلف ولا يتبدل، ولو كان على مائدة الرجل ألوان عدة يداوم عليها كل يوم لا يبدلها، جاز أن يقال: لا يأكل فلان إلا طعاماً واحداً، ويراد بالوحدة: نفي التبدل والاختلاف.

﴿قَادَعُ لَنَا﴾ أي: لأجلنا ﴿رَبِّكَ يُخْرِجُ لَنَا﴾ أي: يظهر لنا ويوجد لنا.

﴿مِمَّا تُثْمِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا﴾ البقل: ما أنبتته الأرض من الخضر، والفوم: الحنطة، ومنه: فوموا لنا أي: اختبزوا. وقيل: هو الثوم^(١). قيل: إثمهم كانوا قوماً

فلاحة فترعوا إلى أصلهم، ولم يريدوا إلا ما ألفوه وضروا به من الأشياء المتفاوتة، كالبقول والحبوب ونحو ذلك.

﴿قَالَ أَتَشَبِدُونَكَ الَّذِي هُوَ أَذَنٌ﴾ أي: هو أقرب منزلة وأدون مقداراً، والدنو والقرب يعبر بهما عن قلة المقدار، فيقال: هو أدنى المحلّ وقريب المنزلة، كما يعبر بالبعد عن عكس ذلك، فيقال: بعيد المحلّ وبعيد المهمة، يريدون الرفع والعلو.

﴿أَهْطُوا مِصْرًا﴾ أي: انحذروا إليه من التيه، ويمكن أن يريد الاسم العلم، وصرفه مع اجتماع السببين: العلم والتأنيث لسكون وسطه، وإن أريد به البلد فما فيه إلا سبب واحد.

﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾ أي: جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم، فهم فيها كما أنّ من ضربت عليه القبة يكون فيها، أو ألصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب، كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه، فاليهود صاغرون أذلاء أهل مسكنة: إما على الحقيقة، وإما لتفاقرهم خيفة أن تضاعف عليهم الجزية.

﴿وَيَبَأَوْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ أي: صاروا أحقاء بغضبه من قولهم: باء فلان بفلان إذا كان حقيقاً بأن يقتل به لمساواته له.

﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى ما تقدّم من ضرب الذلة والمسكنة، وكونهم أهل غضبه.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُكْفَرُونَ﴾ أي: بسبب كفرهم وقتلهم الأنبياء قتلوا زكريا ويحيى وشعيا وغيرهم.

﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ معناه: أنهم قتلوهم بغير الحقّ عندهم، لأنهم لم يقتلوا ولا أفسدوا في الأرض فيقتلوا.

﴿ذَلِكَ﴾ تكرر للإشارة.

﴿بِمَاعَصُوا﴾ بسبب معصيتهم واعتدائهم حدود الله في كل شيء.

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصْرَى وَالصَّيِّئِينَ مِنْ ءَٰمَنَ
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا
خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بالستهم وهم المنافقون، ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ تهودوا،
يقال: هاد وتهود إذا دخل في اليهودية، وهو هائد والجمع هود، ﴿وَالنَّصْرَى﴾ جمع
نصران [يقال: رجل نصران]^(١)، وامرأة نصرانة، والنصراني الباء فيه للمبالغة
كالتي في أحمرى، لأنهم نصرروا المسيح، ﴿وَالصَّيِّئِينَ﴾ من صبا إذا خرج من
الدين، وهم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية، وعبدوا الملائكة أو النجوم.
﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ من هؤلاء الكفرة إيماناً خالصاً.

﴿وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ الذي يستوجبونه بإيمانهم وأعمالهم.
ومحل ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ رفع بالابتداء، وخبره: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾، لتضمن ﴿مَنْ﴾
معنى الشرط، والجملة خبر ﴿إِنَّ﴾؛ أو نصب بدل من اسم ﴿إِنَّ﴾ والمعطوف عليه،
وخبر ﴿إِنَّ﴾: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾.

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ
وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِمَّا بَعَدَ ذَلِكَ فَلَوْلَا
فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾

واذكروا ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ بالعمل على ما في التوراة ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ﴾

الْطُّورَ ﴿ حَتَّى قَبِلْتُمْ وَأَعْطَيْتُمُ الْمِيثَاقَ . وَذَلِكَ أَنَّ مُوسَى جَاءَهُمْ بِالْأُلُوحِ ، فَرَأَوْا مَا فِيهَا مِنَ التَّكَالِيفِ الشَّاقَةِ فَأَبَوْا قَبُولَهَا ، فَأَمَرَ جَبْرِئِيلُ فَقَلَعَ الطُّورَ مِنْ أَصْلِهِ وَرَفَعَهُ فَوْقَهُمْ ، وَقَالَ لَهُمْ مُوسَى : إِنْ قَبِلْتُمْ وَإِلَّا أُلْقِيَ عَلَيْكُمْ ، حَتَّى قَبِلُوا وَسَجَدُوا لِلَّهِ تَعَالَى مَلَا حَظِينَ إِلَى الْجَبَلِ ، فَمَنْ ثُمَّ يَسْجُدُ الْيَهُودُ عَلَى أَحَدٍ شَقِيٍّ وَجُوهَهُمْ .

﴿ حُذُّوا ﴾ عَلَى إِرَادَةِ الْقَوْلِ ، أَي : قُلْنَا ﴿ حُذُّوا مَا آتَيْنَاكُمْ ﴾ مِنَ الْكِتَابِ .

﴿ يَقْوُوا ﴾ أَي : بِجَدِّ وَيَقِينٍ وَعَزِيمَةٍ .

﴿ وَآذَكُرُوا مَا فِيهِ ﴾ وَادْرَسُوهُ وَلَا تَنْسُوهُ وَلَا تَغْفَلُوا عَنْهُ .

﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ رَجَاءُ مِنْكُمْ أَنْ تَكُونُوا مُتَّقِينَ .

﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ ﴾ ثُمَّ أَعْرَضْتُمْ عَنِ الْمِيثَاقِ وَالْوَفَاءِ بِهِ .

﴿ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ﴾ وَتَوْفِيقُهُ لِلتَّوْبَةِ ﴿ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾

لَخَسِرْتُمْ .

وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً

خَاسِرِينَ ﴿١٥﴾ فَعَلَيْنَاهَا تَكْوِيلًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً

لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٦﴾

﴿ السَّبْتِ ﴾ مَصْدَرُ سَبَتِ الْيَهُودُ إِذَا عَظُمَتْ يَوْمُ السَّبْتِ . الْمَعْنَى : ﴿ وَلَقَدْ ﴾

عَرَفْتُمْ ﴿ الَّذِينَ اعْتَدَوْا ﴾ أَي : جَاوَزُوا مَا حَدَّ لَهُمْ فِي السَّبْتِ مِنْ تَعْظِيمِهِ وَاسْتَعْمَلُوا

بِالصَّيْدِ . وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ ابْتَلَاهُمْ فَمَا كَانَ يَبْقَى حَوْتَ فِي الْبَحْرِ إِلَّا ظَهَرَ يَوْمُ السَّبْتِ ،

فَإِذَا مَضَى تَفَرَّقَتْ ، فَحَفَرُوا حِيَاضًا عِنْدَ الْبَحْرِ وَشَرَعُوا إِلَيْهَا الْجَدَاوِلَ ، فَكَانَتْ

الْحَيَاتَانِ تَدْخُلُهَا فَيَصْطَادُونَهَا يَوْمَ الْأَحَدِ ، فَذَلِكَ الْحَبْسُ فِي الْحِيَاضِ هُوَ اعْتِدَاؤُهُمْ .

﴿ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِرِينَ ﴾ أَي : كُونُوا جَامِعِينَ بَيْنَ الْقِرْدِيَّةِ وَالْخَسْوَةِ .

﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾ يعني: المسخة ﴿تَكْلًا﴾ عبرة تنكل من اعتبرها، أي: تمنعه ﴿لَمَّا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ لما قبلها ﴿وَمَا خَلَفَهَا﴾ وما بعدها من الأمم والقرون، لأن مسختهم ذكرت في كتب الأولين [فاعتبروا بها]^(١)، واعتبر بها من بلغتهم من الآخرين. أو أريد بـ ﴿مَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ ما بحضرتها من الأمم.

﴿وَمَوْعِظَةً﴾ [أي: زجراً ونهيًا]^(٢) لِلْمُتَّقِينَ ﴿الذين نهوهم عن الاعتداء من صالحى قومهم، أو لكل متق سمعها.

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنْتَجِدْنَا حُزُورًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾

كان في بني إسرائيل شيخ موسر قتله قرابة له ليرثوه، فطرحوه على طريق سبط من أسباط بني إسرائيل، ثم جاءوا يطلبون بدمه، فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبرهم بقاتله.

﴿قَالُوا أَنْتَجِدْنَا حُزُورًا﴾ أتعلمنا أهل هزو، أو مهزواً بنا أو الهزو نفسه. ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ أي: من المستهزين، ليدل على أن الاستهزاء لا يصدر إلا عن الجاهل. وقرئ: هزواً و هزءاً، مثل كفواً وكفوؤاً، وبالضمتين والواو فيها.

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ أي: سل لنا ربك، وكذا هو في قراءة عبد الله.

(١) ساقطة من أ، ب، ج.

(٢) ساقطة من أ، ج، ط.

﴿مَا هِيَ﴾ سؤال عن حالها وصفتها، وذلك أنهم تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى، فسألوا عن صفة تلك البقرة العجيبة الشأن.
 ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿إِنَّهُ﴾ سبحانه ﴿يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ﴾ لا مسنة ولا فتية.
 فرضت البقرة فروضاً أي: أسنت.

﴿عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ أي: نصف وسط بين الصغيرة والكبيرة.
 وجاز دخول ﴿بَيْنَ﴾ على ﴿ذَلِكَ﴾، لأنه في معنى شيئين حيث وقع مشاراً به إلى ما ذكر من الفارض والبكر، وجاز أن يشار به إلى مؤنثين لأنه في تأويل ما ذكر وما تقدم.

﴿فَأَفْعَلُوا مَا تَأْمُرُونَ﴾ أي: ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به، ويجوز أن يكون بمعنى أمركم أي: مأموركم، تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الأمير.

قَالُوا أَدْعُ لِنَارِكَ يُبَيِّنُ لَنَا مَا لَوْثُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا
 بَقْرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّظِيرِينَ ﴿٦٦﴾ قَالُوا
 أَدْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنُ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ
 اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ
 وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شَيْءَ فِيهَا قَالُوا أَتَنَنْ حِثَّتْ بِالْحَقِّ
 فَذَبَّحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٦٨﴾

﴿فَاقِعٌ﴾ توكيد لـ ﴿صَفْرَاءُ﴾، ولم يقع خبراً عن اللون، و﴿لَوْنُهَا﴾ فاعله، لأن اللون من سبب الصفراء وملتبس بها، فلا فرق بين أن يقول: صفراء فاقع لونها وصفراء فاقعة، وعن وهب^(١): (إذا نظرت إليها خيل إليك أن شعاع

(١) وهب بن منبه اليامي الأخباري صاحب القصص، كان كثير النقل من الكتب القديمة المعروفة بالإسرائيليات، مات سنة ١١٤ هـ. ينظر: معجم الأدباء ج ١٩: ٢٥٩.

الشمس يخرج من جلدها)^(١). والسرور: لذة في القلب عند حصول نفع أو توقعه. وقولهم: ﴿مَا هِيَ﴾ مرة ثانية تكرير للسؤال عن حالها وصفتها ليزدادوا بياناً لوصفها. وروي عن النبي ﷺ أنه قال: ((لو اعترضوا أدنى بقرة فذبوها لكفتهم، ولكن شددوا فشدد الله عليهم، والاستقصاء شؤم))^(٢).

﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا﴾ أي: إن البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا أيها نذبح.

﴿وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ إلى البقرة المراد ذبحها، أو إلى ما خفي علينا من أمر القاتل. وفي الحديث: ((لو لم يستثنوا لما بيتت لهم آخر الأبد))^(٣) أي: لو لم يقولوا: إن شاء الله.

﴿لَا ذُلُّ﴾ لم تذلل للكراب وإثارة الأرض ﴿وَلَا﴾ هي من النواضح ف﴿تَسْقَى الْغُرْتَ﴾.

و﴿لَا﴾ الأولى للنفي، والثانية مزيدة لتوكيد الأولى، لأن المعنى: لا ذلول تثير وتسقي، على أن الفعلين صفتان لـ ﴿ذُلُّ﴾، كأنه قيل: لا ذلول مثيرة وساقية. ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ سلمها الله من العيوب، أو معفاة من العمل سلمها أهلها منه، أو مخلصه اللون من سلم له كذا إذا خلص له.

﴿لَا شَيْءَ فِيهَا﴾ لم يشب صفرتها شيء من الألوان، فهي صفراء كلها حتى قرنها وظلفها، وهي في الأصل مصدر وشاه وشياً وشية: إذا خلط بلونه لوناً آخر، ومنه: ثور موشى القوائم.

(١) الدر المنثور ج ١: ٧٩.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم ج ١: ١٣٦، عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ٢: ١٣ باختلاف يسير.

(٣) تفسير الطبري ج ١: ٢٧٦.

﴿وَالْوَالَتَيْنِ فَتَتْ بِالْحَقِّ﴾ أي: بحقيقة وصف البقرة الجامعة لهذه الأوصاف كلها ﴿فَذَبَحُوهَا﴾.

وقوله: ﴿وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ استبطاء لهم واستئصال لاستقصائهم، أي: ما كادوا يذبحونها وما كادت تنتهي سؤالاتهم. وقيل: وما كادوا يذبحونها لغلاء ثمنها^(١)، وقيل: لخوف الفضيحة في ظهور القاتل^(٢).

فأما اختلاف العلماء في أن تكليفهم كان واحداً وهو ذبح البقرة المخصوصة باللون والصفات، أو كان متغيراً وكلما راجعوا تغيرت مصلحتهم إلى تكليف آخر، فمذكور في كتاب مجمع البيان^(٣)، فمن أراد ذلك فليقف عليه هناك. والنسخ قبل الفعل جائز، وقبل وقت الفعل غير جائز، لأنه يؤدي إلى البداء.

وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَرَأَتْكُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾
فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بَعْضُهَا كَذَلِكَ يُخَيِّ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ
ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾

خوطبت الجماعة لوجود القتل فيهم ﴿فَادَرَأَتْكُمْ﴾ أي: اختلفتم ﴿فِيهَا﴾ واختصمتم في أمرها، لأن المتخاصمين يدرأ بعضهم بعضاً أي: يدفعه، أو تدافعتم بأن طرح بعضكم قتلها على بعض فدفع المطروح عليه الطارح، أو دفع بعضهم بعضاً عن البراءة واتهمه.

﴿وَاللَّهُ مُخْرِجٌ﴾ أي: مظهر ﴿مَّا كُنْتُمْ﴾ تكتُمونه من أمر القتل ولا يتركه

(١) عن محمد بن كعب القرظي. تفسير الطبري ج ١: ٢٨١.

(٢) عن وهب بن منبه. تفسير الطبري ج ١: ٢٨٢.

(٣) مجمع البيان ج ١-٢: ١٣٦.

مكتوماً. وهذه جملة اعتراضية بين المعطوف والمعطوف عليه وهما ﴿فَأَذَرْتُمْ﴾ و﴿قُلْنَا﴾.

والضمير في ﴿أَضْرِبُوهُ﴾ إما أن يرجع إلى النفس على تأويل الشخص، أو إلى القاتل لما دلّ عليه قوله: ﴿مَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

﴿بَعْضُهَا﴾ ببعض البقرة، والتقدير: فضربه فحيي ﴿كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى﴾ فحذف لأنّ ما أبقي يدلّ على ما ألقى. روي: أنهم لما ضربه قام بإذن الله وأوداجه تشخب دماً، وقال: قتلني فلان، فقتل ولم يورث قاتل بعد ذلك^(١).

﴿وَرِيكُمُ آيَاتِهِ﴾ دلالة على أنّه قادر على كل شيء.

﴿لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: تعملون على قضية عقولكم في أنّ من قدر على إحياء نفس واحدة قدر على إحياء النفوس كلها، لعدم الاختصاص حتى لا تنكروا البعث.

وإنّما قدّمت قصّة الأمر بذبح البقرة على ذكر القتل مع تقدّمه، لأنّ الغرض ذكر قصّتين كل واحدة منهما تختص بنوع من التقرّيع، فلو عمل على عكسه لكانت قصّة واحدة وذهب الغرض في ذلك.

ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً
وَلَإِنْ مِنْ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا
يَسْقَى فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ
وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ المعنى في ﴿ثُمَّ﴾ استبعاد القسوة من بعد ما

ذكر مما يوجب لين القلوب ورقتها من إحياء القتل وغير ذلك من الآيات.

﴿فَهِيَ﴾ في قسوتها مثل الحجارة ﴿أَوْ أَشَدُّ قَسَوَةً﴾ منها. والمعنى: إن من عرفها شَبَّهَهَا بالحجارة، أو قال: هي أقسى من الحجارة، أو من عرف حالها شَبَّهَهَا بالحجارة أو بجوهر أقسى منها.

﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ﴾ بيان لفضل قسوة قلوبهم على الحجارة. والتفجير: التفتح بالسعة والكثرة، والمعنى: إن من الحجارة ما فيه خروق واسعة يتدفق منها الماء الكثير.

﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقُّ﴾ أي: يتشقق، أدغم التاء في الشين، أي: ينشق طولاً أو عرضاً فينبع منه الماء.

﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ﴾ أي: يتردى من أعلى الجبل. والخشية مجاز عن انقيادها لأمر الله، وقلوب هؤلاء لا تنقاد ولا تفعل ما أمرت به.

﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ أيها المكذبون. ومن قرأ بالياء، فالمراد: عما يعمل هؤلاء أيها المسلمون.

أَفَنظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ
كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ

يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾

الخطاب لرسول الله ﷺ والمسلمين، أي: ﴿أَفَنظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا﴾ لأجل دعوتكم فيستجيبوا ﴿لَكُمْ﴾ كما قال: ﴿فَأَمَنْ لَهُ لُوطٌ﴾^(١).

﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ أي: طائفة من أسلاف اليهود ﴿يَسْمَعُونَ كَلِمَ

اللَّهُ ﴿ فِي التَّوْرَةِ ﴾ ﴿ ثُمَّ يُخَرِّفُونَهُ ﴾ ﴿ كَمَا حَزَفُوا صِفَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَآيَةَ الرَّجْمِ .
 ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ ﴾ ﴿ أَي: فَهَمُوهُ وَضَبَطُوهُ وَلَمْ يَبْقَ لَهُمْ شَبْهَةٌ فِي صَحْتِهِ
 ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿ أَنَّهُمْ كَاذِبُونَ ، يَعْنِي: إِنْ حَزَفَ هَؤُلَاءِ فَلَهُمْ سَابِقَةٌ فِي ذَلِكَ .

وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بِعَضُفُهُمْ إِلَى
 بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ
 بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ

مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾

﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ يَعْنِي: الْيَهُودَ ﴿ قَالُوا ءَامَنَّا ﴾ بِأَنَّكُمْ عَلَى الْحَقِّ،
 وَبِأَنَّ مُحَمَّدًا هُوَ النَّبِيُّ الْمُبَشِّرُ بِهِ فِي التَّوْرَةِ .

﴿ وَإِذَا خَلَا بِعَضُفُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ﴾ أَي: صَارُوا فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ
 غَيْرُهُمْ .

﴿ قَالُوا ﴾ أَي: قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ﴿ أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ بِمَا
 بَيَّنَّ لَكُمْ فِي التَّوْرَةِ مِنْ صِفَةِ مُحَمَّدٍ .

﴿ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ ﴾ لِيُحْتَجُّوا عَلَيْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ فِي كِتَابِهِ،
 جَعَلُوا مُحَاجَّتَهُمْ بِهِ وَقَوْلَهُمْ: هُوَ فِي كِتَابِكُمْ هَكَذَا مُحَاجَّةٌ عِنْدَ اللَّهِ، كَمَا يُقَالُ: (هُوَ عِنْدَ
 اللَّهِ هَكَذَا)، أَوْ (هُوَ فِي كِتَابِ اللَّهِ هَكَذَا) بِمَعْنَى وَاحِدٍ، أَوْ يَكُونُ الْمُرَادُ لِيَكُونَ لَهُمْ
 الْحُجَّةُ عَلَيْكُمْ عِنْدَ اللَّهِ فِي إِيمَانِهِمْ بِمُحَمَّدٍ إِذْ كُنْتُمْ مُخْبِرِينَ بِصَحَّةِ أَمْرِهِ مِنْ كِتَابِكُمْ .
 ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ أَنَّ ذَلِكَ حُجَّةٌ عَلَيْكُمْ .

﴿ أَوَلَا ﴾ يَعْلَمُ هَؤُلَاءِ الْيَهُودَ ﴿ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ ﴾ مِنَ الْكُفْرِ ﴿ وَمَا
 يُعْلِنُونَ ﴾ مِنَ الْإِيمَانِ .

وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنَّهُمْ إِلَّا
يُظُنُّونَ ﴿٧٨﴾

﴿أُمِّيُّونَ﴾ لا يحسنون الكتابة فيطالعوا التوراة ويتحققوا ما فيها.
﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ﴾ أي: التوراة.

﴿إِلَّا أَمَانِي﴾ إلا ما هم عليه من أمانيتهم: أن الله يعفو عنهم ولا يؤاخذهم
بخطاياهم، وأن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم. وقيل: إلا أكاذيب مختلفة من علمائهم
فيقبلونها على التقليد^(١). كما قال أحدهم: هذا شيء رويته أم تمنيت، أي: اختلقته.
وقيل: إلا ما يقرؤون^(٢)، من قول الشاعر:

تَمَنَّى كِتَابَ اللَّهِ أَوَّلَ لَيْلِهِ^(٣)

وهذا من الاستثناء المنقطع كقوله: ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾^(٤).
﴿وَإِنَّهُمْ﴾ أي: وما هم ﴿إِلَّا يُظُنُّونَ﴾ أي: يشكون وهم متمكنون
العلم بالحق.

فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ
عِنْدِ اللَّهِ لَيْسَ شَيْءٌ بِهِ ثُمَّناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ
أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾

﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ﴾ المحزف ﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾ تأكيد، كما تقول: رآه

(١) عن ابن عباس وغيره. تفسير الماوردي ج ١: ١٥٠.

(٢) معاني القرآن للفراء ج ١: ٤٩.

(٣) ديوان كعب بن مالك: ٢٩٤. وبقية: وآخره لاقى حام المقادر.

(٤) النساء: ١٥٧.

بعينه وسمعه بأذنه، والويل: كلمة التحسر والتفجع وهو في الآية العذاب.
﴿لِيَسْتَرْوُا يَوْمَئِذٍ مَمْنًا فَلِيلًا﴾ أي: ليأخذوا به ما كانوا يأخذونه من عوامتهم
من الأموال، وصفه بالقلّة لأنّ متاع الدنيا قليل.
وقوله: ﴿مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ أي: من الرشا.

وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّكَارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ
عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا
تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾

وقالت اليهود: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّكَارُ﴾ أي: لن تصيبنا النار.
﴿إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ أي: قلائل أربعين يوماً عدد أيام عبادة العجل،
وعن مجاهد^(١): (قالوا: مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وإنّها نعدّ ب مكان كل ألف سنة
يوماً)^(٢).

﴿فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ﴾ متعلّق بمحذوف تقديره: إن اتّخذتم عنده عهداً
فلن يخلف الله عهده.

و﴿أَمْ﴾ إما أن تكون معادلة لهزمة الاستفهام بمعنى: أي الأمرين كائن على
سبيل التقرير، لأنّ العلم واقع بكون أحدهما، وإما أن تكون منقطعة بمعنى: بل
أتقولون.

(١) أبو الحجاج مجاهد بن جبر المكي، يعدّ من كبار التابعين، ولد سنة ٢١ هـ، مات سنة ١٠٤ هـ. ينظر:
طبقات المفسرين ج ٢: ٣٠٥، معجم رجال الحديث ج ١٤: ١٩٧.

(٢) تفسير الطبري ج ١: ٣٠٣.

بَكَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ
أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾

﴿بَكَى﴾ إثبات لما بعد حرف النفي وهو قوله: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ﴾ أي:
بلى تمسكم النار على سبيل الخلود بدلالة قوله: ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

والسيئة هنا: الشرك، عن ابن عباس ومجاهد وقادة^(١) وغيرهم^(٢)، وهو
الصحيح، لأن ما عدا الشرك لا يستحق به الخلود في النار عندنا.

﴿وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ أي: أهدت به من كل جانب كقوله: ﴿وَإِنَّ
جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾^(٣)، أو أهلكته كقوله: ﴿إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾^(٤)، و﴿وَأُحِيطَ
بِثَمَرِهِ﴾^(٥)، والمراد: سدت عليه طريق النجاة. وقيل: المراد بذلك الإصرار على
الذنب^(٦).

وفي قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا... الآية﴾ وعد لأهل التصديق والطاعة بالثواب
الدائم، كما أوعد قبله أهل الجحود والإصرار على الكبائر الموبقة بالعقاب الدائم.

(١) أبو الخطاب قتادة بن دعامه السدوسي البصري، يعدّ من كبار التابعين، ولد سنة ٦٠ هـ، توفي سنة
١١٧ هـ بواسط. ينظر: وفيات الأعيان ج ٣: ٢٤٨، معجم رجال الحديث ج ١٤: ٧٦.

(٢) ينظر: الدر المنثور ج ١: ٨٥، تفسير الطبري ج ١: ٣٠٥.

(٣) التوبة: ٤٩.

(٤) يوسف: ٦٦.

(٥) الكهف: ٤٢.

(٦) عن عكرمة. معالم التنزيل ج ١: ٣٦.

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ
إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ
حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا
قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾

﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ إخبار في معنى النهي، كما يقال: (تذهب إلى فلان تقول له كذا وكذا)، يراد به الأمر، وهو أبلغ من صريح الأمر والنهي، لأنه كأنه قد سورع إلى امتثاله فأخبر عنه، ويؤيده قراءة عبد الله وأبي: (لا تعبدوا). ولا بد من إرادة القول، ويدل عليه قوله: ﴿وَقُولُوا﴾.

وتقدير قوله: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾: [وتحسنون بالوالدين إحساناً]^(١)، أو أحسنوا.

وقيل: إن قوله: ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ جواب القسم، لأن أخذ الميثاق في معنى القسم، كأنه قيل: وإذ أقسمنا عليهم لا تعبدون^(٢)، وقيل: معناه أن لا تعبدوا، فلما حذف (أن) رفع^(٣)، كقوله:

أَلَا أَيُّهَا الزَّاجِرِيُّ أَحْضَرُ الْوَعَىٰ^(٤)

﴿وَذِي الْقُرْبَىٰ﴾ أي: وبذي القربى أن تصلوا قرابته، وباليتامى أن تعطفوا عليهم بالشفقة والرأفة، وبالمساكين أن تؤتوهم حقوقهم.

(١) ساقطة من ج.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ج ١: ١٦٢.

(٣) معاني القرآن للأخفش ج ١: ١٣٣.

(٤) ديوان طرفة بن العبد: ٣٣، وفيه: ألا أيهذا اللاتمي احضر الوعى وأن أشهد اللذات هل أنت غلدي.

﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ أي: قولاً هو حسن في نفسه لإفراط حسنه. وقرئ: حسناً، وحسنى على المصدر كبرى. وعن الباقر عليه السلام: ((قولوا للناس ما تحبون أن يقال لكم))^(١).

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أي: أدوها بحدودها وأركانها ﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ﴾ أعطوها أهلها.

﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ هذا على طريق الالتفات، أي: توليتم عن الميثاق وتركتموه ﴿وَلَا قَلِيلًا مِّنْكُمْ﴾ وهم الذين أسلموا منهم.

﴿وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ عادتكم الإعراض عن المواثيق.

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ
أَنْفُسَكُمْ مِّنْ دِينِكُمْ ثُمَّ أَقْرَضْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾

﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ أي: لا يفعل ذلك بعضكم ببعض، جعل غير الرجل نفسه إذا اتصل به أصلاً أو ديناً، وقيل: المعنى فيه إنه إذا قتل غيره فكانها قتل نفسه لأنه يقتص منه.

﴿ثُمَّ أَقْرَضْتُمْ﴾ بالميثاق واعترفتم على أنفسكم بلزومه ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ عليها. وقيل: أنتم تشهدون اليوم يا معاشر اليهود على إقرار أسلافكم بهذا الميثاق^(٢).

ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِّنْ دِينِهِمْ تَبْهَتُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُواكُمْ أُسْرَىٰ تَقْتُلُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ

(١) الكافي ج ٢: ١٦٥.

(٢) عن ابن عباس. تفسير الطبري ج ١: ٣١٣.

الْكَتَبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضِ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ
مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَى
أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾

﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ﴾ استبعاد لما أسند إليهم من القتل والإجلاء والعدوان بعد أخذ الميثاق منهم وإقرارهم وشهادتهم، يعني: ثم أنتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون. يعني: إنكم قوم آخرون غير أولئك المقرين تنزيلاً، لتغير الصفة منزلة تغير الذات، كما تقول: رجعت بغير الوجه الذي خرجت به.

وقوله: ﴿تَقْتُلُونَ﴾ بيان لقوله: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ﴾، وقيل: ﴿هَؤُلَاءِ﴾ موصول بمعنى الذين. وقرئ: ﴿تَظَاهَرُونَ﴾ بحذف التاء، وتظاهرون بإدغامها، والأصل تتظاهرون، أي: تتعاونون عليهم.

﴿وَإِنْ يَأْتُواكُمُ أُسْرَى﴾ وقرئ: أسرى ﴿تُفَدُّوهُمْ﴾ أي: وأنتم مع قتلهم من تقتلون منهم إذا وجدتموه أسيراً في أيدي غيركم فديتموهم، وقتلكم وإخراجكم إياهم حرام عليكم كما أن تركهم أسرى في أيدي غيركم حرام عليكم، فكيف تستجيزون قتلهم ولا تستجيزون ترك فدائهم من عدوهم؟! وقرئ: تفدوهم، لأن الفعل بين اثنين.

و﴿هُوَ﴾ ضمير الشأن و﴿مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ خبره، ويجوز أن يكون مبهماً تفسيره ﴿إِخْرَاجُهُمْ﴾.

﴿أَفْتَوْمُنُونِ بِبَعْضِ الْكِتَابِ﴾ أي: بالفداء ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضِ﴾ أي: بالقتال والإجلاء. وذلك أن قريظة كانوا حلفاء الأوس، والنضير كانوا حلفاء الخزرج، فكان كل فريق منهم يقاتل مع حلفائه، فإذا غلبوا خربوا ديارهم

وأخرجوهم، وإذا أسر رجل من الفريقين فدوه.

والخزي: قتل بني قريظة وإجلاء بني النضير، وقيل: الجزية.

﴿وَيَوْمَ أَفْلَحَ يَرْدُونَ إِلَيَّ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ الذي أعدّه الله لأعدائه. وقرئ: (تردّون) و(يعملون) بالتاء والياء.

أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ
الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾

أي: رضوا بـ ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ عوضاً من نعيم الآخرة.

﴿فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ﴾ عذاب الدنيا بنقصان الجزية وكذلك عذاب الآخرة.

﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ أي: لا ينصرهم أحد بالدفع عنهم.

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَفَقَيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ
وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ
أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا
كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾

﴿الْكِتَابَ﴾ التوراة، آتاه إياها جملة واحدة.

﴿وَفَقَيْنَا﴾ أي: أتبعنا، من القفا، وقفاه به: أتبعه إياه، أي: أرسلنا على إثره كثيراً من الرسل، كقوله: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى﴾^(١).

و﴿عِيسَى﴾ بالسريانية: أيشوع، و﴿مَرْيَمَ﴾ بمعنى الخادم.

و﴿الْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات الواضحات كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، والإخبار بالمغيبات.

﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ بالروح المقدسة، كما يقال: حاتم الجود، لأنه لم تضمه الأصلاب و لا أرحام الطوامث. وقيل: بجبرئيل^(١)، وقيل: باسم الله الأعظم الذي كان يحيي الموتى بذكره^(٢).

والمعنى: ولقد آتينا يا بني إسرائيل أنبياءكم ما آتيناهم ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ منهم بالحق ﴿أَسْتَكْبَرْتُمْ﴾ عن الإيمان به، فوسط بين الفاء وما تعلقت به همزة التوبيخ والتعجب من شأنهم، ويجوز أن يريد: ولقد آتيناهم ما [آتيناكم]^(٣) ففعلتم ما فعلتم، ثم وبخهم على ذلك [بقوله]: ﴿فَرِيقًا كَذَّبْتُمْ﴾^(٤).

ودخول (الفاء) لعطفه على المقدّر، ولم يقل: وفريقاً قتلتم، لأنه أريد الحال الماضية، لأنّ الأمر فطيع فأريد استحضاره في النفوس وتصويره في القلوب.

وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾

﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ جمع أغلف، أي: هي خلقت مغشاة بأغطية لا يصل إليها ما جاء به محمد ﷺ ولا تفقهه، مستعار من الأغلف الذي لم يختن، كقولهم: ﴿قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ﴾^(٥).

ثم ردّ الله عليهم بقوله: ﴿بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ أي: ليس ذلك كما زعموا: أنّ قلوبهم خلقت كذلك، لأنها خلقت على الفطرة، لكن الله لعنهم وخذهم بسبب كفرهم وأبعدهم من رحمته.

(١) عن قتادة وغيره. تفسير الطبري ج ١: ٣٢٠.

(٢) عن ابن عباس. تفسير الطبري ج ١: ٣٢٠.

(٣) في ب: آتيناهم.

(٤) ساقطة من أ، ط.

(٥) فصلت: ٥.

﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ فإيماناً قليلاً يؤمنون. و﴿مَا﴾ مزيدة، وهو إيمانهم ببعض الكتاب، ويجوز أن يكون القلة بمعنى العدم.

وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ
يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا
كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾

﴿كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ هو القرآن ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ من الكتب المنزلة - التوراة والإنجيل وغيرهما - لا يخالفها.

وجواب ﴿لَمَّا﴾ محذوف وهو نحو كذبوا به وما أشبهه. وقيل: إن قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ في موضع جواب ﴿لَمَّا﴾ الأول، وكرر ﴿لَمَّا﴾ لطول الكلام، وقيل: إن جواب الثاني أغنى عن جواب الأول.

﴿وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يستنصرون على المشركين إذا قاتلوهم، يقولون: اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته في التوراة، وكانوا يقولون: قد أظّل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا، فنقتلكم معه قتل عاد وإرم.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا﴾ من الحق ﴿كَفَرُوا بِهِ﴾ بغياً وحسداً وحرصاً على الرئاسة.

﴿فَلَعْنَةُ اللَّهِ﴾ أي: غضبه وعذابه ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ أي: عليهم، وضع الظاهر موضع الضمير.

يَسْأَلُ أَن يُنَزَّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا
بِئْسَمَا اسْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ

يَغْضَبُ عَلَىٰ عَصَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا
 قِيلَ لَهُمْ امْنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمُنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا
 وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ، وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ
 فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾

(ما) نكرة منصوبة مفسرة لفاعل (بئس)، أي: بئس شيئاً ﴿أَشْرَوْا يَوْمَ
 أَنْفُسَهُمْ﴾ والمخصوص بالذم ﴿أَنْ يَكْفُرُوا﴾، و﴿أَشْرَوْا﴾ بمعنى باعوا.
 ﴿بَغْيًا﴾ أي: حسداً وطلباً لما ليس لهم، وهو مفعول له.

﴿أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ مِنْ قَصْبِهِ﴾ أي: على أن ينزل الله من فضله الذي هو الوحي
 والنبوة ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ وتقتضي حكمته إرساله.

﴿فَبَاءُوا يَغْضَبُ عَلَىٰ عَصَبٍ﴾ فصاروا أحقاء لغضب متوال، لأنهم كفروا
 بنبي الحق وبغوا عليه، وقيل: بكفرهم بمحمد ﷺ بعد عيسى عليه السلام^(١).

وقوله: ﴿بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ مطلق في كل كتاب أنزله الله، وقوله: ﴿بِمَا
 أَنْزَلَ عَلَيْنَا﴾ مقيد بالتوراة.

﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾ أي: قالوا ذلك والحال أنهم يكفرون بما وراء
 التوراة ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ منها غير مخالف له. وفيه رد لمقاتلهم، لأنهم
 إذا كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا بها.

﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ اعتراض عليهم
 بقتلهم الأنبياء مع ادعائهم الإيمان بالتوراة، والتوراة لا ترخص في قتل الأنبياء.

وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ
وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢﴾

يعني: ﴿جَاءَكُمْ مُوسَى﴾ بالمعجزات الدالة على صدقه.
﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ إلهاً معبوداً من بعد مجيئه، أو من بعد موسى لما مضى
إلى ميقات ربه.

﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ وأنتم واضعون العبادة في غير موضعها، فتكون
الجملة حالاً؛ أو تكون اعتراضاً، بمعنى: وأنتم قوم عادتكم الظلم.

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا
مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا
فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ يَسْمَايَا مُرْكُم
بِهِ إِيْمَنُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾

كرر سبحانه ذكر الطور ورفع فوقهم، لما في الثانية من الزيادة غير المذكورة
في الأولى مع ما فيه من التوكيد.

﴿وَأَسْمِعُوا﴾ لما أمرتم به في التوراة.

﴿قَالُوا سَمِعْنَا﴾ قولك ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمرك.

﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ أي: تغلغل في بواطنهم وتداخلها حب
العجل والحرص على عبادته، كما يتداخل الثوب الصبغ. وقوله: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾
بيان لمكان الإشراب، كقوله: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾^(١).
﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ أي: بسبب كفرهم.

﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ﴾ بالتوراة، لأنه ليس في التوراة عبادة العجل، وإضافة الأمر إلى إيمانهم تهكم، كما قال قوم شعيب: ﴿أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ﴾^(١)، وكذلك إضافة الإيمان إليهم.

وقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ تشكيك في إيمانهم، وقدح في صحة دعواهم له.

قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ أَلْدَارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ

النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥﴾

﴿خَالِصَةً﴾ نصب على الحال من ﴿الْدَارُ الْآخِرَةُ﴾ والمراد الجنة، أي:

خالصة لكم خاصة بكم ليس لأحد سواكم فيها حق كما تزعمون في قولكم: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا﴾^(٢).

و﴿النَّاسِ﴾ للجنس، وقيل: للعهد وهم المسلمون^(٣).

﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ﴾ لأن من أيقن أنه من أهل الجنة اشتاق إليها وتمنى سرعة

الوصول إلى نعيمها، كما روي: أَنَّ عَلِيًّا ؓ كَانَ يَطُوفُ بَيْنَ الصَّفَيْنِ بِصَفَيْنِ فِي غِلَالَةٍ^(٤)، فقال له ابنه الحسن ؓ: ((ما هذا بزيِّ المحاربين))!، فقال: ((يا بني لا يبالي أبوك على الموت سقط، أم عليه سقط الموت))^(٥). ويروى: أَنَّ حَبِيبَ

(١) هود: ٨٧.

(٢) البقرة: ١١١.

(٣) عن ابن عباس. تفسير الطبري ج ١: ٣٣٨.

(٤) الغلالة: شعار يلبس تحت الثوب وتحت الدرع أيضاً. (الصحاح: مادة غلل)

(٥) الكشف ج ١: ١٦٦.

بن مظاهر^(١) ضحك يوم الطف^(٢)، فقليل له في ذلك، فقال: (وأي موضع أحق بالسرور من هذا الموضع؟! والله ما هو إلا أن يقبل علينا هؤلاء القوم بسيوفهم فنعانق الحور العين)^(٣).

وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿١٥﴾

هذا من المعجزات لآته إخبار بالغيب، وكان كما أخبر به، وفي الحديث: ((لو تمتوا الموت لغص كل إنسان منهم بريقه فمات مكانه، وما بقي على وجه الأرض يهودي))^(٤).

﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: بما أسلفوا من موجبات النار من تحريف كتاب الله، والكفر بمحمد ﷺ، وغير ذلك من أنواع الكفر. والتمني: قول الإنسان بلسانه: ليت لي كذا.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ تهديد لهم.

وَلَنَجْذِبَهُمْ إِلَىٰ أَرْضِ الْكَافِرِ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوْمَ
أُحُدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرَزَّحٍ مِنْهُ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ
يُعَمَّرُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾

هو من (وجدت) بمعنى (علمت) في قولهم: وجدت زيدا ذا الحفاظ،

(١) حبيب بن مظاهر - وقيل: مظهر - الأسدي، أدرك النبي ﷺ وعمر حتى قتل مع الحسين ﷺ. ينظر: الإصابة ج ١: ٣٧٣، معجم رجال الحديث ج ٤: ٢٢٧.

(٢) الطف: أرض من ضاحية الكوفة في طريق البرية، فيها كان مقتل الحسين ﷺ يوم العاشر من محرم سنة ٦١ هـ. معجم البلدان ج ٤: ٣٦.

(٣) رجال الكشي ج ١: ٧٩.

(٤) الكشف والبيان ج ١: ٢٣٧.

ومفعولاه ﴿هُم﴾ و﴿أَحْرَصَ النَّاسِ﴾. ونكر ﴿حَيَوَ﴾ لأنه أراد على حياة مخصوصة متطاولة.

﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ محمول على المعنى، لأن معنى ﴿أَحْرَصَ النَّاسِ﴾: أحرص من الناس، وجاز ذلك وإن دخل الذين أشركوا تحت الناس، لأنهم أفردوا بالذكر من جهة أن حرصهم أشد. ويجوز أن يراد: وأحرص من الذين أشركوا، فحذف لدلالة ﴿أَحْرَصَ النَّاسِ﴾ عليه. وفيه توبيخ شديد، لأن حرص المشركين على الحياة غير مستبعد لأنها جنتهم ولم يؤمنوا بعاقبة، فإذا زادوا عليهم في الحرص وهم مقرّون بالجزاء كانوا أحقاء بأعظم التوبيخ.

وقيل: أراد بالذين أشركوا المجوس لأنهم كانوا يقولون للموكلهم: (عش ألف نيروز - هزار سال بري).^(١)

وقيل: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ كلام مبتدأ، أي: ومنهم ناس. ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ﴾ على حذف الموصوف، كقوله: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾^(٢).

والضمير في ﴿وَمَا هُوَ﴾ لأحدهم، و﴿أَن يُعَمَّرَ﴾ فاعل لـ ﴿يُزَحْزَحُهُ﴾ أي: وما أحدهم بمزحزحه من العذاب تعميره. وقيل: الضمير لما دلّ عليه ﴿يُعَمَّرَ﴾ من مصدره، و﴿أَن يُعَمَّرَ﴾ بدل منه، ويجوز أن يكون ﴿هُوَ﴾ مبهماً و﴿أَن يُعَمَّرَ﴾ مبيّنه. والزحزحة: التنحية والتبعيد.

وقوله: ﴿لَوْ يُعَمَّرُ﴾ في معنى التمتي، وكان القياس: لو أعمار، إلا أنه أجري على لفظ الغيبة لقوله: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ﴾ كقولك: حلف بالله ليفعلن، فقوله: ﴿لَوْ

(١) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج ١: ٣٤٠.

(٢) الصافات: ١٦٤.

يُعَمَّرُ ﴿ حكاية لودادتهم .

قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ
مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾
مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَلَ
فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٧٨﴾

روي: أنَّ عبد الله بن سوريا - وهو من أخبار فذك^(١) - سأل رسول الله ﷺ
عمن يهبط عليه بالوحي، فقال: جبرئيل، فقال: ذاك عدونا ولو كان غيره لآمنا
بك، فنزلت جواباً لقوله ورداً عليه^(٢).

﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿مَنْ﴾ عادى جبرئيل من أهل الكتاب ﴿فَإِنَّهُ﴾ نزل
القرآن. أضمر ما لم يسبق ذكره، وفيه فخامة لشأنه، إذ جعله لفرط شهرته كأنه
يدل على نفسه.

﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾ أي: حفظه إيتاك وفهمكه بإذن الله، أي: بتيسيره وتسهيله.
والمعنى: أنه لا وجه لمعاداته حيث نزل كتاباً ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب
فيكون مصدقاً لكتابهم، فلو أنصفوا لأحبوه وشكروا له صنيعه في إنزاله ما يصحح
الكتاب المنزل عليهم.

﴿وَهُدًى وَبُشْرَى﴾ أي: وهادياً ومبشراً ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ بالنعيم الدائم.
وإنها أعاد ذكر جبرئيل وميكائيل بعد ذكر الملائكة لفضلهما، فأفردهما بالذكر
كأنهما من جنس آخر، وهو مما ذكر: أنَّ التغاير في الوصف ينزل منزلة التغاير في

(١) فذك: قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان، وقيل: ثلاثة، أفاءها الله على رسوله ﷺ سنة سبع
للهجرة صلحاً. معجم البلدان ج ٤: ٢٣٨.

(٢) أسباب النزول: ٢٦.

الذات. [الصادق عليه السلام] ^(١) كان يقرأ جبريل وميكال بغير همزة.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ أراد عدو لهم، وضع الظاهر موضع الضمير ليدل على أنه سبحانه إنما عاداهم لكفرهم، وأن عداوة الملائكة كفر.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ
 ﴿١١﴾ أَوْكَلِمَا عَهْدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا
 يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾

﴿ءَايَاتٍ﴾ أي: معجزات ظاهرات واضحات ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا﴾ المتمردون من الكفرة، وعن الحسن: (إذا استعمل الفسق في نوع من المعاصي وقع على أعظم ذلك النوع من كفر وغيره) ^(٢).

واللام في ﴿الْفَاسِقُونَ﴾ للجنس، والأولى أن تكون إشارة إلى أهل الكتاب.

﴿أَوْكَلِمَا﴾ الواو للعطف على محذوف، معناه: أكفروا بالآيات البينات ﴿وَكَلِمَا عَهْدُوا﴾. واليهود موصوفون بنقض العهد قال سبحانه: ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ﴾ ^(٣). والنبد: الرمي بالشيء ورفضه.

وقال: ﴿فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ لأن منهم من لم ينقض.

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بالتوراة وليسوا من الدين في شيء، فلا يبالون بنقض الميثاق ولا يعدونه ذنباً.

(١) في ب: حفص.

(٢) التبيان ج ١: ٣٦٥ بالمعنى.

(٣) الأنفال: ٥٦.

وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ
نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ
كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١١١﴾

﴿كِتَابَ اللَّهِ﴾ يعني: التوراة، لأنهم بكفروهم برسول الله المصدق لها
كافرون بها نابذون لها، أو يريد القرآن نبذوه بعد أن لزمهم أن يتلقوه بالقبول.
﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنه كتاب الله، يعني: إنهم يعلمون ذلك ولكنهم
يكابرون ويعاندون.

ونبذوه ﴿وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ مثل لتركهم وإعراضهم عنه.

وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ وَمَا كَفَرُوا
سُلَيْمَنَ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعْلَمُونَ النَّاسَ
السَّحَرِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هُمُوتَ وَهُوتَ
وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ
فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ
وَمَا هُمْ بِبَصَّارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا يَأْذِنُ اللَّهُ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا
يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ
فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَئِنَّ مَا شَكَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ
لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١١٢﴾

المعنى: إن هذا الفريق المذكور من اليهود نبذوا كتاب الله.

﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾ أي: واتبعوا كتب السحر التي كانت تقرأها
الشياطين ﴿عَلَىٰ﴾ عهد ﴿مُلْكٍ سُلَيْمَنَ﴾ وفي زمانه، وكانوا يقولون: هذا علم

سليمان، وبه يسخر الجن والإنس والريح.

﴿وَمَا كَفَرُ سُلَيْمَنُ﴾ هذا تكذيب للشياطين ودفع لما بهتوه به من العمل بالسحر وسماء كفراً.

﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ﴾ هم الذين ﴿كَفَرُوا﴾ باستعمال السحر وتدوينه في كتب يقرؤونها ويعلمونها ﴿النَّاسَ﴾ يقصدون بذلك إغواءهم.

﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾ قيل: هو عطف على ﴿مَا تَنَلَّوْا﴾ أي: واتبعوا ما أنزل على الملكين ﴿بِبَابِلَ﴾.

﴿هَٰذِهِم مَّوَدَّةُ الْغِيَاثِ﴾ عطف بيان للملكين علمان لهما، والذي أنزل عليهما علم السحر ابتلاء من الله للناس، من تعلمه منهم وعمل به كان كافراً، ومن تجنبه أو تعلمه لأن لا يعمل به ولكن ليتوقاه كان مؤمناً، كما ابتلي قوم طالوت بالنهر ﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي﴾^(١).

﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾ أي: وما يعلم الملكان أحداً ﴿حَقًّا﴾ يبتهاه و﴿يَقُولَا﴾ له ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ أي: ابتلاء واختبار من الله ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾ أي: فلا تتعلم معتقداً أنه حق فتكفر.

﴿فَيَتَعَلَّمُونَ﴾ الضمير لما دلّ عليه من أحد، أي: فيتعلم الناس من الملكين ﴿مَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْغَيْرِ وَالْحَلَالِ﴾ أي: علم السحر الذي يكون سبباً في التفريق بين الزوجين من حيلة وتمويه كالنفث في العقد ونحو ذلك مما يحدث الله عنده الفرق^(٢) والنشوز والخلاف ابتلاء منه.

(١) البقرة: ٢٤٩.

(٢) الفرق - بالكسر -: البغض. (الصاحح: مادة فرق)

﴿وَمَا هُمْ بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ لآتِه رَبَّنَا يحدث الله عنده فعلاً من أفعاله وربَّنَا لم يحدث.

﴿وَيَنْتَعِمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ لأنهم يقصدون به الشر.

﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا﴾ أي: علم هؤلاء اليهود.

﴿لَمَنِ اشْرَيْتَهُ﴾ أي: استبدل ﴿مَا تَنْلُوا الشَّيْطَانِ﴾ على كتاب الله ﴿مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ أي: نصيب.

﴿وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ أي: باعوها.

﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أي: يعملون بعلمهم، جعلهم حين لم يعملوا كأنهم لم يعلموا.

﴿لَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا

يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾

يريد ﴿لَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا﴾ برسول الله ﴿وَاتَّقَوْا﴾ الله فتركوا ما هم عليه من نبد كتاب الله واتباع كتب الشياطين ﴿لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ﴾ أي: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أن ثواب الله خير مما هم فيه، وقد علموا ولكنه سبحانه جهلهم لتركهم العمل بالعلم.

وجواب ﴿لَوْ﴾ قوله: ﴿لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ﴾. وإنما أوثرت الجملة الاسمية على الفعلية، لما في ذلك من الدلالة على ثبات المثوبة واستقرارها. والمعنى: لشيء من الثواب خير لهم. وقيل: إن جواب ﴿لَوْ﴾ محذوف يدل الكلام عليه أي: لائيبيوا.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا
وَأَسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾

كان المسلمون يقولون لرسول الله ﷺ: إذا ألقى إليهم شيئاً من العلم: ﴿رَاعِنَا﴾ يا رسول الله، أي: راقبنا وانتظرنا حتى نفهمه ونحفظه، وكانت لليهود كلمة يتسابقون بها وهي (راعيانا)، فلما سمعوا بقول المسلمين: ﴿رَاعِنَا﴾، افترصوه وخاطبوا الرسول به وهم يعنون تلك اللفظة عندهم، فهي المؤمنون عنها وأمروا بما هو في معناها وهو ﴿انْظُرْنَا﴾ من نظره: إذا انتظره.

﴿وَأَسْمَعُوا﴾ وأحسنوا سماع ما يكلمكم به النبي ﷺ بأذان واعية حتى لا تحتاجوا إلى الاستعادة وطلب المراجعة، أو واسمعوا سماع قبول وطاعة ولا يكن مثل سماع اليهود حيث قالوا: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾^(١).

﴿وَلِلْكَافِرِينَ﴾ أي: ولليهود الذين سبوا رسول الله ﷺ ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: مؤلم.

مَا يَوْذُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ
يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ
مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾

﴿مَنْ﴾ الأولى للبيان، لأن ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ جنس تحته نوعان: ﴿أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ والمشركون، والثانية مزيدة للاستغراق، والثالثة لابتداء الغاية. والخير: الوحي، وكذلك الرحمة كقوله: ﴿أَنْهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾^(٢).

(١) البقرة: ٩٣.

(٢) الزخرف: ٣٢.

والمعنى: إِنَّ الْيَهُودَ وَالْمَشْرِكِينَ يَرُونَ أَنْفُسَهُمْ أَحَقَّ بِالْوَحْيِ فَيَحْسُدُونَكُمْ، وَمَا يَحْتَوْنَ ﴿أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ شَيْءٌ مِنَ الْوَحْيِ.

﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ﴾ بِالنَّبْوَةِ ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ وَلَا يَشَاءُ إِلَّا مَا تَقْتَضِيهِ الْحِكْمَةُ.

﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ إِذْ بَانَ بِأَنْ يُتَاءَ النَّبْوَةُ مِنَ الْفَضْلِ الْعَظِيمِ، كَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾^(١).

مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾

نسخ الآية: إزالتها بإبدال أخرى مكانها، وإنساخها: الأمر بنسخها، ونسؤها: تأخيرها وإذهابها لا إلى بدل، وإنساؤها: أن يذهب بحفظها عن القلوب.

والمعنى: إِنَّ كُلَّ آيَةٍ نَذِبَ بِهَا عَلَى مَا تَوَجَّهَ الْحِكْمَةُ وَتَقْتَضِيهِ الْمَصْلَحَةُ مِنْ إِزَالَةٍ لِفُظِّهَا وَحُكْمِهَا مَعًا، أَوْ مِنْ إِزَالَةٍ أَحَدِهِمَا إِلَى بَدَلٍ، أَوْ لَا إِلَى بَدَلٍ ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا﴾ لِلْعِبَادَةِ أَيُّ: بِأَيَّةِ الْعَمَلِ بِهَا أَحْزَرَ لِلثَّوَابِ ﴿أَوْ مِثْلَهَا﴾ فِي ذَلِكَ الثَّوَابِ.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى الْخَيْرِ، وَمَا هُوَ خَيْرُ مِنْهُ، وَعَلَى مِثْلِهِ فِي ذَلِكَ، وَ﴿أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فَهُوَ يَمْلِكُ تَدْبِيرَكُمْ وَيَجْرِيهِ عَلَى حَسَبِ مَصَالِحِكُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَتَعَبَّدُكُمْ بِهِ مِنْ نَاسِخٍ وَمَنْسُوخٍ.

﴿وَمَا لَكُمْ﴾ سِوَى ﴿اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ يَقُومُ بِأُمُورِكُمْ ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ أَيُّ:

نَاصِرٌ يَنْصُرُكُمْ.

أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ
وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾

لما بين سبحانه أنه مدبر أمورهم، أراد أن يوصيهم بالثقة به فيما هو أصلح لهم مما يتعبدون به، وأن لا يقترحوا على رسولهم ما اقترحت عليه آباء اليهود على موسى من الأشياء التي كانت عقباها وبالا عليهم، كقولهم: ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ جَهْرَةٌ﴾^(١) وغير ذلك.

﴿وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾ بأن ترك الثقة بالآيات وشك فيها واقترح غيرها، ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أي: ذهب عن قصد الطريق واستقامته.

وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُم مِّنْ بَعْدِ
إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ
لَهُمُ الْحَقُّ فَأَعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ إِنَّ اللَّهَ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾

معناه: تمنى ﴿كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ كحبي بن أخطب وكعب بن الأشرف وأمثالهما.

﴿لَوْ يَرُدُّوكُم﴾ على معنى: أن يردوكم يا معشر المؤمنين، أي: يرجعوكم ﴿مِّنْ بَعْدِ إِيْمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا﴾ منهم لكم بما أعد الله لكم من الثواب والفضل. وانتصب ﴿حَسَدًا﴾ بأنه مفعول له.

وتعلق قوله: ﴿مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ﴾ بـ ﴿وَدَّ﴾ أي: ودوا ذلك وتمنوه من قبل أنفسهم وشهواتهم لا من قبل الميل مع الحق، لأنهم ودوا ذلك ﴿مِّنْ بَعْدِ مَا

بَيَّنَ لَهُمْ ﴿ أَنْكُمْ عَلَىٰ ﴿ الْحَقِّ ﴾ ﴾ فكيف يكون تمتيهم من قبل الحق؟! ويجوز أن يتعلق بـ ﴿ حَسَدًا ﴾ أي: حسداً من أصل نفوسهم فيكون على طريق التوكيد.

﴿ فَأَعْفُوا وَأَصْفَحُوا ﴾ أي: فاسلكوا معهم سبيل العفو والصفح عما يكون منهم من الجهل والعداوة ﴿ حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ﴾ الذي هو قتل بني قريظة، وإجلاء بني النضير، وإذلال من سواهم من اليهود بضرب الجزية عليهم.
﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ فهو يقدر على الانتقام منهم.

وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ
تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾

لما أمر سبحانه المسلمين بالصفح عنهم، عقبه بالأمر بالصلاة والزكاة ليستعينوا بهما على ما شقَّ عليهم من شدة عداوة اليهود لهم كما قال: ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾ (١).

وما تقدّموا ﴿ مِنْ خَيْرٍ ﴾ من صلاة أو صدقة أو غيرها من الطاعات ﴿ تَجِدُوهُ ﴾ أي: تجدوا ثوابه ﴿ عِنْدَ اللَّهِ ﴾.

﴿ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ عالم لا يضيع عنده عمل عامل.

وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ
تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١٣﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٤﴾

الضمير في ﴿ قَالُوا ﴾ لأهل الكتاب، والمعنى: وقالت اليهود: ﴿ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ

إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا ﴿١﴾ وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان ﴿نَصْرَى﴾، فلف بين القولين ثقة بأن السامع يرد إلى كل فريق قوله، وأمننا من الالتباس لما علم من الخلاف بين الفريقين، ونحوه قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾^(١).

والهود جمع الهائد، ووحد اسم ﴿كَانَ﴾ حملاً على لفظ ﴿مَنْ﴾ في قوله: ﴿مَنْ كَانَ هُودًا﴾، وجمع خبره حملاً على معناه.

﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ إشارة إلى أمانيتهم أن لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم، وأمانيتهم أن يردوهم كفاراً، وأمانيتهم أن لا يدخل الجنة غيرهم. أي: تلك الأمانى الكاذبة أمانيتهم.

﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ أي: حجتكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في قولكم: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَى﴾. وفي هذا دليل على أن كل قول لا دليل عليه فهو باطل. وهات بمعنى أحضر.

﴿بَلَى﴾ إثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة.

﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ أي: من أخلص نفسه لله لا يشرك به غيره ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ في عمله ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ﴾ الذي يستوجه.

ويجوز أن يكون ﴿مَنْ أَسْلَمَ﴾ مبتدأ، ويكون ﴿مَنْ﴾ متضمناً معنى الشرط، وجوابه ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ﴾؛ ويجوز أن يكون فاعلاً لفعل محذوف، أي: ﴿بَلَى﴾ يدخلها ﴿مَنْ أَسْلَمَ﴾، ويكون ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ﴾ معطوفاً على يدخلها ﴿مَنْ أَسْلَمَ﴾.

وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ

لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۖ قَالَ لَهُمُ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا
كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾

﴿عَلَى شَيْءٍ﴾ مبالغة عظيمة، أي: ليسوا على شيء يصح ويعتد به، كقولهم:
أقل من لا شيء.

﴿وَهُمْ يَنْتَلُونَ الْكِتَابَ﴾ الواو للحال والكتاب للجنس، أي: قالوا ذلك
وحالهم أنهم من أهل العلم والتلاوة للكتب.

﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل ذلك الذي سمعت به وعلى ذلك المنهاج ﴿قَالَ﴾
الجهلة ﴿الَّذِينَ﴾ لا علم عندهم ولا كتاب، كعبدة الأوثان والدهرية ونحوهم
قالوا لأهل كل دين: ليسوا على شيء. وهذا توبيخ لهم حيث نظموا نفوسهم - مع
علمهم - في سلك من لا يعلم.

﴿قَالَ لَهُمُ اللَّهُ﴾ بين اليهود والنصارى ﴿بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ
يَخْتَلِفُونَ﴾ فيريهم من يدخل الجنة ومن يدخل النار عياناً.

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ ۖ وَسَعَىٰ فِي
حَرَابِهَا ۖ أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ
فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾

﴿أَنْ يُذَكَّرَ﴾ في موضع النصب بأنه المفعول الثاني لـ ﴿مَنَعَ﴾، تقول: منعه
كذا، ومثله: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا﴾^(١)، ويجوز أن يكون منصوباً بأنه مفعول
له بمعنى: منعها كراهة أن يذكر.

وهو حكم عام في جنس ﴿مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾، وأن مانعها من ذكر الله في غاية الظلم.

وروي عن الصادق عليه السلام: ((أَنَّ المَرَادَ بِذَلِكَ: قَرِيشٌ، حِينَ مَنَعُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دُخُولَ مَكَّةَ وَالْمَسْجِدَ الْحَرَامَ عَامَ الْحَدِيثِ))^(١)، وبه قال بعض المفسرين^(٢). وقال بعضهم: إنهم الروم، غزوا بيت المقدس وسعوا في خرابه إلى أن أظهر الله المسلمين عليهم في أيام عمر، فصاروا لا يدخلونها إلا خائفين يتهيبون المؤمنين أن يبطشوا بهم^(٣).

وعلى القول الأول فقد روي: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ أَنْ ينادى: أَلَا لَا يَحْجَرَنَّ بَعْدَ هَذَا الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفَنَّ بِالْبَيْتِ عَرِيَانٌ^(٤).

فالمعنى: ﴿أَوَلَيْكَ﴾ المانعون ﴿مَا كَانَ لَهُمْ﴾ في حكم الله ﴿أَنْ﴾ يدخلوا مساجد الله ﴿إِلَّا خَائِفِينَ﴾، لأن الله تعالى قد حكم وكتب في اللوح أنه يعز الدين، وينصر عليهم المؤمنين.

﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ أي: قتل وسبي، أو ذلة بضرب الجزية عليهم. وقيل: بفتح مدائنه قسطنطينية ورومية عند قيام المهدي عليه السلام^(٥).

﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في نار جهنم.
 وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ

﴿وَلِلَّهِ﴾ بلاد ﴿الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ والأرض كلها هو مالها.
 ﴿فَأَيْنَمَا تُولُوا﴾ أي: ففي أي مكان فعلتم التولية، يعني: تولية وجوهكم

(١) تفسير القمي ج ١: ٥٨ وفيه: ((...دخول مكة)).

(٢) عن ابن زيد. تفسير الطبري ج ١: ٣٩٧.

(٣) عن مجاهد وغيره. الدر المنثور ج ١: ١٠٨.

(٤) الكشف والبيان ج ١: ٢٦٢.

(٥) عن السدي. تفسير الطبري ج ١: ٣٩٩.

شطر القبلة، بدليل قوله: ﴿قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ... الآية﴾^(١).

﴿فَتَمَّ وَجْهَهُ اللَّهُ﴾ أي: جهته التي أمر بها ورضيها، والمعنى: إذا منعتم أن تصلّوا في المسجد الحرام فقد جعلت لكم الأرض مسجداً، فصلّوا في أي بقعة شتم من بقاعها، وافعلوا التولية فيها، فإن التولية لا تختص بمسجد دون مسجد. ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ واسع الرحمة يريد التوسعة على عباده والتيسير عليهم ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بمصالحهم.

وقيل: إنها نزلت في صلاة التطوع على الراحلة للمسافر أينما توجهت راحلته^(٢)، وهو المروي عنهم^(٣).

وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
كُلُّ لَّهُ قَنِينٌ ﴿١٣﴾ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا
فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١٤﴾

ثم ردّ الله على اليهود والنصارى قولهم: ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ وهم الذين قالوا: ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾^(٤) و﴿عَزَّى ابْنُ اللَّهِ﴾^(٥)، وعلى من قال: الملائكة بنات الله. ﴿سُبْحَنَهُ﴾ تنزيه له عن ذلك وتبعيد.

﴿بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وهو خالقه ومالكه، ومن جملة الملائكة وعزير والمسيح.

(١) البقرة: ١٤٩.

(٢) الكشف والبيان ج ١: ٢٦٢.

(٣) ينظر: الوسائل ج ٣ باب ١٥ من أبواب القبلة.

(٤) كما أخبر عنهم عز وجل في قوله: ﴿وَقَالَتِ الْنَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ التوبة: ٣٠.

(٥) كما أخبر عنهم عز وجل في قوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزَّى ابْنُ اللَّهِ﴾ التوبة: ٣٠.

﴿كُلُّ لَهٗ قَنِينٌ﴾ مطيعون منقادون لا يمتنع شيء منهم عن تقديره وتكوينه ومشيتته، ومن كان بهذه الصفة لم يجانس، ومن حق الولد أن يكون من جنس الوالد.

والتنوين في ﴿كُلُّ﴾ عوض من المضاف إليه، أي: كل من في السماوات والأرض، وجاء بلفظة ﴿مَا﴾ دون (من) كقولهم: سبحان ما سخر كن لنا. ويقال: بدع الشيء فهو بديع، و﴿يَدِيعُ السَّمَوَاتِ﴾ من إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها، أي: بديع سماواته وأرضه، وقيل: هو بمعنى المبدع^(١).

وقوله: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ أي: أحدث فيحدث، وهو من (كان) التامة، وهذا تمثيل ولا قول هناك. والمعنى: إن ما قضاه من الأمور وأراد كونه، يتكون ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف، كالمأمور المطيع إذا أمر لا يتوقف. أكد بهذا استبعاد الولادة، لأن من كانت هذه صفته في كمال القدرة، فحاله مبينة لحال الأجسام في توالدها.

وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ
كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَّهَتْ
قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾

أي: ﴿وَقَالَ﴾ الجاهلون من المشركين، وقيل: من أهل الكتاب^(٢)، نفى عنهم العلم لأنهم لم يعملوا به.

﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾ أي: هلا يكلمنا كما يكلم الملائكة وكلم موسى،

(١) عن السدي وغيره. تفسير الطبري ج ١: ٤٠٤.

(٢) عن مجاهد: النصاري، وعن ابن عباس: اليهود. تفسير الطبري ج ١: ٤٠٧.

استكباراً منهم وعتواً.

﴿أَوْ تَأْتِيَنَا آيَةٌ﴾ هذا جحود منهم لأن يكون ما آتاهم من آيات الله آيات.

﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ حيث اقترحوا الآيات على موسى عليه السلام.

﴿شَبَّهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى كقوله سبحانه: ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ﴾^(١).

﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ﴾ ينصفون فـ ﴿يُوقِنُونَ﴾ أنها آيات يجب الاعتراف بها والاكفاء بوجودها عن غيرها.

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنْ أَلَمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٤﴾

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ﴾ لأن تبشّر وتندر لا لتجبر على الإيمان، وهذه تسلية له عليه السلام لثلاث يضيق صدره بإصرارهم على الكفر، ولا نسألك ﴿عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ ما لهم لم يؤمنوا بعد أن بلغت واجتهدت في الدعوة. وأما قراءة نافع^(٢): (وَلَا تَسْأَلُ) فهو على النهي، وقيل: إن معناه تفخيم الشأن كما يقول القائل: لا تسأل عن حال فلان، أي: قد صار إلى أكثر مما تريده، أو أنت لا تستطيع استماع خبره.

(١) الذاريات: ٥٣.

(٢) أبو رويم نافع بن عبد الرحمن الشجعي المقرئ، كان إمام أهل المدينة في القراءة، توفي بالمدينة سنة ١٦٩ هـ، وقيل غير ذلك. ينظر: وفيات الأعيان ج ٥: ٥.

وكان اليهود قالوا للنبي: لن نرضى عنك. وإن طلبت رضانا بجهدك. حتى تتبع ملتنا، فحكى الله كلامهم، ولذلك قال: ﴿قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ أَهْدَىٰ﴾ جواباً لهم عن قولهم، يعني: إن هدى الله الذي هو الإسلام هو الهدى الحق والذي يصح أن يسمى هدى.

﴿وَلَيْنِ اتَّبَعْتَ أَقْوَاهُم الَّتِي هِيَ أَهْوَاءُ وَبَدْعُ﴾
﴿بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ أي: من الدين المعروف صحته بالدلائل والبراهين.

الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ۖ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ ۚ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٢١﴾

يعني: الذين آمنوا من جملة أهل الكتاب ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ لا يحرفونه ولا يغيرون ما فيه من نعت رسول الله ﷺ. الصادق عليه السلام قال: ((إن حق تلاوته هو الوقوف عند ذكر الجنة والنار))^(١)، يسأل في الأولى ويستعيد في الأخرى.

﴿أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ﴾ بكتابهم دون المحرفين.
﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِ﴾ من المحرفين ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ حيث اشتروا الضلالة بالهدى.

يَبْنَیْ إِسْرَءِیْلَ أَذْکُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفْعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾

قد تقدّم مثل الآيتين^(١)، ولما بعد ما بين الكلامين حسن الإعادة والتكرير، إبلاغاً في التنبيه والاحتجاج، وتأكيداً للتذكير.

وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ
وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾

العامل في ﴿إِذْ﴾ مضمّر نحو اذكر ﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: اختبر إبراهيم ﴿رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ بأوامر ونواه. واختبار الله عبده مجاز عن تمكينه من اختيار أحد الأمرين: ما يريده الله، وما يشتهي العبد، كأنه يمتحنه ليعرف ما يكون منه حتى يجازيه على حسب ذلك.

﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ أي: فقام بهن حق القيام، وأداهن حق التأدية من غير تفريط وتقصير. أو يكون تقديره: وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات كان كيت وكيت. ويجوز أن يكون العامل في ﴿إِذْ﴾ قوله: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ﴾.

ويكون على القول الأول قد استؤنف الكلام، كأنه قيل: فماذا قال له ربه حين أتم الكلمات؟ فقيل: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾؛ وعلى الثاني هي جملة معطوفة على ما قبلها، أو يكون بياناً وتفسيراً لقوله: ﴿ابْتَلَىٰ﴾ فيراد بالكلمات ما ذكره من الإمامة.

وقيل في (الكلمات): هي خمس في الرأس: الفرق، وقصّ الشارب، والسواك، والمضمضة، والاستنشاق؛ وخمس في البدن: الختان، والاستحداد، والاستنجاء، وتقليم الأظفار، ونف الإبط^(٢). وقيل: (هي ثلاثون خصلة من شرائع الإسلام:

(١) ينظر: تفسير الآيتين ٤٧، ٤٨ من السورة.

(٢) عن ابن عباس برواية طاوس. تفسير الطبري ج ١: ٤١٤.

عشر في براءة: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ﴾^(١)، وعشر في الأحزاب: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾^(٢)، وعشر في المؤمنون^(٣)، وسأل سائل إلى قوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾^(٤)^(٥)، وقيل: هي مناسك الحج^(٦)، وقيل: هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه، وهي أسماء محمد وأهل بيته عليه وعليهم السلام، عن الصادق عليه السلام^(٧).

والإمام اسم من يؤتم به، جعله سبحانه إماماً يأتمون به في دينهم، ويقوم بتدبيرهم وسياسة أمورهم.

وقوله: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ عطف على الكاف، كأنه قال: وجاعل بعض ذريتي؟ كما يقال لك: ساكرمك، فتقول: وزيداً؟.

﴿قَالَ لَا يَنْتَهِ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ أي: من كان ظالماً من ذريتك لا يناله استخلافي وعهدي إليه بالإمامة، وإنما ينال من لا يفعل ظلماً. وهذا يدل على وجوب العصمة للإمام، لأن من ليس بمعصوم فقد يكون ظالماً إما لنفسه وإما لغيره.

(١) التوبة: ١١٢.

(٢) الأحزاب: ٣٥.

(٣) المؤمنون: ٩.

(٤) المعارج: ٣٤.

(٥) عن ابن عباس برواية عكرمة. تفسير الطبري ج ١: ٤١٤، وهي - كما ترى - أربعون وليست ثلاثين.

(٦) عن ابن عباس برواية قتادة. تفسير الطبري ج ١: ٤١٦.

(٧) معاني الأخبار: ١٢٥.

وَإِذْ جَعَلْنَا آلَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمَّا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ
مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ
وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾

﴿آلَيْتَ﴾ اسم غالب للكعبة كالنجم للثريا.

﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ مرجعاً يثاب إليه كل عام.

﴿وَأَمَّا﴾ موضع أمن كقوله: ﴿حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِ﴾^(١)،
ولأنَّ الجاني يأوي إليه فلا يتعرض له حتى يخرج.

﴿وَاتَّخِذُوا﴾ على إرادة القول، أي: وقلنا لهم: اتخذوا منه موضع صلاة
تصلون فيه.

و﴿مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ﴾ الموضع الذي كان فيه الحجر حين وضع قدميه عليه،
أمرنا بالصلاة عنده بعد الطواف. وقرئ: (واتخذوا) بلفظ الماضي عطفاً على
﴿جَعَلْنَا﴾ أي: واتخذ الناس من مقام إبراهيم موضع صلاة. ومن قرأ: ﴿وَاتَّخِذُوا﴾
على الأمر وقف على قوله: ﴿وَأَمَّا﴾. ومن قرأ: (واتخذوا) على الخبر لم يقف، لأنَّ
قوله: (واتخذوا) عطف على ﴿جَعَلْنَا﴾.

﴿وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾ أمرناهما بـ ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ أو أي: طهرا
بيتي، فتكون (أن) المفسرة التي تكون عبارة عن القول، أي طهراه من الأوثان
والخبائث كلها. وأضاف (البيت) إلى نفسه تفضيلاً له على سائر البقاع.

﴿لِلطَّائِفِينَ﴾ أي: للدائرين حوله.

﴿وَالْعَاكِفِينَ﴾ أي: المجاورين له والمقيمين بحضرته.

﴿وَالرُّكُوعَ الشُّجُودَ﴾ أي: المصلين عنده، لأن الركوع والسجود من هيات

المصلي.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنْ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْتِعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى

عَذَابِ النَّارِ وَيَسِّرِ الْمَصِيرَ ﴿١٣﴾

أي: ﴿اجْعَلْ هَذَا﴾ البلد وهو مكة ﴿بَلَدًا ءَامِنًا﴾ ذا أمن، كقوله: ﴿فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾^(١) أي: ذات رضا، وبلد أهل، أي: ذو أهل، أو آمناً يؤمن فيه، كقولهم: ليل نائم، أي: ينام فيه.

﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ﴾ يعني: وارزق المؤمنين منهم خاصة، لأن قوله: ﴿مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ بدل من ﴿أَهْلَهُ﴾، ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ عطف على ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾، كما أن قوله: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ عطف على الكاف في ﴿بِجَاعِلِكَ﴾.

وإنما خص إبراهيم عليه السلام بالمؤمنين بالدعاء حتى قال سبحانه: ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾، لأن الله كان أعلمه أنه يكون في ذريته ظالمون بقوله: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ فعرفه سبحانه الفرق بين الرزق والإمامة، لأن الاستخلاف استرعاء يختص بمن لا يقع منه الظلم، بخلاف الرزق فإنه قد يكون استدراجاً للمرزوق وإلزاماً للحجة. والمعنى: قال: وارزق من كفر ﴿فَأُمْتِعُهُ﴾. ويجوز أن يكون ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ مبتدأ متضمناً معنى الشرط و﴿فَأُمْتِعُهُ﴾ جواباً للشرط، أي: ومن كفر فأنأمتعه. وقرئ: فَأُمْتِعُهُ.

﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُ﴾ أي: أدفعه ﴿إِلَى عَذَابِ النَّارِ﴾ دفع المضطر الذي لا يملك

الامتناع مما اضطر إليه.

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا
إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ
ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ
الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾

﴿يَرْفَعُ﴾ حكاية حال ماضية، و﴿الْقَوَاعِدَ﴾: جمع القاعدة، وهي الأساس لما فوقه، وهي صفة غالبية ومعناها الثابتة. ورفع القواعد: البناء عليها لأنها إذا بني عليها ارتفعت، ويجوز أن يكون المراد بها سافات البناء لأن كل ساف^(١) قاعدة لما يبنى عليه ويوضع فوقه، وروي: أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام كان يبنى وإسماعيل يناوله الحجارة^(٢).

﴿رَبَّنَا﴾ أي يقولان: ربّنا، وهذا الفعل في محلّ النصب على الحال.
﴿تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ فيه دلالة على أنها بنيا الكعبة مسجداً لا مسكناً، لأنها التمسّا القبول الذي معناه الإثابة، والثواب إنما يطلب على الطاعات.
﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ لدعائنا ﴿الْعَلِيمُ﴾ بنياتنا.

وإنما لم يقل: قواعد البيت بل أبهت القواعد ثم بيّنت بعد الإبهام، لما في الإيضاح بعد الإبهام من تفخيم شأن الميّن.

﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ أي: مخلصين لك أوجهنا من قوله: ﴿أَسْلَمَ

(١) الأساف: كل عرق من الخائط. (الصحاح: مادة سوف)

(٢) الكشف والبيان ج ١: ٢٧٤.

وَجْهَهُ لِلَّهِ^(١)، أو مستسلمين لك خاضعين منقادين، ومعناه: زدنا إخلاصاً أو خضوعاً وإذعاناً لك.

﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا﴾ أي: واجعل من ذريتنا ﴿أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾. و﴿مِنْ﴾ للتبعض أو للتبيين كقوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾^(٢)، وروي عن الصادق عليه السلام: ((إنه أراد بالأمّة بني هاشم خاصة))^(٣).

﴿وَأَرَنَا مَنَاسِكَاً﴾ أي: وعزّفنا وبصّرنا متعبداتنا في الحج لنقضي عباداتنا على حد ما توقفنا عليه. وقد قرئ بسكون الراء من ﴿وَأَرَنَا﴾ قياساً على (فخذ) في (فخذ)، وهي قراءة مسترذلة، إلا أن يقرأ بإشمام الكسرة.

﴿وَتُبَّ عَلَيْنَا﴾ قالوا هذه الكلمة انقطاعاً إلى الله ليقنّدي بهما، أو استتابا لذريتهما.

﴿إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ﴾ القابل للتوبة ﴿الرَّحِيمُ﴾ بعبادك.

رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٣﴾

﴿وَأَبْعَثْ﴾ في الأمّة المسلمة ﴿رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ من أنفسهم وهو نبيّنا محمد ﷺ، قال عليه السلام: ((أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورؤيا أمي))^(٤).

﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ﴾ يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى إليه.

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ وهو القرآن ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ وهي الشريعة وبيان

(١) النساء: ١٢٥.

(٢) النور: ٥٥.

(٣) تفسير العياشي ج ١: ٦١.

(٤) معجم الطبراني الكبير ج ١٨: ٢١٢، الخصال: ١٦٣ بالمعنى.

الأحكام.

﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ ويظهرهم من الشرك والأدناس.

﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾ القوي في كمال قدرتك ﴿الْحَكِيمُ﴾ المحكم لبدائع

صنعك.

وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي

الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾

﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ التي هي الحق والحقيقة، وهو إنكار

واستبعاد لأن يكون في العقلاء من يرغب عنه.

و﴿مَنْ سَفِهَ﴾ في محل الرفع على البدل من الضمير المستكن في ﴿يَرْغَبْ﴾،

ومعنى ﴿سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ امتهنها واستخف بها. وأصل السفه: الخفة، [وقيل: إنَّ

﴿نَفْسَهُ﴾ منصوبة على نزع الخافض، أي: سفه في نفسه] ^(١)، وقيل: إنَّ ﴿نَفْسَهُ﴾

منصوبة على التمييز نحو غبن رأيه، [وقيل: معناه سفه في نفسه، فحذف الجار

كقولهم: زيد ظني مقيم، أي: في ظني] ^(٢). والأول أوجه.

﴿وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ﴾ بيان لخطأ رأي من رغب عن ملته، أي: اجتبيناه بالرسالة

﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ الفائزين، ومن جمع الكرامة عند الله في الدارين لم

يكن أحد أولى بأن يرغب في طريقته منه.

إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّى

بِهَآ إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَنْبِئُ أَنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا

(١) ساقطة من أ، ط.

(٢) ساقطة من ب، ج.

تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾

﴿إِذْ قَالَ﴾ ظرف لـ ﴿أَصْطَفَيْنَاهُ﴾ أي: اخترناه في ذلك الوقت، ومعنى ﴿قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ﴾: أخطر بباله النظر في الدلائل المفضية به إلى التوحيد والإسلام.

﴿قَالَ أَسْلَمْتُ﴾ أي: فنظر وعرف، وقيل: إن معنى ﴿أَسْلِمَ﴾: أذعن وأطع.

وقرى: (وأوصى) بالألف. والضمير في ﴿بِهَا﴾ لقوله: ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ على تأويل الكلمة [والجملة، ومثله الضمير في قوله: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً﴾^(١) [٢] فإنه يرجع إلى قوله: ﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾^(٣).

و(يعقوب) عطف على ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ داخل في حكمه، يعني: ووصى بها يعقوب بنيه أيضاً.

﴿أَصْطَفَى لَكُمْ آلَ دَاوُدَ﴾ معناه: أعطاكم الدين الذي هو صفوة الأديان وهو دين الإسلام، ووفقكم للأخذ به.

﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ أي: فلا يكن موتكم إلا على حال كونكم ثابتين على الإسلام، فالنهي على الحقيقة عن كونهم مخالفين الإسلام إذا ماتوا، والنكته في إدخال حرف النهي على الموت أَنَّ فيه إظهاراً لكون الموت على خلاف الإسلام موتاً لا خير فيه.

(١) الزخرف: ٢٨.

(٢) ساقطة من ج.

(٣) الزخرف ٢٦، ٢٧.

أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾

﴿أَمْ﴾ هي المنقطعة، أي: بل أكنتم شهداء، ومعنى الهمزة فيها الإنكار، أي: ما كنتم حاضرين يعقوب. والشهيد: الحاضر.

﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ﴾ أي: حين احتضر. والخطاب للمؤمنين، يعني: ما شهدتم ذلك وإنما حصل لكم العلم به من طريق الوحي. وقيل: الخطاب لليهود^(١)، لأنهم كانوا يقولون ما مات نبي إلا على اليهودية، فتكون ﴿أَمْ﴾ على هذا متصلة على أن يقدّر قبلها محذوف، كأنه قيل: أتدعون على الأنبياء اليهودية أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت. يعني: إن أوائلكم كانوا مشاهدين له إذ أراد بنيه على ملة الإسلام، وقد علمتم ذلك، فما لكم تدعون على الأنبياء ما هم منه براء؟.

﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ أي: أي شيء تعبدون ﴿مِنْ بَعْدِي﴾ أي: من بعد وفاتي؟، فحذف المضاف.

﴿إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ عطف بيان لـ ﴿إِلَهَ آبَائِكَ﴾، وجعل إسماعيل وهو عمه من جملة آبائه، لأن العم أب والخالة أم لانخراطهما في سلك واحد وهو الأخوة لا تفاوت بينهما.

﴿إِلَهًا وَاحِدًا﴾ بدل من ﴿إِلَهَ آبَائِكَ﴾، ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ حال من فاعل ﴿نَعْبُدُ﴾ أو من مفعوله لرجوع الضمير إليه في ﴿لَهُ﴾. ويجوز أن يكون

جملة معطوفة على ﴿تَعْبُدُ﴾، أو جملة اعتراضية، أي: ومن حالنا أننا لمه مسلمون.

تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُنتَلُونَ عَمَّا

كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾

﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى الأمة المذكورة التي هي إبراهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون، والمعنى: إن أحداً لا ينفعه كسب غيره متقدماً كان أو متأخراً، وذلك أنهم افتخروا بأوائلهم.

﴿وَلَا تُنتَلُونَ عَمَّا كَانَ يُعْمَلُونَ﴾ لا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تنفعكم

حسناتهم.

وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ

حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾

الضمير في ﴿وَقَالُوا﴾ يرجع إلى اليهود والنصارى، أي: قالت اليهود: ﴿كُونُوا هُودًا﴾، وقالت النصارى: كونوا نصارى ﴿تَهْتَدُوا﴾ تصيبوا طريق الهدى والحق.

﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ بل نكون أهل ملة إبراهيم كقول عدي بن حاتم^(١):

(إني من دين)^(٢)، أي: من أهل دين، وقيل: بل تتبع ملة إبراهيم^(٣).

و﴿حَنِيفًا﴾ حال من المضاف إليه، كقولك: رأيت وجه هند قائمة.

والحنيف: المائل عن كل دين إلى دين الحق.

(١) عدي بن حاتم الطائي الجواد المشهور، أسلم سنة ٩ أو ١٠ هـ، شهد فتح العراق ثم سكن الكوفة، شهد الجمل وصفين والنهروان مع الإمام علي عليه السلام، مات بالكوفة سنة ٦٨ هـ زمن المختار. ينظر: الإصابة ج ٢: ٤٦٨، معجم رجال الحديث ج ١١: ١٤٤.

(٢) الفائق في غريب الحديث ج ٢: ٦.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ج ١: ٢١٣.

﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ تعريض بأهل الكتاب وغيرهم، لأنّ كلاً منهم يدّعي اتباع ملة إبراهيم؛ وهو على الشرك.

قُولُوا ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ
وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ
مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾

﴿قُولُوا﴾ خطاب للمسلمين، أمرهم الله سبحانه بإظهار ما تدينوا به على الشرح، فبدأ بالإيمان ﴿بِاللّٰهِ﴾ لأنه أول الواجبات، وثنى بالإيمان بالقرآن والكتب المنزلة على الأنبياء المذكورين.

﴿وَالْأَسْبَاطِ﴾ حفدة يعقوب وذراي أبنائه الإثني عشر، جمع السبط، وكان الحسن والحسين عليهما السلام سبطي رسول الله ﷺ.

﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى، و﴿أَحَدٍ﴾ في معنى الجماعة ولذلك صح دخول ﴿بَيْنَ﴾ عليه.

فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي
شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللّٰهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةً
اللّٰهُ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللّٰهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾

﴿فَإِنْ ءَامَنُوا﴾ أي: إن آمن هؤلاء الكفار ﴿بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ﴾ أي: مثل إيمانكم بالله وكتبه ورسله. والباء مزيدة، و﴿مَا﴾ مصدرية.

﴿فَقَدْ اهْتَدَوْا﴾ أي: فقد سلكوا طريق الهداية.

﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عما تقولون لهم ولم ينصفوا، أو تولوا عن الدخول في مثل

إيمانكم.

﴿فَأَيُّكُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ أي: مناوأة ومعاندة لا غير، وليسوا من طلب الحق في

شيء.

﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ هذا ضمان من الله لإظهار نبيّه عليهم، وكفايته من يشاقّه من اليهود والنصارى. وفيه دلالة على صحة نبوّته، لأنّه سبحانه قد أنجز وعده فوافق المخبر الخبر. ومعنى السين: إنّ ذلك كائن لا محالة وإن تأخر إلى حين.

﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ وعيد لهم، أو وعد لرسول الله، أي: يسمع ما ينطقون به ويعلم ما يضمرون فيعاقبهم على ذلك، أو يسمع ما تدعو به ويعلم نيتك وإرادتك من إظهار الدين وهو مستجيب لك.

﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ مصدر مؤكد ينتصب عن قوله: ﴿أَمَنَّا بِاللَّهِ﴾ كما انتصب ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾^(١) عما تقدّمه. وهي فعلة من (صبغ) كالجلسة من (جلس)، وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ. والمعنى: تطهير الله، لأنّ الإيثار يطهر النفوس. والأصل فيه: إنّ النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه المعمودية ويقولون: هو تطهير لهم، فأمر المسلمون أن يقولوا: آمنا بالله وصبغنا الله بالإيمان صبغة لا مثل صبغتك، وطهرنا به تطهيراً لا مثل تطهيركم، ولا صبغة أحسن من صبغة الله.

﴿وَنَحْنُ لَهُ عَبِيدُونَ﴾ عطف على ﴿أَمَنَّا بِاللَّهِ﴾.

قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ
أَعْمَلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٣﴾

أمر نبيه أن يقول لليهود وغيرهم: ﴿أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ﴾ أي: أتجادلوننا في أمر الله واصطفائه النبي من العرب دونكم ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ نشترك جميعاً في آنا عبده وهو ربنا، [وهو يصيب بكرامته من يشاء من عباده إذا كان أهلاً للكرامة] (١).
﴿وَلَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ﴾ يعني: إنَّ العمل هو أساس الأمر، وكما أنَّ لكم أعمالاً يعتبرها الله في إعطاء الكرامة ومنعها، فإنَّ لنا أعمالاً معتبرة في ذلك.
﴿وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ موخدون نخلصه بالإيمان والإيقان فلا تستبعدوا أنَّ نؤهل للكرامة بالنبوة. وهذا ردّ لقولهم: نحن أحقّ بالنبوة، لأننا أهل الكتاب والعرب عبدة الأوثان.

أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا
تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ
وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾

من قرأ: ﴿أَمْ تَقُولُونَ﴾ بالتاء فإنَّ ﴿أَمْ﴾ يمكن أن تكون متصلة معادلة للهمزة في ﴿أَتَحَاجُّونَنَا﴾ بمعنى: أي الأمرين تأتون: الحاجة في حكمة الله أم ادعاء اليهودية والنصرانية على الأنبياء؟ والمراد بالاستفهام الإنكار؛ ويمكن أن تكون منقطعة بمعنى: بل أقولون، والهمزة للإنكار. ومن قرأ بالياء فلا تكون ﴿أَمْ﴾

إلا منقطعة.

﴿قُلْ مَا أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ يعني: إنَّ الله شهد لهم بملة الإسلام في قوله: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا... الآية﴾^(١).

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: كتم شهادة الله التي عنده أنه شهد بها وهي شهادته لإبراهيم عليه السلام بالحنيفية، ويحتمل معنيين: أحدهما: إنه لا أحد أظلم من أهل الكتاب لكتماهم هذه الشهادة مع علمهم بها.

والآخر: لا أحد أظلم منا لو كتمنا هذه الشهادة، فنحن لا نكتمها. (ومن) في قوله: ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ مثلها في قولك: هذه شهادة [مني لفلان إذا شهدت]^(٢) له، ومثله ﴿بِرَأْءٍ مِنَ اللَّهِ﴾^(٣).

سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْنَاهُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِمْ قُلْ لِلَّهِ
الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢٢﴾

﴿سَيَقُولُ﴾ أي: سوف يقول الجهال الخفاف الأحلام وهم اليهود، لكرهتهم التوجه إلى الكعبة.

﴿مَا وَلَّيْنَاهُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ﴾ ما صرفهم عن بيت المقدس الذي كان قبلتهم يتوجهون إليها في صلاتهم. وقيل: هم المنافقون^(٤) قالوا ذلك لحرصهم على

(١) آل عمران: ٦٧.

(٢) ساقطة من ج.

(٣) التوبة: ١.

(٤) عن السدي. تفسير الطبري ج ٢: ٢.

الاستهزاء بالإسلام، وقيل: هم المشركون^(١) قالوا: رغب عن قبله آبائه ثم رجع إليها، وليرجعن إلى دينهم.

﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ أي: بلاد المشرق والمغرب.

﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ من أهلها ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وهو ما توجهه الحكمة والصلاح من توجيههم تارة إلى بيت المقدس وأخرى إلى الكعبة.

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ
وَيَكُونَ الرُّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا
إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرُّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ
لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّكُمْ إِنَّا
اللَّهُ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١١٣﴾

﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي: ومثل ذلك الجعل العجيب والإنعام بالهداية ﴿جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ أي: خياراً، وهو وصف بالاسم الذي هو وسط الشيء، ولذلك استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث. وإنما قيل للخيار: وسط، لأن الأطراف يتسارع إليها الفساد والأوساط محفوظة مكنونة؛ أو عدولاً لأن الوسط عدل بين الأطراف ليس إلى بعضها أقرب من بعض.

﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ روي: أَنَّ الْأُمَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَجْهَدُونَ تَبْلِيغَ الْأَنْبِيَاءِ، فَيَطَالِبُ اللَّهُ الْأَنْبِيَاءَ بِالْبَيِّنَةِ عَلَى أَنَّهُمْ قَدْ بَلَّغُوا وَهُوَ أَعْلَمُ، فَيُؤْتَى بِأَمَةِ مُحَمَّدٍ فَيَشْهَدُونَ لَهُمْ، وَهُوَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَزَكِيهِمْ^(٢). ويروى عن علي عليه السلام أَنَّهُ قَالَ ((إِنَّ اللَّهَ إِيَّانَا عَنِ، فَرَسُولُ اللَّهِ شَاهِدٌ عَلَيْنَا، وَنَحْنُ شُهَدَاءُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ وَحُجَّتِهِ

(١) معاني القرآن وإعرابه ج ١: ٢١٨.

(٢) الكشف والبيان ج ٢: ٨.

في أرضه))^(١). وقيل: لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا، أي: حجة عليهم فتيّنوا لهم الحقّ والدين.

﴿وَيَكُونُ الرَّسُولُ﴾ مؤدياً للشرع وأحكام الدين إليكم. والشاهد ميّن، ويقال للشاهد: بيّنة.

ولما كان الشهيد كالرقيب جيء بـ﴿عَلَى﴾ التي هي كلمة الاستعلاء، كما في قوله تعالى: ﴿كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^(٢).

﴿أَلَيْ كُنْتَ عَلَيْنَا﴾ ليست بصفة للقبلة، وإنّما هي المفعول الثاني لـ(جعل). يريد: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ﴾ الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة، لأنّه ﷺ كان يصلي بمكة إلى الكعبة، ثم أمر بالصلاة إلى صخرة بيت المقدس بعد الهجرة تألفاً لليهود، ثم حوّل إلى الكعبة، فيقول: وما جعلنا قبلك الجهة التي كنت تستقبلها بمكة أولاً ثم رددناك إليها ثانياً ﴿إِلَّا﴾ امتحاناً للناس وابتلاء ﴿لِنَعْلَمَ﴾ الثابت على الإسلام ﴿مَنْ﴾ هو على حرف منه فينكص ﴿عَلَى عَقْبَيْهِ﴾ ويرتد. وقيل: يريد بالتي كنت عليها بيت المقدس^(٣)، أي: جعلناها جهتك التي كنت تستقبلها لנمتحن الناس، وننظر من يتبعك منهم ومن لا يتبعك، وعن ابن عباس قال: (كانت قبلته بمكة بيت المقدس إلا أنّه كان يجعل الكعبة بينه وبينه)^(٤).

وقوله: ﴿لِنَعْلَمَ﴾ معناه: لنعلمه علماً يتعلّق به الجزاء، وهو أن يعلمه موجوداً حاصلاً.

(١) شواهد التنزيل ج ١: ٩٢.

(٢) المائدة: ١١٧.

(٣) عن السدي وغيره. تفسير الطبري ج ٢: ٨.

(٤) معجم الطبراني الكبير ج ١١: ٥٦.

﴿وَإِنْ كَانَتْ﴾ هي (إن) المخففة التي تلزمها اللام الفارقة. ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾
لثقيلة شاقة.

﴿إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ إلا على الذين صدقوا في اتباع الرسول، الذين
لطف الله بهم وكانوا أهلاً للطفه.

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ﴾ أي: ثباتكم على الإيمان، بل شكر صنيعكم
وأعد لكم الثواب الجزيل. وقيل: معناه: من كان صلى إلى بيت المقدس قبل
التحويل فصلاته غير ضائعة^(١).

﴿إِنَّ اللَّهَ بِالْكَائِنِ لَرُءٌ وَفٌ رَجِيمٌ﴾ لا يضيع أجورهم ولا يترك مصالحهم.

قَدْ رَأَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا
فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا
وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ
رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾

﴿قَدْ رَأَى﴾ ربها نرى، ومعناه: كثرة الرؤية كقول الشاعر:

قَدْ أَتْرَكَ الْقَرْنَ مُضْفَرًا أَنَامِلُهُ^(٢)

﴿تَقَلُّبَ وَجْهِكَ﴾ تردد وجهك ﴿فِي﴾ جهة ﴿السَّمَاءِ﴾. وكان رسول الله ﷺ

ينتظر الوحي من السماء في تحويله إلى الكعبة، لأنها قبله أبيه إبراهيم، ومفخرة
العرب ومطافهم، فيكون أدعى لهم إلى الإيمان، ولمخالفة اليهود.

﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ فلنعطينك ولنمكّنك من استقبالتها، من قوهم:

(١) عن ابن عباس. سنن أبي داود ج ٤: ٢١٩ ح ٤٦٨٠.

(٢) ديوان عبيد بن الأبرص: ٥٦. وبقيته: كأن أثوابه تحت بفرصاد.

وَلَيْتَهُ كَذَا، أَي: جعلته والياً عليه، أو فلنجعلنك تلي سمتها دون سمت بيت المقدس.

﴿قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أَي: نحوه. قيل: كان ذلك في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين ورسول الله ﷺ في مسجد بني سلمة وقد صلى بأصحابه ركعتين من صلاة الظهر، فتحول في الصلاة وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال، فسمي المسجد مسجد القبلتين^(١).

و﴿شَطْرَ﴾ نصب على الظرف، أَي: اجعل تولية الوجه تلقاء ﴿الْمَسْجِدِ﴾ أَي: في جهته وسمته.

﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ﴾ أينما كنتم من الأرض ﴿قُولُوا وَجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ وهو خطاب لجميع أهل الآفاق.

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ يعني: علماء اليهود والنصارى ﴿يَعْلَمُونَ﴾ أَنَّ التحويل إلى الكعبة هو ﴿الْحَقُّ﴾ لَأنه كان في بشارة أنبيائهم برسول الله أنه يصلي إلى القبلتين.

وَلَيْنَ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قَوْلَكَ
وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قَوْلَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَكِنْ
اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا
لَبِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾

اللام في ﴿وَلَيْنَ أَتَيْتَ﴾ هي الموطئة للقسم، و﴿مَا تَبِعُوا قَوْلَكَ﴾ جواب القسم المحذوف وقد سدّ مسدّ جواب الشرط. يعني: إن أتيتهم ﴿بِكُلِّ آيَةٍ﴾

بكل برهان قاطع على أنّ التوجه إلى الكعبة هو الحق ﴿مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾ لأنّ تركهم اتباعك ليس عن شبهة تزيلها الحجّة، إنّما هو عن عناد ومكابرة، لعلمهم بما في كتبهم من نعتك وكونك على الحق.

﴿وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ﴾ حسم لأطباعهم، إذ قالوا: لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو أن يكون صاحبنا الذي ننتظره [تغيراً له]^(١)، وطمعوا في رجوعه إلى قبلتهم.

﴿وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ يعني: إنهم مع اتفاقهم على مخالفتك مختلفون في شأن القبلة لا يرجى اتفاقهم، وذلك أنّ اليهود تستقبل بيت المقدس، والنصارى مطلع الشمس.

وقوله: ﴿وَلَكِنْ أَتَّبَعْتُ أَهْوَاءَهُمْ﴾ بعد بيان حاله المعلومه عنده في قوله: ﴿وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ﴾ كلام وارد على سبيل الفرض والتقدير، بمعنى: ولئن اتبعتهم مثلاً من بعد وضوح الأمر ﴿إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ لمن المرتكبين الظلم الفاحش. وفي ذلك زيادة تحذير وتهجين لحال من يترك الدليل بعد تثبته.

الَّذِينَ اتَّبَعْتَهُمْ لَيُضِلَّنَّهُمُ الْكُتُبَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا
مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا
تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٦٢﴾

﴿يَعْرِفُونَهُ﴾ الضمير لرسول الله، أي: يعرفون رسول الله معرفة جلية ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ لا يشتبه عليهم أبناؤهم وأبناء غيرهم. وجاز الإضمار وإن لم يجر له ذكر، لأنّ الكلام يدلّ عليه؛ ومثل هذا الإضمار فيه تفخيم وإيذان بأنّه لشهرته

معلوم بغير إعلام، وقيل: الضمير للعلم، أو للقرآن، أو لتحويل القبلة^(١).
﴿وَإِنْ فَرِيقًا﴾ خصّ الفريق منهم استثناء لمن آمن منهم كعبد الله بن سلام
وكعب الأحمري^(٢).

﴿أَلْحَقْ مِنْ رَبِّكَ﴾ مبتدأ وخبر، وفيه وجهان: أن تكون اللام للعهد
والإشارة إلى الحق الذي عليه رسول الله ﷺ، وأن تكون للجنس على معنى: الحق
من ربك لا من غيره. ويجوز أن يكون ﴿أَلْحَقْ﴾ خبر مبتدأ محذوف، فيكون ﴿مِنْ
رَبِّكَ﴾ في محلّ النصب على الحال، أو يكون خبراً بعد خبر.
﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُفْتَرِينَ﴾ الشاكين في كتابهم الحق مع علمهم، أو في أنّه
من ربك.

وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيًا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ
بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾

﴿وَلِكُلِّ﴾ أي: لكل أهل ملة ﴿وِجْهَةٍ﴾ أي: قبله ﴿هُوَ مُوَلِّيًا﴾ وجهه،
فحذف أحد المفعولين، وقيل: ﴿هُوَ﴾ الله تعالى^(٣)، أي: الله موليا إياه. وقرئ: هو
مولاه، أي: هو مولى تلك الجهة قد وليها [أي: مصروفاً إليها]^(٤). والمعنى: لكل
أمة قبله تتوجه إليها منكم ومن غيركم.

﴿فَاسْتَبِقُوا﴾ أنتم ﴿الْخَيْرَاتِ﴾ واسبقوا إليها غيركم في أمر القبلة وغيرها.

(١) إعراب القرآن ج ١: ٢٧٠.

(٢) كعب بن ماته الحميري، كان يهودياً، أسلم في زمن أبي بكر، وقدم من اليمن في زمن عمر، وتوفي
في زمن عثمان. ينظر: تذكرة الحفاظ ج ١: ٥٢.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ج ١: ٢٢٥.

(٤) ساقطة من أ، ج، ط.

ويجوز أن يكون المعنى: ولكل منكم يا أمة محمد جهة يصلي إليها جنوبية أو شمالية أو شرقية أو غربية، فاستبقوا الفاضلات من الجهات وهي الجهات المسامحة للكعبة وإن اختلفت.

﴿أَيَّنَ مَا تَكُونُوا﴾ من الجهات المختلفة ﴿يَأْتِيَكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ يجمعكم ويجعل صلواتكم كأنها إلى جهة واحدة، وكأنكم تصلون حاضري المسجد الحرام. وقيل: أينما كنتم من البلاد فيدرككم الموت يأتي بكم الله إلى المحشر يوم القيامة، أي: يحشركم جميعاً^(١). وروي عنهم عليهم السلام: ((أن المراد به أصحاب المهدي في آخر الزمان))^(٢).

وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ
لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ
فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا
وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ إِنَّمَا لِيَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ
ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَمْنَحُوا لَكُم
تَهْتَدُونَ ﴿٢٠﴾

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ أي: ومن أي بلد خرجت فاستقبل بوجهك نحو
﴿الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ إذا صليت.
﴿وَإِنَّهُ﴾ أي: إن هذا المأمور به ﴿لَلْحَقُّ﴾ الثابت الذي لا يزول بنسخ
﴿مِنْ رَبِّكَ﴾.

﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ تهديد. وهذا التكرير لتأكيد أمر القبلة،

(١) عن السدي وغيره. تفسير الطبري ج ٢: ١٩.

(٢) تفسير العياشي ج ١: ٦٥-٦٦.

لأنّ النسخ من مظان الشبهة، ولأنّه نيظ بكل واحد ما لم نيظ بالأخر فاختلقت فوائدها.

﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ استثناء من ﴿النَّاسِ﴾، ومعناه: ﴿إِنَّمَا يَكُونُ﴾ حِجَّةً لأحد من اليهود إلا للمعاندين منهم القائلين: إنّ محمّداً ما ترك قبلتنا إلى الكعبة إلا ميلاً إلى دين قومه وحبّاً لبلده، ولو كان على الحقّ للزم قبلة الأنبياء. وأما الحجّة التي كانت للمنصفين منهم لو لم يحوّل القبلة فهي أنّهم كانوا يقولون: ماله لا يحوّل إلى قبلة أبيه إبراهيم كما هو مذكور في نعته في التوراة؟! وإنّا أطلق اسم الحجّة عليه لأنّهم كانوا يسوقونه سياق الحجّة.

ويجوز أن يكون المعنى: ﴿إِنَّمَا يَكُونُ﴾ للعرب ﴿عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ في ترككم التوجه إلى الكعبة التي هي قبلة إبراهيم وإسماعيل أبي العرب.

﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ وهم أهل مكة حين يقولون: بدا له فرجع إلى قبلة آبائه، ويوشك أن يرجع إلى دينهم.

﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ فلا تخافوا مطاعنهم في قبلتكم ﴿وَأَخْشَوْنِي﴾ ولا تخالفوا أمري.

﴿وَلَا تَمْنَعِي﴾ متعلّق اللام محذوف، أي: ولا تمناعي النعمة عليكم وإرادتي اهتداءكم أمرتكم بذلك؛ أو هو معطوف على علة مقدرة، كأنّه قيل: واخشوني لأوفقكم ولأتم نعمتي عليكم، وقيل: هو معطوف على (لثلاث يكون)، وفي الحديث: ((تمام النعمة دخول الجنة))^(١).

كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا
وَيُزَكِّيْكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمُ
مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَأَذْكُرُوا لِي وَلاَ
تَكْفُرُوا ﴿١٥٢﴾

الكاف: إما أن يتعلق بما قبله، أي: ولأنتم نعمتي عليكم في الآخرة بالثواب،
كما أتممتها عليكم في الدنيا بإرسال الرسول؛ وإما أن يتعلق بما بعده، أي: كما
ذكرتكم بإرسال الرسول.

﴿فَأَذْكُرُوا لِي﴾ بالطاعة ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالثواب.
﴿وَأَشْكُرُوا لِي﴾ ما أنعمت به عليكم ﴿وَلَا تَكْفُرُوا﴾ ولا تجحدوا
نعمائي.

وعني بالرسول: محمدًا ﷺ. ﴿مِّنكُمْ﴾ أي: من نسبكم، من سبحانه
عليهم بكونه ﷺ من العرب لما حصل لهم بذلك من الشرف.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ
﴿١٥٢﴾ وَلاَ تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ءَمُوتٌ بَلْ ءَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا
تَشْعُرُونَ ﴿١٥٣﴾

خاطب سبحانه المؤمنين وأمرهم بأن يستعينوا ﴿بِالصَّبْرِ﴾ وهو حبس النفس
على المكروه وحبسها عن المحبوب، و﴿الصَّلَاةِ﴾ لما فيها من الذكر والخشوع ﴿إِنَّ
اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ بالمعونة والنصرة.

﴿ءَمُوتٌ﴾ أي: ﴿لَا تَقُولُوا﴾: هم ﴿ءَمُوتُ بَلْ﴾ هم ﴿ءَحْيَاءٌ﴾ عند الله
﴿وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ كيف حالهم في حياتهم. قال الحسن: (إن الشهداء أحياء

عند الله تعرض أرواحهم على أرواحهم فيصل إليهم الروح والفرح، كما تعرض النار على أرواح آل فرعون غدوة وعشياً فيصل إليهم الألم والوجع^(١).

قالوا: ويجوز أن يجمع الله من أجزاء الشهيد جملة فيحييها ويوصل إليها النعيم وإن كانت في حجم الذرة، وقيل: نزلت في شهداء بدر وكانوا أربعة عشر^(٢).

وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ
وَالشَّرَاتِ وَبَشِيرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا
لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْتَخُونَ ﴿١٥٧﴾

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ ولنصيبكم إصابة تشبه فعل المختبر لأحوالكم، هل
تصبرون وتسلمون لحكم الله أم لا.

﴿بِشَيْءٍ﴾ أي: بقليل من كل هذه البلايا أو بطرف منه.

﴿وَبَشِيرِ الصَّابِرِينَ﴾ المسترجعين عند البلاء، لأن الاسترجاع تسليم وإذعان.
قال أمير المؤمنين عليه السلام: ((إِنْ قَوْلُنَا: (إِنَّا لِلَّهِ) إِقْرَارٌ عَلَى أَنْفُسِنَا بِالْمَلِكِ، وَقَوْلُنَا: (إِنَّا إِلَيْهِ
رَاغِبُونَ) إِقْرَارٌ عَلَى أَنْفُسِنَا بِالْهَلِكِ))^(٣).

وإنما قلل في قوله: ﴿بِشَيْءٍ﴾ ليؤذن أن كل بلاء أصاب الإنسان وإن جلّ
ففوقه ما يقلّ هذا بالإضافة إليه.

وقوله: ﴿وَنَقْصٍ﴾ عطف على ﴿بِشَيْءٍ﴾ أو على ﴿الْخَوْفِ﴾، بمعنى: وشيء

من نقص الأموال.

(١) معالم التنزيل ج ١: ٥٩.

(٢) أسباب النزول: ٣٤.

(٣) نهج البلاغة: ٥٨٢ ح ٩٩.

﴿وَيَسِّرْ﴾ خطاب لرسول الله ﷺ أو لكل من تتأتى منه البشارة.

والصلاة من الله: العطف والرافة، جمع بينها وبين الرحمة كقوله: ﴿رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾^(١)، و﴿رَعُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٢). والمعنى: عليهم رأفة بعد رأفة، ورحمة بعد رحمة.

﴿وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ لطريق الصواب حيث استرجعوا وسلّموا لأمر الله.

إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ
شَاكِرٌ عَلِيمٌ



﴿الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ﴾ علمان للجبلين، والشعائر: جمع شعيرة وهي العلامة، أي: هما من أعلام مناسكه ومتعبداته، والحج: القصد، والاعتمار: الزيارة، وهما في الشرع: قصد البيت وزيارته للنسكين المعروفين، وهما في المعاني كالنجم والبيت في الأعيان.

و﴿يَطَّوَّفُ﴾ أصله: (يتطوف) فادغم، وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام: أن يطوفَ بهما.

وإنما قال: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾ والسعي بينهما واجب، لأنه كان على الصفا إساف وعلى المروة نائلة، وهما صنمان. يروى: أنهما كانا رجلاً وامراًة زنيا في الكعبة فمسخا حجرتين فوضعا عليهما ليعتبر بهما، فلما طالت المدة عبداً. وكان أهل الجاهلية إذا سعوا مسحواهما، فلما جاء الإسلام كره المسلمون الطواف بينهما لأجل

(١) الحديد: ٢٧.

(٢) التوبة: ١١٧.

فعل الجاهلية فرفع عنهم الجناح^(١).

﴿وَمَنْ تَقْلُوعَ خَيْرًا﴾ أي: من تبرّع بالسعي بين الصفا والمروة بعدما أدى

الواجب.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ﴾ مجاز على ذلك ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بقدر الجزاء فلا يخس أحداً

حقه.

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَىٰ مِنْ بَعْدِ
مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ
اللَّهُ لَعْنَتُهُ ۖ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُ فَأُولَٰئِكَ
أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾

يعني: أحبار اليهود، أي: ﴿يَكْتُمُونَ﴾ ما أنزلناه في التوراة من الآيات

الشاهدة على صحة نبوة محمد ﷺ، والهادية إلى نعته وصفته، والأمر باتباعه

والإيمان به.

﴿مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ﴾ ولخصناه ﴿لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ﴾ أي: في التوراة، لم ندع

فيه موضع إشكال ولا اشتباه على أحد منهم، فكتموا ذلك المبين المخلص.

﴿أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّهُ لَعْنَتُهُ ۖ﴾ من الملائكة والمؤمنين.

﴿الَّذِينَ تَابُوا﴾ أي: ندموا على ما فعلوا ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ نياتهم فيما يستقبل

من الأوقات، وتداركوا ما فرط منهم ﴿وَبَيَّنَّاهُ﴾ ما قد بيّنه الله في كتابهم، أو بينوا

للناس ما أحدثوه من توبتهم ليعرفوا بضد ما عرفوا به ويقتدي غيرهم بهم.

﴿فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ أقبل توبتهم ﴿وَأَنَا التَّوَّابُ﴾ القابل للتوبة

﴿الرَّحِيمُ﴾ بعباده^(١).

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ
وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١١﴾ خَلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا
هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿١١٢﴾

أي: ﴿إِنَّ الَّذِينَ﴾ ماتوا من هؤلاء الكافرين ولم يتوبوا.

﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ﴾ ذكر سبحانه لعنتهم أحياء ثم ذكر لعنتهم أمواتاً.

ومعنى قوله: ﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ والمراد به: من يعتدّ بلعنه وهم المؤمنون،
وقيل: إن يوم القيامة يلعن بعضهم بعضاً.

﴿خَلِدِينَ فِيهَا﴾ في اللعنة، وقيل: في النار إلا أنها أضمرت لتفخيم شأنها
وتهويل أمرها^(٢).

﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ لا يمهلون - من الإنظار، أو لا ينتظرون، أو لا ينظر الله
إليهم نظر رحمة.

واللعن من الله: الإبعاد من الرحمة وإيجاب العقاب، ومن الناس: هو الدعاء
عليهم بذلك.

وَاللَّهُ كَرِيمٌ ﴿١١٣﴾ وَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١١٤﴾ إِنَّ
فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْمَلَائِكَةِ
الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ
مِنْ مَاءٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ

(١) ساقطة من أ، ج، ط.

(٢) عن أبي العالية. تفسير الطبري ج ٢: ٣٦.

وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا يَتَذَكَّرُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٦٤﴾

﴿إِلَهُ وَحْدٌ﴾ فرد في الإلهية لا شريك له فيها، فلا يصح أن يسمى غيره إلهاً، و﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ تقرير للوحدانية بنفي غيره وإثباته، و﴿هُوَ﴾ بدل من موضع ﴿لَا إِلَهَ﴾ وهو الرفع، لأن ﴿لَا﴾ مع ما بعدها مبتدأ، وهكذا في قولك: (لا إله إلا الله): (الله) بدل من موضع (لا إله) والخبر محذوف، والتقدير: الله في الوجود. ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ المولي لجميع النعم: أصولها وفروعها، ولا شيء سواه بهذه الصفة، فإن كل ما سواه إما نعمة، وإما منعم عليه.

وروي: إن المشركين كان لهم حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً، فلما سمعوا هذه الآية قالوا: إن كنت صادقاً فأت بآية نعرف بها صدقك، فنزل^(١):

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وإنشائها على سبيل الاختراع والإبداع. و﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أي: اعتقابهما، كل واحد منهما يعقب الآخر ويخلفه، أو اختلافهما في الجنس والهيئة والصفة. و﴿وَالْمُلْكِ﴾ أي: السفن.

﴿الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ أي: بالذي ينفعهم فتكون (ما) موصولة، أو بنفعهم فتكون (ما) مصدرية.

﴿وَمَا أُنْزِلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ أي: من نحو السماء أو من السحاب ﴿مِنْ مَّاءٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ بالإنبات وإنماء النبات، أو أهل الأرض بإخراج الأقوات. ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾ عطف على ﴿أُنْزِلَ﴾ أي: وما أنزل في الأرض

من ماء وبث فيها من كل دابة، ويجوز أن يكون عطفاً على ﴿فَأَحْيَا﴾ أي: فأحيا بالمطر الأرض وبث فيها من كل دابة، لأنهم ينمون ويعيشون بالحيا والخصب.

﴿وَنَصْرِفِ الرِّيحَ﴾ في مهاها قبولاً ودبوراً وشالاً وجنوباً، وفي أحوالها باردة وحارة ولينة وعاصفة.

﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ﴾ للرياح تقلبه في سكائك الجو ﴿بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ بمشيئة الله يمطر حيث شاء.

﴿لَا يَتَرَى لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ أي: ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون بها، لأنها دلائل على عظيم القدرة وعجيب الحكمة.

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ
وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ رَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ
أَنَّهُ قُوَّةٌ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾

﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ (من) للتبويض، أي: وبعض الناس ﴿مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا﴾ أمثالاً من الأصنام التي يعبدونها، وقيل: من الرؤساء^(١) بدلالة قوله: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾، وقال الباقر^(٢): ((هم أئمة الظلمة وأشياعهم))^(٣).

﴿يُحِبُّونَهُمْ﴾ يعظمونهم ويخضعون لهم ويحبون عبادتهم والانقياد لهم. ﴿كَحُبِّ اللَّهِ﴾ أي: كما يحب الله، على أنه مصدر من الفعل المبني للمفعول. واستغنى عن ذكر من يحبه لأنه معلوم، وقيل: كحبتهم الله، أي: يسوون بينه وبينهم

(١) عن السدي. تفسير الطبري ج ٢: ٤٠.

(٢) تفسير العياشي ج ١: ٧٢.

في محبتهم^(١).

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ لأنهم لا يعدلون عنه إلى غيره، بخلاف المشركين فإتهم يعدلون من صنم إلى غيره.

﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ باتخاذ الأنداد، أي: ولو يعلم هؤلاء الذين أشركوا (أن) القدرة كلها (لله) على كل شيء دون أندادهم، ويعلمون شدة عقابه للظالمين إذا عاينوا العذاب يوم القيامة لكان منهم مالا يدخل تحت الوصف من الندم والتحسر فحذف الجواب.

وقرى: (ولو ترى) بالتاء على خطاب الرسول، أو كل مخاطب، أي: ولو ترى ذلك لرأيت أمراً عظيماً وخطباً جسيماً. وقرى: (إذ يُرَوَّنَ) على البناء للمفعول، و(إذ) في المستقبل كقوله: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾^(٢).

إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿m﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كَرِهَ فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿nv﴾

﴿إِذْ تَبَرَّأَ﴾ بدل من ﴿إِذْ يُرَوَّنَ الْعَذَابَ﴾ أي: تبرأ المتبوعون وهم الرؤساء من الأتباع.

﴿وَرَأَوْا الْعَذَابَ﴾ الواو للحال، أي: تبرؤوا في حال رؤيتهم العذاب. ﴿وَتَقَطَّعَتْ﴾ عطف على ﴿تَبَرَّأَ﴾.

(١) معاني القرآن وإعرابه ج ١: ٢١٨.

(٢) الأعراف: ٤٤.

و﴿الْأَسْبَابُ﴾ الأسباب التي كانت بينهم يتواصلون عليها، والأرحام التي كانوا يتعاطفون بها. والمعنى: زال عنهم كل سبب يمكن أن يتوصل به من مودة أو عهد أو قرابة فلا يتنفعون بشيء من ذلك.

﴿وَقَالَ﴾ الأتباع: ﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ أي: عودة إلى دار الدنيا ﴿فَنَتَّبِرَ﴾ فيها من الرؤساء ﴿كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا﴾ في الآخرة. و﴿لَوْ﴾ في معنى التمني، ولذلك أجيب بالفاء الذي يجاب به التمني، كأنه قيل: ليت لنا كربة فتتبرأ منهم. ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل ذلك الإراءة الفظيعة ﴿يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلُهُمْ حَسَرَاتٍ﴾ أي: ندامات، والمعنى: إن أعمالهم تنقلب حسرات ﴿عَلَيْهِمْ﴾ فلا يرون إلا حسرات مكان أعمالهم.

﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ أي: يخلدون فيها. وفي ﴿هُمْ﴾ دلالة على قوة أمرهم فيما أسند إليهم لا على الاختصاص.

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوْا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٣٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوْءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿١٣٩﴾

هذا خطاب لجميع بني آدم.

﴿حَلَالًا﴾ مفعول ﴿كُلُوا﴾ أو حال من ما ﴿فِي الْأَرْضِ﴾.

﴿طَيِّبًا﴾ طاهراً من كل شبهة.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ فتدخلوا في حرام أو شبهة. و(من) للتبعية، لأن كل ما في الأرض غير مأكول. والخطوة: ما بين قدمي الخاطي، والخطوة: المرة من الخطو كالغرفة والغرفة، واتبع خطواته ووطئ على عقبه في

معنى: اقتدى به واستن بسنته.

﴿عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ أي: ظاهر العداوة.

﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ﴾ بيان لوجوب الكف عن اتباعه وظهور عداوته، أي: لا يأمركم بخير قط، إنما يأمركم ﴿بِالسَّوِّءِ﴾ بالقبيح ﴿وَالْفَحْشَاءِ﴾ ما يتجاوز الحد في القبح. وقيل: السوء ما لا حد فيه، والفحشاء ما يجب فيه الحد^(١).

﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ وهو أن تقولوا: هذا حلال وهذا حرام بغير علم. ويدخل فيه كل ما يضاف إلى الله سبحانه مما لا يجوز عليه، وجميع الاعتقادات الباطلة والمذاهب الفاسدة.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا
أَوَّلُوا كَانَتْ أَبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾

الضمير في ﴿لَهُمْ﴾ للناس، وعدل بالخطاب عنهم على طريقة الالتفات لبيان ضلالهم، فإنه لا ضال أضل من المقلد، كأنه يقول للعقلاء: انظروا إلى هؤلاء الحمقى ماذا يقولون، والقائل لهم هو النبي ﷺ والمسلمون، والمقول لهم: المشركون أو قوم من اليهود.

و﴿أَلْفَيْنَا﴾ وجدنا.

﴿أَوَّلُوا كَانَتْ أَبَاؤُهُمْ﴾ الواو للحال، والهمزة بمعنى الرد والتعجيب، معناه: أيتبعون آباءهم ولو كانوا ﴿لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا﴾ من الدين ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ للصواب.

وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً

وَنِدَاءٌ صُمُّ بُكُمْ عُنَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾

لا بد ها هنا من حذف المضاف، والتقدير: ﴿وَمَثَلُ﴾ داعي ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ﴾، أو مثل الذين كفروا كبهائم الذي ينعق. والمعنى: ومثل داعيهم إلى الإيمان في أنهم لا يسمعون من الدعاء إلا جرس النغمة والصوت من غير تفهم واستبصار، كمثل الناقع بالبهائم التي لا تسمع ﴿إِلَّا دُعَاءَ﴾ الناقع ونداءه، ولا تفقه شيئاً آخر ولا تعي كما يفهم العقلاء ويعون.

ونعق الراعي بالغنم: إذا صَوّت بها، وأما نعق الغراب فبالغين.

﴿صُمُّ﴾ أي: هم صم، رفع على الذم.

يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ

إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾

أي: ﴿كُلُوا مِن﴾ مستلذات ﴿مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ لأن ما رزقه الله تعالى لا يكون إلا حلالاً.

﴿وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ﴾ الذي رزقكم إيّاها ﴿إِنْ﴾ صح أنكم تخصّونه بالعبادة وتقرّون أنّه المنعم على الحقيقة. وفي الحديث: ((يقول الله تعالى: إني والجن والإنس في نأٍ عظيم، أخلق ويعبد غيري، وأرزق ويشكر غيري))^(١).

إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ
لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ

رَحِيمٌ ﴿١٧٣﴾

﴿الْمَيْتَةَ﴾ ما يموت من الحيوان.

وخصَّ ﴿لَحْمَ الْخِزِيرِ﴾ لآته المعظم والمقصود، وإلا فجملته محرمة.
﴿وَمَا أَهْلَ بِهِ لِنَعْرِ اللَّهَ﴾ أي: رفع به الصوت للصنم، وكذلك قول أهل الجاهلية: باسم اللات والعزى.

﴿فَمَنْ أَضْطَرُّ﴾ إلى أكل هذه الأشياء ضرورة مجاعة أو إكراه.
﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ على مضطر آخر بالاستئثار عليه ﴿وَلَا عَادٍ﴾ سد الجوعة.
وعنهم ﴿:﴾ ((غير باغ على إمام المسلمين، ولا عاد بالمعصية طريقة المحققين))^(١).
﴿فَلَا يَأْتِ عَلَيْهِ﴾ أي: لا حرج عليه.

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ
وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا
النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ
بِالْهُدَى وَالْعَذَابِ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ
﴿١٧٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا
فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٧﴾

أعيد ذكر اليهود الذين تقدّم ذكرهم.

﴿فِي بُطُونِهِمْ﴾ أي: ملء بطونهم، يقال: أكل فلان في بطنه، وأكل في بعض بطنه.

﴿إِلَّا النَّارَ﴾ لآته إذا أكل ما يؤدي إلى النار فكأنه أكل النار، ومنه قولهم: أكل فلان الدم إذا أكل الدية التي هي بدل منه.

﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمْ﴾ تعريض بحرمانهم حال أهل الجنة في إكرام الله إياهم بكلامه وتركيتهم بالثناء عليهم. وقيل: نفى الكلام عبارة عن غضبه عليهم^(١).
﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ تعجب من حالهم في جرأتهم على النار والتباسهم بموجبات النار، وقيل: معناه أي شيء صبرهم على النار^(٢)، يقال: أصبره و صبره بمعنى.

﴿ذَلِكَ﴾ العذاب بسبب ﴿أَنَّ اللَّهَ﴾ تعالى ﴿نَزَلَ الْكِتَابَ﴾ أي: نزل ما نزل من الكتاب ﴿بِالْحَقِّ﴾.

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي﴾ كتب الله فقالوا في بعضها: حق، وفي بعضها: باطل، وهم أهل الكتاب ﴿لَفِي شِقَاقٍ﴾ أي: في خلاف ﴿بَعِيدٍ﴾ عن الحق.

و(الكتاب) للجنس، أو يكون المعنى: كفرهم ذلك بسبب أن الله نزل القرآن بالحق، وإن الذين اختلفوا فيه فقالوا: سحر، أو شعر، أو أساطير لفي شقاق بعيد عن الاجتماع على الصواب.

لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَنَّى السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤَفَّقُونَ بَعْدَهُمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ



(١) عن الحسن وغيره. التبيان ج ٢: ٨٩.

(٢) معاني القرآن للفراء ج ١: ١٠٣.

الخطاب لأهل الكتاب، لأنّ اليهود كانت تصلي قبل المغرب إلى بيت المقدس والنصارى قبل المشرق، وذلك أنّهم أكثروا الخوض في أمر القبلة حين حوّل رسول الله ﷺ إلى الكعبة، وزعم كل واحد من الفريقين: أنّ البر هو التوجه إلى قبلته، فردّ عليهم وقيل لهم: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ﴾ فيما أنتم عليه لأنّه منسوخ. وقيل: كثر خوض المسلمين وأهل الكتاب في أمر القبلة فقليل: ليس كل البر أمر القبلة، ولكن البر الذي يجب صرف الهمّة إليه بر ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ وقام بهذه الأعمال^(١)، والبر: اسم لكل فعل مرضي. وقرئ: البر بالنصب على أنّه خبر مقدّم.

﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ﴾ على تأويل حذف المضاف، أي: برّ من آمن، أو يكون البرّ بمعنى: ذي البرّ، أو يكون البرّ بمعنى: البارّ كما قالت:

فَإِنَّهَا هِيَ إِبْرَاءِيلُ وَإِذْبَارُ^(٢)

وقال المبرد^(٣): (لو كنت ممن يقرأ القرآن لقرأت: ولكن البرّ بفتح الباء)^(٤).

و(الكتاب) جنس الكتب أو القرآن.

﴿عَلَىٰ حُبِّهِ﴾ مع حبّ المال والشح به كما قال ابن مسعود [رواية عن رسول ﷺ حين سئل عنه: أي الصدقة أفضل؟ فقال ﷺ^(٥): ((أَنْ تُوْتِيَهُ وَأَنْتَ صَاحِبُ شَيْحٍ تَأْمَلُ الْعَيْشَ وَتَحْشَى الْفَقْرَ، وَلَا تَهْمَلُ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغْتَ الْحَقْلُومَ قُلْتَ: لِفُلَانٍ كَذَا وَلِفُلَانٍ

(١) عن ابن عباس. تفسير الطبري ج ٢: ٥٥.

(٢) ديوان الخنساء: ٤٨. وصدرة: ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت

(٣) أبو العباس محمد بن يزيد الثماللي الأزدي، ولد سنة ٢١٠ هـ، كان إماماً في النحو واللغة، توفي سنة

٢٨٥ هـ، له كتاب الكامل والمقتضب وغيرهما. ينظر: معجم الأدباء ج ١٩: ١١١.

(٤) الكشف ج ١: ٢١٨، وينظر الكامل في اللغة والأدب ج ١: ٢٢٨.

(٥) ساقطة من أ، ج.

كذا^(١). وقيل: على حب الله^(٢)، وقيل: على حب الإيتاء^(٣)، أي: يعطيه وهو طيب النفس بإعطائه.

والمسكين: الدائم السكون إلى الناس لأنه لا شيء له كالمسكين: الدائم السكر.

﴿وَأَبْنَى السَّيْلِ﴾ المسافر المنقطع به، جعل ابناً للسيل لملازمته له، كما يقال للص القاطع: ابن الطريق. وقيل: هو الضيف^(٤) لأن السيل يعرف به.

﴿وَالسَّائِلِينَ﴾ الطالبين للصدقة، وقيل: المستطعمين^(٥). وفي الحديث: ((للسائل حق وإن جاء على فرس))^(٦).

﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ وفي معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم، وقيل: في ابتياع الرقاب وإعتاقها^(٧). وعن الشعبي قال: (إن في المال حقاً سوى الزكاة وتلا هذه الآية)^(٨)، لأنه ذكر إيتاء المال في هذه الوجوه ثم قيل: ﴿وَأَتَى الزَّكَاةَ﴾.

﴿وَالْمُؤْتُونَ﴾ عطف على ﴿مَنْ أَمَنَ﴾.

وأخرج ﴿وَالصَّابِرِينَ﴾ منصوباً على الاختصاص والمدح إظهاراً لفضل

(١) أمالي الشيخ الطوسي ج ٢: ١٢، سنن النسائي ج ٦: ٢٣٧.

(٢) أمالي المرتضى ج ١: ١٤٥.

(٣) عن الحسين بن أبي الفضل. الكشف والبيان ج ٢: ٥١.

(٤) عن قتادة. تفسير الطبري ج ٢: ٥٧.

(٥) تفسير الطبري ج ٢: ٥٧.

(٦) معجم الطبراني الكبير ج ٣: ١٣١، وينظر: من لا يحضره الفقيه ج ٢: ٣٩.

(٧) عن الشافعي. تفسير الماوردي ج ١: ٢٢٧.

(٨) تفسير الطبري ج ٢: ٥٦.

الصبر في الشدائد ومواطن القتال على سائر الأعمال.

﴿وَالنَّاسِءِ﴾ الفقر والشدّة ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾ المرض والزمانة ﴿وَحِينَ النَّاسِ﴾

أي: وقت القتال وجهاد الكفار.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ أي: كانوا صادقين جادّين في الدين ﴿وَأُولَئِكَ﴾

الذين اتقوا النار بفعل هذه الخصال.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْءُ بِالْحَرْءِ
وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَىٰ بِالْأُنْثَىٰ فَمَنْ عَفَىٰ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَلْيَبِاعْ
بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاكَ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ مِّن
أَعْدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ
يَتَأُولَىٰ الْأَلْبَبُ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾

﴿كُتِبَ عَلَيْكُم﴾ أي: فرض وأوجب ﴿الْقِصَاصُ﴾ المساواة في القتل، وهو

أن يفعل بالقاتل مثل ما فعله بالمقتول ﴿الْحَرْءُ بِالْحَرْءِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَىٰ بِالْأُنْثَىٰ﴾.

وعن الصادق عليه السلام قال: ((لا يقتل حرّ بعبد، ولكن يضرب ضرباً شديداً، ويغرم دية

العبد، ولا يقتل الرجل بالمرأة إلا إذا أدّى إلى أهله نصف ديته))^(١).

﴿فَمَنْ عَفَىٰ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ معناه: فمن عفى له من جهة أخيه شيء من

العفو، كما يقال: سير بزيد بعض السير. ولا يصح أن يكون ﴿شَيْءٌ﴾ في معنى

المفعول به، لأنّ (عفا) لا يتعدى إلى مفعول به إلا بواسطة. و(أخوه) هو ولي

المقتول، وذكر بلفظ الأخوة ليعطف أحدهما على صاحبه بذكر ما هو ثابت بينهما

من أخوة الإسلام، ويقال: عفوت له ذنبه، وعفوت لفلان عما جنى، فيعدي إلى

المذنب باللام، ويعدّى إلى الجاني وإلى الذنب بـ (عن) فيقال: عفوت عن فلان وعن ذنبه.

وإنّا قيل: شيء من العفو للإشعار بأنّه إذا عفي له طرف من العفو وبعض منه، بأن يعفى عن بعض الدم أو عفا عنه بعض الورثة، تم العفو وسقط القصاص ولم يجب إلا الدية.

﴿فَاتَّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: فليكن اتباع، أو فالأمر اتباع. وهذه توصية للعافي والمعفو عنه جميعاً، أي: فليتبّع الولي القاتل بالمعروف بأن لا يعنف به ولا يطالبه إلا مطالبة جميلة، وليؤد إليه القاتل بدل الدم أداء ﴿بِإِحْسَنِ﴾ بأن لا يطله ولا يبخسه.

﴿ذَلِكَ﴾ الحكم المذكور من القصاص أو العفو أو الدية ﴿تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ لأنّ أهل التوراة كتب عليهم القصاص أو العفو وحرّم عليهم أخذ الدية، وعلى أهل الإنجيل العفو أو الدية وحرّم القصاص.

﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ بأن قتل بعد قبول الدية أو العفو، أو تجاوز ما شرع له من قتل غير القاتل ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: نوع من العذاب شديد الألم في الآخرة.

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾ فيه فصاحة عجيبة، وذلك أنّ القصاص قتل وتفويت للحياة وقد جعل ظرفاً ومكاناً للحياة، وفي تعريف القصاص وتنكير الحياة معنى: إنّ لكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص حياة عظيمة، وذلك أنّهم كانوا [قبل الإسلام]^(١) يقتلون بالواحد الجماعة، ويقتلون بالمقتول غير قاتله فتقع الفتنة، فكانت في القصاص حياة أي حياة أو نوع من الحياة، وهي الحياة

(١) ساقطة من أ، ط.

الحاصلة بالارتداع عن القتل لوقوع العلم بالاقتصاص من القاتل فلم صاحبه من القتل وسلم هو من القود، فكان القصاص سبب حياة نفسين.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [أي لكي تتقوا]^(١) القتل خوفاً من القصاص، أو لعلكم تعملون عمل أهل التقوى.

كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ
لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُنْفِقِينَ ﴿١٨٠﴾

﴿الْوَصِيَّةُ﴾ فاعل (كتب) وذكر للفاصل، ولأنها بمعنى: أن يوصي ولذلك ذكر الراجع في قوله: ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ﴾.

﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ إذا دنا منه وظهرت إماراته.

﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾ أي: مالا.

﴿لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ أي: لوالديه وأقربائه.

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: بالشئ الذي يعرف العقلاء أنه لا جور فيه ولا حيف.

﴿حَقًّا﴾ مصدر مؤكد، أي: حق ذلك حقاً ﴿عَلَى الْمُنْفِقِينَ﴾ على من آثر

التقوى.

قالوا: إن هذه الآية منسوخة^(٢) بقوله ﷺ: ((لا وصية لوارث))^(٣). ولم يجوز أصحابنا نسخ القرآن بخبر الواحد، وقالوا: إن الوصية لذي القرابة من أوكد السنن، ورووا عن الباقر ﷺ: ((أته سئل هل تجوز الوصية للوارث؟ فقال: نعم،

(١) ساقطة من أ، ط.

(٢) كتاب الأم ج ٤: ٢٧.

(٣) سنن أبي داود ج ٣: ١١٣ ح ٢٨٧٠.

وتلا هذه الآية^(١).

فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨٢﴾

﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ﴾ أي: فمن غير الإيصاء عن وجهه من الأوصياء أو الشهود ﴿بَعْدَ مَا سَمِعَهُ﴾ وتحقيقه.

﴿فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾ أي: فما إثم الإيصاء المغير أو إثم التبديل إلا على مبدليه دون غيرهم من الموصي والموصى له لأنهما بريئان من الجنف. ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ وعيد للمبدل.

﴿فَمَنْ خَافَ﴾ أي: فمن توقع وعلم، وقد شاع في كلامهم أخاف أن يقع كذا يريدون التوقع والظن الغالب الجاري مجرى العلم.

﴿مِنْ مُوصٍ جَنَفًا﴾ أي: ميلاً عن الحق بالخطأ في الوصية ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ أو تعمداً للجنف.

﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: بين الورثة والموصى لهم ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ لأن تبديله تبديل باطل إلى حق.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لِمَلَّكُمْ تَنَفُّونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَتْ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ

خَيْرٌ لَّهِ، وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾

﴿كُتِبَ عَلَيْكُم﴾ أي: فرض عليكم ﴿الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ من الأنبياء وأممهم من لدن عهد آدم إلى عهدكم، وروي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: ((أولهم آدم))^(١). يعني: إن الصوم عبادة قديمة ما أخلق الله تعالى أمة من إيجابها عليهم، لم يوجبها عليكم وحدكم.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ بالمحافظة عليها وتعظيمها [لأصالتها وقدمها]^(٢)، أو لعلمكم تتقون المعاصي، لأن الصائم أردع لنفسه عن مواجهة السوء.

﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾ موقتات بعدد معلوم، أو قلائل كقوله: ﴿ذَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾^(٣)، وأصله: أن المال القليل يقدر بالعدد، والكثير يحصى حثياً. والمعنى يقتضي أن يكون ﴿أَيَّامًا﴾ منصوباً بـ ﴿الصِّيَامُ﴾ كما تقول: نويت الخروج يوم الجمعة، إلا أن الصيغة تأباه للفصل بينه وبين (أيام) بقوله: ﴿كَمَا كُتِبَ﴾، فينبغي أن يكون انتصابه بفعل مضمّر نحو: صوموا أيّاماً، لدلالة قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ عليه.

﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ أو راكب سفر ﴿فَعِدَّةٌ﴾ أي: فعلية عدّة ﴿مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾. وفيه دلالة على أن المسافر والمريض مكتوب عليهما الإفطار وأن يصوماً أيّاماً آخر، وفي الحديث: ((الصائم في السفر كالْمُفْطِر في الحضر))^(٤).

﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾ وعلى المطيقين للصيام الذين لا عذر لهم إن أفطروا

(١) الكشف ج ١: ٢٢٥، وينظر: من لا يحضره الفقيه ج ٢: ٤٤.

(٢) ساقطة من أ، ب، ط.

(٣) يوسف: ٢٠.

(٤) الكافي ج ٤: ١٢٧، تفسير الطبري ج ٢: ٨٩.

﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ﴾ وعن الباقر عليه السلام: طعام مساكين. وكان ذلك في بدء الإسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعدوا فاشتد عليهم فرخص لهم في الإفطار والفدية.
﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ فزاد على مقدار الفدية ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ﴾ فالتطوع أخير له.
وقرئ: ومن يطوع بمعنى: يتطوع.

﴿وَأَنْ تَصُومُوا﴾ أيها المطيعون ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من الفدية وتطوع الخير.
ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾. وروى أصحابنا عن أبي عبد الله عليه السلام: أن معناه: ((وعلى الذين كانوا يطيقون الصوم ثم أصابهم كبر أو عطاش أو شبه ذلك فدية لكل يوم مد من الطعام))^(١). وعلى هذا فلا نسخ.

شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ
مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ
مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ
الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ
عَلَى مَا هَدَيْتُكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾

الرمضان مصدر (رمض): إذا احترق - من الرمضاء - فأضيف إليه الشهر وجعل علماً، ومنع الصرف للتعريف والألف والنون. وهو مبتدأ خبره ﴿الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾، أو بدل من ﴿الصَّيَامُ﴾ في قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾، أو خبر مبتدأ محذوف، أي: هذه الأيام المعدودات ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾.

ومعنى ﴿أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ ابتداء فيه إنزاله وكان ذلك في ليلة القدر، وقيل: أنزل جملة إلى السماء الدنيا ثم نزل إلى الأرض نجوماً^(٢)، وقيل: أنزل في شأنه

(١) من لا يحضره الفقيه ج ٢: ٨٤.

(٢) عن ابن عباس. تفسير الطبري ج ٢: ٨٥.

القرآن^(١) وهو قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾.

﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ﴾ نصب على الحال، أي: أنزل وهو هادٍ للناس إلى الحق، [وهو آيات واضحة مما يهدي إلى الحق]^(٢) ويفرق بين الحق والباطل، ذكر أولاً أنه هدى ثم ذكر أنه بينات من جملة ما هدى الله به وفرق به بين الحق والباطل من الكتب السماوية.

﴿فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ أي: فمن كان حاضراً مقيماً غير مسافر في الشهر فليصم فيه ولا يفطر، والشهر منصوب على الظرف وكذلك الهاء في ﴿فَلْيَصُمْهُ﴾، ولا يكون مفعولاً به، لأن المقيم والمسافر كلاهما شاهدان للشهر.

﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ حد المرض الذي يوجب الإفطار: ما يخاف بالصوم الزيادة المفرطة فيه، وحد السفر الذي يوجب الإفطار: ثمانية فراسخ.

﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾ أي: يريد أن يسر عليكم ولا يعسر، وقد نفى عنكم الحرج في الدين، وأمركم بالحنيفية السمحة التي لا إصر فيها، ومن جملة ذلك: ما أمركم بالإفطار في السفر والمرض.

﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾ الفعل المعلن محذوف ويدل عليه ما سبق، والتقدير: ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون شرع ذلك لكم. ويجوز أن يكون ﴿وَلِتُكْمِلُوا﴾ معطوفاً على علة مقدرة، كأنه قيل: يريد الله ليسهل عليكم ولتكملوا العدة.

(١) عن مجاهد. تفسير الماوردي ج ١: ٢٤٠.

(٢) ساقطة من ج.

والمراد بالتكبير عندنا: التكبير عقيب أربع صلوات: المغرب، والعشاء ليلة الفطر، والغداة، وصلاة العيد^(١).

وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾

﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ تمثيل لحاله في سرعة إجابته لمن دعاه بحال من قرب مكانه، ونحوه قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾^(٢).

﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ إذا دعوتهم للإيمان والطاعة، كما أتى أجيبهم إذا دعوني لحوائجهم.

﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾ روي عن الصادق عليه السلام: أَنَّ معناه: ((وليتحققوا أَنِّي قادر على إعطائهم ما سألوهم))^(٣).

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ أي: لعلهم يصيبون الحق ويبتدون إليه.

أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَشِّرُوهُمْ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُوا الصِّيَامَ إِلَى الْآخِرِ وَلَا تَبَشِّرُوهُمْ وَأَنْتُمْ عَنْكُمْ فِي الْمَسْجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ

(١) ينظر: الوسائل ج ٥ باب ٢٠ من أبواب صلاة العيد.

(٢) ق: ١٦.

(٣) تفسير العياشي ج ١: ٨٣ بالمعنى.

يَسِّرْتُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾

﴿الرَّفَثُ﴾ أصله: القول الفاحش، فكنى به عن الجماع، وعدي بـ ﴿إِلَى﴾ لتضمنه معنى الإفضاء.

﴿هَنْ لِيَأْسَ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَأْسَ لَهُنَّ﴾ استئناف كالبيان لسبب الإحلال، وهو أنه إذا كانت بينكم وبينهن المخالطة والمعانقة قلّ صبركم عنهن، فلذلك رخص لكم في مباشرتهن.

والاختيان: من الخيانة، كالاكتساب من الكسب، أي: علم الله أنكم كنتم تنقصون أنفسكم حفظها من الخير ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ فرخص لكم وأزال التشديد عنكم. قال الصادق (عليه السلام): ((كان الأكل محرماً في شهر رمضان بالليل بعد النوم، وكان النكاح حراماً بالليل والنهار، وكان رجل من أصحاب رسول الله ﷺ يقول له: مطعم بن جبير نام قبل أن يفطر، وحضر حفر الخندق فأغمي عليه. وكان قوم من الشبان ينكحون بالليل سراً في شهر رمضان، فنزلت الآية، فأحل النكاح بالليل والأكل بعد النوم، فذلك قوله: ﴿وَعَفَا عَنْكُمْ﴾ (١).

﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ من الولد بالمباشرة، أي: لا تباشروا لقضاء الشهوة وحدها، ولكن لابتغاء ما وضع الله النكاح له من التناسل، وقيل: وابتغوا ما كتب الله لكم من الإباحة بعد الحظر (٢).

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾ وهو أول ما يبدو من الفجر المعترض في الأفق كالخيوط الممدود.

(١) تفسير القمي ج ١: ٦٦ باختلاف.

(٢) عن قتادة. تفسير الطبري ج ٢: ٩٩.

﴿مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾ وهو ما يمتد معه من ظلمة الليل، شَبَّهاً بخيطين، وقوله: ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ بيان للخيط الأبيض، واكتفى به عن بيان الخيط الأسود.

﴿وَلَا تُبَشِّرُوهُمْ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ﴾ أي: معتكفون في المساجد، والاعتكاف: أن يجلس نفسه في المسجد للعبادة.

﴿تِلْكَ﴾ الأحكام التي ذكرت ﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾ أي: حرمان الله ومناهيه ﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ فلا تأتوها. وفي الحديث: ((إِنَّ لكل ملك حمى، وَإِنَّ حمى الله محارمه، فمن رتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه))^(١). والرتع: حول الحمى والقرب منه واحد.

﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل ذلك البيان. ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ﴾ حججه ودلائله ﴿لِلنَّاسِ﴾ على ما أمرهم به ونهاهم عنه ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ معاصيه ومناهيه.

وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ
لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾

أي: لا يأكل بعضكم مال بعض ﴿بِالْبَاطِلِ﴾ بالوجه الذي لا يحل ولم يشرعه الله.

﴿وَتُدْلُوا﴾ أي: ولا تدلوا ﴿بِهَا﴾ أي: ولا تلقوا أمرها والحكومة فيها ﴿إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا﴾ بالتحاكم ﴿فَرِيقًا﴾ طائفة ﴿مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ﴾ بشهادة الزور، أو باليمين الكاذبة، أو بالصلح مع العلم بأن المقتضي له ظالم. وقيل: وتدلوا وتلقوا بعضها إلى حكام السوء على وجه الرشوة^(٢).

(١) أمالي الشيخ الطوسي ج ١: ٣٩٠، سنن أبي داود ج ٣: ٢٤٠ ح ٣٣٢٩.

(٢) عن الجبائي. التبيان ج ٢: ١٣٨.

﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنكم على الباطل، وارتكاب المعصية مع العلم بقبحها

أقبح.

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ
الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى
وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ﴾ أحوال ﴿الْأَهْلِ﴾ في زيادتها ونقصانها، ووجه الحكمة

في ذلك.

﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ﴾ أي: معالم يوقت بها الناس مزارعهم ومتاجرهم

ومحال ديونهم وصومهم وفطرمهم وعدد نسائهم وغير ذلك، ومعالم للحج يعرف

بها وقته.

﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ كانوا إذا أحرموا لم يدخلوا

بيوتهم من أبوابها ونقبوا في ظهور بيوتهم نقباً منه يدخلون ويخرجون، ف قيل لهم:

﴿لَيْسَ الْبِرُّ﴾ بتحرجكم من دخول الباب ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ﴾ بَرَّ ﴿مَنِ اتَّقَى﴾ ما حَرَمَ

الله. [والتقدير: ولكن البر بَرَّ من اتقى، أو ولكن ذا البر بَرَّ] (١).

﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ وقيل: معناه باشروا الأمور من وجوها

التي يجب أن تباشر عليها أي الأمور كانت.

وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْدُوا إِنْ كَرِهَ اللَّهُ لَا

يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾

قيل: إنها أول آية نزلت في القتال بالمدينة^(١).

والمقاتلة ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ هو الجهاد لإعزاز دين الله وإعلاء كلمته.

﴿الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ يناجزونكم القتال دون المحاجزين، وعلى هذا فيكون منسوخاً بقوله: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾^(٢). ويجوز أن يريد الذين ينصبونكم القتال دون الصبيان والنساء، أو يريد الكفرة كلهم، لأنهم جميعاً يقصدون مقاتلة أهل الإسلام فهم في حكم المقاتلة فلا يكون حكم الآية منسوخاً.

﴿وَلَا تَعْسَدُوا﴾ بقتال من نهيتهم عن قتاله، أو بالمثلثة، أو بالمفاجأة من غير

دعوة.

وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ يَقْبَلُونَهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ
مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلَوكُمْ فِيهِ فَإِنْ
قَاتَلُوكُمْ فَأَقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١١١﴾ فَإِنْ أَنَّهُوَا فَإِنَّ اللَّهَ
عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٢﴾

﴿حَيْثُ يَقْبَلُونَهُمْ﴾ وجدتموهم ﴿وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ أي: أخرجوهم

من مكة كما أخرجوكم منها، وقد فعل ذلك رسول الله ﷺ يوم الفتح بمن لم يسلم منهم.

﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ أي: المحنة والبلاء الذي ينزل بالإنسان يتعذب

به أشد عليه من القتل. جعل الإخراج من الوطن من المحن التي يتمنى عندها الموت. وقيل: الفتنة عذاب الآخرة، كما قال: ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾^(٣)، وقيل: الشرك

(١) عن الربيع بن أنس. تفسير الطبري ج ٢: ١١٠.

(٢) التوبة: ٣٦.

(٣) الذاريات: ١٤.

أعظم من القتل في الحرم^(١)، وذلك أنهم كانوا يستعظمون القتل في الحرم ويعيبون المسلمين به. وقرئ: ولا تقتلوهم... حتى يقتلوكم فيه... فإن قتلوكم. جعل وقوع القتل في بعضهم كوقوعه فيهم، قال الشاعر:

فَإِنْ تَقْتُلُونَا نَقْتُلْكُمْ^(٢)

﴿فَإِنْ أَنْهَوْا﴾ عن الشرك والقتل كقوله: ﴿إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾^(٣).

وَقَتْلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الَّذِينَ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْهَوْا فَلَا عُدْوَانَ

إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١١٣﴾

﴿حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ أي: شرك ﴿وَيَكُونَ الَّذِينَ لِلَّهِ﴾ خالصاً ليس للشيطان

فيه نصيب.

﴿فَإِنْ أَنْهَوْا﴾ عن الشرك ﴿فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ أي: فلا تعتدوا على

المتهين، لأن مقاتلة المتهين عدوان وظلم، فوضع قوله: ﴿إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ موضع المتهين.

الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ فَمَنْ أَعَدَّى عَلَيْكُمْ
فَأَعْدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعَدَّى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ

مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١١٤﴾

[أي: قتال الشهر الحرام بالشهر الحرام، والباء للبدلية، أي: قتالكم إياهم في

(١) الكشف والبيان ج ٢: ٨٨.

(٢) ديوان امرئ القيس: ١٨٦، وفيه: وإن تقتلونا نقتلكم وإن تقصدوا الدم نقصد.

(٣) الأنفال: ٣٨.

الشهر الحرام بقتالهم إياكم في الشهر الحرام^(١).

قاتلهم المشركون عام الحديبية في الشهر الحرام وهو ذو القعدة، فقبل لهم عند خروجهم لقضاء العمرة وكراهتهم القتال وذلك في ذي القعدة: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ أي: هذا الشهر بذلك الشهر وهاهنا بهتكم، يعني: تهتكون حرمة عليهم كما هتكوا حرمة عليكم.

﴿وَالْحُرْمَتُ قِصَاصٌ﴾ أي: كل حرمة يجري فيها القصاص، فمن هتك حرمة اقتص منه بأن تهتك له حرمة، فحين هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم مثل ذلك ولا تبالوا. ثم أكد ذلك بقوله: ﴿فَمَنْ أَعَدَّيْ عَلَيْكُمْ... إلى آخره﴾.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في حال كونكم منتصرين، فمن اعتدى عليكم فلا تعتدوا، [أي: فلا تجاوزوا]^(٢) إلى مالا يحل لكم.

وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِكُمُ إِلَى الْتِهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ

يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ

﴿وَأَنفِقُوا﴾ من أموالكم في الجهاد وأبواب البر.

﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِكُمُ إِلَى الْتِهْلُكَةِ﴾ أي: الهلاك، والباء مزيده كما يقال للمنفاد: أعطى بيده، بزيادة الباء. والمعنى: ولا تقبضوا التهلكة بأيديكم، أي: لا تجعلوها آخذة بأيديكم مالكة لكم. وقيل: معناه ولا تلقوا أنفسكم إلى التهلكة بأيديكم بأن تركوا الإنفاق في سبيل الله فيغلب عليكم العدو^(٣) كما يقال: فلان أهلك نفسه

(١) ساقطة من أ، ج، ط.

(٢) ساقطة من أ، ج.

(٣) عن حذيفة وغيره. تفسير الطبري ج ٢: ١١٦.

بيده. وقيل: هو نهي عن الإسراف في النفقة^(١).

﴿وَأَحْصُوا﴾ أمر بالاعتقاد ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: المقتصدين.

وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَّمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١١٦﴾

﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ﴾ أي: اتوا بالحج والعمرة تامين كاملين بشرائطها وأركانها ومناسكها.

﴿لِلَّهِ﴾ أي: لوجه الله خالصاً، وأقيموها إلى آخر ما فيها. وظاهر الأمر يقتضي الوجوب، فدل الأمر بإتمامها على أن العمرة واجبة مثل الحج.

﴿فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ﴾ أي: منعكم خوف أو عدو أو مرض عن المضي إليه وأنتم محرمون بحج أو عمرة فامتنعتم لذلك.

﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ أي: ما تيسر من الهدي. يقال: يسر الأمر واستيسر، وصعب واستصعب ضده.

﴿وَالْهَدْيِ﴾: جمع هدية، أي: فعليكم إذا أردتم التحلل من الإحرام ما تيسر من الهدي من بعير أو بقرة أو شاة، أو فاهدوا ما تيسر.

﴿وَلَا تَحْلُوا رُءُوسَكُمْ﴾ الخطاب للمحصرين، أي: لا تحلوا ﴿حَتَّىٰ﴾ تعلموا

أَنَّ الْهَدْيَ الَّذِي بَعَثْتُمُوهُ قَدْ بَلَغَ ﴿مَحَلَّهُ﴾ أَي: مكانه الذي يجب نحره فيه أو ذبحه. ومحله منى يوم النحر إن كان الإحرام بالحج، ومكة إن كان الإحرام بالعمرة.

هذا إذا كان محصرًا بالمرض، وأما إن كان محصرًا بالعدو وهو المصدود، فمحله الموضع الذي يصد فيه، لأنَّ النبي ﷺ نحر هديه بالحديبية^(١).

﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ﴾ يحتاج فيه إلى الحلق للمداواة، أو تأذى بهوام رأسه فحلق لذلك العذر.

﴿فَفِدْيَةٌ﴾ أَي: فعلية فدية، أي: بدل وجزاء يقوم مقامه ﴿مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسْكِ﴾. وروى عن أئمتنا^(٢): ((أَنَّ الصِّيَامَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَالصَّدَقَةَ عَلَى سِتَّةِ مَسَاكِينَ))^(٣)، وروى: عشرة^(٤)، والنسك شاة، وهو مخير فيها، ورووا ذلك أيضاً عن النبي ﷺ^(٥). والنسك مصدر، وقيل: جمع نسكة أي: ذبيحة.

﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ﴾ الإحصار يعني: فإذا لم تحصروا وكنتم في حال أمن وسعة. ﴿فَمَنْ تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحُجِّ﴾ وتمنعه بالعمرة إلى وقت الحج هو أنه إذا أحلَّ من عمرته انتفع باستباحة ما كان محرماً عليه إلى أن يحرم بالحج.

﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ هو هدي المتعة، وهو واجب بالإجماع على خلاف

(١) الحديبية: قرية متوسطة ليست بالكبيرة سميت ببئر هناك، وبينها وبين مكة مرحلة وبينها وبين المدينة تسع مراحل. معجم البلدان ج ٢: ٢٢٩.

(٢) ينظر: الوسائل ج ٩ باب ١٤ من أبواب بقیة کفارات الإحرام.

(٣) الاستبصار ج ٢: ١٩٦.

(٤) معجم الطبراني الكبير ج ١٩: ٩٧.

في أنّه نسك أو جبران، فعندنا^(١) وعند أبي حنيفة أنّه نسك يأكل منه^(٢)، وعند الشافعي^(٣) هو جبران جار مجرى الجنائيات ولا يأكل منه^(٤).

﴿مَنْ لَمْ يَحِذْ﴾ الهدي فعله صيام ﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ﴾ أي: في وقته، والأفضل أن يصوم يوماً قبل التروية والتروية وعرفة ﴿وَسَبْعَةً إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ إلى أهاليكم.

﴿تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ تؤكد فيه وزيادة توصية بصيامها وإتمامها.

﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى التمتع ﴿لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ، حَاضِرِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، وحاضروا المسجد الحرام من كان بينهم وبينه اثنا عشر ميلاً فما دونها من كل جانب. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في المحافظة على أوامره ونواهيه.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمن خالف أمره وتعدى حدوده.

الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا
سُوءَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمَهُ
اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَأْتُوا

الْأَلْبَبُ

أي: وقت ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَةٌ﴾ كقولك: البرد شهران. والأشهر المعلومات: شوال، وذو القعدة، وعشر ذي الحجة. وفائدة كونها أشهر الحج: أن

(١) المبسوط للشيخ الطوسي ج ١: ٣٧٤.

(٢) المبسوط للسرخسي ج ٤: ٧٦.

(٣) محمد بن إدريس بن العباس القرشي المطلبي الشافعي، صاحب المذهب، ولد سنة ١٥٠ هـ بغزة، توفي سنة ٢٠٤ هـ بمصر، ينظر: وفيات الأعيان ج ٣: ٣٠٥.

(٤) كتاب الأم ج ٢: ١٨٤.

الإحرام بالحج أو بالعمرة التي يتمتع بها إلى الحج لا يصح إلا فيها.

﴿فَمَنْ رُضَ فِيهِ رَجْعُ الْحَجِّ﴾ أي: أحرم فيهن بالحج ﴿فَلَا رَفْعَ﴾ أي: فلا جماع ﴿وَلَا فُسُوقَ﴾ أي: ولا كذب، وقيل: لا خروج عن حدود الشريعة^(١).

﴿وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ وهو قول: (لا والله) و(بلى والله) عندنا^(٢)، وقالوا: إنه المرء والسباب^(٣).

﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ﴾ هذا حث على أفعال الخير والبر.

﴿وَتَزَوَّدُوا﴾ واتقوا الاستطعام وإبرام الناس والتثقل عليهم ﴿فَإِنَّكُمْ خَيْرَ الْأَرْزَادِ لِنَفْسِكُمْ﴾.

﴿وَأَتَّقُوا﴾ وخافوا عقابي ﴿يَتَأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ فَإِنَّ قِصَّةَ اللَّبِّ تَقْوَى اللَّهِ، ومن لم يتقه من الألباء فكأنه لا لب له.

لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ
فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ
الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ
مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الصُّكَّالِينَ ﴿١٨٨﴾

كانوا يتخرجون عن التجارة في الحج ويسمون من يخرج بالتجارة: الداج، فرفع عنهم الجناح في ذلك.

﴿أَنْ تَبْتَغُوا﴾ في أَنْ تَبْتَغُوا ﴿فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي: إعطاء منه

(١) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج ٢: ١٥٦.

(٢) معاني الأخبار: ٢٨٠.

(٣) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج ٢: ١٥٦.

وتفضلاً وهو النفع والريح في التجارة.

﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ﴾ أي: دفعتم بكثرة، وهو من إفاضة الماء وهو صبه بكثرة، وأصله: أفضتم أنفسكم. و(عرفات) علم للموقف سمي بجمع ك(أذرعات)، وهي من الأسماء المرتجلة.

﴿فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ﴾ فيه دلالة على أَنَّ الوقوف بالمشعر الحرام فريضة، لأن ظاهر الأمر على الوجوب، وإذا أوجب الله تعالى الذكر فيه فقد أوجب الكون فيه. والمعنى: فإذا أفضتم من عرفات فكونوا بالمشعر الحرام واذكروا الله عنده.

﴿وَأَذْكُرُوهُ كَمَا هَدَانَكُمْ﴾ (ما) مصدرية أو كافة، أي: اذكروه ذكراً حسناً كما هداكم هداية حسنة، أو اذكروه كما علمكم كيف تذكرونه.

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ﴾ من قبل الهدى ﴿لَعِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي: الجاهلين لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه، و(إن) هي المخففة من الثقلية.

وروي عن جابر: (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لما صَلَّى الفجر بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى أتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل، ولم يزل واقفاً حتى أسفر)^(١).

والمشعر: المعلم، لأنه معلّم للعبادة، ووصف بالحرام لحرمته، وسميت المزدلفة: جمعاً، لأن آدم اجتمع فيها مع حواء، وازدلف منها أي: دنا منها. [وقيل: تسمى المزدلفة: جمعاً، بفعل أهلها لأنهم مزدلفون إلى الله، أي: يتقربون فيها بالوقوف]^(٢)، وقيل: لأنه يجمع فيها بين الصلاتين^(٣).

(١) صحيح مسلم ج ٤: ٤٢.

(٢) ساقطة من أ، ج، ط.

(٣) الكشف والبيان ج ٢: ١١١.

ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ
 إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ
 فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ
 النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ
 مِنْ خَلْقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا
 حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقَدْ آتَيْنَا لَكَ
 أُولَئِكَ ﴿٢٠١﴾ لَهْمُ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾

ثم لتكن إفاضتكم ﴿مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ ولا تكن من المزدلفة، وذلك لما كان عليه الحمس^(١) من الترفع على الناس عن أن يساووهم في الموقف، وقولهم: نحن أهل الله وسكان حرمه فلا نخرج منه، فيقفون بجمع وسائر الناس بعرفات. وقيل: ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس وهم الحمس، أي: من المزدلفة إلى منى بعد الإفاضة من عرفات. [وقيل في القول الاول الخطاب للحمس بأن يفعلوا مثل ما يفعله سائر الناس في الوقوف بعرفات، وفي القول الثاني الخطاب لجميع المؤمنين. وهذا أقرب إلى الصواب، لأن ذكر الإفاضة من عرفات ذكر في قوله: فإذا أفضتكم من عرفات]^(٢).

﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ واطلبوا المغفرة من الله.

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ﴾ فإذا أدبتم مناسككم، والمنسك: إما موضع النسك، أو مصدر جمع لأنه يشتمل على أفعال، أي: فإذا فرغتم من أفعال الحج ﴿فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾ فأذكروا ذكر الله وبالعوا فيه كما

(١) الأحس: الشجاع، وإنما سميت قريش وكنانة حساً لتشددهم في دينهم. (الصحيح: مادة حس)

(٢) ساقطة من أ، ج، ط.

تفعلونه في ذكر آبائكم ومفاخرهم وأيامهم. وكانوا إذا قضوا مناسكهم وقفوا بين المسجد بمنى وبين الجبل فيعدّون فضائل آبائهم ويذكرون أيامهم.

﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ في موضع جر عطفاً على ما أضيف إليه الذكر في قوله: ﴿كَذِكْرُكُمْ﴾ كما تقول: كذكر قریش آباءهم أو قوم أشدّ منهم ذكراً، أو في موضع نصب عطفاً على ﴿ءَابَاءَكُمْ﴾ بمعنى: أو أشدّ ذكراً من آبائكم على أنّ ﴿ذِكْرًا﴾ من فعل المذكور.

﴿فَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ﴾ فإنّ الناس من بين مقلّ لا يطلب بذكر الله إلا الدنيا ومكثر يطلب خير الدارين، فكونوا من المكثرين.

﴿ءَاِئِنَّا فِي الدُّنْيَا﴾ اجعل إيتاءنا، أي: إعطاءنا في الدنيا خاصة.

﴿وَمَا لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ يعني: من طلب خلاق أي: نصيب، لأنّ همّهم مقصور على الدنيا.

﴿أَوَلَيْكُمْ﴾ الداعون بالحسنتين ﴿لَهُمْ نَصِيبٌ﴾ من جنس ما اكتسبوا من الأعمال الحسنة وهو الثواب الذي هو المنافع الحسنة، أو من أجل ما كسبوا، أو لهم نصيب مما دعوا به يعطيهم منه بحسب مصالحهم في الدنيا واستحقاقهم في الآخرة، وسُمّي الدعاء كسباً لأنّه من الأعمال والأعمال موصوفة بالكسب. ويجوز أن يكون ﴿أَوَلَيْكُمْ﴾ للفريقين جميعاً.

﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ يحاسب الخلائق على كثرة [عددهم وكثرة] ^(١) أعمالهم لا يشغله حساب أحد عن حساب غيره، وروي: أنّه يحاسب الخلق في قدر حلب شاة ^(٢)، وروي: في مقدار فواق ناقة، وروي: في مقدار لمحة.

(١) ساقطة من ج.

(٢) الكشف والبيان ج ٢: ١١٧.

وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ
فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ
وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾

الأيام المعدادات: أيام التشريق، والمعلومات: عشر ذي الحجة، وذكر الله فيها التكبير في أعقاب الصلوات.

﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ﴾ أي: من تعجل في النفر أو استعجل النفر من منى ﴿في يَوْمَيْنِ﴾ بعد يوم النحر إذا فرغ من رمي الجمار.

﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ في التعجيل ﴿وَمَنْ تَأَخَّرَ﴾ حتى رمى في اليوم الثالث ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ الصيد، وقيل: لمن اتقى الكبائر^(١).

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ باجتناب معاصيه ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ فيجازيكم على أعمالكم.

وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا
فِي قُلُوبِهِمُ الَّذِي الْخَصَامُ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ
فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٠٥﴾

ثم ذكر سبحانه حال المنافقين بعد ذكره أعمال المؤمنين.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ﴾ أي: يروك ويعظم في قلبك.

﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ الجار يتعلّق بالقول، أي: يعجبك ما يقوله في معنى الدنيا لأنّه [يطلب به خطأ من حظوظ الدنيا.

﴿وَيُشْهِدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قُلُوبِهِ﴾^(١) من محبتك ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ وهو شديد الجدل والمخاصمة، وإضافة ﴿أَلَدُّ﴾ إلى ﴿الْخِصَامِ﴾ بمعنى (في) كقولهم: ثبت الغدر.

﴿وَإِذَا تَوَلَّى﴾ أي: ملك الأمر وصار والياً.

[﴿سَكَنَ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا﴾ أي]^(٢) فعل بظلمه وسوء سريره ما يفعله ولاية السوء من الفساد في الأرض بإهلاك ﴿الْحَرثَ وَالنَّسْلَ﴾. وقيل: يظهر الظلم حتى يمنع الله بشؤم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل^(٣)، وقيل معناه: وإذا تولى عنك وأعرض بعد إلانة المنطق^(٤).

﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ﴾ العمل بـ ﴿الْفَسَادَ﴾.

وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ
وَلَيْسَ إِلَهَكَ إِلَّا اللَّهُ

﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ﴾ من قولك: أخذته بكذا إذا حملته عليه وألزمته إياه، أي: حملته العزة التي فيه على الإثم المنهي عنه وألزمته ارتكابه.

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ
رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ

﴿يَشْرِي نَفْسَهُ﴾ أي: يبيعها لابتغاء ﴿مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ أي: يذل نفسه

(١) ساقطة من ج.

(٢) ساقطة من أ، ج، ط.

(٣) عن مجاهد. تفسير الطبري ج ٢: ١٨٤.

(٤) الكشف ج ١: ٢٥١.

حتى يقتل. وقيل: نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام حين بات على فراش النبي ﷺ وهرب النبي إلى الغار^(١)، وقيل: نزلت في كل مجاهد في سبيل الله^(٢).

﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [أي: رحيم بهم]^(٣) حيث كلفهم الجهاد وعرضهم لثواب الشهداء.

يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا
تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٠٨﴾
فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾

قرىء ﴿السِّلْمِ﴾ بكسر السين وفتحها، قال أبو عبيدة^(٤): (السِّلْم - بالكسر - والإسلام واحد، والسلام: الاستسلام)^(٥). والمعنى: ادخلوا في الإسلام والطاعة، وروى أصحابنا: أنه الدخول في الولاية^(٦).

﴿كَآفَّةً﴾ أي: جميعاً لا يخرج أحد منكم يده عن طاعته، وهو من الكف كأتهم كفواً أن يخرج منهم أحد باجتماعهم.

[﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ﴾ عن الدخول في السلم ﴿وَمِنْ﴾^(٧) بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ ﴿

(١) شواهد التنزيل ج ١: ٩٦.

(٢) عن الحسن وغيره. تفسير الطبري ج ٢: ١٨٧.

(٣) ساقطة من أ، ج، ط.

(٤) أبو عبيدة معمر بن المثنى اللغوي البصري، هو أول من صنف غريب الحديث، ولد سنة ١١٢ هـ، مات سنة ٢٠٩ هـ. ينظر: بغية الوعاة ج ٢: ٢٩٤.

(٥) مجاز القرآن ج ١: ٧١.

(٦) تفسير العياشي ج ١: ١٠٢.

(٧) ساقطة من ط.

الحجج على أن ما دعيتم إليه حق ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالب لا يعجزه الانتقام منكم ﴿حَكِيمٌ﴾ لا ينتقم إلا بحق.

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ

وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١١٠﴾

إتيان الله: إتيان أمره وبأسه كقوله: ﴿أَوْ يَأْتِي أَمْرُ رَبِّكَ﴾^(١)، ﴿جَاءَهُمْ بَأْسُنَا﴾^(٢)، ويجوز أن يكون المأتي به محذوفاً بمعنى: ﴿أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ ببأسه للدلالة عليه بقوله: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ يعني: غالب وقهار.

﴿فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ﴾ جمع ظلة وهي ما أظلك. ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ بالرفع، وقد قرئ بالجر عطفاً على ﴿ظُلَلٍ﴾ أو ﴿الْغَمَامِ﴾.

﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ وأتم أمر إهلاكهم وفرغ منه.

﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ وقرئ: (ترجع) و(يرجع) [على بناء الفاعل والمفعول]^(٣) بالتأنيث والتذكير فيها.

سَلِّ بَنِي إِسْرَءِيلَ كَمَا آتَيْنَهُمْ مِّنْ آيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ وَمِنْ يَدْرِغَ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ

بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١١١﴾

﴿سَلِّ﴾ أمر للرسول أو لكل أحد.

(١) النحل: ٣٣.

(٢) الأعراف: ٥.

(٣) ساقطة من أ، ب، ط.

﴿كَمْ أَتَيْنَهُمْ﴾ [أي: أعطيناهم] ^(١) مِنْ ءَايَةٍ يَنْتَقِ ﴿أي: دلالة معجزة على أيدي أنبيائهم، أو آية في التوراة شاهدة على صحة نبوة محمد ﷺ، فمنهم من آمن، ومنهم من جحد، ومنهم من أقر، ومنهم من بدّل.

﴿وَمَنْ يُّدِلْ نِعْمَةَ اللَّهِ﴾ آيات الله التي هي أجلّ نعمة من الله، لكونها أسباب الهدى والنجاة من النار. وتبديلهم إياها: أنّ الله سبحانه أظهرها لتكون أسباب نجاتهم فجعلوها أسباب ضلالهم، أو حرّفوا آيات التوراة الدالة على نعت محمد ﷺ، و﴿كَمْ﴾ يحتمل معنى الاستفهام والخبر معاً.

﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ﴾ معناه: من بعد ما تمكّن من معرفتها، أو من بعد ما عرفها ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ له.

زَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ
اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١١٢﴾

الذي زين لهم ﴿الدُّنْيَا﴾ هو الشيطان حسنها في أعينهم بوساوسه فلا يريدون غيرها، ويجوز أن يجعل ما خلق الله فيها من الأشياء المشتبهات وما ركبها فيهم من الشهوة لها تزييناً، لأنّ التكليف لا يتم إلا مع الشهوة.

﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ لزهدهم فيها، أو من المؤمنين الذين لاحظّ لهم منها.

﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ لأنهم في عليين وهم في سجين، أو حالهم عالية لحالهم لأنهم في كرامة وهم في هوان.

﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ بغير تقدير، فيوسع الله على من توجب

الحكمة التوسعة عليه، أو يعطي أهل الجنة ما لا يأتي عليه الحساب.

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ
وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا
فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَ تَهُمُ الْبَيِّنَاتُ
بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ
بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ متفقين على الفطرة فاختلفوا ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ﴾ وحذف (فاختلفوا) لدلالة قوله: ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ عليه، وفي قراءة عبد الله: كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين فاختلفوا عليهم^(١). والاول أوجه [لأن الأمم كلهم اختلفوا في أنبيائهم فمنهم من صدقهم ومنهم من كذبهم]^(٢).

﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ يريد به الجنس، أو أنزل مع كل واحد منهم كتابه. ﴿لِيَحْكُمَ﴾ الله أو الكتاب أو النبي المنزل عليه ﴿بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ في الحق والدين الذي اختلفوا فيه بعد الاتفاق.

﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ﴾ أوتوا الكتاب المنزل لإزالة الخلاف، يعني: إنهم جعلوا نزول الكتاب الذي أنزل لإزالة الاختلاف سبباً في شدة الاختلاف.

﴿بَغْيًا﴾ حسداً وظلماً بينهم لحرصهم على الدنيا.

﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ﴾، (من) للتبيين، أي:

(١) عن الحسن وعطاء. معالم التنزيل ج ١: ٩٠.

(٢) ساقطة من أ، ج، ط.

فهداهم للحق الذي اختلف فيه من اختلف.

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ
بَقْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ
ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ؟ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿١٧٦﴾

﴿ أَمْ ﴾ منقطعة معناها: بل أحسبتم، والهمزة فيها للتقرير واستبعاد
الحسبان.

لما ذكر ما كانت عليه الأمم من الاختلاف على النبيين بعد مجيء البينات
تشجيعاً لرسول الله ﷺ والمؤمنين على الصبر مع الذين اختلفوا عليه من المشركين
واليهود وعداوتهم له، قال لهم على طريقة الالتفات: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا
الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ ﴾.

﴿ لَمَّا ﴾ للتوقع وهي في النفي نظير (قد) في الإثبات، والمعنى: إن إتيان ذلك
متوقع منتظر.

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ بَقْلِكُمْ ﴾ أي: حالهم التي هي مثل في الشدة.
و﴿ مَسَّتْهُمُ ﴾ بيان للمثل وهو استئناف، كأن قائلًا قال: كيف كان ذلك
المثل؟ ف قيل: ﴿ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ ﴾ من القتل والخروج عن الأهل والمال.
﴿ وَزُلْزِلُوا ﴾ وأزعجوا إزعاجاً شديداً شبيهاً بالزلزلة بما أصابهم من الأهوال.
﴿ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ ﴾ إلى الغاية التي قال الرسول ومن ﴿ مَعَهُ ﴾ فيها: ﴿ مَتَى
نَصْرُ اللَّهِ ﴾ طلبوا النصرة وتمنوه واستطالوا زمان الشدة. وفيه دليل على تناهي الأمر
في الشدة، لأن الرسل إذا لم يبق لهم صبر حتى ضجوا كان البلاء في غاية الشدة.
﴿ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ على إرادة القول، أي: فقل لهم ذلك إجابة لهم

إلى طلبتهم من عاجل النصر. وقرئ: ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ﴾ بالنصب على إضمار (أَنْ) ومعنى الاستقبال، لأنَّ (أَنْ) علم له، وبالرفع على معنى الحال إلا أنَّها حال ماضية محكية.

يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أُنْفِقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّوَالِدَيْنِ
وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ
اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾

﴿مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ أي شيء ينفقون؟

والسؤال عن الإنفاق يتضمن السؤال عن مصرف النفقة، لأنَّ النفقة لا يعتد بها إلا إذا وقع موقعها، ولذلك جاء الجواب ببيان مصارف النفقة. ﴿مَا أُنْفِقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾ أي: مال ﴿فِلِلَّوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾.

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا
وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ
وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾

﴿وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ﴾ من الكراهة بدليل قوله: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا﴾ ثم إنه يجوز أن يكون بمعنى الكراهة على وضع المصدر موضع الوصف كقول الخنساء:

فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِذْبَارٌ^(١)

كأنه في نفسه كراهة لفرط كراهتهم له، ويجوز أن يكون فعلاً بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز، أي: وهو مكروه لكم، وقد يكون الشيء مكروهاً في طبع الإنسان وإن كان يريده لأنَّ الله تعالى أمره بذلك.

(١) ديوان الخنساء: ٤٨. وصدره: ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت.

﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا﴾ في الحال ﴿وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ في العاقبة، كما تكرهون القتال لما فيه من المخاطرة بالروح، وهو خير لكم لأن فيه إحدى الحسينين: إما الظفر والغنيمة وإما الشهادة والجنة.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ ما يصلحكم وما هو خير لكم ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

يَسْتَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ
وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ
أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا
يَزَالُونَ يُقَتِّلُونَكَ حَتَّى يَرْدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ أَسْتَطَعُوا
وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ
حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ
النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾

بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن جحش^(١) على سرية في جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين، ليرصد عيراً لقريش فيها عمرو بن عبد الله الحضرمي، فقتلوه واستاقوا العير وفيها من تجارة الطائف، وكان ذلك أول يوم من رجب وهم يظنونونه من جمادى الآخرة، فقالت قريش: قد استحل محمد الشهر الحرام، فنزلت^(٢).

أي: يسألك الكفار أو المسلمون عن القتال في الشهر الحرام، و﴿قِتَالٍ فِيهِ﴾ بدل الاشتغال من الشهر الحرام.

(١) عبد الله بن جحش بن رباب الأسدي، أمه أُميمة بنت عبد المطلب، كان من السابقين إلى الإسلام، شهد بدرًا واستشهد بأحد وله نيف وأربعون سنة، دفن هو وحزرة في قبر واحد. ينظر: الإستيعاب ج ٢: ٢٧٢.

(٢) أسباب النزول: ٤٨.

﴿قُلْ قَاتِلْ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ أي: إثم كبير، وجاز الابتداء بالنكرة لأنه تخصص بقوله: ﴿فِيهِ﴾.

﴿وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [أي منع وهو^(١)] مبتدأ و﴿أَكْبَرُ﴾ خبره، والمعنى: وكبائر قريش: من صدّهم ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وعن ﴿الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ وكفرهم بالله ﴿وَأَخْرَاجُ﴾ أهل المسجد الحرام ﴿مِنْهُ﴾ وهم رسول الله والمؤمنون ﴿أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ مما فعلته السرية من القتال في الشهر الحرام على سبيل الخطأ والبناء على الظن.

﴿وَأَلْفَسْنُهُ﴾ الإخراج أو الشرك.

﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ عطف على ﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [لا على الضمير المجرور في به]^(٢).

﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقْتَلُونَكُمْ﴾ إخبار عن دوام عداوة الكفار للمسلمين، و﴿حَتَّى﴾ معناه: التعليل، أي: ﴿يُقْتَلُونَكُمْ﴾ كي ﴿يُرَدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ﴾. و﴿إِنْ أَسْتَطَعُوا﴾ استبعاد لاستطاعتهم.

[﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ﴾ أي: ^(٣) يرجع ﴿عَنْ دِينِهِ﴾ إلى دينهم ﴿فَيَمُتْ﴾ على الردة ﴿فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ لما يفوتهم فيها من ثمرات الإسلام وفي ﴿الْآخِرَةِ﴾ لما يفوتهم من الثواب.

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢١٨﴾

(١) ساقطة من أ، ب، ط.

(٢) ساقطة من أ، ج، ط.

(٣) ساقطة من أ، ط.

نزلت في قصة عبد الله بن جحش وأصحابه وقتلهم الحضرمي في رجب بأن ظن قوم أنهم إن سلموا من الإثم فليس لهم أجر فزلت.

﴿أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾ وهي النصرة والغنيمة في الدنيا، والمثوبة في العقبى، وعن قتادة: (هؤلاء خيار هذه الأمة، ثم جعلهم الله أهل رجاء كما تسمعون، وأنه من رجا طلب، ومن خاف هرب)^(١).

يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْتَفِعٌ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمْ هُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْتَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْغَفْوُ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٣٧﴾
 فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْتَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَيْنَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٣٨﴾

﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ من قرأ بالبلاء فلائهم استعملوا في الذنب إذا كان موبقاً الكبير كقوله: ﴿كَبَائِرَ الْإِثْمِ﴾^(٢)، و﴿كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾^(٣). وقالوا في غير الموبق: صغير وصغيرة، ولم يقولوا: قليل، ومقابل الكثير القليل، ومن قرأ بالثناء فللآية في المائدة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ... الْآيَةَ﴾^(٤)، وللخبر: ((لعن رسول الله ﷺ في الخمر عشرة...))^(٥).

(١) الدر المنثور ج ١: ٢٥٢.

(٢) الشورى: ٣٧.

(٣) النساء: ٣١.

(٤) الآية: ٩١.

(٥) الخصال: ٤١٤، سنن ابن ماجه ج ٢: ١١٢٢ ح ٣٣٨١.

والخمر كل شراب مسكر مغطٍ للعقل والتمييز، وكأنتها سمّيت بالمصدر من خمره خمرًا: إذا ستره للمبالغة.

والميسر مصدر من يسر كالموعد والمرجع من فعلهما، واشتقاقه من اليسر، كأنه أخذ مال بيسر من غير كدّ أو من اليسار لآتته سلب يساره. وعن النبي ﷺ: ((إياكم وهاتين الكعبتين المشؤومتين فإنهما من ميسر العجم))^(١). وعن علي عليه السلام: ((إن الرد والشطرنج من الميسر))^(٢).

﴿وَأَشْمُهُمَا﴾ أي: وعقاب الإثم في تعاطيهما ﴿أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ وهو الالتذاذ بشرب الخمر والقمار والطرب فيهما، والتوصل بهما إلى مصادقة الفتيان ومعاشرتهم والنيل من أعطيتهم.

﴿يَسْتَأْذِنُكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ أي شيء ينفقون؟ والسائل عمرو بن الجموح^(٣). ﴿قُلِ الْعَفْوَ﴾ العفو نقيض الجهد، وهو أن ينفق ما لا يبلغ إنفاقه منه الجهد واستفراغ الوسع، قال:

حُذِي الْعَفْوَ مِنِّي تَشْتَدِي مَوَدِّي^(٤)

وقرى بالنصب والرفع.

﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ يتعلق بـ ﴿تَنْفَكُّوْنَ﴾ أي: لعلكم تفكرون في الدارين وما يتعلق بهما، فتأخذون بما هو أصلح لكم كما بينت لكم أن العفو أصلح

(١) مسند أحمد ج ١: ٤٤٦.

(٢) الكافي ج ٦: ٤٣٥، الكشف والبيان ج ٢: ١٥١.

(٣) عمرو بن الجموح بن زيد الأنصاري السلمي، شهد العقبة ثم شهد بدرًا، وقتل يوم أحد شهيدًا، دفن هو وعبد الله بن عمرو بن حرام في قبر واحد. ينظر: الاستيعاب ج ٢: ٥٣.

(٤) البيت لأسماء بن خارجة الفزاري. الأغاني ج ٢٠: ٣٦٣.

من الجهد في النفقة. أو تفكرون في الدارين فتؤثرون أبقاها وأكثرها منافع، أو يتعلق بـ ﴿رَبِّينَ﴾ على معنى: يبين لكم الآيات في أمور الدارين لعلكم تفكرون.

ولما نزل ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا... الْآيَةَ﴾^(١) اعتزلوا اليتامى وتركوا مخالطتهم والاهتمام بأمورهم، فشق ذلك عليهم، فقيل: ﴿إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾ أي: مداخلتهم على وجه الإصلاح لهم ولأموالهم خير من مجانبتهم.

﴿وَإِنْ تَخَاطَبُوهُمْ﴾ وتعاشروهم فهم إخوانكم في الدين، ومن حق الأخ أن يخاطب أخاه.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ أي: لا يخفى على الله من داخلهم بإصلاح وإفساد فيجازيه على حسب مداخلته.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَيْنَكُمْ﴾ لحملكم على العنت وهو المشقة، وضيق عليكم في أمر اليتامى ومخالطتهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالب قادر على ما يشاء ﴿حَكِيمٌ﴾ يفعل ما توجبه الحكمة.

وَلَا نَنكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ وَلَا أَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ حَتَّىٰ
مُشْرِكَةً وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ
مُّؤْمِنٌ حَتَّىٰ مِنْ مُّشْرِكٍ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ
يَدْعُو إِلَى الْإِسْلَامِ وَالْمَغْفِرَةُ بِإِذْنِهِ وَرَبُّنَا إِلَهُ الْإِسْلَامِ
يَتَذَكَّرُونَ ﴿٣١﴾

أي: لا تتزوجوا الكافرات ﴿حَتَّىٰ يُؤْمِنَ﴾.

﴿وَلَا أَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ﴾ أي: مملوكة مؤمنة ﴿حَتَّىٰ يُؤْمِنَ﴾ حرة ﴿مُشْرِكَةً وَلَا

أَعَجَبْتُكُمْ ﴿١٨٣﴾ أي: ولو كان الحال أنَّ المشركه تعجبكم بجماها أو مالها وتحبونها فإنَّ المؤمنة خير منها.

﴿وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ النساء المسلمات ﴿حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ حَرْ مٌ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ جماله أو ماله أو حاله.

﴿أُولَٰئِكَ﴾ إشارة إلى المشركين والمشركات.

﴿يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ أي: يدعون إلى الكفر فحقهم أن لا يوالوا ولا يصاهروا.

﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ﴾ أي: إلى فعل ما يوجب الجنة ﴿وَالْمَغْفِرَةِ﴾ من

الإيمان والطاعة.

﴿يُؤْتِيهِ﴾ أي: بأمره وتوفيقه للعمل الذي يوصل إلى الجنة.

﴿وَبَيْنَ أَيْتِيهِ﴾ أي: أوامره ونواهيه ﴿لِّلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ أي:

يتعظون.

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَأَعِزِّلُوا النِّسَاءَ فِي

الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ

حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿١٨٤﴾

﴿الْمَحِيضِ﴾ مصدر حاضت تحيض، نحو: جاء مجيئاً وبات مبيتاً.

﴿قُلْ هُوَ أَذَىٰ﴾ أي: الحيض شيء يستقذر ويؤذي من يقربه نفرة منه.

﴿فَأَعِزِّلُوا النِّسَاءَ﴾ فاجتنبوا مجامعة النساء ﴿فِي﴾ وقت ﴿الْمَحِيضِ﴾،

﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ﴾ بالجماع ﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ أي: ينقطع الدم عنهن. ومن قرأ: حتى

يطهرن فإنها هو يتطهرن أي: يغتسلن.

﴿فَإِذَا تَطَهَّرَ﴾ أي: اغتسلن، وقيل: توضأن^(١)، أو غسلن الفرج بعد انقطاع دم الحيض.

﴿فَأَتَوْهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ أي: من الجهة التي يحل أن يؤتين منها، ولا تقربوهن من حيث لا يحل بأن يكن محرّمات أو معتكفات أو صائحات، ولو أراد الفرج لقال: في حيث.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ من الذنوب ﴿وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ بالماء.

نِسَاءُكُمْ حَرِّمٌ لَكُمْ فَأَتُوا حَرِّمَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوُهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٣﴾

﴿نِسَاءُكُمْ﴾ ذوات ﴿حَرِّمٌ لَكُمْ﴾ منهن تحرّمون الولد واللذة.

﴿فَأَتُوا حَرِّمَكُمْ﴾ أي: نساءكم ﴿أَنَّى شِئْتُمْ﴾ من أين شئتم وكيف شئتم، كما تأتون أراضيكم التي تحرّمونها من أي جهة شئتم.

﴿وَقَدِمُوا لِأَنفُسِكُمْ﴾ ما يجب تقديمه من الأعمال الصالحة، وقيل: هو التسمية عند الوطء^(٢)، وقيل: هو طلب الولد^(٣).

﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ﴾ ولا تجرّثوا على المناهي.

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوُهُ﴾ أي: ملاقو جزائه فتزودوا مالا تفتضحون به.

وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا

(١) عن مجاهد وغيره. الدر المنثور ج ١: ٢٦٠.

(٢) عن ابن عباس. تفسير الطبري ج ٢: ٣٣٧.

(٣) عن عكرمة. الدر المنثور ج ١: ٢٦٧.

وَتُصَلِّحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾

العرضة: فُعلة بمعنى مفعول كالغرفة والقبضة، وهي اسم ما تعرضه دون الشيء، من عرض العود على الإناء فيعترض دونه ويصير حاجزاً ومانعاً منه، تقول: فلان عرضة دون الخير، والعرضة - أيضاً -: المعرض للأمر، قال:

فَلَا تَجْعَلُونِي عُزْصَةً لِلْوَائِمِ^(١)

ومعنى الآية على الأولى: أن الرجل كان يحلف على بعض الخيرات من صلة الرحم أو غيرها، ثم يقول: أخاف أن أحنث في يميني، فيترك البرّ إرادة أن يبرّ في يمينه، ف قيل لهم: ﴿لَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ أي: حاجزاً لما حلفتُم عليه. وسمي المحلوف عليه يميناً لتلبسه باليمين كما جاء في الخبر: ((إذا حلفت على يمين))^(٢) أي: على شيء مما يحلف عليه.

وقوله: ﴿أَنْ تَبْرُوا وَتَتَّقُوا وَتُصَلِّحُوا﴾ عطف بيان ﴿لَا يَمْنَنَّكُمْ﴾ أي: للأمر المحلوف عليها التي هي البرّ والتقوى والإصلاح بين الناس.

وتعلقت اللام في قوله: ﴿لَا يَمْنَنَّكُمْ﴾ بالفعل، أي: [ولا تجعلوا الله لأيمانكم برزخاً وحاجزاً، ويجوز أن يتعلق بـ﴿عُرْضَةً﴾ لأنّ فيها معنى الاعتراض]^(٣) أي: لا تجعلوه شيئاً يعترض البرّ، من اعتراضني كذا. ويجوز أن يكون اللام للتعليل، ويتعلق ﴿أَنْ تَبْرُوا﴾ بالفعل أو بالعرضة، أي: ولا تجعلوا الله لأجل أيمانكم به عرضة لأن تبرّوا.

(١) شرح شواهد الكشاف ج ١: ٢٦٧ بدون نسبة، وصدّره: دعوني أنح و جداً كنوح الخائم.

(٢) الكافي ج ٧: ٤٤٩، صحيح مسلم ج ٥: ٨٦.

(٣) ساقطة من ج.

ومعنى الآية على الأخرى: ولا تجعلوا الله معرضاً لأيمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به، و﴿أَنْ تَبْرُوا﴾ علة للنهي، أي: إرادة أن تبرّوا وتتقوا، لأنّ الحلاف مجترئ على الله فلا يكون بَرّاً متقياً، ولا يثق به الناس فلا يدخلونه في إصلاح ذات بينهم.

لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾

اللغو: الساقط الذي لا يعتدّ به من كلام وغيره، واللغو من اليمين: الساقط الذي لا يعتدّ به في الأيمان، وهو ما يجري على عادة اللسان من قول: (لا والله) و(بلى والله) من غير عقد على يمين يقطع بها مال أو يظلم بها أحد.

والمعنى: لا يؤاخذكم بلغو اليمين الذي لا قصد معه ولا يلزمكم به الكفارة ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ من الأيمان وهو ما عزمتموه كقوله سبحانه: ﴿بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾^(١)، لأنّ كسب القلب هو العقد والنية، أي: بما نوت قلوبكم وقصدته من الأيمان.

﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ حيث لم يؤاخذكم بلغو الأيمان.

لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرِيصٌ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾

﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ﴾ [أي: يحلفون]^(٢) ﴿مِنْ نِسَائِهِمْ﴾ عدي (آلى) الذي هو بمعنى حلف بـ ﴿مِنْ﴾ لأنّ هذا الحلف قد ضمن معنى البعد، فكأنّه قيل: يبعدون من

(١) المائدة: ٨٩.

(٢) ساقطة من أ، ط.

نسائهم مؤلن أي حالفين. ويجوز أن يكون المراد: لهم من نسائهم ﴿تَرْبُصُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ كقولهم: لي منك كذا.

والإيلاء من المرأة أن يقول الرجل: والله إنّي لا أقربك، ثم أقام على يمينه. والحكم في ذلك: أنّ المرأة إذا استعدت عليه إلى الحاكم، أنظره الحاكم بعد الرفع إليه أربعة أشهر، ويقول له بعد مضي الأشهر الأربعة إذا لم يراجع زوجته: فيء أو طلق.

﴿فَإِنْ قَامُوا﴾ أي: رجعوا بأن يكفروا عن اليمين، ويجامعوا عند القدرة عليه، أو يراجعوا بالقول عند العجز عن الجماع ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَفْوٌ رَحِيمٌ﴾ لا يتبعه بعقوبة. ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ﴾ وتلفظوا به ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ يسمع قوله ويعلم ضميره.

وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِعُولِهِنَّ أَحَقُّ بِرَيْبِهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾

﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ﴾ يعني: المدخول بهن من ذوات الحيض غير الحوامل، لأنّ في الآية بيان عدتهن. واللفظ مطلق في تناول الجنس، صالح لكله وبعضه، فجاء في أحد ما يصلح له كاللفظ المشترك.

﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ﴾ خبر في معنى الأمر، والمراد: وليربص المطلقات. وإخراج الأمر في صورة الخبر تأكيد للأمر وإشعار بأنّه مما يجب أن يتلقى بالامتثال، فكأنهن امتثلن الأمر بالتربص فهو يخبر عنه موجوداً، ونحوه قولهم في الدعاء:

(رحمك الله).

ومعنى ﴿يَرْبِصَنَّ﴾: ينتظرون ﴿بِأَنْفُسِهِنَّ﴾ انقضاء ﴿ثَلَاثَةِ قُرُوءٍ﴾ فلا يتزوجن. والمراد بالقروء: الأطهار عندنا^(١) وعند الشافعي^(٢)، وذهب أبو حنيفة إلى أنها ثلاث حيض^(٣). وهي جمع (قُرء) أو (قَرء). وانتصب ﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ على أنه مفعول به، أي: يتربصن مضي ثلاثة قروء، أو على أنه ظرف أي: مدة ثلاثة قروء.

﴿وَلَا يَحِلُّ لَهَا أَنْ يَكْتُمَنَّ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَزْوَاجِهِنَّ﴾ من الولد أو من دم الحيض، وذلك إذا أرادت المرأة فراق زوجها فكتمت حملها لئلا ينتظر بطلاقها أن تضع ولثلا يشفق على الولد فيترك طلاقها، أو كتمت حيضها وقالت - وهي حائض -: قد طهرت استعجالاً للطلاق.

﴿إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ تعظيم لفعلهن، وأن من آمن بالله لا يجترئ على مثله من العظائم.

﴿وَيَعُولُنَّ أَحَقُّ بِرِزْقِهِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ أي: أزواجهن أولى بمراجعتهن، وهي رذهن إلى الحالة الأولى في ذلك الأجل الذي قدر لهن في مدة العدة.

﴿إِنْ أَرَادُوا﴾ بالرجعة ﴿أَصْلَحًا﴾ لما بينهم وبينهن ولم يريدوا مضارتهن. ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ ويجب لهن من الحق على الرجال مثل الذي يجب لهم عليهن.

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بالوجه الذي لا ينكر في الشرع وعادات الناس، فلا يكلفنهم ما ليس لهن ولا يكلفونهن ما ليس لهم.

(١) ينظر: الوسائل ج ١٥ باب ١٤ من أبواب العدد.

(٢) كتاب الأم ج ٥: ١٩٢.

(٣) المبسوط للرخسي ج ٦: ١٣.

﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ أي: زيادة في الحق وفضيلة بقيامهم عليهن.

الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَنٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْنَاهُمْ سِتًّا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ

الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾

﴿الطَّلَاقُ﴾ بمعنى التطليق كالسلام والكلام بمعنى التسليم والتكليم، أي: التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والإرسال دفعة واحدة، ولم يرد بالمرتين الثانية ولكن التكرير، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾^(١) أي: كرة بعد كرة.

﴿فَإِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَنٍ﴾ هذا تخيير لهم بعد أن علمهم كيف يطلقون، بين أن يمسكوا النساء مع حسن العشرة والقيام بحقوقهن، وبين أن يسرحوهن سراحاً جميلاً. وقيل: معناه: الطلاق الرجعي مرتان، لأنه لا رجعة بعد الثلاث^(٢)، فإمساك برجعة أو تسريح بإحسان بأن لا يراجعها حتى تبين بالعدة. وقيل: بأن يطلقها الثالثة^(٣)، وروى: أنَّ سائلاً سأل رسول الله ﷺ: أين الثالثة؟ فقال ﷺ: ((أو تسريح بإحسان))^(٤).

﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ﴾ خطاب للأزواج.

(١) الملك: ٤.

(٢) عن قتادة وغيره. تفسير الطبري ج ٢: ٢٧٦.

(٣) عن مجاهد. تفسير الطبري ج ٢: ٢٧٧.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة ج ٤: ١٧٥، ينظر: تهذيب الأحكام ج ٨: ٢٦.

﴿أَنْ تَأْخُذُوا مَعَآءَ اَّتَيْتُمُوهُنَّ﴾ من المهر ﴿شَيْئًا إِلَّا أَنْ﴾ يخاف الزوجان ترك إقامة ﴿حُدُودَ اللَّهِ﴾ فيما يلزمهما من مواجب الزوجية لما يحدث من نشوز المرأة وسوء خلقها.

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ فلا جناح على الرجل فيما أخذ، وعلى المرأة ﴿فِيمَا أَفْتَدَتْ يَدَهُ﴾ أي: فدت به نفسها واختلعت به، من بذل ما أوتيت من المهر، أو الزيادة على المهر إن كان النشوز والبغض منها وحدها، وإن كان منها فدون المهر. وقرئ: أن يُخَافَا على البناء للمفعول، وإبدال أن لا يقيما من ألف الضمير في يخافا، وهو من بدل الاشتغال، كقولك: خيف زيد تركه إقامة حدود الله، ونحوه: ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾^(١).

فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا حِجْلَ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَرْجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾

﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ الطلاق المذكور الموصوف بالتكرار في قوله: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ﴾، أو فإن طلقها مرة ثالثة بعد المرتين ﴿فَلَا حِجْلَ لَهُ مِنْ بَعْدِ﴾ أي: من بعد ذلك التطلق ﴿حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ حتى تتزوج غيره. والنكاح يسند إلى المرأة كما يسند إلى الرجل كالترجيع.

﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ الزوج الثاني ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَرْجَعَا﴾ أن يرجع كل واحد منهما إلى صاحبه بالمزاوجة.

﴿إِنْ ظَنَّا﴾ إن كان في ظنهما أنها يقيمان حقوق الزوجية. ولم يقل: إن علما،

لأنّ اليقين مغيب عنهما لا يعلمه إلا الله. ومن فسر الظن هنا بالعلم فقد وهم لفظاً ومعنى، لأنك لا تقول: علمت أن يقوم زيد، ولكن ظننت أنّه يقوم، ولأنّ الإنسان لا يعلم ما في الغد وإنّا يظن ظناً.

وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَنْ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ
سَرِيحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِنَعْدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ
فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا عَآيَةَ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ
اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ
وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣١﴾

﴿فَلَنْ أَجَلَهُنَّ﴾ أي: آخر عدّتهن وقاربن انقضاءها، والأجل يقع على المدة كلها وعلى آخرها، يقال لعمر الإنسان: أجل، وللموت الذي ينتهي به: أجل.
﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ أي: راجعوهن قبل انقضاء العدة.

﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ بما يجب لها من القيام بواجبها من غير طلب ضرار بالمراجعة.
﴿أَوْ سَرِيحُوهُنَّ﴾ أو اتركوهن حتى تنقضي عدّتهن فيكنّ أملك بأنفسهن.
﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا﴾ لا لرغبة فيهن بل لطلب الإضرار بهن بتطويل العدة عليهن.

﴿لِنَعْدُوا﴾ أي: لتظلموهن ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ بتعريضها لعذاب الله.

﴿وَلَا تَتَّخِذُوا عَآيَةَ اللَّهِ هُزُوًا﴾ أي: لا تستخفوا بأوامره ونواهيه.
﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ فيما أباحه لكم من الأزواج والأموال ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ﴾ من القرآن والعلوم التي بينها لكم.

﴿يُعْظَرُ بِهِ﴾ أي: بما أنزل عليكم لتعظوا.

وذكر النعمة مقابلتها بالشكر.

وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمَّا أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْصُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحَنَّ
أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ
مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ
يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٣﴾

﴿فَلَمَّا أَجَلَهُنَّ﴾ أي: انقضت عدتهن.

﴿فَلَا تَعْصُلُوهُنَّ﴾ أي: لا تمنعهن ظلماً عن التزوج. وهذا إما أن يكون
خطاباً للأزواج الذين يعصلون نساءهم بعد انقضاء العدة ظلماً لا يتركونهن
يتزوجن من شئن من الأزواج، وإما أن يكون خطاباً للأولياء في عضلهن أن
يرجعن إلى أزواجهن. والعصل: الحبس والتضييق.

﴿إِذَا تَرَاضَوْا﴾ إذا تراضى الخطاب والنساء ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بما يحسن في الدين
والمروءة من الشرائط.

﴿ذَلِكَ﴾ الذي سبق من الأمر والنهي ﴿يُوعَظُ بِهِ﴾.

﴿ذَلِكَ أَزْكَى لَكُمْ﴾ أي: خير لكم وأفضل ﴿وَأَطْهَرُ﴾ من أدناس الآثام.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ ما في ذلك من الزكاء والطهر، أو يعلم ما تستصلحون به من
الأحكام والشرائع ﴿وَأَنْتُمْ﴾ لا تعلمونه.

وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَمِّ

الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْوَلَدِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ
نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ
بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ
مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَزِيعُوا أَوْلَادَكُمْ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَاءَ الْيَتِيمِ بِالْمَعْرُوفِ وَأَلْقُوا اللَّهَ
وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٣﴾

﴿يُزِيعَنَّ﴾ مثل (ترتصن) في أنه خبر في معنى الأمر المؤكد، أي: ولترضع
الأمهات ﴿أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ تامين أربعة وعشرين شهراً، وإنما أكد لرفع
الإبهام لأنه يتسامح فيه، يقول الرجل: أقمت عند فلان حولين ولم يستكملها.

وقوله: ﴿لَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ بيان لمن توجه إليه الحكم، أي: هذا
الحكم لمن أراد إتمام الرضاع، أي: ليس ذلك بوقت لا ينقص منه بعد أن لا يكون في
القطام ضرر. وقيل: إن اللام يتعلق بـ﴿يُزِيعَنَّ﴾ كما تقول: أرضعت فلانة لفلان
ولده، أي: يرضعن حولين لمن أراد أن يتم الرضاعة من الآباء، لأن الأب يجب عليه
إرضاع الولد دون الأم [لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعَاَسَرْتَ مِنْهُ فَسْتَزِيعُ لَهُ أُخْرَى﴾^(١)]^(٢)،
وعليه أن يتخذ له ظئراً، إلا إذا تطوّعت الأم بإرضاعه، وهي مندوبة إلى الإرضاع
ولا تجبر على ذلك.

والأمر للوالدات بالإرضاع أمر على الندب، وقيل: أراد بالوالدات المطلقات
وإيجاب النفقة والكسوة لأجل الرضاع^(٣).

(١) الطلاق: ٦.

(٢) ساقطة من أ، ب، ط.

(٣) عن السدي وغيره. تفسير الطبري ج ٢: ٣٠٣.

﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ﴾ أي: وعلى الذي ولد له وهو الوالد - و﴿لَهُ﴾ في محلّ الرفع على الفاعلية - أن يرزقهن ويكسوهن إذا أرضعن ولده.

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ تفسيره ما يتبعه، وهو أن لا يكلف واحد منها ما ليس في وسعه ولا يتضارا. وقرئ: لا تضار بالرفع على الإخبار، ويحتمل أن يكون الأصل لا تضارر، ولا تضارر - بكسر الراء وفتحها - و(لا تضار) بالفتح على النهي.

والمعنى: لا تضار ﴿وَالِدَتُهُ﴾ زوجها بسبب ولدها بأن تطلب منه ما ليس بعدل من النفقة والكسوة، وأن تشغل قلبه بالتفريط في شأن الولد ﴿وَلَا﴾ يضار ﴿مَوْلُودُهُ﴾ امرأته بسبب ولده بأن يمنعها شيئاً مما وجب عليه، أو يأخذ منها وهي تطلب إرضاعه.

وكذلك إذا كان مبنياً للمفعول فهو نهي عن أن يلحق بها الضرر من قبل الزوج، وعن أن يلحق الضرر بالزوج من قبلها بسبب الولد.

﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾ عطف على قوله: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾، وما بينهما تفسير للمعروف معترض بين المعطوف والمعطوف عليه. والمعنى: وعلى وارث المولود له بعد موته مثل ما وجب عليه من الرزق والكسوة بالمعروف.

﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا﴾ صادراً ﴿عَنْ رَاضٍ مِنْهُمَا وَشَاوِرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ في ذلك، زادا على الحولين أو نقصا، وهذه توسعة بعد التحديد.

﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ﴾ خطاب للآباء.

﴿أَنْ تَسْرِضُوهُمَا﴾ المراضع ﴿أَوَّلَدَكُمْ﴾ [أي: وإن أردتم أن تتخذوا ظئراً ليرضع أولادكم إذا لم ترضع الأولاد الأمهات لعله أو مرض أو لقلة اللبن أو للحمل أو لإرادتها زوجاً آخر إذا كانت مطلقة، أو لأنكم تريدون أن يكون الولد

عندكم.

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: لا حرج عليكم. وتقديره خطاباً للآباء أن يسترضعوا المراضع أولادكم^(١) فحذف أحد المفعولين للاستغناء عنه.
﴿إِذَا سَلَّمْتُمْ﴾ إلى المراضع ﴿مَاءَ أَيْتُمٍ﴾ ما أردتم إيتاءه. وقرئ: ما أيتم، من أتى إليه إحساناً إذا فعله. وقيل: إذا سلمتم إلى الأم أجره المثل بمقدار ما أرضعت^(٢).

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾

هو على تقدير حذف المضاف، تقديره: وأزواج ﴿الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ... يَتَرَبَّصْنَ﴾، وقيل: معناه: والذين يتوفون منكم أي: يقبضون ويموتون ويتركون أزواجاً يترَبَّصن بعدهم، كقولهم: السمن منوان بدرهم أي: منوان منه.
ومعنى ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ﴾: يعتددن هذه المدة وهي ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ وعشرة أيام، وقيل: (عشراً) ذهاباً إلى الليالي والأيام داخله معها، ولا يستعمل التذكير فيه على إرادة الأيام، يقال: صمت عشراً.
﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ فإذا انقضت عدتهن ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أيها الأولياء والأئمة ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ﴾ من التعريض للخطاب.
﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بالوجه الذي لا ينكره الشرع.

(١) ساقطة من أ، ج، ط.

(٢) عن مجاهد وغيره. تفسير الطبري ج ٢: ٣١٤.

وهذه الآية ناسخة للآية المتأخرة عنها الواردة في عدة المتوفى عنها زوجها^(١) وإن كانت مقدّمة عليها في التلاوة.

وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُوٌّ هَلِيمٌ ﴿٣٣﴾

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أيها الرجال ﴿فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾ المعتدات، والتعريض هو أن يقول لها: (إنك لجميلة) أو (صالحة)، أو (إني أحب امرأة صفتها كذا) ويذكر بعض صفاتها، ونحو ذلك من الكلام الذي يوهم أنه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه إن رغبت فيه، ولا يصريح بالنكاح فلا يقول: (إني أريد أن أنكحك) أو (أترؤجك).

﴿أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ أي: سترتم وأضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه بالستكم لا معرضين ولا مصرحين.

﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ لا محالة برغبتكم فيهن خوفاً منكم أن يسبقكم غيركم إليهن فأباح لكم ذلك، فاذكروهن ﴿وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ والسّر كناية عن الوطاء، لأنّه مما يسرّ، ثم عبّر به عن النكاح الذي هو العقد، لأنّه سبب فيه كما فعل بالنكاح.

﴿إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ وهو أن تعرضوا ولا تصرّحوا، أي: لا تواعدوهن إلا بالتعريض، أو لا تواعدوهن إلا مواعدة معروفة غير منكرة.

﴿وَلَا تَعْرِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ﴾ من عزم الأمر وعزم عليه، وهو مبالغة في النهي عن عقد النكاح في العدة، لأن العزم على الفعل متقدّم، فإذا نهى عنه كان عن الفعل أنهى. ومعناه: ولا تعزموا عقد عقدة النكاح في العدة ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجْلَهُ﴾ يعني: ما كتب وفرض من العدة.

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ من العزم على ما لا يجوز ﴿فَأَحْذَرُوهُ﴾ ولا تعزموا عليه.

لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْوُسْعِ قَدْرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرُهُ مَتَّعَا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿٣١﴾

﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ لا تبعة عليكم من إيجاب مهر ﴿إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ﴾ ما لم تجمعوهن.

ويجوز أن تكون ﴿مَا﴾ هاهنا شرطية بمعنى: إن لم تمسوهن. ويجوز أن تكون بمعنى المدة، أي: مدة لم تمسوهن فيها فيكون نصباً على الظرف. وقرئ: (تماسوهن)، والمعنى فيهما واحد.

﴿أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [إلا أن تفرضوا لهنّ فريضة]^(١) أو حتى تفرضوا لهنّ فريضة. وفرض الفريضة: تسمية المهر، وذلك أن المطلقة غير المدخول بها إن ستي لها مهر فلها نصف المسمى، وإن لم يسم لها مهر فليس لها إلا المتعة.

﴿وَمَتَّعُوهُنَّ﴾ أي: أعطوهنّ من مالكم ما يتمتعن به.

﴿عَلَى الْوُسْعِ قَدْرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرُهُ﴾ أي: على الغني الذي هو في سعة لغناه

على قدر حاله، وعلى الفقير الذي هو في ضيق على قدر حاله. ومعنى ﴿قَدَرُهُ﴾: مقداره الذي يطيقه، والقَدَر والقَدَر لغتان.

﴿مَتَعًا﴾ تأكيد لـ ﴿وَمَتَّعُوهُمْ﴾ أي: تمتعاً.

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بالوجه الذي يحسن في الشرع والمروءة.

﴿حَقًّا﴾ صفة لـ ﴿مَتَعًا﴾ أي: واجباً عليهم، أو حق ذلك حقاً.

﴿عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ على الذين يحسنون إلى المطلقات بالتمتع، وسأهم قبل الفعل محسنين كما قال ﷺ: ((من قتل قتيلاً فله سلبه))^(١).

وَأِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً
فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُوَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ
الِنِكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ
اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٧﴾

هذا يدل على أن (الجناح) في الآية المتقدمة المراد به تبعة المهر، لأن قوله:

﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ إثبات للجناح المنفي هناك، وتقديره: فالواجب نصف ما فرضتم.

﴿إِلَّا أَنْ يَعْفُوَ﴾ يعني: المطلقات، أي: يتركن ما يجب لهن من نصف

المهر فلا يطالبن الأزواج بذلك.

﴿أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ وهو الولي الذي يلي عقد نكاحهن.

﴿وَأَنْ﴾ هذه هي الناصبة للفعل، و﴿يَعْفُوَ﴾ فعل النسوة في محل

النصب.

﴿وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ أي: التفضل، معناه: ولا تنسوا أن يتفضل بعضكم على بعض ولا تستقصوا.

حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ

قَلْبَيْنِ ﴿٢٣٨﴾

داوموا ﴿عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾ في مواقيتها بأداء أركانها.

﴿وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ بين الصلوات، أو الفضلى من قولهم للأفضل: الأوسط. وإنما أفردت وعظفت على ﴿الصَّلَوَاتِ﴾ لانفرادها بالفضل، وروي عنهم عليهم السلام: ((أنها صلاة الظهر))^(١)، وقيل: هي صلاة العصر^(٢)، وروي ذلك أيضاً. مرفوعاً^(٣)، وقيل: صلاة الفجر^(٤) يدل عليه قوله: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾^(٥).

﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَلْبَيْنِ﴾ أي: داعين في قيامكم. وعن الصادق عليه السلام قال: ((القنوت: الدعاء في الصلاة في حال القيام))^(٦).

فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا

عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾

أي: فإن كان بكم خوف من عدو أو غيره فصلّوا راجلين، والرجال جمع

(١) معاني الأخبار: ٣١٣.

(٢) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج ٢: ٣٤٢.

(٣) صحيح مسلم ج ٢: ١١٢.

(٤) عن جابر بن عبد الله وغيره. تفسير الطبري ج ٢: ٣٥٠.

(٥) الإسراء: ٧٨.

(٦) تفسير العياشي: ١٢٨ باختلاف.

راجل كالقيام جمع قائم.

﴿أَوْ رُكْبَانًا﴾ [على ظهور دوابكم، عنى بذلك صلاة الخوف.

﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ﴾ من الخوف] ^(١) ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ﴾ من

صلاة الأيمن، أو فاشكروا الله على الأمن واذكروه بالعبادة كما أحسن إليكم بها علمكم كيف تصلّون في حال الأمن والخوف.

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَّعًا

إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا

فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢١﴾

من قرأ: وَصِيَّةً - بالرفع - فالتقدير: وحكم ﴿الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ﴾، أو وصية

الذين يتوفون وصية لأزواجهم، أو والذين يتوفون أهل وصية فحذف المضاف.

ومن قرأ: (وَصِيَّةً) - بالنصب - فالتقدير: والذين يتوفون يوصون وصية كقولك:

(إنما أنت سير البريد) بإضمار (تسير).

﴿مَتَّعًا﴾ نصب بالوصية أو بـ(يوصون) إذا أضمرته.

و﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ مصدر مؤكد، أو بدل من ﴿مَتَّعًا﴾، أو حال من

الأزواج أي: غير مخرجات. والمعنى: إن حق الذين يتوفون عن أزواجهم أن

يوصوا قبل أن يموتوا بأن تمتع أزواجهم بعدهم حولاً كاملاً، أي: ينق عليهم من

تركته ولا يخرجن من مساكنهن، وكان ذلك قبل الإسلام، ثم نسخت المدة بقوله:

﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾.

﴿فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ﴾ من التزین والتعرض للأزواج ﴿مِنْ

مَعْرُوفٍ ﴿ ليس بمنكر شرعاً.

وَالْمُطْلَقَاتِ مَنَعُ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾

كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾

قيل: المراد بالمتاع النفقة المذكورة في قوله تعالى: ﴿مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ﴾^(١)، وقيل: المراد بالمتاع المتعة فتكون مخصوصة بالآية المتقدمة، فإن المتعة للمطلقة التي لم يدخل بها ولم يفرض لها مهر، فأما المدخول بها فلها مهر مثلها إن لم يسم لها مهر، وما سمي لها إن فرض لها مهر، وإن لم يدخل بها فنصف المهر.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ

الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى

النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تقرير لمن سمع بقصّتهم من أهل الكتاب، وتعجيب من شأنهم. ويجوز أن يخاطب به من لم ير ولم يسمع، لأنّ هذا يجري مجرى المثل في معنى التعجب. وهؤلاء قوم وقع فيهم الطاعون فخرجوا هاربين فأماهم الله ثم أحياهم ليعتبروا ويعلموا أنّه لا مفر من حكم الله. وقيل: هم قوم من بني إسرائيل دعاهم ملكهم إلى الجهاد، فهربوا حذراً من الموت، فأماهم الله ثم أحياهم^(٢).

﴿وَهُمْ أُلُوفٌ﴾ فيه دليل على الألوف الكثيرة.

﴿فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا﴾ معناه: فأماهم الله، وإنّما جيء به على هذه العبارة

للدلالة على أنّهم ماتوا ميتة إنسان واحد بمشيئة الله.

(١) البقرة: ٢٤٠.

(٢) عن ابن عباس. تفسير الطبري ج ٢: ٣٦٦.

﴿الْمَلَا﴾: الجماعة الأشراف من الناس، لأن هيبتهم تملأ الصدور.

﴿مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾ من بعد وفاته.

﴿إِذْ قَالُوا لَنَبِيِّ لَهُمْ﴾ هو يوشع أو شمعون أو إسموئيل وهو الأعراف.

﴿أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا﴾ أنهض للقتال معنا أميراً تنتهي إلى أمره ﴿نُقَاتِلَ فِي

سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ونصدر في تدبير الحرب عن رأيه.

﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَيْكُمْ أَلْقِيَالًا أَنْ تَقْتُلُوا﴾ أي: لعلكم إن فرض

عليكم القتال مع ذلك الملك ألا تقاتلوا وتجنبوا، بمعنى: أتوقع جبنكم عن القتال،

فأدخل ﴿هَلْ﴾ مستفهماً عما هو متوقع عنده ومظنون، وأراد بالاستفهام التقرير

وأن يثبت أن المتوقع كائن.

﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وأي داع لنا إلى ترك القتال،

وأي غرض لنا فيه.

﴿وَقَدْ أَخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَيْنَا﴾ وذلك أن قوم جالوت كانوا يسكنون

ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فأسروا من أبناء ملوكهم أربعمائة وأربعين.

﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ كان عددهم ثلاثمائة

وثلاثة عشر على عدد أهل بدر.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ وعيد لهم على ظلمهم في ترك الجهاد والقيود

عن القتال.

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا

قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ

يُوتَ سَعَةً مِنْ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ

بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ
وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٧٧﴾

﴿طَالُوتُ﴾ اسم أعجمي كجالوت وداود، وفيه سببان: التعريف والعجمة.
﴿أَنْتَ يَكُونُ﴾ كيف يكون؟ ومن أين يكون؟ وهو إنكار لتملكه عليهم،
والمعنى: كيف يتملك علينا والحال أنه لا يستحق التملك لوجود من هو ﴿أَحَقُّ
بِالْمُلْكِ مِنْهُ﴾، وأنه فقير ولا بد للملك من مال يتقوى به؟ وإنما قالوا ذلك لأن
النبوة كانت في سبط لاوي بن يعقوب والملك في سبط يهودا، ولم يكن طالوت من
أحد السبطين.

﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ﴾ أي: اختاره ﴿عَلَيْكُمْ﴾ وهو أعلم بالمصالح
منكم، ثم ذكر سبحانه خصلتين هما أعلى رتبة في الفضل من النسب والمال وهما:
العلم المبسوط والجسامة، فقال: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً﴾ أي: سعة وامتداداً ﴿فِي
الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ وكان أعلم بني إسرائيل في وقته وأتمهم جسماً وأشجعهم.
﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ﴾ أي: الملك له فهو يعطيه من يشاء.
﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ الفضل والعطاء ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن يصطفيه للرئاسة والملك.

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ
فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى
وَأَلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ
إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾

﴿التَّابُوتُ﴾ صندوق التوراة، وكان موسى عليه السلام إذا قاتل قوماً قدمه،
فكانت تسكن نفوس بني إسرائيل ولا يفرون. والسكينة: السكون والطمأنينة،

وقيل: هي صورة كانت فيه من زبرجد أو ياقوت، لها جناحان ورأس كرأس الهر وذنب كذنبه، فيزف التابوت نحو العدو وهم يمضون معه، فإذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر^(١)، وعن علي عليه السلام: ((كانت فيه ريح هفافة من الجنة ولها وجه كوجه الإنسان))^(٢).

﴿وَبَقِيََّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى﴾ هي: عصا موسى ورضاض الألواح وشيء من التوراة، وكان قد رفعه الله بعد موسى فنزلت به الملائكة ﴿تَحْمِلُهُ﴾ وهم ينظرون إليه، وكان ذلك آية لاصطفاء الله طالوت.

و﴿آلُ مُوسَى﴾ و﴿وَأَلْ هَارُونَ﴾ الأنبياء من بني يعقوب بعدهما، لأنَّ عمران هو ابن قاهث بن لاوي بن يعقوب، فكان أولاد يعقوب آلهما، ويجوز أن يراد مما تركه موسى وهارون و﴿آلُ﴾ مفخم.

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ
فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ
اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ
هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ
بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْكُوا اللَّهَ
كَم مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةٌ كَثِيرَةٌ يَأِذِنُ اللَّهُ وَاللَّهُ

مَعَ الضَّكَّارِينَ ﴿٢٤٩﴾

﴿فَصَلَ﴾ عن موضع كذا: إذا انفصل عنه وجاوزه، وأصله فصل نفسه، ثم كثر حذف المفعول حتى صار في حكم اللازم. ومعناه: انفصل عن البلد ﴿بِالْجُنُودِ﴾

(١) ينظر: تفسير الطبري ج ٢: ٣٨٦.

(٢) تفسير الطبري ج ٢: ٣٨٥.

وكانوا ثلاثين ألف مقاتل، وقيل: سبعين ألفاً^(١).

﴿قَالَ﴾ طالوت ﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ﴾ أي: مختبركم ﴿بِنَهْرٍ فَمَنْ شَرِبَ﴾ من النهر بأن كرع في مائه ﴿فَلَيْسَ مِنِّي﴾ أي: ليس من جملي وأشياعي ﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ﴾ أي: لم يذقه ﴿فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ يقال: طعم الشيء: إذا ذاقه.

﴿إِلَّا مَنْ أَغْرَفَ﴾ استثناء من قوله: ﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾ ومعناه: الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكروع، يدلّ عليه قوله: ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ﴾ أي: فكرعوا فيه ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾. وقرئ: ﴿غُرْفَةً﴾ بفتح الغين وضمّتها، فالفتح بمعنى المصدر والضم بمعنى المغروف.

وقيل: لم يبق مع طالوت إلا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً^(٢).

﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ﴾ أي: تخطى النهر طالوت ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾ يعني: القليل من أصحابه ورأوا كثرة عدد جنود جالوت ﴿فَقَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا﴾ قيل: إنّ الضمير في ﴿قَالُوا﴾ للكثير الذين شربوا وانخدلوا^(٣).

و﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ هم القليل الذين ثبتوا معه وتيقنوا ﴿أَنَّهُمْ﴾ يلقون الله.

﴿كَمْ مِّنْ فِتْنَةٍ﴾ أي: فرقة ﴿قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةُ كَثِيرَةٍ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بنصر الله لأنّه إذا أذن في القتال نصر فيه.

وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ

(١) الكشف والبيان ج ٢: ٢١٥.

(٢) الكشف والبيان ج ٢: ٢١٦.

(٣) تفسير الطبري ج ٢: ٣٩٤.

﴿٢٥٠﴾ فَهَرَمُوهُمْ يَازِدُ اللَّهُ وَقَتْلَ دَاوُدَ جَالُوتَ وَعَاتَكُ
 اللَّهُ الْمَلِكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مَكَائِسَاءَهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ
 النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ
 اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾

أي ظهروا لمحاربة ﴿جَالُوتَ﴾ وَجُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا ﴿أي: صب علينا﴾ صَبْرًا وَثَبَّتْ أقدَامُنَا ﴿أي: وفقنا للثبوت عند مداحض الحرب بتقوية القلوب وإلقاء الرعب في قلوب الأعداء.

وكان ايشا أبو داود في عسكر طالوت مع ستة من بنيه أو عشرة، وكان داود أصغرهم يرعى الغنم، فبعث طالوت إلى ايشا أن احضر وأحضر ولدك، فجاء ومعه ولده، فمر داود في طريقه بثلاثة أحجار دعاه كل واحد منها أن يحمله وقال: إِنَّكَ تَقْتُلُ بَنِي جَالُوتَ، فحملها في مخلاته ورمى بها جالوت فقتله، وزوجه طالوت بنته.

﴿وَعَاتَكُ اللَّهُ الْمَلِكُ﴾ في الأرض المقدسة، وما اجتمعت بنو إسرائيل على ملك قط قبل داود.

﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ النبوة.

﴿وَعَلَّمَهُ مَكَائِسَاءَهُ﴾ من صنعة الدروع وكلام الطير والنمل.

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ﴾ ولولا أن يدفع الله بعض الناس ﴿بِبَعْضٍ﴾ لغلب المفسدون و﴿لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ وبطلت منافعها. وقيل: ولولا أن الله ينصر المسلمين على الكفار لعمّ الكفر ونزل العذاب واستؤصل أهل الأرض^(١).

تِلْكَ ءَايَتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الرُّسُلِ ﴿٢٠٢﴾

﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى القصص التي اقتضتها من حديث إماتة الألف من الناس وإحيائهم، وتمليك طالوت، ونزول التابوت، وغلبة الجبارة على يد صبي. ﴿ءَايَتُ اللَّهِ﴾ دلالاته على كمال قدرته نقرأها ﴿عَلَيْكَ﴾.

و﴿تِلْكَ﴾ مبتدأ [و﴿ءَايَتُ اللَّهِ﴾ خبره، و﴿نَتْلُوهَا﴾ حال، ويجوز أن تكون ﴿ءَايَتُ اللَّهِ﴾ بدلاً من ﴿تِلْكَ﴾^(١) و﴿نَتْلُوهَا﴾ الخبر.

﴿بِالْحَقِّ﴾ باليقين الذي لا يشك فيه أهل الكتاب لأنه في كتبهم كذلك. ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ الرُّسُلِ﴾ حيث تخبر بها من غير أن تعرف بقراءة وكتابة.

تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ
بَعْضُهُمْ دَرَجَةً وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ
الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا
جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ ائْتَلَفُوا فَيَنْتَهُمُ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ
شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٠٣﴾

﴿تِلْكَ الرُّسُلُ﴾ إشارة إلى الرسل التي ذكرت قصصها في السورة، أو التي ثبت علمها عند رسول الله ﷺ.

﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ لما أوجب ذلك من تفاضلهم في مراتبهم. ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ أي: فضله الله بأن كلمه من غير سفير، وهو موسى عليه السلام. ﴿وَرَفَعَ بَعْضُهُمْ دَرَجَةً﴾ أي: ومنهم من رفعه على سائر الأنبياء، فكان بعد

تفاوتهم في الفضل أفضل منهم بدرجات كثيرة، وهو محمد صلوات الله عليه وآله لأنه المفضل عليهم حيث أوتي ما لم يؤته أحد من المعجزات الموفية على ألف وأكثر، وبعث إلى الإنس والجن، وخصّ بالمعجزة القائمة إلى يوم القيامة وهي القرآن. وفي هذا الإبهام من تعظيم شأنه وإعلاء مكانه ما لا يخفى، لأنّ فيه أنّه العلم الذي لا يشبهه والمشهور الذي لا يخفى.

﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾ كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص.
﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ تقدّم تفسيره^(١).

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ مشيئة إلقاء وقسر ﴿مَا أَفْتَلَكُمُ الَّذِينَ مِنْ﴾ بعد الرسل لاختلافهم في الدين وتكفير بعضهم بعضاً.

﴿وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فِيهِمْ مَنْ ءَامَنَ﴾ لالتزامه دين الأنبياء ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾ لإعراضه عنه.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَلَوْا﴾ كرره للتأكيد.

﴿وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ من الخذلان والعصمة.

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ

أنفقوا ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ﴾ لا تقدرون فيه على تدارك ما فاتكم من الإنفاق، لأنه ﴿لَا بَيْعٌ فِيهِ﴾ حتى تبتاعوا ما تنفقونه ﴿وَلَا خُلَّةٌ﴾ حتى يسامحكم أخلاؤكم به.

﴿وَلَا شَفْعَةٌ﴾ عام يراد به الخاص بلا خلاف، لأنّ الأمة اجتمعت على

إثبات الشفاعة يوم القيامة، وإن اختلفوا في كيفيةها.

﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ لأن الكفر هو غاية الظلم.

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾

﴿الْحَيُّ﴾ الذي يصح أن يكون قادراً عالماً وهو الباقي الذي لا يتطرق إليه الفناء، و﴿الْقَيُّومُ﴾ الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظهم.

﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ﴾ وهو ما يتقدم النوم من الفتور الذي يسمّى النعاس ﴿وَلَا نَوْمٌ﴾ وهو تأكيد للقيوم وبيان له، لأن من جاز عليه النوم والسنة لا يكون قيوماً. ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ يملكها ويملك تدبير ما فيها. ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ﴾ بيان لكبريائه وملكوته بأن أحداً لا يملك أن يتكلم يوم القيامة إلا إذا أذن له في الكلام.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ الضمير لما في السماوات وما في الأرض لأن فيهم العقلاء، أو لما دلّ عليه ﴿مَنْ ذَا الَّذِي﴾ من الملائكة والأنبياء، أي: يعلم ما كان قبلهم وما يكون بعدهم، ويعلم أحوالهم والمرضى منهم للشفاعة وغير المرضى.

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾ أي: معلوماته.

﴿إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ أي: بما علم وأطلع عليه، والإحاطة بالشيء علماً أن يعلم

كما هو على الحقيقة.

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾ أي: علمه ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ روي ذلك عنهم عليهم السلام ^(١)، وسمي العلم: كرسيًا، تسمية بمكانه الذي هو كرسي [العالم، وقيل: كرسيه: ملكه تسمية بمكانه الذي هو كرسي الملك، وقيل: الكرسي] ^(٢) سرير دون العرش دونه السماوات والأرض ^(٣).

ترتبت هذه الجمل من غير حرف عطف، لأن كل جملة منها واردة على سبيل البيان لما ترتبت عليه، والبيان متحد بالمبين، فالأولى أن لا يتوسط بينهما حرف عطف.

﴿وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ لا يثقله ولا يشق عليه حفظ السماوات والأرض.
﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ الشأن ﴿الْعَظِيمُ﴾ الملك.

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: ((سمعت نبيكم على أعواد المنبر وهو يقول: من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت، ولا يواظب عليها إلا صديق أو عابد، ومن قرأها إذا أخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والآيات حوله)) ^(٤).

لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ
بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا
أَنْفَصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾

(١) معاني الأخبار: ٢٧.

(٢) ساقطة من ج.

(٣) عن الصادق عليه السلام. التبيان ج ٢: ٣٠٩.

(٤) شعب الإيمان ج ٢: ٤٥٨.

يعني: إنَّ أمور الدين جارية على التمكن والاختيار لا على القسر والإجبار، ونحوه: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ... الْآيَةَ﴾^(١)، أي: لو شاء لأجبرهم على الإيمان لكنه لم يفعل وبنى الأمر على الاختيار. وقيل: هو بمعنى النهي أي: لا تتركها في الدين^(٢)، ثم قالوا: هو منسوخ بآية السيف^(٣)، وقيل: هو مخصوص بأهل الكتاب إذا أدوا الجزية^(٤).

﴿قَدْ تَبَيَّنَ ارْتُدُّهُمْ مِّنَ الْآيَةِ﴾ قد تميَّز الإيمان من الكفر بالدلائل النيرة.
﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ أي: بالشیطان والأصنام ﴿وَيُؤْمِرُ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ﴾ بالعصمة الوثيقة ﴿لَا أَنْفِصَامَ لَهَا﴾ لا انقطاع لها. وهذا تمثيل لما يعلم بالنظر والاستدلال بالمشاهد المحسوس الذي ينظر إليه عياناً.

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ
أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٧﴾

﴿اللَّهُ وَلِيُّ﴾ يريدون أن يؤمنوا يلطف بهم حتى ﴿يُخْرِجُهُم﴾ بلطفه وتوفيقه من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، أو يخرجهم من الشبه في الدين إن وقعت لهم بما يوفقهم له من حلها حتى يخرجوا منها إلى نور اليقين.
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: صمموا على الكفر فأمرهم على العكس.

(١) يونس: ٩٩، وتمة الآية: ﴿كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَقَانَتْ تُكْرِهَ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾.

(٢) تفسير السمرقندي ج ١: ١٩٥.

(٣) هي قوله تعالى: ﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ التوبة: ٧٣. والقاتل زيد بن أسلم. تفسير الطبري

ج ٣: ١٢.

(٤) عن قتادة وغيره. تفسير الطبري ج ٣: ١١.

﴿أُولَٰئِكَ أَهْمُ الظَّالِمُونَ﴾ أي: الشياطين يتولون أمورهم.

﴿يُخْرِجُونَهُمْ﴾ من نور البينات إلى ظلمات الشك والشرك.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُنْعِي، وَبِمِيتٍ قَالَ أَنَا أُخِي، وَأُمِيتٌ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمَسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعجيب من حاجة نمرود في الله وكفره به.

﴿أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ متعلق بـ ﴿حَاجَّ﴾ أي: لأن آتاه الله الملك، على

معنى: إن إيتاء الملك أورثه البطر والعتو فحاجَّ إبراهيم لذلك، أو وضع المحاجة في ربه موضع ما وجب عليه من الشكر على إيتاء الملك، نحو قوله: ﴿وَتَحْمِلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكَذِّبُونَ﴾^(١)، ويجوز أن يكون المعنى: حاج وقت أن آتاه الله الملك. ومعنى (آتاه الملك): إنه آتاه ما غلب به وعملك من الأموال والخدم والاتباع.

﴿إِذْ قَالَ﴾ نصب بـ ﴿حَاجَّ﴾ أو بدل من ﴿أَنْ آتَاهُ﴾ إذا جعل بمعنى

الوقت.

﴿أَنَا أُخِي، وَأُمِيتٌ﴾ يريد أخلي من وجب عليه القتل وأميت بالقتل.

الصادق عليه السلام قال: ((إن إبراهيم عليه السلام قال له: فأحيي من قتلته إن كنت صادقاً))^(٢).

ثم استظهر عليه بقوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمَسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ انتقل إلى ما لا يقدر فيه على نحو ذلك الجواب لبيهته.

(١) الواقعة: ٨٢.

(٢) التبيان ج ٢: ٣١٨.

[﴿فَبُهِتَ﴾ أي: تحير وعي] ^(١). وهذا دليل على جواز الانتقال من حجة إلى حجة.

أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْبَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُغْنِي
هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ
لَبِثْتُ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ
فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى جِمْارِكَ
وَلْيَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ
نُشِرْهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥١﴾

﴿أَوْ كَالَّذِي﴾ معناه: أو رأيت مثل الذي مرّ، فحذف لدلالة ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ عليه، لأنّ كليهما كلمة تعجيب. ويجوز أن يحمل على المعنى كأنه قيل: رأيت كالذي حاج إبراهيم ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْبَةٍ﴾ والمار عزيز أو ارمياء، أراد أن يعاين إحياء الموتى ليزداد بصيرة.

﴿قَالَ أَنَّى يُغْنِي هَذِهِ اللَّهُ﴾ هذا اعتراف بالعجز عن معرفة طريقة الإحياء واستعظام لقدرة المحيي. والقرية: بيت المقدس حين خرّبه بخت نصر، وقيل: هي القرية التي خرج منها الألوف حذر الموت ^(٢).

﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ أي: ساقطة على أبنيتها وسقوفها، كأنّ سقوفها سقطت ثم وقع البنيان عليها، قال: كيف يحيي الله هذه القرية بعد خرابها؟ أطلق لفظ (القرية) وأراد أهلها، وأحب أن يريه الله إحياءها مشاهدة.

(١) ساقطة من أ، ط.

(٢) عن ابن زيد. تفسير الطبري ج ٣: ٢١.

﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ﴾ روي: أنه مات ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غيبوبة الشمس، فقال قبل النظر إلى الشمس: ﴿لَيْثُتُ يَوْمًا﴾ ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال: ﴿أَوْ بَعْضُ يَوْمٍ﴾^(١)، وروي: أن طعامه كان تيناً وعنباً وشرابه عصيراً أو لبناً، فوجد التين والعنب كما جنيا والشراب على حاله^(٢).

﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ أي: لم تغيره السنون، والهاء أصلية أو هاء سكت، واشتقاقه من (السنة) على الوجهين، لأنّ لامها (هاء) أو (واو)، وذلك أنّ الشيء يتغير بمرور الزمان عليه، وقيل: أصله يتسنن من الحمأ المسنون فقلبت نونه حرف علة كتقضي البازي.

﴿وَأَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ﴾ كيف تفرّقت عظامه ونخرت وكان له حمار قد ربطه. ويجوز أن يكون المراد: وانظر إليه سالماً في مكانه كما ربطته وذلك من أعظم الآيات.

﴿وَلَنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ فعلنا ذلك، يريد إحياءه بعد الموت، وحفظ طعامه وشرابه. وقيل: إنه أتى قومه راكب حماره وقال: أنا عزيز، فكذبوه، فقال: هاتوا التوراة، فأخذ يهدأ هذا عن ظهر قلبه وهم ينظرون في الكتاب فما خرم حرفاً، فقالوا: هو ابن الله^(٣)، ولم يقرأ التوراة ظاهراً أحد قبل عزيز، فذلك كونه آية.

﴿وَأَنْظُرْ إِلَى أَعْظَامِ﴾ وهي عظام الحمار أو عظام الموتى الذين تعجّب من إحيائهم ﴿كَيْفَ تُنْشِئُهَا﴾ نحييها. ونشرها من نشر الله الموتى بمعنى:

(١) عن قتادة. تفسير الطبري ج ٣: ٢٥.

(٢) عن السدي. تفسير الطبري ج ٣: ٢٤.

(٣) الكشف والبيان ج ٢: ٢٥٠.

أنشرهم، وننشزها - بالزاي - أي: نحركها ونرفع بعضها إلى بعض للتركيب.
 وفاعل ﴿تَبَيَّنَ﴾ مضمَر تقديره: فلما تبيَّن له أنَّ الله على كل شيء قدير
 ﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فحذف الأول لدلالة الثاني عليه، نحو
 قولهم: ضربني وضربت زيدا. ويجوز أن يكون المعنى: فلما تبيَّن له ما أشكل عليه.
 وقرئ: قال أعلم - على لفظ الأمر - كأنه خاطب نفسه، كقول الأعشى:

وَدَّعْ هُرَيْرَةَ إِنَّ الرُّكْبَ مُرْمَحِلٌ^(١)

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنْ
 قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ
 إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ
 سَعْيًا وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١١﴾

﴿رَبِّ أَرِنِي﴾ أي: بصرني ﴿كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾.

﴿قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنْ﴾ قال له ذلك سبحانه وقد علم أنه أثبت الناس إيماناً،
 ليجيب بما أجاب به لما فيه من الفائدة للسامعين، وهذا ألف استفهام المراد به
 التقرير.

﴿قَالَ بَلَى﴾ هو إيجاب بعد النفي معناه: بلى آمنت.

﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ ليزيد سكوناً وطمأنينة، بأن يضام العلم الضروري
 علم الاستدلال، وتظاهر الأدلة أزيد للبصيرة واليقين، وأراد بطمأنينة القلب:
 العلم الذي لا مجال فيه للشك. واللام تعلقت بمحذوف تقديره: سألت ذلك
 ليطمئن قلبي.

(١) ديوان الأعشى: ٤١، وبقية: وهل تطيق وداعاً أثيا الرجل.

﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ﴾ طاووساً، وديكاً، وغراباً، وحمامة.

﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ بضم الصاد وكسرها بمعنى: فأملهن واطممنهن إليك.

﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾ أي: فجزّتهن وفترق أجزاءهن على الجبال التي بحضرتك وفي أرضك، وكانت أربعة أجبل.

﴿ثُمَّ أَدْعُهُنَّ﴾ وقل هن: تعالين بإذن الله.

﴿يَأْتِيَنَّكَ سَعْيًا﴾ أي: ساعيات مسرعات في طيرانهن أو في مشيهن على أرجلهن.

وروي: أنه أمر بأن يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويفترق أجزاءها ويخلط ريشها ودماها ولحومها وأن يمسك رؤوسها، ثم أمر بأن يجعل أجزاءها على الجبال على كل جبل ربعاً من كل طائر، ثم يصيح بها: تعالين بإذن الله، فجعل كل جزء يطير إلى الآخر حتى صارت جثثاً، ثم أقبلن فانضممن إلى رؤوسهن كل جثة إلى رأسها^(١). وقرئ: (جُزْؤاً) بضمتين، و(جزاً) بالتشديد، ووجهه: أنه خفف بطرح همزته ثم شدد كما يشدد في الوقف إجراء للوصل مجرى الوقف.

مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَعَ
فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣١١﴾

لا بد من تقدير حذف مضاف، أي: ﴿مَثَلُ﴾ نفقة ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ﴾: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾، أو مثلهم كمثال باذر حبة. والمنبت هو الله ولكن الحبة لما كانت سبباً أسند إليها الإنبات، كما يسند إلى الأرض وإلى الماء. وهذا التمثيل تصوير لمضاعفة الحسنات كأنها موضوعة بحذاء العين.

﴿وَاللَّهُ يَصْنَعُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ أي: يزيد على سبعمائة.

﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ المقدرة ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن يستحق الزيادة.

الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا
مَنًْا وَلَا أَذَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ ﴿٣٢﴾ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا
أَذَى وَاللَّهُ عَنِّي حَلِيمٌ ﴿٣٣﴾

المن: أن يعتد على من أحسن إليه بإحسانه ويريه أنه أوجب عليه حقاً له،
والأذى: أن يتناول عليه بسبب ما أسدى إليه.

ومعنى ﴿ثُمَّ﴾: إظهار التفاوت بين الإنفاق وترك المن والأذى، وأن
تركها خير من الإنفاق، كما جعل الاستقامة على الإيثار خيراً من الدخول فيه
بقوله: ﴿ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾^(١).

﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ رد جميل ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ وعفو عن السائل إذا وجد منه ما يثقل
على المسؤول، أو نيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل، أو عفو من جهة السائل،
لأنه إذا رده رداً جميلاً عذره.

﴿خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَى وَاللَّهُ عَنِّي﴾ لا حاجة به إلى منفق يمن ويؤذي.
﴿حَلِيمٌ﴾ عن المعاجلة بالعقوبة. وفيه ذرو من الوعيد^(٢).

يَتَابِعُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يُبْطِلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي
يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ

(١) فصلت: ٣٠.

(٢) ذرو من الوعيد: طرف منه. (الصحيح: مادة ذرا)

صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ، وَإِبِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ

عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٦٤﴾

﴿كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ﴾ معناه: ﴿لَا يُبْطِلُوا صِدْقَتِكُمْ بِالْعَمَلِ وَالْأَذَى﴾ كإبطال

المنافع ﴿الَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ، رِثَاءَ النَّاسِ﴾ لا يريد بإنفاقه رضاء الله وثواب الآخرة.

﴿فَمَثَلُهُ﴾ أي: مثله ونفقته التي لا ينتفع بها البتة.

﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾ أي: حجر أملس ﴿عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ، وَإِبِلٌ﴾ مطر عظيم

القطر ﴿فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾ أجرد نقياً من التراب الذي كان عليه.

﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ أي: لا يحصلون مما أنفقوه من ثوابه

على شيء كما لا يحصل أحد على شيء من التراب الذي أذهبه المطر من الحجر

الصلد.

ويجوز أن يكون الكاف في محل النصب على الحال، أي: ﴿لَا يُبْطِلُوا صِدْقَتَكُمْ﴾

مماثلين ﴿الَّذِي يُنْفِقُ﴾. وأراد بالذي ينفق الجنس أو الفريق الذي ينفق، فلذلك قال

بعده: ﴿لَا يَقْدِرُونَ﴾.

وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَنَصِيحًا

مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّتٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَتَأَنَّتْ أَكْلَهَا

ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلَّتْ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٦٥﴾

﴿وَتَنَصِيحًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ معناه: وليتبتوا من أنفسهم ببذل المال الذي هو

أخو الروح، وبذله أشق على النفس من أكثر العبادات الشاقة. ويجوز أن يراد

وتصديقاً للإسلام وتحقيقاً للجزاء من أصل أنفسهم، لأنه إذا أنفق المسلم ماله في سبيل الله علم أن تصديقه بالثواب من أصل نفسه وإخلاص قلبه.

و﴿مِنْ﴾ على التفسير الأول للتبعض مثلها في قولهم: هزّ من عطفه، ومعنى التبعض: إن من بذل ماله فقد ثبت بعض نفسه، ومن بذل ماله وروحه فقد ثبتها كلها. وعلى الآخر لابتداء الغاية كقوله: ﴿حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾^(١).

والمعنى: ﴿وَمَثَلُ﴾ نفقة هؤلاء ﴿كَمَثَلِ جَنَّتٍ﴾ أي: بستان ﴿بِرَبْوَةٍ﴾ بمكان مرتفع، وخصّها لأنّ الشجر فيها أزكى وأحسن ثمراً.

﴿أَصَابَهَا وَايْلٌ﴾ مطر عظيم القطر ﴿فَكَانَتْ أَكْلَهَا﴾ ثمرتها ﴿ضِعْفَيْنِ﴾ مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل.

﴿فَإِنْ لَمْ يُمْسِكْهَا وَايْلٌ فَطُلٌّ﴾ فمطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها.

أو مثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة، ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل والطل، وكما أنّ كل واحد من المطرين يضعف أكل الجنة، فكذلك نفقتهم كثيرة كانت أو قليلة زاكية عند الله.

أَيُّودُ أَحَدِكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضِعْفًا فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٣٣﴾

﴿أَيُّودُ أَحَدِكُمْ﴾ الهمزة للإنكار، والواو في قوله: ﴿وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ﴾ للحال لا للعطف، ومعناه: أيود أحدكم أن تكون له جنة وقد أصابه الكبر.

والإعصار: الريح التي تستدير ثم تسطع نحو السماء كالعمود، وهذا مثل لمن يعمل الأعمال الحسنة لا يبتغي بها وجه الله تعالى، فإذا كان يوم القيامة وجدها محبطة لا ثواب عليها، فيتحسر عند ذلك حسرة من كانت له جنة من أهبج الجنان وأبهاها وفيها أنواع الثمار، فبلغه ﴿الْكِبَرُ وَلَهُ﴾ أولاد ﴿ضِعْفَاءُ﴾ والجنة معاشهم فهلك بالصاعقة. قال الحسن: (هذا مثل قلّ والله من يعقله من الناس: شيخ كبير ضعف جسمه وكثر صبياناه أفقر ما يكون إلى جنته، وإن أحدكم والله أفقر ما يكون إلى عمله إذا انقطعت عنه الدنيا)^(١).

يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا
أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ
بِقَاضِيهِ إِلَّا أَنْ تُنْفِقُوا فِيهِ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفِيرٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٧﴾

﴿أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ أي: من جياذ مكسوباتكم وخيارها، وقيل: من حلالها^(٢).

﴿وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ من الغلات والثمار. والمعنى: ومن طيبات ما أخرجنا لكم، إلا أنه حذف لأنه ذكر الطيبات قبل.

﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ﴾ ولا تقصدوا المال الرديء ﴿مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾ أي: تخصصونه بالإنفاق، وهو في محل الحال.

﴿وَلَسْتُمْ بِقَاضِيهِ﴾ أي: وحالكم أنكم لا تأخذونه في حقوقكم.

﴿إِلَّا أَنْ تُنْفِقُوا فِيهِ﴾ أي: إلا بأن تتساحوا في أخذه وترخصوا فيه، من قولهم: أغمض فلان عن بعض حقّه: إذا غض بصره، ويقال: أغمض البائع إذا لم

(١) الكشاف ج ١: ٣١٤.

(٢) عن مجاهد. تفسير الطبري ج ٣: ٥٤.

يستقص كأنه لا يبصر، وعن ابن عباس: (كانوا يتصدقون بحشف التمر فنهوا عنه)^(١).

الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ
مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٨﴾ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ
مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا
يَذْكُرُونَ إِلَّا أُولَ الْأَلْبَابِ ﴿٣٩﴾

﴿يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾ بالإنفاق في وجوه البر وبإنفاق الجيد من المال، والوعد يستعمل في الخير والشر.

﴿وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾ ويغريكم على البخل ومنع الزكوات إغراء الأمر للمأمر، والعرب تسمي البخل فاحشاً كما قال طرفة:

أَرَى الْمَوْتَ يَغْنَامُ الْكَرَامَ وَيَضْطَفِي عَقِيلَةَ مَالِ الْفَاحِشِ الْمُتَشَدِّدِ^(٢)

﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ﴾ في الإنفاق ﴿مَغْفِرَةً﴾ لذنوبكم وكفارة لها ﴿وَفَضْلًا﴾ وأن يخلف عليكم أفضل مما أنفقتم، وقيل: وثواباً عليه في الآخرة.

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ﴾ أي: يعطي الله الحكمة، أي: العلم ويوفق للعمل به، والحكيم عند الله هو العالم العامل. وقيل: الحكمة: القرآن والفقه^(٣). وقرئ: (وَمَنْ يُؤْتِي) بكسر التاء بمعنى: ومن يؤته الله الحكمة.

﴿وَحَيْرًا كَثِيرًا﴾ تنكير تعظيم، كأنه قيل: فقد أوتي أي خير كثير.

(١) تفسير الطبري ج ١١: ٥٧ بالمعنى.

(٢) ديوان طرفة بن العبد: ٣٤.

(٣) عن مجاهد وغيره. تفسير الطبري ج ٣: ٦٠.

﴿وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ أي: العلماء الحكماء العمال.

وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ. وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِنْ تَبَدُّوا
الْصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ
خَيْرٌ لَكُمْ وَيَكْفُرْ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا
تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾

﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ﴾ في سبيل الله أو في سبيل الشيطان.

﴿أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ﴾ في طاعة أو في معصية ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾
لا يخفى عليه فيجازي عليه بحسبه.

﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ الذين ينفقون أموالهم في المعاصي، أو يمنعون
الزكوات، أو لا يوفون بالنذور، أو يندرون في المعاصي.

﴿مِنْ أَنْصَارٍ﴾ ممن ينصرهم من الله ويمنع عنهم عذاب الله.

و(ما) في ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾ نكرة، أي: فنعمة شيئاً إبداءها، وقرئ بكسر النون
وفتحها.

﴿وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ﴾ أي: تعطوها إياهم مع الإخفاء.

﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ أي: فالإخفاء خير لكم. والمراد بالصدقات المتطوع
بها، لأن الأفضل في الفرائض الإظهار.

(ونكفر) قرئ بالنون مرفوعاً عطفاً على محلّ ما بعد الفاء، أو على أنّه خبر

مبتدأ محذوف أي: ونحن نكفر، مجزوماً عطفاً على محلّ الفاء، وما بعده لآته جواب
الشرط، وقرئ: ﴿وَيَكْفُرُ﴾ بالياء مرفوعاً والفعل لله أو للإخفاء.

لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا
تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا تُنْفِسْكُمْ وَمَا تُنْفِقُوا إِلَّا ابْتِغَاءَ
وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا
تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٦﴾

أي: لا يجب ﴿عَلَيْكَ﴾ أن تجعلهم مهتدين إلى الانتهاء عما نهوا عنه من المَرِ
والأذى والإنفاق من الخبيث وغير ذلك، وما عليك إلا البلاغ.
﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ يُلطف بمن يعلم أَنَّ اللطف ينفع فيه
فينتهي عما نهى عنه.

﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ من مال ﴿فَلَا تُنْفِسْكُمْ﴾ فهو لأنفسكم لا يتنفع
به غيركم، فلا تمتوا به على من تنفقونه عليه ولا تؤذوه.
﴿وَمَا تُنْفِقُوا﴾ أي: وليست نفقتكم ﴿إِلَّا﴾ لا ابتغاء ﴿وَجْهِ اللَّهِ﴾
ولطلب ما عنده فما بالكم تمتون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يتوجه بمثله إلى الله.
﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ ثوابه أضعافاً مضاعفة، فلا عذر
لكم في أن ترغبوا عن الإنفاق وأن يكون على أحسن الوجوه وأجملها.

لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ
ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعْقُفِ
تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ
خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٧﴾

الجار يتعلق بمحذوف، والتقدير: اعمدوا ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ أو اجعلوا ما
تنفقونه للفقراء. ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف أي: صدقاتكم للفقراء.

وَالَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴿٢٧٤﴾ هم الذين أحصرهم الجهاد. ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ لا اشتغالهم به ﴿ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ﴾ للكسب. قيل: وهم أصحاب الصفة وهم نحو من أربعائة رجل، لم يكن لهم مساكن في المدينة ولا عشائر، فكانوا في صفة المسجد - وهي سقيفته - يتعلمون القرآن بالليل ويرضخون^(١) النوى بالنهار، وكانوا يخرجون في كل سرية يبعثها رسول الله ﷺ فمن كان عنده فضل أتاهم به إذا أمسى^(٢).

﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ﴾ بحالهم ﴿أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ أي: مستغنين من أجل تعففهم عن المسألة. ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ من صفرة الوجه وورثاة الحال، أو الخضوع الذي هو شعار الصالحين.

﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ أي إلحاحاً، ومعناه: إن سألوا سألوا بتلطف ولم يلحوا. وقيل: هو نفي للسؤال والإلحاف جميعاً^(٣) كقول امرئ القيس:

عَلَى لَا حِبِّ لَا يُهْتَدَى بِمَنَارِهِ^(٤)

يريد: نفي المنار والاهتداء به.

الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِتِلِ وَالْتِهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٥﴾

(١) يرضخون: يكسرون. (الصحاح: مادة رضح)

(٢) تفسير السمرقندي ج ١: ٢٠٦.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ج ١: ٣٥٧.

(٤) ديوان امرئ القيس: ٦٦، وبقيته: إذا سافه العود النباطي جرجرا.

أي: يعتمون أوقاتهم وأحوالهم بالصدقة لحرصهم على الخير. وعن ابن عباس: (نزلت في علي عليه السلام)، كانت معه أربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلاً وبدرهم نهاراً وبدرهم سراً وبدرهم علانية^(١). وروي ذلك عن الباقر والصادق عليه السلام^(٢).

الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ
الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ
اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا
سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا

خَالِدُونَ ﴿١٧٥﴾

﴿الرِّبَا﴾ كتب بالواو على لغة من يفخم كما كتبت الصلوة والزكاة بالواو، وزيدت الألف بعدها تشبيهاً بواو الجمع.

﴿لَا يَقُومُونَ﴾ إذا بعثوا من قبورهم ﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ﴾ أي: المصروع ﴿مِنَ الْمَسِّ﴾ وهو الجنون، ورجل ممسوس [أي: ممسوس]^(٣).

وتعلق ﴿مِنَ﴾ بـ ﴿لَا يَقُومُونَ﴾ أي: لا يقومون من المس الذي بهم إلا كما يقوم المصروع، ويجوز أن يتعلق بـ ﴿يَقُومُ﴾ أي: كما يقوم المصروع من جنونه، والمعنى: إنهم يقومون يوم القيامة مخبلين كالمصروعين يعرفون بتلك السيئات عند أهل الموقف.

﴿ذَلِكَ﴾ العقاب بسبب ﴿أَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ أي: البيع الذي لا ربا فيه مثل البيع الذي فيه الربا، وقوله: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ إنكار

(١) شواهد التنزيل ج ١: ١٠٩.

(٢) التبيان ج ٢: ٣٥٧.

(٣) ساقطة من أ، ب، ط.

لتسويتهم بينهما، ودلالة على بطلان قياسهم الربا على البيع.

﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ﴾ أي: فمن بلغه وعظ ﴿مِنْ رَبِّهِ﴾ وزجر بالنهاي عن الربا ﴿فَأَنْتَهُنَّ﴾ فنبع النهي وامتنع منه ﴿فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾ فلا يؤاخذ بها مضى منه ﴿وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ يحكم في شأنه يوم القيامة.

﴿وَمَنْ عَادَ﴾ إلى الربا بعد التحريم وقال ما كان يقوله: من أن البيع مثل الربا ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ لأن ذلك القول لا يصدر إلا من كافر مستحل للربا، فلهذا توعد بعذاب الأبد.

يَمَحُوقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٣١﴾

﴿يَمَحُوقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾ أي: يذهب ببركته ويهلك المال الذي يدخل فيه.

﴿وَيُرِي الصَّدَقَتِ﴾ أي: ما يتصدق به بأن يضاعف عليه الثواب ويزيد المال الذي أخرجت منه الصدقة ويبارك فيه، وفي الحديث: ((ما نقص مال من صدقة))^(١).

﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ هذا تغليظ في أمر الربا، وإيدان بآته من فعل الكفار لا من فعل المسلمين.

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا
الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ
مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ
وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا

تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾

الفرق بين قوله: ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ وقوله في موضع آخر: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾^(١) أن الفاء فيها دلالة على أن الإنفاق به استحقَّ الأجر، وطرح الفاء عار عن هذه الدلالة.

﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّيَآءِ﴾ روي: أنها نزلت في ثقيف، وكان لهم على قوم من قريش مال فطالبوهم عند المحلّ بالمال والربا^(٢)، وقيل: إتهم أخذوا ما شرطوا على الناس من الربا وبقيت لهم بقايا فأمرُوا أن يتركوها ولا يطالبوا بها^(٣).
﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ إن صحَّ إيمانكم.

﴿فَآذِنُوا يُحَرِّبَ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: فاعلموا بها، من أذن بالشيء: إذا علم به. وقرئ: فَآذِنُوا، أي: فاعلموا بها غيركم، وهو من الأذن وهو الاستماع، لآته من طرق العلم والمعنى: ﴿فَآذِنُوا﴾ بنوع من الحرب عظيم ﴿مِنْ﴾ عند ﴿اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾.
﴿وَإِنْ تَبَيَّنَ﴾ من الارتباء ﴿فَلََكُمْ رُهُوسٌ آمَوَلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ﴾ المديونين بطلب الزيادة ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ بالنقصان منها.

وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَىٰ اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾
أي: ﴿وَإِنْ﴾ وقع غريم من غرمائكم ﴿ذُو عُسْرَةٍ﴾ أي: ذو إعسار.

(١) البقرة: ٢٧٤.

(٢) أسباب النزول: ٦٥.

(٣) التبيان ج ٢: ٣٦٥.

﴿فَنَظَرُ﴾ أي: فالحكم أو فالأمر نظرة، أي: إنظار.

﴿إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ إلى يسار، أي: وقت يسار، وهو خبر في معنى الأمر. والمراد: فأنظروه إلى وقت يساره، والميسرة بضم السين وفتحها لغتان، وقرئ: (إلى ميسره) بالإضافة إلى الهاء وحذف التاء عند الإضافة، كقوله: ﴿وَأِقَامَ الصَّلَاةَ﴾^(١).

﴿وَأَن تَصَدَّقُوا﴾ أي: تتصدقوا ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ ندب سبحانه إلى أن يتصدقوا برؤوس أموالهم على من أعسر من غرمائهم أو ببعضها، كما قال: ﴿وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾^(٢).

﴿إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه خير لكم.

وقرئ: تَرْجِعُونَ و﴿تَرْجِعُونَ﴾ على البناء للفاعل والمفعول، أي: واخشوا واحذروا ﴿يَوْمًا﴾ تردون ﴿فِيهِ إِلَى﴾ جزاء ﴿اللَّهُ﴾. وعن ابن عباس: (إنها آخر آية نزل بها جبرئيل وقال: ضعها في رأس المائتين والثمانين من البقرة)^(٣).

يَتَابِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى
فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْب كَاتِبٌ أَن
يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ
وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْئًا فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ
سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ
وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِّن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا دَجَلَيْنِ
فَرَجُلٌ وَأَمْرَأَتَانِ مِمَّن رَّضَوْنَ مِنَ الشَّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا

(١) الأنبياء: ٧٣.

(٢) البقرة: ٢٣٧.

(٣) معالم التنزيل ج ١: ١٣٩.

فَذَكِّرْ إِمْدَهُمَا الْآخَرَىٰ وَلَا يَأْبَ الشَّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا
تَسْمَعُوا أَنْ تَكْفُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَّا أَجَلُهُ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ
عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَدَةِ وَأَدَقُّ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً
حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْفُوهَا
وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ
تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ
وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾

﴿إِذَا تَدَايَنْتُمْ﴾ أي: تعاملتم وداين بعضكم بعضاً، تقول: داينت الرجل إذا عاملته بدین معطياً أو آخذاً، كما تقول: بايعته إذا بعته أو باعك.

﴿بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: بدین مؤجل ﴿فَأَكْتُوبُ﴾، وإنها ذكر (الدَّيْنَ) ليرجع الضمير إليه في قوله تعالى: ﴿فَأَكْتُوبُ﴾، ولأن الدين يتنوع إلى مؤجل وحال، وقيل: ﴿مُسَمًّى﴾ ليعلم أن من حق الأجل أن يكون معلوماً موقتماً بالسنين أو الشهور أو الأيام، وهذا الأمر مندوب إليه، قال ابن عباس: (والمراد به السلم، لما حرم الله الربا أباح السلم)^(١).

﴿وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ أي: كاتب مأمون على ما يكتب، يكتب بالاحتياط والنصفة لا يزيد على ما يجب أن يكتب ولا ينقص، فقوله: ﴿بِالْعَدْلِ﴾ صفة لـ ﴿كَاتِبٌ﴾. وفي هذا دلالة على أن الكاتب يجب أن يكون فقيهاً عالماً بالشروط حتى يجيء مكتوبه معدلاً بالشرع.

﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ﴾ أي: ولا يمتنع أحد من الكتاب ﴿أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ

﴿الله﴾ كتابة الوثائق، وقيل: كما نفعه الله بتعليمها فلينفع الناس بكتابته^(١). وهو فرض على الكفاية عند أكثر المفسرين^(٢).

ويجوز أن يتعلق ﴿كَمَا عَلَّمَهُ اللهُ﴾ بـ ﴿أَنْ يَكْتُبَ﴾ فيكون نهياً عن الامتناع عن الكتابة المقتدة، ثم قيل له: ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾ أي: فليكتب تلك الكتابة ولا يعدل عنها، ويجوز أن يتعلق بقوله: ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾ فيكون نهياً عن الامتناع عن الكتابة على الإطلاق، ثم أمر بها مقتدة.

﴿وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ أي: وليكن الممل من وجب عليه الحق لأنه هو المشهود على ثباته في ذمته وإقراره به، والإملاء والإملال لغتان نطق بهما القرآن: ﴿فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ﴾^(٣).

﴿وَلَا يَبْخَسَ مِنْهُ﴾ أي: من الحق ﴿شَيْئًا﴾.

﴿إِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا﴾ السفيه: المحجور عليه لتبذيره أو الجاهل بالإملاء، والضعيف: الصبي أو الشيخ الخرف.

﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ﴾ بنفسه لعي أو خرس.

﴿فَلْيُمْلِلِ وَلِيُّهُ﴾ الذي يلي أمره من وصي إن كان سفيهاً أو ضعيفاً، أو وكيل إن كان غير مستطيع، أو ترجمان يمل عنه وهو يصدقه، ففي قوله: ﴿أَنْ يُمِلَّ هُوَ﴾ أنه غير مستطيع بنفسه ولكن بغيره وهو الذي يترجم عنه.

﴿وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ﴾ واطلبوا أن يشهد لكم شهيذان على الدين.

(١) تفسير السمرقندي ج ١: ٢١٠.

(٢) ينظر: تفسير الطبري ج ٣: ٧٨، الكشف والبيان ج ٢: ٢٩٢، التبيان ج ٢: ٣٧١.

(٣) الفرقان: ٥.

﴿مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ من رجال المؤمنين.

﴿فَإِنْ لَّمْ يَكُونَا﴾ فإن لم يكن الشاهدان ﴿رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَأَمْرَأَتَانِ﴾

فليشهد رجل وامرأتان. وشهادة النساء مقبولة عندنا في غير رؤية الهلال والطلاق مع الرجال على تفصيل فيه، وهي مقبولة على الانفراد فيما لا يستطيع الرجال النظر إليه مثل العذرة والأمور الباطنة للنساء^(١).

﴿وَمَنْ رَضَوْنَ﴾ ممن تعرفون عدالته وهو مرضي عندكم.

﴿مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا﴾ أن لا تهتدي إحدى المرأتين للشهادة بأن

تساها من قولهم: ضل الطريق: إذا لم يهتد له، وهو في موضع النصب بأنه مفعول له، أي: إرادة أن تضل. لما كان الضلال سبباً للإذكار كانت إرادة الضلال إرادة للإذكار، فكأنه قيل: إرادة أن تذكر إحداها الأخرى إن ضلت، ومثله قولهم: أعددت الخشبة أن يميل الحائط فادعمه. وقرئ: (فتذكر)، وهما لغتان، يقال: (أذكره) و(ذكره)، وقرأ حمزة: (إن تضل إحداها) على الشرط (فتذكر) بالرفع، كقوله: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾^(٢).

﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ ليقيموا الشهادة، وقيل: ليستشهدوا، وقيل

لهم: شهداء قبل التحمل، تنزيلاً لما يقارب منزلة الكائن.

﴿وَلَا تَسْمَعُوا﴾ ولا تملأوا أن تكتبوا الحق ﴿صَغِيرًا﴾ كان الحق ﴿أَوْ كَبِيرًا﴾

إِلَّا أَجَلِهِ﴾ إلى وقته الذي اتفق الغريان على تسميته.

﴿ذَلِكُمْ﴾ إشارة إلى ﴿أَنْ تَكْتُبُوهُ﴾ لآته في معنى المصدر، أي: ذلكم

الكتب.

(١) ينظر: الوسائل ج ١٨ باب ٢٤ من أبواب الشهادات.

(٢) المائدة: ٩٥.

﴿أَفْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: أعدل، من القسط ﴿وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ﴾ وأعون على إقامة الشهادة ﴿وَأَذِنَ أَلَّا تَرْتَابُوا﴾ وأقرب من انتفاء الريب في مبلغ الحق والأجل. ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا﴾ أريد بالتجارة: ما يتجر فيه من الأبدال، والمعنى: إلا أن تتبايعوا بيعاً ناجزاً يداً بيد فلا بأس أن لا تكتبوه، لأنه لا يتوهم فيه ما يتوهم في التداين.

ومعنى ﴿تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾: تعاطونها يداً بيد. وقرئ ﴿يَجَرَّةً حَاضِرَةً﴾ بالنصب على معنى: إلا أن تكون التجارة تجارة حاضرة. ﴿وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ أمر بالإشهاد مطلقاً لأنه أحوط.

﴿وَلَا يُضَارَّ﴾ يحتمل البناء للفاعل والمفعول، والمعنى: نهى الكاتب والشهيد عن ترك الإجابة إلى ما يطلب منها، وعن التحريف والزيادة والنقصان، أو النهي عن الضرر بهما بأن يعجلا عن مهم، أو لا يكلف الكاتب الكتابة في حال عذر ولا يتفرغ لذلك، ولا يدعى الشاهد إلى إثبات الشهادة أو إقامتها في وقت لا يتفرغ له. ﴿وَأِنْ تَفْعَلُوا﴾ وإن تضاروا ﴿فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ﴾ فإن الضرر فسوق، وقيل: وإن تفعلوا شيئاً مما نهيتهم عنه فإنه خروج مما أمر الله سبحانه به^(١).

وَأِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَنْ مَقْبُوضَةً فَإِنْ أَمِنْ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ فَاِئْتُوا الَّذِي أُوتِئْتُمْ أَمْنَتَهُ، وَلِئْتِي اللَّهَ رَبَّهُ، وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ عَنِ اللَّهِ قَلْبُهُ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾

﴿عَلَى سَفَرٍ﴾ أي: مسافرين.

﴿فَرِهْنُ﴾ أي: فالذي يستوثق به رهان. وقرئ: (فَرِهْنُ)، وكلاهما جمع الرهن، وقد يخفف فيقال: (رهن). وليس الغرض تخصيص الارتهان بحال السفر، ولكن السفر لما كان مظنة لإعواز الكتب والإشهاد، أمر المسافر بأن يقيم الارتهان مقام الكتاب والإشهاد على سبيل الإرشاد إلى حفظ المال، والقبض شرط في صحة الرهن.

﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ أي: فإن أمن بعض الدائنين بعض المدينين لحسن ظنه به ﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِيَ مِنْ أَمْنَتِهِ﴾ وهو الذي عليه الحق، أمر بأن يؤديه إلى صاحب الحق وافيًا وقت محله من غير مطل ولا تسويف. وسمي الدين أمانة لالتئانه عليه بترك الارتهان منه.

﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ﴾ خطاب للشهود.

﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا﴾ مع علمه بالمشهود به وتمكنه من أدائها.

﴿فَإِنَّهُ يَأْتِمُ قَلْبُهُ﴾ هو خبر (إن)، و﴿قَلْبُهُ﴾ مرفوع به على الفاعلية، كأنه قيل: فإنه يأتِم قلبه، والمعنى فيه: إن كتمان الشهادة من آثام القلوب ومن معازم الذنوب.

لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ
تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ
وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٦﴾

أي: ﴿وإن﴾ تظهروا ﴿ما في أنفسكم﴾ من السوء ﴿أو تخفوه﴾ فإن

الله تعالى يعلم ذلك ويجازيكم عليه، ولا يدخل فيها يخفيه الإنسان من الوسواس وحديث النفس، لأن ذلك مما ليس في وسعه الخلو منه، ولكن ما اعتقده وعزم عليه. وعن عبد الله بن عمر: (أنه تلاها فقال: لئن أخذنا الله بهذا لنهلكن، ثم بكى حتى سمع نسيجه^(١))، فذكر لابن عباس فقال: يغفر الله لأبي عبد الرحمن، قد وجد المسلمون منها مثل ما وجد، فنزل: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ... (الآية)﴾^(٢) (٣).

ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۚ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَاَمَنَ بِاللَّهِ
وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ۚ لَا تَفْرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ۚ وَقَالُوا
سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ غُفْرَانُكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ يجوز أن يكون عطفاً على ﴿الرَّسُولُ﴾، فيكون الضمير في ﴿كُلٌّ﴾ الذي التنوين نائب عنه راجعاً إلى الرسول والمؤمنين، أي: كلهم ﴿ءَاَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ ويوقف عليه.

ويجوز أن يكون مبتدأ فيكون الضمير للمؤمنين، أي: كل واحد منهم آمن. وقرئ: (وكتابه)، ويراد به: الجنس أو القرآن، وعن ابن عباس قال: (الكتاب أكثر من الكتب)^(٤). وإنما قال ذلك لأنه إذا أريد بالواحد الجنس والجنسية قائمة في وحدان الجنس كلها لم يخرج منه شيء، وأما الجمع فلا يدخل تحته إلا ما فيه الجنسية من المجموع.

(١) نشج الباكي: غصّ بالبكاء في حلقه من غير انتحاب. (الصحاح: مادة نشج)

(٢) البقرة: ٢٨٦.

(٣) تفسير الطبري ج ٣: ٩٥.

(٤) تفسير الطبري ج ٣: ١٠١.

[﴿لَا تُفَرِّقُ﴾] ^(١) يقولون: ﴿لَا تُفَرِّقُ﴾.

وقوله: ﴿سَمِعْنَا﴾ بمعنى: أجبنا.

و﴿عُفِّرَانَكَ﴾ منصوب بإضمار فعله، يقال: غفرانك لا كفرانك، أي: نستغفرك ولا نكفر بك.

لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا
اَكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تَأْخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ
عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا
مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا
فَاَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٣٨٦﴾

الوسع: ما يسع الإنسان ولا يضيق عليه، أي: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا﴾ ما يتيسر عليها ويتسع فيه طوقها، وهذا إخبار عن عدله ورحمته.

﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ من خير ﴿وَعَلَيْهَا مَا اَكْتَسَبَتْ﴾ من شر، لا يؤاخذ بذنبها غيرها ولا يثاب بطاعتها غيرها. وذكر النسيان والخطأ والمراد بهما: ما هما مسببان عنه من التفريط والإغفال. وقيل: إن المراد بـ ﴿نَسِينَا﴾ تركنا، وبـ ﴿اَخْطَاْنَا﴾ أذنبنا ^(٢). وروي عن ابن عباس: (إن معناه: لا تعاقبنا إن عصيناك جاهلين أو متعمدين) ^(٣).

والإصر: العبء الذي يأصر حامله، أي: يحبس مكانه لا يستقل به لثقله،

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ج ١: ٣٧٠.

(٣) جمع البيان ج ١-٢: ٤٠٤.

استعير للتكليف الشاق نحو: قتل الأنفس، وقطع موضع النجاسة من الجلد والثوب، وغير ذلك.

﴿وَلَا تُحْمِلُنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ من العقوبات النازلة بمن قبلنا، طلبوا الإعفاء عن التكليفات الشاقة التي كلفها من قبلهم، ثم عما نزل عليهم من العقوبات على تفريطهم في المحافظة عليها.

﴿أَنْتَ مَوْلَانَا﴾ سيدنا ونحن عبيدك، أو متولي أمورنا وناصرنا.

﴿فَأَنْصُرْنَا﴾ فَإِنَّ مِنْ حَقِّ الْمَوْلَى أَنْ يَنْصُرَ عَبْدَهُ، أَوْ فَإِنَّ ذَلِكَ عَادَتُكَ، أَي: فَأَعْنَا ﴿عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ بالقهر لهم والغلبة بالحجة عليهم.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: ((أوتيت خواتيم (سورة البقرة) من كنز تحت العرش لم يؤت من نبي قبلي))^(١).

سورة آل عمران

مدينة كلها، وهي ماثتا آية. عدّ الكوفي ﴿الم﴾ آية و﴿وَالْإِنْجِيلَ﴾ الثاني آية، وترك ﴿وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾، وعدّ البصري ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ آية. وفي حديث أبي: ((ومن قرأ (سورة آل عمران) أُعطي بكل آية منها أماناً على جسر جهنم))^(١). وروى بريدة^(٢) عن النبي ﷺ قال: ((تعلموا (سورة البقرة وسورة آل عمران) فإنهما الزهراوان، وإتتهما تظلمان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو غيابتان، أو فرقان من طير صواف))^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿١﴾ زَلَّ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٢﴾ مِنْ قَبْلِ هَذِهِ لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٤﴾

(١) الكشف والبيان ج ٣: ٥.

(٢) بريدة بن الحصب بن عبد الله الأسلمي، أسلم قبل بدر ولم يشهدها وشهد الحديبية وبائع بيعه الرضوان، تحوّل من المدينة الى البصرة ثم خرج منها غازياً إلى خراسان، مات بمرور في إمرة يزيد بن معاوية. ينظر: الاستيعاب ج ١: ١٧٣، معجم رجال الحديث ج ٤: ٢٠٢.

(٣) سنن الدارمي ج ٢: ٤٥٠.

من فتح (ميم الله) ألقى عليه حركة الهمزة حين أسقطها للتخفيف.
وقيل: نزل ﴿الْكِتَابَ﴾ وهو القرآن ﴿وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ لأنَّ القرآن نزل منجماً، ونزل الكتابان جملة.
﴿يَالْحَقُّ﴾ أي: بالصدق وبما توجه الحكمة ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا﴾ قبله من كتاب ورسول.

﴿وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ يعني: القرآن، كرر ذكره بما هو نعت له ومدح من كونه فارقاً بين الحقِّ والباطل، بعد ما ذكره باسم الجنس تعظيماً لشأنه، أو أراد جنس الكتب السماوية، لأنها كلها فرقان تفرق بين الحقِّ والباطل. الصادق عليه السلام: ((الفرقان كل آية محكمة في الكتاب))^(١).

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ من الكتب المنزلة وغيرها ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾.
﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ له انتقام شديد، لا يقدر على مثله منتقم.
﴿لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي﴾ العالم فعبّر عنه بالأرض والسماء.

هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ

الْحَكِيمُ ①

﴿هُوَ الَّذِي﴾ يخلق صوركم المختلفة المتفاوتة ﴿فِي الْأَرْحَامِ﴾.
﴿كَيْفَ يَشَاءُ﴾ على أي صفة يشاء من قبيح أو صبيح، ذكر أو أنثى.
﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ﴾ في جلاله ﴿الْحَكِيمُ﴾ في أفعاله. وعن سعيد بن

جبر^(١) قال: (هذا حجاج على من زعم أن عيسى كان رباً)^(٢)، كآته تبه بكونه مصوراً في الرحم على أنه عبد كغيره، وكان يخفى عليه ما لا يخفى على الله.

هُوَ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ ءَايَاتٌ تُحْكِمُكَ هُنَّ أَمْ الْكِتَابِ وَأُخْرُ
مُتَشَبِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ
وَأَبْغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ
ءَأَمَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدَ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾

﴿ءَايَاتٌ تُحْكِمُكَ﴾ أحكمت عباراتها بأن حفظت من الاحتمال والاشتباه.

﴿هُنَّ أَمْ الْكِتَابِ﴾ أي: أصل الكتاب، تحمل المتشابهات عليها وترد إليها
﴿وَأُخْرُ مُتَشَبِهَاتٌ﴾ مشتبهات محتملات. ولو كان القرآن كله محكماً لتعلق الناس
به لسهولة مأخذه، ولأعرضوا عما يحتاجون فيه إلى النظر والاستدلال، ولو فعلوا
ذلك لعطلوا الطريق الذي به يتوصل إلى معرفة الله وتوحيده، ولكان لا يتبين فضل
العلماء الذين يتعبون القرائح في استخراج معاني المتشابه ورد ذلك إلى المحكم.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ أي: ميل عن الحق.

﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ﴾ فيتعلقون بالمتشابه الذي يحتمل ما يذهب إليه أهل
البدعة مما لا يطابق المحكم، ويحتمل ما يطابقه من قول أهل الحق.

﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ طلب أن يفتنوا الناس عن دينهم ويضلّوهم ﴿وَأَبْغَاءَ
تَأْوِيلِهِ﴾ وطلب أن يؤولوه التأويل الذي يشتهونه.

﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ أي: لا يهتدي إلى تأويله الحق

(١) سعيد بن جبر بن هشام الأسدي بالولاء، كان من سادات التابعين، قتله الحجاج سنة ٩٥ هـ
بواسط. ينظر: وفيات الأعيان ج ٢: ١١٢، معجم رجال الحديث ج ٨: ١١٥.

(٢) الكشف ج ١: ٣٣٧.

الذي يجب أن يحمل عليه إلا الله والعلماء الذين رسخوا في العلم، أي: ثبتوا فيه وتمكنوا.

وبعضهم يقف على ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ ويتدنى ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَمَنَّا بِهِ﴾، ويفسرون التشابه بأنه ما استأثر الله بعلمه. والأول أوجه، وهو المروي عن الباقر عليه السلام قال: ((كان رسول الله ﷺ أفضل الراسخين في العلم))^(١).

و﴿يَقُولُونَ﴾ كلام مستأنف موضح لحال الراسخين، والمعنى: هؤلاء الراسخون العالمان بالتأويل ﴿يَقُولُونَ ءَمَنَّا بِهِ﴾ أي: بالمشابه.

﴿كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ أي: كل واحد منه ومن المحكم من عنده، أو بالكتاب كل من متشابهه ومحكمه من عند الله الحكيم الذي لا يتناقض كلامه.

﴿وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولَ الْأُنْبِي﴾ مدح للراسخين بحسن التأمل والتفكير والتذكر.

ويجوز أن يكون ﴿يَقُولُونَ﴾ حالاً من الراسخين.

رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ

الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّكَ اللَّهُ

لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ ﴿٩﴾

﴿لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ لا تختبرنا ببلايا تزيف فيها قلوبنا ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ وأرشدتنا إلى دينك، ونظيره قوله: ﴿فَلَمَّا كَتَبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا﴾^(٢)، فأضافوا ما يقع من زيف القلوب [إليه سبحانه لما كان عند امتحانه، أو لا تمنعنا لطفك الذي معه تستقيم

(١) الكافي ج ١: ٢١٣ ضمن حديث طويل وفيه: ((فرسول الله...)).

(٢) البقرة: ٢٤٦.

القلوب] ^(١) فتميل قلوبنا عن الإيذان بعد إذ لطفت بنا.

﴿وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾ من عندك نعمة بالتوفيق والمعونة.

﴿إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ يَوْمَ﴾ تجمعهم لحساب يوم أو لجزاء يوم، كقوله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ ^(٢).

و﴿الْيَعَادِ﴾: الموعد.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا

وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿١٠﴾ كَذَابٍ ءَالٍ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ

كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١١﴾

(من) في قوله: ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ مثل الذي في قوله: ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ

شَيْئًا﴾ ^(٣). والمعنى: لا تغني ﴿عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ﴾ من رحمة ﴿اللَّهِ﴾ أو من طاعة الله

﴿شَيْئًا﴾ أي: بدل رحمة الله وطاعته، ومثله: ((ولا ينفع ذا الجد منك الجد)) ^(٤)،

أي: لا ينفعه جدّه من الدنيا بذلك، أي: بدل طاعتك وعبادتك وما عندك.

﴿وَقُودُ النَّارِ﴾ أي: حطب النار تنقد النار بأجسامهم.

والدأب: مصدر (دأب في العمل) إذا كدح فيه، فوضع موضع ما عليه

الإنسان من شأنه وحاله. ومحلّ (الكاف) رفع، وتقديره: دأب هؤلاء الكفرة

﴿كَذَابٍ﴾ من قبلهم من ﴿ءَالٍ فِرْعَوْنَ﴾ وغيرهم. ويجوز أن يكون منصوب

المحلّ بقوله: ﴿لَنْ تُغْنِيَ﴾ أو بالوقود. والمعنى: لن تغني عنهم أموالهم مثل ما لم

(١) ساقطة من ج.

(٢) التغابن: ٩.

(٣) النجم: ٢٨.

(٤) أمالي الشيخ الطوسي ج ١: ١٥٩، صحيح البخاري ج ١: ١٥٣.

تغن عن آل فرعون، أو توقد بهم النار كما توقد بهم، كما تقول: (إنك لتظلم الناس كدأب أبيك)، تريد: كظلم أبيك، أي: مثل ما كان يظلمهم، وإن فلاناً لمحارف^(١) كدأب أبيه، تريد: كما حورف أبوه.

﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ تفسير لدأبهم بما فعلوا وفعل بهم، كأنه جواب لمن يسأل عن حالهم.

قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْتٌ يَبْتَغُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِّثْلَيْهِمْ رَأَىٰ الْعَيْنُ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ لَكَ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قيل: هم اليهود جمعهم رسول الله ﷺ بعد وقعة بدر في سوق بني قينقاع فقال: يا معشر اليهود، إحدروا مثل ما نزل بقريش، وأسلموا قبل أن ينزل بكم مثل ما نزل بهم، فقد عرفتم أنني نبي مرسل. فقالوا: (لا يغرنك أنك لقيت قوماً أغماراً)^(٢) لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة، ولئن قاتلنا لعرفت إنا نحن الناس) فنزلت الآية^(٣).

ومن قرأ: (سَيُغْلَبُونَ وَيُحْشَرُونَ) فهو في مثل قوله: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾^(٤) أي: قل لهم قولي لك: سيغلبون، ومن قرأ بالتاء

(١) المحارف بفتح الراء: المحدود المحروم. (الصحيح: مادة حرف)

(٢) رجل غمر: لم يجرب الأمور. (الصحيح: مادة غمر)

(٣) أسباب النزول: ٦٩.

(٤) الأنفال: ٣٨.

أجرى الجميع على الخطاب، والمعنى: ستصرون مغلوبين في الدنيا وتحشرون إلى جهنم في الآخرة.

وقيل: إن المراد بالذين كفروا: مشركو مكة^(١)، أي: ستغلبون يوم بدر، وأتيها أريد فقد فعل الله ذلك، فإن اليهود قد غلبوا بقتل بني قريظة وإجلاء بني النضير، [وفتح خير]^(٢) ووضع الجزية على من بقي منهم، وغلب المشركون أيضاً.

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ﴾ أي: دلالة معجزة على صدق نبيتنا محمد ﷺ.

﴿فِي فَتْنَيْنِ أَلْقَيْنَا﴾ يوم بدر: فرقة ﴿تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: في دينه وطاعته وهم الرسول وأصحابه، وفرقة ﴿أُخْرَى كَافَّةٌ﴾ وهم مشركو مكة. ﴿يَرَوْنَهُمْ مَّثْلَيْهِمْ﴾ يرى المشركون المسلمين مثلي المشركين في العدد قريباً من ألفين أو مثلي عدد المسلمين ستمائة ونيفاً وعشرين، أراهم الله إياهم مع قلتهم أضعافهم ليجنبوا عن قتالهم، وكان ذلك مدداً من الله لهم كما أمدهم بالملائكة. ويدل عليه قراءة من قرأ بالتاء، أي: ترون يا مشركي قريش المسلمين مثلي فتتكم الكافرة أو مثليهم أنفسهم.

فإن قيل: فكيف قال في سورة الأنفال: ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾^(٣)؟

فالجواب: أنهم قللوا أولاً في أعينهم حتى اجترؤوا عليهم، فلما التحم القتال كثروا في أعينهم حتى غلبوا، فكان التقليل والتكثير في حالتين مختلفتين.

﴿وَأَمَّا أَلْفَيْنِ﴾ يعني رؤية ظاهرة مكشوفة معانية.

﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ﴾ كما أيد المسلمين يوم بدر.

(١) عن مقاتل. معالم التنزيل ج ١: ١٤٨.

(٢) ساقطة من أ، ب، ط.

(٣) الآية: ٤٤.

زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ
الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ
وَالْحَرِّ ذَٰلِكَ مَتَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْرُ
الْمَعَادِ ﴿١٤﴾

﴿حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ أي: المشتبهات، جعل سبحانه الأعيان التي ذكرها
شهوات مبالغه في كونها مشتبهه محروصاً على الاستمتاع بها.

والمزين هو الله سبحانه بها جعل في الطباع من الميل إليها تشديداً للتكليف،
كقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ﴾^(١)، وعن الحسن: (زيناها
الشیطان لهم لأننا لا نعلم أحداً أذم لها من خالقها)^(٢).

ثم قدّم سبحانه ذكر ﴿النِّسَاءِ﴾ لأن الفتنة بهن أعظم، ثم تثنى بالبنين لأن
حبهم داع إلى جمع الحرام. والقنطار: المال الكثير، قيل: ملء مسك ثور ذهباً^(٣)،
وقيل: سبعون ألف دينار^(٤)، وقيل: مائة ألف دينار^(٥).

و﴿الْمُقَنْطَرَةِ﴾ بنيت من لفظ القناطير للتأكيد، كما يقال: ألف مؤلف،
وبدرة مبدرة.

و﴿الْمُسَوَّمَةِ﴾ المعلمة أو المرعية من أسام الدابة وسومها.
﴿وَالْأَنْعَامِ﴾ الأزواج الثمانية.

(١) الكهف: ٧.

(٢) تفسير الطبري ج ٣: ١٣٣.

(٣) عن أبي نضرة. تفسير الطبري ج ٣: ١٣٤.

(٤) عن مجاهد وغيره. تفسير الطبري ج ٣: ١٣٤.

(٥) عن سعيد بن جبیر وغيره. معالم التنزيل ج ١: ١٤٩.

﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿مَتَّعُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾.

قُلْ أَوْفَيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّتْ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ
مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا
إِنَّا ءَامَنَّا فَاعْفُ رِئَاسَتَنَا دُؤُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ
وَالصَّادِقِينَ وَالْقَنِيتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ
بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾

تم الكلام عند قوله: ﴿ذَٰلِكُمْ﴾، وقوله: ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّتْ﴾ كلام مستأنف فيه دلالة على بيان ما هو خير ﴿مِّنْ ذَٰلِكُمْ﴾. ويجوز أن يتعلق اللام بـ ﴿خَيْرٍ﴾، واختص المتقين لأنهم هم المتفعون به. وترتفع ﴿جَنَّتْ﴾ على هو جنات.

﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ مجازيهم بأفعالهم على قدر استحقاقهم.
﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ في محل نصب أو رفع على المدح، أو في موضع جر صفة للمتقين أو للعباد، والواو المتوسطة بين الصفات للدلالة على كمالهم في كل واحدة منها.

﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ المصلين وقت السحر، وقيل: الذين تنتهي صلاتهم إلى وقت السحر ثم يستغفرون ويدعون^(١).

شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِندَ اللَّهِ

(١) عن الحسن. معالم التنزيل ج ١: ١٤٩.

الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا
جَاءَهُمْ أَلْعَلُّهُمْ يَبْغِيًا يَبْغِيهِمْ وَمَنْ يَكْفُرْ يَتَّخِذِ اللَّهُ قَاتِلًا اللَّهُ
سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾

شبه سبحانه دلالاته على وحدانيته بالأفعال التي لا يقدر عليها غيره،
والآيات الناطقة بتوحيده مثل سورة الإخلاص وآية الكرسي وغيرهما، بشهادة
الشاهد في البيان والكشف، وكذلك إقرار الملائكة وأولي العلم بذلك.

﴿قَالِمًا بِالْقِسْطِ﴾ مقيماً للعدل فيما يقسم للعباد من الآجال والأرزاق، وفيما
يأمر به عباده من الإنصاف والعمل على السوية فيما بينهم، وانتصابه على أنه حال
مؤكد من اسم الله، كقوله: ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾^(١).

وقوله: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ جملة مستأنفة مؤكدة للجملة
الأولى، والفائدة فيه أن قوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ توحيد، وقوله: ﴿قَالِمًا بِالْقِسْطِ﴾
تعديل، فإذا تبعه قوله: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ فقد أذن أن الإسلام هو
العدل والتوحيد، وهو الدين عند الله، وما عداه فليس من الدين. وقرئ: أَنَّ الدين
بالفتح على أنه بدل من الأول، كأنه قال: شهد الله أن الدين عند الله الإسلام.

و﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ هم اليهود والنصارى. واختلافهم أنهم تركوا
الإسلام ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ أَلْعَلُّهُمْ﴾ أنه الحق، فثلث النصارى، وقالت اليهود:
عزيز ابن الله، واختلف الفريقان في نبوة محمد ﷺ وقد وجدوا نعته في كتبهم،
وجاءهم العلم بأنه رسول الله ونبيه.

﴿بَغِيًا يَبْغِيهِمْ﴾ أي: حسداً بينهم وطلباً منهم للرئاسة لا شبهة في الإسلام.

﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ أي: بالقرآن، أو بالتوراة والإنجيل وما فيهما من صفة محمد ﷺ.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ لا يفوته شيء من أعمالهم.
 فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلَّمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا
 الْكِتَابَ وَالْأُمِّيَّةَ: أَسَلَّمْتُ فَإِنْ أَسَلَّمُوا فَقَدْ أَهْتَدَوْا وَإِنْ
 تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ ﴿١٠﴾

﴿إِنْ﴾ جادلوك في الدين ﴿فَقُلْ﴾: أخلصت نفسي وجهلتي ﴿لِلَّهِ﴾ وحده،
 لم أجعل فيها لغيره شريكاً بأن أعبده وأعبد إلهاً معه. والمعنى: إن ديني التوحيد،
 وهو الأصل الذي يلزم جميع المكلفين الإقرار به.

﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾ عطف على التاء في ﴿أَسَلَّمْتُ﴾، ويجوز أن يكون الواو بمعنى
 (مع) فيكون مفعولاً معه.

﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ من اليهود والنصارى ﴿وَالْأُمِّيَّةَ﴾ الذين لا
 كتاب لهم من مشركي العرب.

﴿أَسَلَّمْتُ﴾ يعني: إنه قد أتاكم من البينات ما يوجب الإسلام، فهل
 أسلمتم أم أنتم بعد على كفركم؟، ومثله قوله: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾^(١)، لفظه لفظ
 الاستفهام والمراد الأمر.

﴿فَإِنْ أَسَلَّمُوا فَقَدْ أَهْتَدَوْا﴾ فقد نفَعُوا أنفسهم حيث خرجوا من الضلال
 إلى الهدى.

﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ لم يضرّوك فإنك رسول ما عليك إلا البلاغ والتنبيه على

طريق الرش والهدى.

إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ
وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ
فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٢٢﴾

هم أهل الكتاب قتلوا أنبياءهم وأتباعهم من عبادة بني إسرائيل،
وكان هؤلاء راضين بما فعل أولئك، وحاولوا قتل رسول الله ﷺ والمؤمنين لولا
عصمة الله.

وقوله: ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ المراد به: إن قتلهم لا يكون إلا بغير حق، كقوله:
﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾^(١).

﴿حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ إذ لم ينالوا بها الثناء والمدح، ولم تحقق
دمائهم وأموالهم، وفي ﴿الْآخِرَةِ﴾ لأنهم لم يستحقوا بها الثواب فصارت كأنها
لم تكن. وهذا هو حقيقة الحبوط، وهو الوقوع على خلاف الوجه المأمور به فلا
يستحق عليه الثواب والأجر.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ
لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
قَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّبُوا فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا
يَفْعَلُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتَهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ
كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾

يريد أحبار اليهود، أي: أعطوا حظاً وافراً من التوراة، أو من جنس الكتب المنزلة.

و(من) إما للتبعض وإما للبيان.

﴿يَدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ﴾ وهو التوراة ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ وذلك أن رسول الله ﷺ دخل مدارسهم فدعاهم، فقال له بعضهم: على أي دين أنت؟ قال: على ملة إبراهيم. فقالوا: إن إبراهيم كان يهودياً، فقال: إن بيننا وبينكم التوراة، فأبوا فتزلت^(١). وقيل: نزلت في الرجم وقد اختلفوا فيه^(٢).

﴿ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ استبعاد لتوليهم بعد علمهم أن الرجوع إلى كتاب الله واجب ﴿وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ الإعراض عادتهم.

﴿ذَلِكَ﴾ التولي والإعراض بسبب ﴿أَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّكَ النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ أي: قلائل، أربعين يوماً أو سبعة أيام.

﴿وَعَرَّجْهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ أي: افترأؤهم وهو قولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾^(٣).

﴿فَكَيْفَ﴾ يصنعون ﴿إِذَا جَمَعْتَهُمْ لِيَوْمٍ﴾ أي: لجزاء يوم ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي: لا شك فيه لمن نظر في الأدلة.

﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ﴾ جزاء ﴿مَا كَسَبَتْ﴾.

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ يرجع إلى ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ على المعنى، لأنه في معنى كل

الناس.

(١) أسباب النزول: ٧٠.

(٢) أسباب النزول: ٧٠.

(٣) المائدة: ١٨.

قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ
تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ يَدُكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٦١﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ
مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٦٢﴾

﴿اللَّهُمَّ﴾ الميم فيه عوض من (يا) ولذلك لا يجتمعان، وهذا من خصائص
هذا الاسم، كما اختص بالتاء في القسم، وبدخول حرف النداء عليه وفيه لام
التعريف.

﴿مَلِكُ الْمَلِكِ﴾ أي: تملك جنس الملك فتتصرف فيه تصرف الملاك فيما
يملكونه.

﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾ تعطي من تشاء من الملك النصيب الذي قسمته
له.

﴿وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾ النصيب الذي أعطيته منه. فالملك الأول عام،
والآخران خاصان بعضان من الكل.

﴿وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ من أوليائك في الدنيا والدين ﴿وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ من
أعدائك.

﴿يَدُكَ الْخَيْرُ﴾ تؤتيه أوليائك على رغم من أعدائك.

﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ أي: تنقص من الليل وتجعل ذلك النقصان زيادة في
النهار، وتنقص من النهار وتجعل ذلك النقصان زيادة في الليل.

﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ أي: من النطفة ﴿وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ﴾ أي: النطفة

﴿مِنَ الْآتِي﴾ وقيل: تخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن^(١).

﴿وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ بغير تقدير.

لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتُ وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾

نهى سبحانه المؤمنين أن يوالوا ﴿الْكَافِرِينَ﴾ لقرابة بينهم أو صداقة قبل الإسلام أو غير ذلك من الأسباب التي يتصادق بها، وقد كرر ذلك في القرآن: ﴿لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ﴾^(٢)، ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ... الْآيَةِ﴾^(٣). والحب في الله والبغض في الله أصل كبير من أصول الإيمان.

﴿مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ المعنى: إن لكم في موالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة الكافرين فلا تؤثرهم عليهم.

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ أي: فليس من ولاية الله في شيء، يعني: إنه منسلخ عن ولاية الله رأساً، وهذا أمر معقول فإن مصادقة الصديق ومصادقة عدوه متنافيان، قال:

تَوَدُّ عَدُوِّي ثُمَّ تَرَعُمُ أَتَنِي صَدِيقُكَ إِنَّ الرَّاْيَ مِنْكَ لَعَازِبٌ^(٤)

وقوله: ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ في موضع النصب على الحال، لآته في الأصل فليس في شيء ثابت من الله، فلما تقدّم انتصب على الحال، ومثله شعراً:

(١) عن الحسن. تفسير الطبري ج ٣: ١٥٠.

(٢) المائدة: ٥١.

(٣) المجادلة: ٢٢.

(٤) البيت للعتابي. عيون الأخبار ج ٣: ٦.

لَيَسُوا مِنَ الشَّرِّ فِي شَيْءٍ وَإِنْ هَآنَا^(١)

﴿لَا أَن تَسْقُوا مِنْهُمُ ثِقَةً﴾ إلا أن تخافوا من جهتهم أمراً يجب اتقاؤه.

وقرى: ثَقِيَّةٌ، وهما جميعاً مصدر اتقى ثقاةً وتقيةً وتقوى. وهذه رخصة في موالاتهم عند الخوف، والمراد بهذه الموالاة المخالفة الظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة.

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ فلا تعرضوا لسخطه بموالاة أعدائه، وهذا

وعيد شديد.

قُلْ إِنْ تُخَفُّوْا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذَرُوْهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي
السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾

﴿إِنْ تُخَفُّوْا مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ من ولاية الكفار أو غيرها مما لا يرضي الله.

﴿يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾ ولم يخف عليه وهو ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ لا يخفى

عليه منه شيء، فلا يخفى عليه سرّكم وجهركم.

﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فهو قادر على عقوبتكم. وهذا بيان لقوله:

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ وهي ذاته المتميزة من سائر الذوات القادرة العالمة، فلا

تختص بمقدور دون مقدور، ولا بمعلوم دون معلوم، فكان أحقّ بأن يتقى ويحذر.

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ
سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ

نَفْسَهُ، وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾

﴿يَوْمَ﴾ منصوب بـ ﴿تَوَدُّ﴾ أي: يوم القيامة حين ﴿تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ خيرها

وشرّها حاضرين تمنى ﴿لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا﴾ وبين ذلك اليوم وهوله ﴿أَمَدًا بَعِيدًا﴾،

(١) البيت لقرط بن أنيف العنبري، ديوان الحماسة: ٢٩، وصدره: لكن قومي وإن كانوا ذوي حسب.

فالضمير في ﴿يَنْتَهُ﴾ لـ (اليوم).

ويجوز أن ينتصب ﴿يَوْمَ﴾ بمضمّر نحو: اذكر، ويرتفع ﴿وَمَا عَمِلْتَ مِنْ سُوءٍ﴾ على الابتداء، و﴿تَوَدُّ﴾ خبره. أي: والذي عملته من سوء تودّ هي لو تباعد ما بينها وبينه، وتكون (ما) موصولة ولا يجوز أن تكون شرطية لارتفاع ﴿تَوَدُّ﴾. ويجوز أن يكون ﴿وَمَا عَمِلْتَ﴾ عطفًا على ﴿مَا عَمِلْتَ﴾، ويكون ﴿تَوَدُّ﴾ حالًا. أي: يوم تجد عملها محضراً وأداة تباعد ما بينها وبين اليوم أو عمل السوء. وقوله: ﴿تُخَضَّرَا﴾ أي: مكتوباً في صحفهم يقرؤونه، ونحوه: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾^(١). والأمد: المسافة، كقوله: ﴿يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾^(٢).

﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ رحيم بهم، فلا تأمنوا عقابه ولا تياسوا من رحمته.

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ

غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ

لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾

نزلت الآية في قوم من أهل الكتاب قالوا: نحن أحبّاء الله، فجعل الله سبحانه مصداق ذلك اتباع رسوله ﷺ فقال: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾ فإنكم إن فعلتم ذلك أحبكم الله وغفر لكم. ومحبة الله للعبد هي إرادة ثوابه، ومحبة العبد لله هي إرادة طاعته، فإنّ المحبة من جنس الإرادة.

ثم أكد ذلك بقوله: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ أي: إن كنتم تحبون الله كما

(١) الكهف: ٤٩.

(٢) الزخرف: ٣٨.

تَدْعُونَ، فَأَظْهَرُوا دَلَالََةَ صَدَقِ الْمَحَبَّةِ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَاضِياً وَأَنْ يَكُونَ مُضَارِعاً بِمَعْنَى: فَإِنْ تَوَلَّوْا، وَيَدْخُلُ فِي جُمْلَةٍ مَا يَقُولُهُ الرَّسُولُ لَهُمْ.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ أَي: لَا يُحِبُّهُمْ وَلَا يَرِيدُ ثَوَابَهُمْ مِنْ أَجْلِ كُفْرِهِمْ، فَوَضَعَ الظَّاهِرَ مَوْضِعَ الْمَضْمَرِ لِهَذَا الْمَعْنَى.

إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ

﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّتًا بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾

﴿آلِ إِبْرَاهِيمَ﴾: إِسْمَاعِيلُ وَإِسْحَاقُ وَأُولَادُهُمَا.

و﴿آلِ عِمْرَانَ﴾: مُوسَى وَهَارُونَ ابْنَا عِمْرَانَ بْنِ يَصْهَرَ. وَقِيلَ: عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ بِنْتُ عِمْرَانَ بْنِ مِائِثَانَ^(١)، وَبَيْنَ الْعِمْرَانِيِّينَ أَلْفٌ وَثَمَانِ مِائَةِ سَنَةٍ.

و﴿ذُرِّيَّةً﴾ بَدَلَ مِنْ ﴿آلِ إِبْرَاهِيمَ وَآلِ عِمْرَانَ﴾.

﴿بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ يَعْنِي: إِنَّ الْأَلِينَ ذُرِّيَّةٌ وَاحِدَةٌ مُتَسَلِّسَةٌ بَعْضُهَا مُتَشَعِّبٌ مِنْ بَعْضٍ، وَفِي قِرَاءَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عليه السلام: وَآلَ مُحَمَّدٍ عَلَى الْعَالَمِينَ، وَقِيلَ: إِنَّ آلَ إِبْرَاهِيمَ هُمُ آلُ مُحَمَّدٍ الَّذِينَ هُمُ أَهْلُ بَيْتِهِ^(٢).

وَمِنْ اصْطِفَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَاخْتَارَهُ مِنْ خَلْقِهِ لَا يَكُونُ إِلَّا مَعْصُوماً مُطَهَّراً عَنْ الْقُبَاحِ، وَعَلَى هَذَا فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْاصْطِفَاءُ مَخْصُوصاً بِمَنْ كَانَ مَعْصُوماً مِنْ آلِ إِبْرَاهِيمَ وَآلِ عِمْرَانَ نَبِيَّاً كَانَ أَوْ إِمَاماً.

(١) معالم التنزيل ج ١: ١٥٥.

(٢) عن الحسن. التبيان ج ٢: ٤٤١.

إِذْ قَالَتْ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾

يجوز أن يكون ﴿إِذْ﴾ منصوباً بقوله: ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، [أي: سميع عليم]^(١) لقول امرأة عمران ونبتها، وقيل: هو منصوب بـ(اذكر).

وهي امرأة عمران بن ماثان أم مريم البتول جدّة عيسى عليه السلام واسمها حنة، وكانتا أختين: إحداها هذه والأخرى عند زكريا عليه السلام واسمها ايشاع واسم أبيهما قاقوذ، فيحیی ومريم ابنا خالة.

﴿مُحَرَّرًا﴾ أي: معتقاً لخدمة بيت المقدس لا يدلي عليه ولا أستخدمه. وروي عن الصادق عليه السلام: ((إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَوْحَىٰ إِلَىٰ عِمْرَانَ أَنِّي وَاهِبٌ لَكَ وَلَدًا مَبْرُكًا يَرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَيُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي، فَحَدَّثَ امْرَأَتَهُ حَنَةَ بِذَلِكَ، فَلَمَّا حَمَلَتْ قَالَتْ: (رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا))^(٢).

﴿فَتَقَبَّلَ مِنِّي﴾ أي: نذري قبول رضا.

﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ بها أقول ﴿الْعَلِيمُ﴾ بها أنوي.

﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا﴾ وكانت ترجو أن يكون غلاماً خجلت واستحيت، و﴿قَالَتْ﴾ منكسة رأسها: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ﴾ وإنها قالت ذلك تحسراً، لأنها كانت ترجو أن تلد ذكراً، ولذلك نذرتة محرراً، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ

(١) ساقطة من أ، ج.

(٢) تفسير القمي: ١٠٠ باختلاف.

بِمَا وَضَعْتَ ﴿ تعظيماً لموضوعها، أي: والله أعلم بالشيء الذي وضعت وبما علق به من عظام الأمور وهي لا تعلم ذلك.

وقرئ: (بِمَا وَضَعْتَ) بضم التاء، وروي ذلك عن علي عليه السلام، بمعنى: ولعل الله فيه سرّاً وحكمة، ولعل هذه الأنثى خير من الذكر تسلية لنفسها.

ومريم في لغتهم هي العابدة.

فَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا
دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَنَزَرُمُ أَنَّ لِلَّهِ هَذَا
قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾

﴿فَقَبَّلَهَا رَبُّهَا﴾ فرضي بها بالنذر مكان الذكر ﴿بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون القبول اسماً لما يقبل به الشيء كالسقوط والوجور لما يسقط به ويوجر، وهو اختصاصه لها بإقامتها مقام الذكر ولم يقبل قبلها أنثى في ذلك، أو بأن تسلمها من أمها عقيب الولادة قبل أن تصلح للسدانة.

والثاني: أن يكون مصدراً على تقدير حذف المضاف، بمعنى: فتقبلها بذی قبول حسن، أي: بأمر ذي قبول حسن وهو الاختصاص.

﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ أي: جعل نشوءها نشوءاً حسناً، وربّاه تربية حسنة، وأصلح أمرها في جميع أحوالها.

وقرئ: ﴿وَكَفَّلَهَا﴾ بالتشديد، ﴿زَكَرِيَّا﴾ بالنصب. والفعل لله تعالى، بمعنى: وضمّها إليه وجعله كافلاً لها وضامناً لمصالحها. وقرئ: (زكريا) بالقصر

والمد. وقيل: إنّه بنى لها زكريا محراباً في المسجد، أي: غرفة تصعد إليها بسلم^(١)، وقيل: المحراب أشرف المجالس ومقعدهما^(٢)، كأنتها وضعت في أشرف موضع من بيت المقدس، وقيل: كانت مساجدهم تسمى المحاريب^(٣).

﴿وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ كان رزقها ينزل عليها من الجنة، فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء.

﴿أَتَى لَهَا هَذَا﴾ [من أين لك هذا]^(٤) الرزق الذي لا يشبه أرزاق الدنيا؟.

﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ أي: من الجنة.

وفي كتاب الكشف: ((عن النبي ﷺ أنّه جاع في زمن قحط، فأهدت له فاطمة عليها السلام رغيفين وبضعة لحم أثرته بها، فرجع بها إليها وقال: هلمّي يا بنية، فكشفت عن الطبق فإذا هو مملوء خبزاً ولحماً، فبهتت وعلمت أنّها نزلت من عند الله، فقال لها: أتى لك هذا؟ فقالت: هو من عند الله، إنّ الله يرزق من يشاء بغير حساب. فقال عليه السلام: الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني إسرائيل، ثم جمع رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب والحسن والحسين وجميع أهل بيته عليه حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو، فأوسعت فاطمة على جيرانها))^(٥).

﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾ من جملة كلام مريم، أو من كلام ربّ العزة.

﴿بِعَمَلٍ حِسَابٍ﴾ بغير تقدير لكثرتّه، أو تفضلاً بغير محاسبة ومجازاة على

(١) عن ابن اسحاق. الكشف والبيان ج ٣: ٥٧.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ج ١: ٤٠٣.

(٣) تهذيب اللغة ج ٥: ٢٣.

(٤) ساقطة من ج.

(٥) الكشف ج ١: ٣٥٨، الكشف والبيان ج ٣: ٥٧.

عمل.

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ
إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي
الْمِحْرَابِ أَنْ اللَّهُ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا
وَخَصُورًا وَنَبِيًّا ۖ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾

﴿هُنَالِكَ﴾ أي: في ذلك المكان حيث هو قاعد في المسجد عند مريم في
المحراب، أو في ذلك الوقت فقد يستعار (هنا) و(ثم) و(حيث) للزمان.

لما رأى حال مريم من كرامتها على الله ومنزلتها، رغب في أن يكون له ولد
من ايشاع مثل ولد أختها حنة في الكرامة على الله، وإن كانت عاقراً عجوزاً.

﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ أي: ولداً مباركاً تقياً نقياً، وإنما
أتت على لفظ الذرية، والذرية تقع على الواحد والجمع.

﴿إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ أي: مجيبه.

﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ قيل: ناداه جبرئيل عليه السلام^(١). وقرئ: (فناديه) على التذكير
والإمالة، وقرئ: ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ﴾ بالفتح على تقدير: بأن الله، وبالكسر على تقدير
إرادة القول، ولأن النداء ضرب من القول، وقرئ: يبشرك بفتح الياء والتخفيف
من بشره يبشره.

و﴿يَحْيَىٰ﴾ إن كان أعجمياً فإنما منع الصرف للتعريف والعجمة، وإن كان
عربياً فللتعريف ووزن الفعل.

﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: بعيسى مؤمناً به. قيل: إنه أول من آمن به،

وإنما سمي كلمة لأنه لم يوجد إلا بكلمة الله وحدها وهو قوله: كن من غير سبب آخر^(١)، وقيل: ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾: مؤمناً بكتاب منه^(٢)، وسمي الكتاب (كلمة) كما قيل: (كلمة الحويدرة)^(٣) لقصيدته.

﴿وَسَيِّدًا﴾ يسود قومه ويفوقهم في الشرف والعلم والعبادة.

﴿وَحَصُورًا﴾ لا يقرب النساء حصراً لنفسه ومنعاً من الشهوات.

﴿وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي: رسولاً شريفاً رفيع المنزلة كائناً من جملة الأنبياء

الصالحين.

قَالَ رَبِّ أَنِّي يَكُونُ لِي عُلْمٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَأَمَرَاتِي
عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ
لِي آيَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا
وَأَذْكُرَ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسِيحَ بِالْعَمَى وَالْإِبْكَرِ ﴿٤١﴾

﴿قَالَ﴾ زكريا: ﴿أَنِّي يَكُونُ لِي عُلْمٌ﴾ هذا استبعاد من حيث العادة ﴿وَقَدْ

بَلَغَنِي الْكِبَرُ﴾ كقولهم: أدرته السن العالية، والمعنى: أثر في الكبر وأضعفني، وكانت له تسع وتسعون سنة، وقيل: مائة وعشرون سنة ولامرأته ثمان وتسعون سنة^(٤).

﴿قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ﴾ أي: يفعل الله ما يشاء من الأفعال العجيبة الخارقة

(١) عن ابن عباس وغيره. تفسير الماوردي ج ١: ٣٩٠.

(٢) مجاز القرآن ج ١: ٩١.

(٣) هو قطبة بن أوس بن محسن من بني ثعلبة بن سعد، شاعر جاهلي مقل، والحويدرة والحادرة لقب غلب عليه. ينظر: ترجمته وأخباره الأغاني ج ٣: ١٨٨.

(٤) عن ابن عباس برواية الضحاك. معالم التنزيل ج ١: ١٥٨.

للعادة مثل ذلك الفعل، وهو خلق الولد بين الشيخ الفاني والعجوز العاقر، أو ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ﴾ مبتدأ وخبر، أي: على نحو هذه الصفة الله، و﴿يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ بيان له.

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ أي: علامة أعرف بها وقت الحمل، لأتلقى هذه النعمة إذا جاءت بالشكر.

﴿قَالَ آيَتُكَ أَلَّا﴾ تقدر على تكليم ﴿النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا﴾ إشارة بيد أو برأس أو غيرهما، وأصله التحرك.

ولئما خص تكليم الناس ليعلمه أنَّ حبس لسانه يكون عن القدرة على تكليمهم خاصة، ويكون قادراً على التكليم بذكر الله، ولذلك قال: ﴿وَأَذْكُرَ رَبَّكَ كَثِيرًا﴾ يعني: في أيام عجزك عن تكليم الناس، وهي من المعجزات الباهرة. ﴿وَسَيَحِبُّ بِالْعَتَمِ﴾ من حين تزول الشمس إلى أن تغيب.

﴿وَالْإِنْكَارِ﴾ من طلوع الفجر إلى وقت الضحى.

وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ

وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَمْرُؤُا أَفْتَى لِرَبِّكِ

وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾

﴿إِذْ﴾ هذه معطوفة على ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ﴾.

كَلِمَتِهَا الْمَلَأَتْهُ شَفَاهَا و﴿قَالَتْ﴾ لها: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ﴾ أولاً إِذْ تَقْبَلُكِ مِنْ أَمَكِ وَرَبَّكِ واختصك بأنواع الكرامة.

﴿وَطَهَّرَكِ﴾ من الأدناس والأفذار العارضة للنساء مثل الحيض والنفاس.

﴿وَاصْطَفَاكِ﴾ آخرأ ﴿عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ بأن وهب لك عيسى من غير

أب، ولم يكن ذلك لأحد من النساء.

﴿يَمْرُؤُا أَقْنِي لِرَبِّكِ﴾ أمرت بالصلاة بذكر القنوت والسجود، لكونها من هيئات الصلاة وأركانها، ثم قيل لها: ﴿وَأَزْكِي مَعَ الزَّكَاةِ﴾ بمعنى: ولنكن صلاتك مع المصلين في الجماعة، أو انظمي نفسك في جملة المصلين وكوني في عدادهم.

ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ
يُلْقُونَ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ
يَخْتَصِمُونَ ﴿١١﴾

﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى ما سبق من نبأ زكريا ويحيى ومريم.

﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾ من الأخبار التي لم تعرفها إلا بالوحي.

﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ أي: نلقيه إليك معجزة لك، لأنّ علم ما غاب عن الإنسان لا يمكن حصوله إلا بدراسة الكتب أو بالتعلّم أو بالوحي. ومعلوم أنّك لم تشاهد هذه القصص، ولم تقرأها من كتاب ولا تعلمتها، إذ كان نشوؤك بين قوم لم يكونوا أهل كتاب، فوضح أنّك لم تعرف ذلك إلا بالوحي.

﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَمَهُمْ﴾ التي كانوا يكتبون بها التوراة في الماء يقتربون على مريم، فارتز^(١) قلم زكريا وارتفع فوق الماء، ورسبت أقلام الباقين من الأخبار.

﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ أي: ليعلموا أيهم يكفلها ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ في شأنها.

إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ يَبْشِرُكَ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ
 الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾
 وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ
 رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا
 يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾

﴿إِذْ قَالَتِ﴾ بدل من ﴿وَإِذْ قَالَتْ﴾، ويجوز أن يبدل من ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾.
 ﴿يُبَشِّرُكَ﴾ يخبرك بها يسرك.

﴿بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ﴾ وأصله مشيحا بالعبرانية، ومعناه: المبارك،
 كقوله: ﴿وَجَعَلْنِي مُبَارِكًا أَبْنَىٰ مَا كُنْتُ﴾^(١)، وكذلك عيسى معرب من ايشوع،
 وقيل: إنها سمي مسيحا، لأن جبرئيل مسحه بجناحيه وقت ولادته، يعوذه بذلك
 من الشيطان^(٢)، وقيل: لأنه كان لا يمسح ذا عاهة بيده إلا برا^(٣).

وإنما قيل: ﴿اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ وهذه ثلاثة أشياء: الاسم منها
 عيسى، والمسيح لقب من ألقابه الشريفة، والابن صفة؛ لأن الاسم يكون علامة
 للمسمى يتميز بها عن غيره، فكأنه قيل: إن مجموع هذه الثلاثة هو الذي يتميز
 بذلك عن غيره.

﴿وَجِيهًا﴾ حال من ﴿كَلِمَةٍ﴾، وكذلك ﴿وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾، ﴿وَيُكَلِّمُ﴾،
 ﴿وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾. أي: يبشرك به موصوفاً بهذه الصفات، وصح الحال من النكرة
 لكونها موصوفة.

(١) مريم: ٣١.

(٢) الكشف والبيان ج ٣: ٦٨.

(٣) عن ابن عباس. معالم التنزيل ج ١: ١٥٩.

والوجهة ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ هي النبوة والرئاسة على الناس، وفي ﴿الْآخِرَةِ﴾ الشفاعة وعلو الرتبة، وكونه ﴿مِّنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ رفعه إلى السماء.

وقوله: ﴿فِي الْمَهْدِ﴾ في موضع النصب على الحال من ﴿وَيُكَلِّمُ﴾، و﴿كَهَلًا﴾ عطف عليه. والمعنى: يكلم الناس طفلاً وكهلاً كلام الأنبياء من غير تفاوت بين الحالتين.

وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿١٨﴾ وَرَسُولًا
إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ
مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ
وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ
بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِن
كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيَّنَّ يَدَىٰ مِنَ التَّوْرَةِ
وَلِأَحَدٍ لَّكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن
رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا

﴿وَيُعَلِّمُهُ﴾ عطف على ﴿يُبَشِّرُكُمْ﴾، أو على ﴿يَخْلُقُ﴾، أو على ﴿وَجِئْتُكُمْ﴾، أو هو كلام مستأنف. وقرئ: ﴿وَيُعَلِّمُهُ﴾ بالياء والنون.

وقوله: ﴿وَرَسُولًا﴾ و﴿وَمُصَدِّقًا﴾ فيها وجهان:

أحدهما: إن التقدير: ويقول: أرسلت رسولاً بآتي قد جئتكم ومصدقاً لما بين يدي.

والثاني: إن الرسول والمصدق فيها معنى النطق، فكأنه قيل: وناطقاً بآتي قد جئتكم، وناطقاً بآتي أصدق ما بين يدي.

و﴿أَنِّي أَخْلُقُ﴾ في موضع نصب بدل من ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ﴾، أو في موضع

جر بدل من ﴿ءَايَةٍ﴾، أو في موضع رفع على هي آتي أخلق لكم. وقرئ: إني أخلق - بالكسر - على الاستثناف. والمعنى: إني أقدر لكم شيئاً مثل صورة الطير.

﴿فَأَنْفُخُ فِيهِ﴾ أي: في ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير.

﴿فَيَكُونُ طَيْرًا﴾ كسائر الطيور حياً.

﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بقدرته وأمره.

﴿وَأُتْرِثُ الْأَكْثَمَ﴾ أي: الذي يولد أعمى ﴿وَالْأَبْرَصَ﴾ الذي به

وضح.

وإنما كرر ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ دفعاً لوهم من توهم فيه الإلهية.

﴿وَأَنْتَبِئْكُمْ﴾ بما تأكلونه وما تدخرونه ﴿فِي بُيُوتِكُمْ﴾. كان يقول: يا فلان

أكلت كذا، ويا فلان خبي لك كذا.

وقوله: ﴿وَلَا تُحِلَّ لَكُمْ﴾ محمول على قوله: ﴿بِقَايَةٍ﴾ أي: جنتكم بآية من

ربكم ولأحل لكم، ويجوز أن يكون ﴿وَمُصَدِّقًا﴾ محمولاً عليه أيضاً، أي: جنتكم بآية وجنتكم مصدقاً.

والذي أحل لهم عيسى عليه السلام وقد كان محرماً عليهم في شريعة موسى هو: لحم

الإبل، والشحم، والثرب^(١)، ولحم بعض الحيتان.

﴿وَجِئْتُمْكُمْ بِقَايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: حجة شاهدة على صحة نبوتي.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في مخالفتي وتكذيبي وأطيعوني.

إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾

(١) الثرب: شحم قد غشي الكرش والأمعاء رقيق. (الصحاح: مادة ثرب)

فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ
قَالَ الْخَوَارِثُوتُ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا
مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ
فَلَا تَجْعَلْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكْرُوهًا وَمَكْرًا اللَّهُ
وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٥٤﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ مالكي ومالككم، إنما قال ذلك ليكون حجة على النصارى في
قولهم: المسيح ابن الله، والمعنى: لا تنسبوني إليه فإنما أنا عبد له كما أنكم عبيد له.
﴿فَلَمَّا أَحَسَّ﴾ أي: علم ﴿عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ﴾ علماً لا شبهة فيه كعلم ما
يدرك بالحواس.

﴿قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ أي: من الذين يضيفون أنفسهم إلى الله
ينصرونني كما ينصرنني؟ فيكون ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ من صلة ﴿أَنْصَارِي﴾. ويجوز أن
يكون متعلقاً بمحذوف حالاً من الباء، أي: من أنصاري ذاهباً إلى الله.

﴿قَالَ الْخَوَارِثُوتُ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ أي: أنصار دينه ورسوله، وحواري
الرجل صفوته وخاصته، ويقال لنساء الحضر: الخواريات، لنظافتهن وخلوص
ألوانهن. والحواريون كانوا اثني عشر رجلاً، قيل: سموا بذلك لأنهم كانوا
نورانيين عليهم أثر العبادة^(١)، أو لنقاء قلوبهم كما ينقى الثوب بالتحوير، وقيل:
كانوا قصارين يبيضون الثياب^(٢). وإنما طلبوا شهادته لأن الرسل يشهدون يوم
القيامة لقومهم وعليهم.

(١) عن عبد الله بن المبارك. معالم التنزيل ج ١: ١٦١.

(٢) عن أبي أرطاة. تفسير الطبري ج ٣: ٢٠٠.

وقوله: ﴿مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ أي: مع الأنبياء الذين يشهدون لأمرهم، وقيل: مع أمة محمد ﷺ لأنهم شهداء على الناس^(١).

﴿وَمَكْرُؤًا﴾ الواو لكفار بني إسرائيل، ومكرهم أنهم وكلوا به من يقتله غيلة.

﴿وَمَكْرَ اللَّهِ﴾ بأن رفع عيسى عليه السلام إلى السماء، وألقى شبهه على من أراد اغتياله حتى قتل.

﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمُنْكَرِينَ﴾ أقواهم مكرًا وأنفذهم كيداً وأقدرهم على العقاب من حيث لا يشعر المعاقب.

إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنِي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ
الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ
تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ﴾ ظرف لـ ﴿خَيْرُ الْمُنْكَرِينَ﴾ أو لـ ﴿مَكْرَ اللَّهِ﴾.

﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ أي: مستوفي أجلك، ومعناه: إِنِّي عاصمك من أن يقتلك الكفار، ومؤخرك إلى أجل كتبته لك، وميمتك حتف أنفك لا قتلاً بأيديهم.

﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ أي: إلى سمائي ومقر ملائكتي.

﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من سوء جوارهم وخبث صحبتهم.

وقيل: متوفيك: قابضك من الأرض، من توفيت مالي على فلان إذا استوفيته^(٢)،

(١) عن ابن عباس. معجم الطبراني الكبير ج ١١: ٢٢٣.

(٢) عن مطر الوراق وغيره. تفسير الطبري ج ٣: ٢٠٣.

وقيل: متوفيك في وقتك بعد النزول من السماء ورافعك الآن^(١)، وقيل: متوفيك: متوفي نفسك بالنوم من قوله: ﴿وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾^(٢) ورافعك وأنت نائم حتى لا يلحقك خوف، وتستيقظ وأنت في السماء آمن مقرَّب^(٣).

﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ يعلمونهم بالحجة، وفي أكثر الأحوال بالحجة والسيف، ومتبعوه هم المسلمون دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصارى.

﴿فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ تفسير الحكم فيما بعد وهو قوله: ﴿فَاعْزِبُهُمْ﴾، ﴿فَيُؤْفِقِهِمْ أَجُورَهُمْ﴾.

فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَاعْزِبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَلِكَ
نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾

﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى ما سبق من نبي عيسى عليه السلام وغيره، وهو مبتدأ خبره ﴿نَتْلُوهُ عَلَيْكَ﴾، و﴿مِنَ الْآيَاتِ﴾ خبر بعد خبر، أو خبر مبتدأ محذوف. ويجوز أن يكون ﴿ذَلِكَ﴾ بمعنى (الذي)، و﴿نَتْلُوهُ﴾ صلته، و﴿مِنَ الْآيَاتِ﴾ الخبر.

و﴿الذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ القرآن، لأنه بما فيه من الحكمة كأنه ينطق بالحكمة، كما تسمى الدلالة دليلاً وإن كان الدليل هو الدال.

(١) معاني القرآن للقرآني ج ١: ٢١٩.

(٢) الزمر: ٤٢.

(٣) عن الربيع. تفسير الطبري ج ٣: ٢٠٢.

إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَابْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾

﴿إِنَّ﴾ شأن عيسى عليه السلام وحاله العجيبة كشأن ﴿آدَمَ﴾.

وقوله: ﴿خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ جملة مفسرة لما له شبهة عيسى بآدم، أي: خلق آدم من تراب ولا أب هنا ولا أم، فكذلك حال عيسى. والوجود من غير أب وأم أغرب وأدخل في باب خرق العادة من الوجود من غير أب. والمعنى: قدره جسداً من طين ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ﴾ أي: أنشأه بشراً كما قال: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾^(١). وقوله: ﴿فَيَكُونُ﴾ حكاية حال ماضية.

﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ خبر مبتدأ محذوف أي: هو الحق، كقول أهل خير: (محمد والخميس)^(٢) أي: الجيش.

﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ من باب التهييج لزيادة الطمأنينة واليقين.

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ﴾ من النصارى ﴿فِيهِ﴾ أي: في عيسى.

﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ أي: من البينات الموجبة للعلم.

﴿فَقُلْ تَعَالَوْا﴾ هلموا، والمراد المجيء بالرأي والعزم كما تقول: تعال نفكر

في هذه المسألة.

(١) المؤمنون: ١٤.

(٢) سيرة ابن هشام ج ٣: ٣٤٣.

﴿نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ أي: يدع كل مني ومنكم أبناء ونساء ومن نفسه كنفسه إلى المباهلة.

﴿ثُمَّ نَبْتَهِلُ﴾ أي: نتباهل بأن نقول: بهلة الله على الكاذب منا ومنكم. والبهلة - بالفتح والضم -: اللعنة، وبهله الله: لعنه وأبعده من رحمته، من قولك: أبهله إذا أهمله، وناقه باهل: لا صرار^(١) عليه. هذا أصل الابتهاال، ثم استعمل في كل دعاء يجتهد فيه وإن لم يكن التعاناً.

نزلت الآيات في وفد نجران^(٢): العاقب والسيد ومن معها، ولما دعاهم النبي ﷺ إلى المباهلة قالوا: حتى نرجع وننظر، فلما خلا بعضهم إلى بعض قالوا للعاقب - وكان ذا رأيهم -: يا عبد المسيح ما ترى؟ قال: والله لقد عرفت أن محمداً نبي مرسل، ولقد جاءكم بالفصل من أمر صاحبكم، والله ما باهل قوم نبياً قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم، فإن أبيتم إلا إلف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم.

وذلك بعد أن غدا النبي ﷺ آخذاً بيد علي بن أبي طالب والحسن والحسين بين يديه وفاطمة خلفه، وخرج النصارى يقدمهم أسقفهم أبو حارثة، فقال الأسقف: إني لأرى وجوهاً لو شاء الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها، فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة، فقالوا: يا أبا القاسم إنا لا نباهلك ولكن نصالحك.

فصالحهم رسول الله ﷺ على أن يؤدوا إليه كل عام ألفي حلة: ألف في صفر

(١) الصرار: خيط يشد فوق الخلف والتودية لئلا يرضعها ولدها. (الصحيح: مادة صرر)

(٢) نجران بالفتح ثم السكون: موضع يقع في مخاليف مكة من ناحية مكة، سمي بنجران بن زيدان بن سبأ، لأنه كان أول من عمرها، وكان أهلها على النصرانية. معجم البلدان ج ٥: ٢٦٦.

وألف في رجب، وعلى عارية ثلاثين درعاً وعارية ثلاثين فرساً وثلاثين رحاً إن وقع كيد باليمن، وقال: والذي نفسي بيده إنَّ الهلاك قد تدلَّى على أهل نجران، ولو لاعنوا لمسحوا قردة وخنازير، ولاضطرم عليهم الوادي ناراً، ولما حال الحول على النصرارى كلهم حتى يهلكوا^(١).

وفي هذه الآية أوضح دلالة على فضل أصحاب الكساء عليهم السلام، وعلو درجتهم، وبلوغ مرتبتهم في الكمال إلى حد لا يدانيهم أحد من الخلق.

إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَلِئِكَ اللَّهُ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾

﴿إِنَّ هَذَا﴾ الذي قص عليك من نبأ عيسى وغيره ﴿لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ والحديث الصدق.

[و(من) في قوله] ^(٦٢): ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾ بمنزلة البناء على الفتح في (لا إله إلا الله) في إفادة معنى الاستغراق، وهو رد على النصرارى في قولهم بالتثليث.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ وعيد لهم.

ولما تمَّ الحجاج على القوم دعاهم سبحانه إلى التوحيد فقال: ﴿قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾ أي: مستوية ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ لا يختلف فيها القرآن والتوراة والإنجيل، وتفسير الكلمة قوله: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ

(١) ينظر: الكشف والبيان ج ٣: ٨٥.

(٢) ساقطة من أ، ج.

شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿١﴾ يعني: هلموا إليها حتى لا نقول: عزيز ابن الله، والمسيح ابن الله، لأن كل واحد منهما بعضنا وبشر مثلنا، ولا نطيع الأخبار فيما أحدثوا من التحريم والتحليل، كقوله: ﴿اتَّخِذُوا أَخْبَارَهُمْ وَرَهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ... الآية﴾^(١). وقال عدي بن حاتم: ما كنا نعبدهم يا رسول الله، قال: ((أليس كانوا يحلون لكم ويمحرون فتأخذون بقولهم؟!))، قال: نعم. [قال: هو ذاك^(٢)] ^(٣).

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن التوحيد.

﴿فَقُولُوا أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ أي: لزمتمكم الحجة فوجب عليكم أن تعترفوا بأننا مسلمون دونكم. ويجوز أن يكون من باب التعريض، ومعناه: اشهدوا بأنكم كافرون حيث توليتم عن الحق بعد ظهوره.

يَا هَلْ أَلَمْتُ أَلْكَتَبِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ
وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَاتَمٌ هَؤُلَاءِ
حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا
وَلَكِنْ كَانَتْ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾

اجتمعت أخبار اليهود والنصارى عند رسول الله ﷺ وزعم كل فريق منهم أن ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ كان منهم، فقبل لهم: إن اليهودية حدثت بعد نزول التوراة، والنصرانية بعد نزول الإنجيل، وبين إبراهيم وموسى ألف سنة، وبينه وبين

(١) التوبة: ٣١.

(٢) ساقطة من ج.

(٣) معجم الطبراني الكبير ج ١٧: ٨٦ باختلاف في اللفظ.

عيسى ألفان، فكيف يكون إبراهيم على دين لم يحدث إلا بعد عهده بأزمة كثيرة؟! .

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدل المحال؟! .

(ها) للتنبيه و﴿أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ﴾ مبتدأ وخبر، و﴿حَاجَجْتُمْ﴾ جملة مستأنفة

مبيّنة للجملة الأولى. يعني أنتم هؤلاء الأشخاص الجهال، بيان جهلكم وقلة عقلكم أنكم جادلتم ﴿فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ مما نطق به التوراة والإنجيل .

﴿فَلِمَ تَحَاجُّونَ فِيمَا﴾ لا ذكر له في كتابيكم من دين إبراهيم؟! .

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ شأن إبراهيم ودينه ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ فلا تتكلموا فيه .

ثم أعلمهم بأن إبراهيم بريء من دينهم وما كان إلا ﴿حَافِظًا مُسْلِمًا﴾ .

﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ أراد بالمشركين اليهود والنصارى لإشراكهم به

عزيراً والمسيح .

إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا

وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ

وَمَا يُضِلُّوكُمْ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾

﴿إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ﴾ أخص الناس ﴿بِإِبْرَاهِيمَ﴾ وأقربهم منه، من الولي وهو

القرب ﴿لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ في زمانه وبعده ﴿وَهَذَا النَّبِيُّ﴾ خصوصاً ﴿وَالَّذِينَ

ءَامَنُوا﴾ من أمته ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يتولى نصرتهم .

﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ﴾ أي: تمت جماعة ﴿مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ﴾ هم اليهود

دعوا حذيفة^(١) وعماراً^(٢) ومعاذاً^(٣) إلى اليهودية.

﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ وما يعود وبال الإضلال إلا عليهم، لأن العذاب يضاعف لهم بضلالهم وإضلالهم، أو ما يقدرّون على إضلال المسلمين وإنّما يضلّون أمثالهم.

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: وما يعلمون أنّ وبال ذلك يعود عليهم.

يَتَاهَلُ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ يَا أَيُّهَا اللَّهُ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ

﴿٧٠﴾ يَتَاهَلُ الْكِتَابِ لِمَ تَلْسُونُ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ

وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾

﴿يَا أَيُّهَا اللَّهُ﴾ بالتوراة والإنجيل. وكفرهم بها: أنّهم لا يؤمنون بما نطقت به من صحة نبوة محمد ﷺ ونعته.

﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ تعترفون بأنّها آيات الله، أو تكفرون بالقرآن ودلائل نبوة الرسول وأنتم تشهدون نعته في الكتابين.

﴿لَمْ تَلْسُونُ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ الباطل: ما حرّفوه من التوراة، والحق: ما تركوه على حاله.

(١) حذيفة بن اليمان العسبي، يكنى أبا عبد الله، حليف لبني عبد الأشهل من الأنصار، من كبار الصحابة، مات سنة ٣٦ هـ بعد مقتل عثمان وبيعة الإمام علي عليه السلام. ينظر: الاستيعاب ج ١: ٢٧٧، معجم رجال الحديث ج ٤: ٢٥١.

(٢) عمار بن ياسر بن مالك العنسي حليف بني مخزوم، الصحابي المشهور كان من السابقين الأولين، شهد المشاهد كلها، قتل بصفين مع الإمام علي عليه السلام. ينظر: الإصابة ج ٢: ٥١٢، معجم رجال الحديث ج ١٢: ٢٨٨.

(٣) معاذ بن جبل بن عمرو الأنصاري الخزرجي، شهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ، كانت وفاته بالطاعون بالشام سنة ١٧ هـ أو ١٨ هـ. ينظر: الإصابة ج ٣: ٤٢٦، معجم رجال الحديث ج ١٨: ٢١٢.

﴿وَتَكْفُرُونَ الْحَقَّ﴾ وهو نبوة محمد ﷺ .

وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكُفُّوا ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تَوْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْنُصُ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾

تواطأ اثنا عشر رجلاً من أحبار يهود خيبر وقال بعضهم لبعض: ادخلوا في دين محمد أول النهار من غير اعتقاد ﴿وَكَفُّوا﴾ به آخر النهار، وقلوا: إنا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا، فوجدنا محمداً ليس بذلك المنعوت، وظهر لنا كذبه وبطلان دينه؛ فإذا فعلتم ذلك شك أصحابه في دينهم ويقولون: ما رجعوا - وهم أهل الكتاب - إلا لأمر قد تبين لهم.

و﴿وَجَهَ النَّهَارِ﴾ أوله، وقوله: ﴿وَلَا تَوْمِنُوا﴾ يتعلق بقوله: ﴿أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ﴾ [وما بينهما اعتراض، أي: ولا تظهروا إيمانكم بأن يؤتى أحد]^(١) ﴿مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ﴾ إلا لأهل دينكم دون غيرهم. والمراد: وأسروا تصديقكم بأن المسلمين قد أوتوا من كتب الله مثل ما أوتيتم، ولا تفشوه إلا عند أشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم تصديقكم بذلك ثباتاً، ودون المشركين لئلا يدعوهم ذلك إلى الإسلام.

﴿أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ عطف على ﴿أَن يُؤْتَىٰ﴾ والضمير في ﴿يُحَاجُّوكُمْ﴾ لـ (أحد) لأنه في معنى الجمع، يعني: ولا تؤمنوا لغير من تبع دينكم، إن المسلمين يحاجونكم يوم القيامة بالحق، ويغالبونكم عند الله بالحقبة.

ومعنى الاعتراض بقوله: ﴿قُلْ إِنْ أَلْهَدْنِي هُدَى اللَّهِ﴾ أن المراد بذلك: قل يا محمد لهم: إن من شاء الله أن يوفقه حتى يسلم أو يزيد ثباته على الإسلام كان ذلك، ولم تنفع حيلتكم ومكركم، وكذلك قوله: ﴿قُلْ إِنْ أَلْفَضَلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ المراد به: الهداية والتوفيق.

وفي الآية وجه آخر: وهو أن يتم الكلام عند قوله: ﴿لَمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ على معنى: لا تؤمنوا هذا الإبيان الظاهر إلا لمن كانوا تابعين لدينكم ممن أسلموا منكم، لأن رجوعهم كان أرجى عندهم، ولأن الإسلام منهم كان أغبط لهم.

وقوله: ﴿أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ﴾ معناه: لأن يؤتى أحد ﴿مَثَلُ مَا أُوتِيتُمْ﴾ دبرتم ذلك وفعلتموه لا لشيء آخر، يعني: إن ما بكم من الحسد لمن أوتي مثل ما أوتيتم من فضل العلم والكتاب، دعاكم إلى أن قلتم ما قلتم، والدليل عليه قراءة ابن كثير^(١): (أأن يؤتى أحد) بزيادة همزة الاستفهام للتقرير والتوبيخ بمعنى: ألا أن يؤتى أحد. ومعنى ﴿أَوْ يَحْجُوكُمْ﴾ على هذا إنكم دبرتم ما دبرتم لأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم، ولما يتصل به عند كفركم به من حاجتهم لكم عند ربكم.

ووجه آخر: وهو أن يكون ﴿هُدَى اللَّهِ﴾ بدلاً من ﴿أَلْهَدْنِي﴾، و﴿أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ﴾ خبر ﴿إِنْ﴾. والمعنى: قل: إن هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم حتى يحاجوكم عند ربكم فيقرعوا باطلكم بحقهم ويدحضوا حجبتكم. ووجه آخر: وهو أن يتعلّق الكلامان بـ ﴿قُلْ﴾. والمعنى: قل لهم هذين القولين أي: أكّد عليهم أن الهدى هدى الله، وهو ما فعله من إيتاء الكتاب غيركم، وأنكر عليهم أن يكيدوا بها كادوا به، كأنه قيل: قل: ﴿إِنْ أَلْهَدْنِي هُدَى اللَّهِ﴾، وقيل:

(١) عبد الله بن كثير الداري قارئ أهل مكة، أحد التابعين، ولد سنة ٤٥ هـ وتوفي سنة ١٢٠ هـ. ينظر غاية النهاية في طبقات القراء ج ١: ٤٤٣.

الآن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم قلتم ما قلتم ما كدتم؟.

وفي هذه الآيات معجزة باهرة لنبينا ﷺ حيث أخبرهم عن سرائرهم.

وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُودِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمُتَيْنِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٦﴾ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٧﴾

﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ معناه: إلا مدة دوامك عليه يا صاحب الحق قائماً على رأسه تطالبه بالعنف.

﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى ترك الأداء الذي دلَّ عليه ﴿لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾ ومعناه: إن تركهم أداء الحقوق بسبب قولهم: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمُتَيْنِ سَبِيلٌ﴾ أي: ليس علينا عقاب ولا ذم في شأن الأيمن الذين ليسوا على ديننا، وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم ويقولون: لم نجعل لهم في كتابنا حرمة.

﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ بادعائهم أن ذلك في كتابهم ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم كاذبون.

﴿بَلَى﴾ إثبات لما نفوه، أي: بلى عليهم سبيل في الأيمن، وقوله: ﴿مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ﴾ جملة مستأنفة، أي: كل من أوفى بما عاهد عليه ﴿وَاتَّقَى﴾ الله في ترك الخيانة والغدر ﴿فَإِنَّ اللَّهَ﴾ يحبّه، وضع الظاهر موضع المضمَر.

إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾

﴿يَسْتَبْدِلُونَ بِمَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِيمَانِ بَنِيَّنا مُحَمَّدًا ﷺ﴾ .

﴿وَأَيَّمَنَ بِهِمْ﴾ أي: بما حلفوا به من قولهم: والله لنؤمنن به ولننصرنه.

﴿ثُمَّ نَكَلَّيْلًا﴾ متاع الدنيا من الرئاسة وأخذ الرشوة ونحو ذلك.

وقيل: نزلت في حي بن أخطب وكعب بن الأشرف وأضراهما من اليهود، كتموا ما في التوراة وحرّفوه^(١).

﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ مجاز عن الاستهانة بهم، يقال: فلان لا ينظر إلى فلان، يراد سخطه عليه وترك اعتداده به.

﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ ولا يثني عليهم.

وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤْنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنْ

الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنْ أَلْكِتَابٍ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ

وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾

﴿يَلُؤْنَ أَلْسِنَتَهُم﴾ يقلبونها بقراءة ﴿الْكِتَابِ﴾ عن الصحيح إلى المحرّف.

﴿لِتَحْسَبُوهُ﴾ الضمير يرجع إلى ما دلّ عليه ﴿يَلُؤْنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ﴾

وهو المحرّف، أي: لتظنّوا أيّها المسلمون ذلك المحرّف من كتاب الله ﴿وَمَا هُوَ

مِنْ أَلْكِتَابٍ﴾ المنزل على موسى ولكنهم يخترعون.

﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ هو تأكيد لقوله: ﴿هُوَ مِنْ أَلْكِتَابٍ﴾ وزيادة

تشنيع عليهم. وقيل: هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الأشرف وكتبوا كتاباً

بدّلوا فيه صفة رسول الله ﷺ، ثم أخذت قريظة ما كتبوه فخلطوه بما كان عندهم

من الكتاب^(١).

مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ
ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا
رَبِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾
وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ
بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾

قيل: إن أبا رافع القرظي ورئيس وفد نجران قالوا: (يا محمد أتريد أن نعبدك
ونتخذك إلهًا؟ فقال: معاذ الله أن أعبد غير الله، أو أمر بعبادة غير الله، ما بذلك
بعثني، ولا بذلك أمرني)، فنزلت^(٢).

﴿وَالْحُكْمَ﴾: والحكمة وهي السنة.

أي: ﴿مَا﴾ ينبغي ﴿لِبَشَرٍ﴾ ولا يحلّ له، وليس من صفة الأنبياء الذين
خصّهم الله بالحكمة ﴿وَالنُّبُوَّةَ﴾ أن يدعو الناس إلى عبادتهم. وهذا تكذيب لمن
اعتقد عبادة عيسى.

﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبِّينَ﴾ أي: ولكن يقول: كونوا ربّانيين، والربّاني منسوب
إلى الربّ بزيادة الألف والنون كما يقال: لحياي، وهو شديد التمسك بدين الله.
وقيل: الربّانيون: العلماء الفقهاء^(٣)، أي: كونوا علماء فقهاء. وقيل: كونوا معلّمين
الناس من علمكم^(٤)، كما يقال: أنفق بمالك. أي: من مالك.

(١) أسباب النزول: ٨٠.

(٢) أسباب النزول: ٨٠.

(٣) عن مجاهد وغيره. تفسير الطبري ج ٣: ٢٣٣.

(٤) عن ابن عباس. الكشف والبيان ج ٣: ١٠٢.

﴿يَمَّا كُنْتُمْ﴾ أي: بسبب كونكم عالمين، وبسبب كونكم دارسين للعلم.
وقرى: ﴿تَعْلَمُونَ﴾ من التعليم.

وقرى: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ﴾ بالنصب عطفًا على ﴿ثُمَّ يَقُولُ﴾ وفيه وجهان:
أحدهما: أن يجعل (لا) مزيدة لتأكيد معنى النفي في قوله: ﴿مَا كَانَ﴾ أي: ما كان ﴿لِبَشَرٍ﴾ أن يستنبه الله ويجعله داعيًا إلى الله وإلى إخلاص العبادة له وترك الأنداد، ثم يأمر الناس بأن يكونوا عباداً له ويأمرهم ﴿أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾.

والثاني: أن يجعل (لا) غير مزيدة، والمعنى: إن رسول الله ﷺ كان ينهى قريشاً عن عبادة الملائكة، وينهى اليهود والنصارى عن عبادة عزيز والمسيح، فلما قالوا له: أنتخذك رباً؟ قيل لهم: ما كان لبشر أن يستنبه الله، ثم يأمر الناس بعبادته وينهاهم عن عبادة الملائكة والأنبياء.

والقراءة بالرفع على ابتداء الكلام أظهر، وينصرها قراءة عبد الله بن مسعود:
ولن يأمركم. والضمير في ﴿لَا يَأْمُرُكُمْ﴾ و﴿يَأْمُرُكُمْ﴾ للبشر، وقيل: لله^(١).
والهمزة في ﴿يَأْمُرُكُمْ﴾ للإنكار، والمعنى: إن الله تعالى إنما يبعث النبي ليدعو الناس إلى الإيمان، فكيف يدعو النبي المسلمين إلى الكفر؟!.

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ
وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ،
وَلَتَنْصُرُنَّهُ. قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا
أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَنْ تَوَلَّىٰ

بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾

المعنى: ﴿أَخَذَ اللَّهُ﴾ الميثاق على ﴿الَّذِينَ﴾ بذلك، وعن الصادق عليه السلام أن المعنى: ((وإذ أخذ الله ميثاق أمم النبيين كل أمة بتصديق نبيها والعمل بما جاءهم به، فما وفوا به وتركوا كثيراً من شرائعهم))^(١).

واللام في ﴿لَمَّا أَتَيْتُكُمْ﴾ لتوطئة القسم، وفي ﴿لَتُؤْمِنُنَّ﴾ لجواب القسم، لأن أخذ الميثاق في معنى الاستحلاف. [ويجوز أن تكون ﴿مَا﴾ شرطية و﴿لَتُؤْمِنُنَّ﴾ قد سدّ مسدّ جواب القسم وجواب الشرط معاً]^(٢)، ويجوز أن تكون ﴿مَا﴾ موصولة بمعنى للذي أتيتكموه لتؤمنن به. [وقرى: لما آتيناكم]^(٣)، وقرى: لما أتيتكم، بكسر اللام ومعناه: لأجل إيتائي إياكم بعض الكتاب والحكمة ثم لمجيء رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به، فتكون ﴿مَا﴾ على هذا مصدرية، والفعلان معها وهما ﴿أَتَيْتُكُمْ﴾ و﴿جَاءَكُمْ﴾ في معنى المصدرين، واللام داخله للتعليل، أي: أخذ الله ميثاقكم لتؤمنن بالرسول ولتنصرنه لأجل أني أتيتكم الحكمة، وأن الرسول الذي أمركم بالإيمان به ونصرته موافق لكم غير مخالف.

ويجوز أن تكون ﴿مَا﴾ موصولة، وإن عطف بقوله: ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ﴾ على قوله: ﴿أَتَيْتُكُمْ﴾، لأن ﴿مَا مَعَكُمْ﴾ في معنى ﴿أَتَيْتُكُمْ﴾ فكانه قيل: للذي أتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له.

﴿قَالَ﴾ أي: قال الله للنبيين ﴿أَقْرَرْتُكُمْ﴾ به وصدّقتموه.

﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي﴾ أي: عهدي على أعمكم، وسمي العهد إصراً

(١) التبيان ج ٢: ٥١٤.

(٢) ساقطة من ج.

(٣) ساقطة من ج.

لأنه مما يؤصر أي: يشد ويعقد.

قال الأنبياء: ﴿أَقْرَبْنَا﴾ بما أمرتنا بالإقرار به.

﴿قَالَ﴾ الله ﴿فَأَشْهَدُوا﴾ بذلك على أئمتكم ﴿وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾. وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: ((لم يبعث الله نبياً إلا أخذ عليه العهد لئن بعث الله محمداً وهو حيّ ليؤمننّ به ولينصرنّه، وأمره أن يأخذ العهد بذلك على أئمته))^(١).

﴿فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الميثاق والتوكيد.

﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ أي: المتمرّدون من الكفار.

أَفَعَيَّرَ دِينَ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا
أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ
وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ
رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾

دخلت همزة الإنكار على فاء العطف التي عطفت جملة على جملة. والمعنى: فأولئك هم الفاسقون فغير دين الله ييغون ثم توسطت همزة الإنكار بينهما. ويجوز أن يكون عطفًا على محذوف، والتقدير: أيتولون فغير دين الله ييغون. وقرأ أبو عمرو: ﴿يَبْغُونَ﴾ بالياء، وإليه ترجعون بالتاء مضموماً، لأنّ الباغيين هم المتولون، والراجعون جميع الناس. وقرئنا بالياء معاً وبالتاء معاً.

وآتتصب ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ على الحال أي: طائعين ومكرهين. وقيل:

طوعاً لأهل السماوات خاصة، وأما أهل الأرض فمنهم من أسلم طوعاً بالنظر في الأدلة، ومنهم من أسلم كرهاً بالسيف أو بمعاينة ما يلجئ إلى الإسلام كنتق الجبل فوق بني إسرائيل أو عند رؤية البأس بالإشفاء على الموت^(١) ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بُاسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَخَدَّهٖ﴾^(٢).

ثم أمر النبي ﷺ بأن يخبر عن نفسه وعمن معه بالإيمان، فلذلك وحد الضمير في ﴿قُلْ﴾ وجمع في ﴿ءَامَنَّا﴾. ويجوز أن يؤمر بأن يتكلم عن نفسه كما يتكلم الملوك إجلالاً من الله لقدر نبيه.

﴿وَتَحَنَّنَ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ أي: موحدون مخلصون أنفسنا له لا نجعل له شريكاً في العبادة.

وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ
مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾

أي: ﴿وَمَنْ﴾ يطلب ﴿غَيْرَ الْإِسْلَامِ﴾ وهو التوحيد وإسلام الوجه لله ﴿دِينًا﴾ يدين به ﴿فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ بل يعاقب عليه.

﴿وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ من الذين وقعوا في الخسران مطلقاً من غير تقييد.

كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ
الرُّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ
﴿٨٦﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاءُهُمْ أَنْ عَلَيَّهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَكِئَةِ

(١) عن الحسن. معالم التنزيل ج ١: ١٧٠.

(٢) غافر: ٨٤.

وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَلِيدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٨٩﴾

﴿وَشَهِدُوا﴾ عطف على ما في ﴿إِيْمَانِهِمْ﴾ من معنى الفعل، لأن معناه بعد أن آمنوا وشهدوا، ويموز أن يكون الواو للحال بإضمار (قد) أي: كفروا وقد شهدوا ﴿أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ﴾.

ومعنى الآية: كيف يهديهم الله إلى طريق الإيمان وقد تركوه؟! أي: لا طريق يهديهم به إلى الإيمان وقد تركوا الوجه الذي هداهم به ولا طريق غيره. وقيل: معناه: كيف يلطف بهم الله وليسوا من أهل اللطف لما علم سبحانه من تصميمهم على الكفر، ودلّ على تصميمهم بأنهم كفروا بعد ما شهدوا أنّ الرسول حق، وبعد ما جاءتهم المعجزات التي تثبت بها النبوة، وهم اليهود كفروا بالنبى ﷺ بعد أن كانوا مؤمنين به^(١). وقيل: نزلت في رهط كانوا أسلموا ثم رجعوا عن الإسلام ولحقوا بمكة^(٢).

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ الكفر والارتداد ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ ما أفسدوا أو دخلوا في الصلاح.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ ۚ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٩١﴾

(١) عن الحسن. التبيان ج ٢: ٥٢١.

(٢) عن الكلبي. الكشف والبيان ج ٣: ١٠٩.

يعني: اليهود ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بعيسى ﴿بَعْدَ إِسْنِهِمْ﴾ بموسى ﴿ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا﴾ بكفرهم بمحمد ﷺ، أو كفروا برسول الله بعد أن كانوا به مؤمنين قبل مبعة، ثم ازدادوا كفراً بإصرارهم على ذلك، وعداوتهم له، ونقضهم عهده، وصدّهم عن الإيمان به.

﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ لأنها لا تقع على وجه الإخلاص، ويدلّ عليه قوله: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الصَّالُونَ﴾ أي: عن الحق والصواب. وقيل: لن تقبل توبتهم عند رؤية البأس^(١)، والمعنى: إنهم لا يتوبون إلا عند معاينة الموت.

﴿وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا﴾ أي: على كفرهم ﴿فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ﴾ فدية ولو افتدى بـ ﴿مِلْءِ الْأَرْضِ ذَهَبًا﴾، ويجوز أن يكون المراد: ﴿وَلَوْ أَقْتَدَى﴾ بمثله، والمثل يحذف كثيراً في كلامهم قالوا: ضربته ضرب زيد، أي: مثل ضربه، وقضية ولا أبا حسن لها، أي: ولا مثل أبي حسن، كما أنه يراد مثل في نحو قولهم: مثلك لا يفعل كذا أي: أنت لا تفعل.

لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ
 اللَّهُ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٣﴾

أي: ﴿لَنْ﴾ تبلغوا حقيقة ﴿الْبِرِّ﴾، ولن تكونوا أبراراً، وقيل: لن تنالوا بر الله وهو الثواب^(٢).

﴿حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ أي: حتى تنفقوا من أموالكم التي تحبونها كقوله: ﴿انْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا

(١) عن الحسن وغيره. تفسير الطبري ج ٣: ٢٤٣.

(٢) عن قتادة وغيره. تفسير الطبري ج ٣: ٢٤٦.

الْحَبِيثَ... (الآية) ^(١). وقرأ عبد الله: حتى تنفقوا بعض ما تحبون. وهو دلالة على أن (من) هنا للتبعية نحو: أخذت من المال.

﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ﴾ (من) هنا للتبيين، أي: من أي شيء كان طيب تحبونه أو خبيث تكرهونه.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ﴾ عليم بكل شيء تنفقونه فيجازيكم بحسبه.

كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ^(١٣) فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ^(١٤) قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ^(١٥)

أي: ﴿كُلُّ﴾ أنواع ﴿الطَّعَامِ﴾ أو كل المطعومات.

﴿كَانَ حَلَالًا﴾ الحل مصدر حل الشيء حلاً كقولك: عز الشيء عزاً، وذلت الدابة ذلاً، ولذلك استوى المذكر والمؤنث والواحد والجمع في الوصف به، قال سبحانه: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ ^(٢).

والذي ﴿حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ﴾ وهو يعقوب ﴿عَلَى نَفْسِهِ﴾ لحوم الإبل والباها، وقيل: العروق ولحم الإبل، كان به عرق النساء، فأشارت عليه الأطباء باجتنابه، ففعل ذلك بإذن من الله ^(٣) فكان كتحريم الله ابتداء.

والمعنى: إن المطاعم كلها لم تزل حلالاً لبني إسرائيل من قبل إنزال التوراة،

(١) البقرة: ٢٦٧.

(٢) الممتحنة: ١٠.

(٣) عن ابن عباس. تفسير الطبري ج ٤: ٥.

وتحريم ما حرم عليهم منها لظلمهم وبغيهم، لم يحرم منها شيء قبل ذلك غير المطعوم الذي حرمه إسرائيل على نفسه. وهذا رد على اليهود حيث أرادوا براءة ساحتهم مما نطق به القرآن من تحريم الطيبات عليهم لبغيهم وظلمهم في قوله: ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبُغْيِهِمْ﴾^(١)، وقوله: ﴿فَيُظْلَمَ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ... آيَةٌ﴾^(٢)، فقالوا: لسنا بأول من حرمت عليه، وقد كانت محرمة على نوح وإبراهيم ومن بعده من بني إسرائيل إلى أن انتهى التحريم إلينا.

فكذبهم الله تعالى ثم قال: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا﴾ حتى يتبين أنه تحريم حادث بسبب ظلمكم وبغيكم، لا تحريم قديم كما زعمتم [فلم يجسروا على إخراج التوراة وبهتوا].

﴿فَمَنْ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ [بزعمه]^(٣) أن ذلك كان محرماً على الأنبياء، وعلى بني إسرائيل قبل إنزال التوراة ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ لأنفسهم. ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ﴾ تعريض بكذبهم، أي: ثبت أن الله صادق فيما أنزله وأنتم الكاذبون.

﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ وهي ملة الإسلام التي عليها محمد ومن آمن معه، ثم برأ سبحانه إبراهيم مما كان ينسبه اليهود والمشركون إليه من كونه على دينهم فقال: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

(١) الأنعام: ١٤٦.

(٢) النساء: ١٦٠.

(٣) ساقطة من ج.

إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ
 ﴿١١﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّنْ دَخَلَهُ، كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى
 النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
 عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾

﴿وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ صفة لـ ﴿بَيْتٍ﴾ والمعنى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ﴾ جعل متعبداً
 ﴿لِلنَّاسِ﴾ للبيت الذي ﴿بِبَكَّةَ﴾ وهي الكعبة. وبكة: علم للبلد الحرام. ومكة
 وبكة لغتان فيه، وقيل: مكة: البلد، وبكة: موضع المسجد لأنها مزدحم الناس
 للطواف^(١).

﴿مُبَارَكًا﴾ كثير الخير والبركة لثبوت العبادة فيه دائماً، وانتصابه على الحال
 من الضمير في الظرف.

﴿وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ لأنه قبلتهم ومتعبد لهم. وقيل: دلالة لهم على الله عزّ
 اسمه بإهلاكه كل من قصده من الجبابرة كأصحاب الفيل وغيرهم.

﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ يجوز أن يكون ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ وحده عطف بيان لـ
 ﴿آيَاتٍ﴾ بمعنى: إنها بمنزلة آيات كثيرة لقوة دلالة على قدرة الله من تأثير قدمه
 في حجر صلد وغوصه فيها إلى الكعبين. ويجوز أن يكون المراد فيه آيات بيّنات
 مقام إبراهيم، وأمن من دخله، لأنّ الاثنين نوع من الجمع. ويجوز أن يذكر هاتان
 الآيتان ويطوى غيرهما دلالة على تكاثر الآيات أي: وآيات كثيرة سواهما كقول
 جرير:

(١) عن الباقر عليه السلام: تفسير العياشي ج ١: ١٨٧. وعن عطية العوفي وغيره. تفسير الطبري ج ٤: ٨.

كَانَتْ حَنِيفَةً أَثْلَاثًا فُتِلَتْهُمْ مِّنَ الْعَبِيدِ وَتُلْتُ مِّنْ مَّوَالِيهَا^(١)

وطوى الثلث الآخر.

وكان الرجل لو جنى كل جنابة ثم لجأ إلى الحرم لم يطلب. وقيل: إنه خبر معناه الأمر، فمن وجب عليه حد فلاذ بالحرم، لا يبايع ولا يعامل حتى يخرج، فيقام عليه الحد ولا يتعرض له فيه، وهو المروي عن أئمتنا^(٢)، وروي أيضاً: إن من دخله عارفاً بها أوجبه الله عليه كان آمناً في الآخرة من النار^(٣).

﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ وقرئ بكسر الحاء.

﴿مَنْ أَسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ فيه أنواع من التوكيد والتشديد في الحج، فإن قوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ يدل على أنه حق واجب في رقاب الناس لا يخرجون عن عهده، ثم أبدل عنه ﴿مَنْ أَسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ إيضاحاً بعد الإبهام وتفصيلاً بعد الإجمال، ثم قال: ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ مكان قوله: ومن لم يحج، تغليظاً على تارك الحج كما جاء في الحديث: ((من ترك الصلاة متعمداً فقد كفر))^(٤).

ثم قال: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي وَعَنْ أَلْعَلَمِينَ﴾ ولم يقل (عنه)، ليكون بدلالته على الاستغناء الكامل أدل على عظم سخط الله الذي وقع الاستغناء عبارة عنه، وفي الأثر: (لو ترك الناس الحج عاماً واحداً ما نوظروا)^(٥) أي: ما أمهلوا.

(١) ديوان جرير: ٤٩٨، وفيه: صارت....

(٢) ينظر: الوسائل ج ٩: باب ١٤ من أبواب مقدمات الطواف.

(٣) عن يحيى بن جعدة. تفسير الطبري ج ٤: ١٠.

(٤) معجم الطبراني الأوسط ج ٣: ٣٤٣، الكافي ج ٢: ٢٧٩ بالمعنى.

(٥) عن ابن عباس. الدر المنثور ج ٢: ٥٦ بالمعنى.

قُلْ يٰٓأَهْلَ الْكِتٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيٰتِ اللّٰهِ وَاللّٰهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ قُلْ يٰٓأَهْلَ الْكِتٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّٰهِ مَن ءَامَنَ تَبْعُوهُنَّاءِ عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۚ وَمَا اللّٰهُ بِغَفْلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾

الواو في قوله: ﴿وَاللَّهُ شَهِيدٌ﴾ للحال، والمعنى ﴿لِمَ تَكْفُرُونَ﴾ بالآيات التي دلتكم على صدق محمد والحال أَنَّ الله يشاهد أعمالكم فيجازيكم عليها؟! فكيف تحسرون على الكفر بآياته؟!.

و﴿سَبِيلَ اللَّهِ﴾ التي أمر بسلوكها هو دين الإسلام، وكانوا يحتالون لصّد المؤمنين عنه بجهدهم، ويغرون بين الأوس والخزرج يذكرونها الحروب التي كانت بينهم في الجاهلية ليعودوا لمثلها.

﴿تَبْعُوهُنَّاءِ عِوَجًا﴾ تطلبون لها اعوجاجاً وميلاً عن الاستقامة ﴿وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ﴾ بأنّها سبيل الله الذي ارتضاه وتجدون ذلك في كتابكم، أو أنتم شهداء بين أهل دينكم يثقون بأقوالكم وهم الأخبار.

﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفْلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وعيد لهم.

يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتٰبَ رُدُّوكمْ بَعْدَ إِيمٰنِكُمْ كُفْرِينَ ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلٰى عَلَيْكُمْ ءَايٰتُ اللّٰهِ وَفِيكُمْ رَسُوْلُهُ ۚ وَمَن يَعْصِمْ بِاللّٰهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١﴾

خاطب سبحانه الأوس والخزرج فقال: ﴿إِن تَطِيعُوا﴾ هؤلاء اليهود في إحياء الضغائن التي كانت بينكم في الجاهلية ﴿رُدُّوكمْ﴾ كفاراً ﴿بَعْدَ إِيمٰنِكُمْ﴾.

ثم عظم الشأن عليهم بأن قال: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ أي: ومن أين يتطرق

إليكم الكفر والحال أَنَّ آيات الله ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ على لسان رسوله وهو بين أظهركم يعظكم ويبتهمكم، ومن يتمسك بدين الله فقد حصل له الهدى لا محالة.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾

﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ أي: واجب تقواه وهو القيام بالواجبات واجتناب المحرمات، وعن الصادق عليه السلام: ((هو أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر))^(١)، ونحوه قوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾^(٢) أي: بالغوا في التقوى حتى لا تتركوا من المستطاع منها شيئاً.

﴿وَلَا تَمُوتُوا﴾ أي: لا تكونن على حال سوى حال الإسلام إذا أدرككم الموت، كما تقول لمن تستعين به على القتال: لا تأتني إلا وأنت على فرس، فلا تنهاه عن الإتيان ولكنك تنهاه عن خلاف الحال التي ذكرتها في وقت الإتيان.

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ أي: واجتمعوا على التمسك بعهد الله على عباده وهو الإيمان والطاعة، أو بالقرآن، قال الصادق عليه السلام: ((نحن حبل الله))^(٣).

﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ أي: لا تتفرقوا عن الحق بالاختلاف بينكم كما اختلف اليهود والنصارى، وكانوا في الجاهلية متعادين قد تطاولت الحروب بين الأوس والخزرج

(١) تفسير العياشي ج ١: ١٩٤.

(٢) التغابن: ١٦.

(٣) تفسير فرات: ٩١، الكشف والبيان ج ٣: ١٦٣.

مائة وعشرين سنة إلى أن أَلَفَ الله بين قلوبهم بالنبي ﷺ .

﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ متواصلين متحابين .

﴿وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ﴾ على جرف حفرة من نار جهنم قد أشفيتم على أن

تقعوا فيها لما كنتم عليه من الكفر ﴿فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾ بالإسلام .

﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل ذلك البيان ﴿رَبِّينُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَاتِهِ﴾ إرادة أن تزدادوا

هدى .

وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ

عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ

تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ

عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾

قيل: إنَّ (من) هنا للتبعض، لأنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من

فروض الكفايات، ولا يصلح لذلك إلا من يعلم المعروف معروفاً والمنكر منكراً

فيعلم كيف يباشر ذلك ويرتبه، فإنَّ الجاهل ربما نهى عن معروف أو أمر بمنكر .

وقيل: إنَّ (من) للتبيين بمعنى: وكونوا أمة تأمرون بالمعروف كقوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ

أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(١) .

﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الأحقاء بالفلاح دون غيرهم، وذكر سبحانه

الدعاء إلى الخير أولاً، لأنَّه عام في التكاليف من الأفعال والتروك، ثم ذكر الأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر ثانياً، لأنَّ ذلك خاص .

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا﴾ وهم اليهود والنصارى .

﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الموجبة للاتفاق والاتلاف والاجتماع على كلمة

الحق.

يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ
أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا
الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ
آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ﴾ نصب بقوله: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾. البياض من النور،
والسواد من الظلمة، فمن كان من أهل نور الحق وسم بياض اللون، وأشرق
وجهه، وأبيضت صحيفته، وسعى نوره بين يديه وبيمينه، ومن كان من أهل ظلمة
الباطل وسم بسواد اللون، وكسف وجهه، واسودت صحيفته، وأحاطت به
الظلمة من كل جانب، نعوذ بالله وفضله من ظلمة الباطل وأهله.

﴿أَكْفَرْتُمْ﴾ فيقال لهم: ﴿أَكْفَرْتُمْ﴾ والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم،
وقيل: هم أهل البدع والأهواء والآراء الباطلة^(١)، وقيل: هم المرتدون^(٢)، وقيل:
هم الخوارج^(٣).

﴿فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ أي: نعمته وهو الثواب الدائم.

وقوله: ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [استئناف كأنه قيل: كيف يكونون فيها؟ فقيل:

هم فيها خالدون]^(٤) لا يظعنون عنها ولا يموتون.

(١) عن أبي سعيد الخدري وغيره. الدر المنثور ج ٢: ٦٣.

(٢) عن قتادة. تفسير الطبري ج ٤: ٢٧.

(٣) عن أبي أمامة. تفسير الطبري ج ٤: ٢٧.

(٤) ساقطة من ج.

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ﴾ الواردة في الوعد والوعيد.

﴿تَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾ ملتبسة ﴿بِالْحَقِّ﴾ والعدل.

﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا﴾ فيأخذ أحداً بغير جرم، أو يزيد في عقاب مجرم، أو ينقص من ثواب محسن فيكون ظلماً.

وقال: ﴿الْمُتَعَمِّلِينَ﴾ على معنى ما يريد شيئاً من الظلم لأحد من خلقه.

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١٩﴾

كُتِبَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفٰسِقُونَ ﴿٢٠﴾

يَبَيِّنُ سُبْحَانَهُ وَجْهَ اسْتِغْنَائِهِ عَنِ الظُّلْمِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ وإليه ترجع أمورهم، وقع المظهر موقع المضمّر ليكون أفخم في الذكر.

﴿كُتِبَ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ معناه: وجدتم خير أمة، لأن (كان) عبارة عن وجود الشيء في زمان ماضٍ، ولا دليل فيه على العدم السابق، ولا على الانقطاع الطارئ، وقيل: كتبت في علم الله خير أمة، أو كتبت في الأمم قبلكم مذكورين بأنكم خير أمة موصوفين به^(١).

﴿أُخْرِجَتْ﴾ أظهرت ﴿لِلنَّاسِ﴾.

وقوله: ﴿تَأْمُرُونَ﴾ كلام مستأنف يبيّن به كونهم خير أمة، كما يقال: زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويحسن إليهم.

﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ بالنبي وبما جاء به ﴿لَكَانَ﴾ ذلك الإيذان

﴿خَيْرًا لَهُمْ﴾ في الدنيا والآخرة.

﴿مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ﴾ كعبد الله بن سلام وأصحابه من اليهود، والنجاشي وأصحابه من النصارى.

﴿وَكَثَرَهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ المتمردون في الكفر.

لَنْ يَضُرَّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَتِّلُوكُمْ يُولُوكُمْ الْأَذْبَارَ ثُمَّ لَا يُصْرُوكَ ﴿١١١﴾ ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الدِّلَّةُ أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُ وَبَعْضٌ مِنَ اللَّهِ وَضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِتَايَتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾

هذا تثبيت لمن أسلم من اليهود ووعد لهم بأنهم منصورون، فإنهم كانوا يؤذونهم بالتوبيخ والتهديد وغير ذلك، فقال سبحانه: إنهم ﴿لَنْ يَضُرَّوكُمْ إِلَّا أَذًى﴾ ضراراً مقصوراً على ﴿أَذًى﴾ بقول من طعن في الدين، أو وعيد، أو نحو ذلك. ﴿وَإِنْ يُقَتِّلُوكُمْ يُولُوكُمْ الْأَذْبَارَ﴾ منهزمين.

﴿ثُمَّ لَا يُصْرُوكَ﴾ أي: لا يعاونون ولا ينصرهم أحد. وفي هذا دلالة على صحة نبوة نبينا محمد ﷺ لوقوع مخبره على وفق الخبر، فإن اليهود لم يثبتوا قط للمسلمين ولم يضرّوهم بقتل وأسر.

وإنما لم يجزم قوله: ﴿لَا يُصْرُوكَ﴾ لأنه عدل به عن حكم الجزاء إلى حكم الإخبار ابتداءً، فكانه قيل: ثم أخبركم أنهم لا ينصرون.

وقوله: ﴿بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ﴾ في موضع النصب على الحال على تقدير: إلا معتصمين بحبل الله وحبل الناس. والمعنى: ﴿ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الدِّلَّةُ﴾ كما يضرب

البيت على أهله ﴿أَيْنَ مَا﴾ وجدوا وظفر بهم في عامة الأحوال، إلا في حال اعتصامهم بذمة الله وذمة المسلمين، أي: لا عز لهم قط إلا هذه الواحدة، وهي التجاؤم إلى الذمة لقبولهم الجزية.

﴿وَبَاءُ وَيَعْصِبُ مِنَ اللَّهِ﴾ استوجبوه.

﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى ضرب الذلة والمسكنة واستيجاب غضب الله، أي: ذلك كائن بسبب كفرهم ﴿فَيَايَتِ اللَّهِ﴾ وقتلهم ﴿الْأَنْبِيَاءَ﴾.

ثم قال: ﴿ذَلِكَ﴾ بسبب عصيانهم واعتدائهم.

لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾

الضمير في ﴿لَيْسُوا﴾ لأهل الكتاب.

﴿سَوَاءً﴾ أي: مستوين.

وقوله: ﴿مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ كلام مستأنف لبيان قوله: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾، كما أن قوله: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ بيان لقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾.

وقوله: ﴿قَائِمَةٌ﴾ معناه: مستقيمة عادلة، وهم الذين أسلموا منهم. وعبر عن تهجدهم وصلاتهم بالليل بتلاوة آيات الله في ساعات الليل مع السجود، لأنه بيان لفعلهم.

﴿وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ يبادرون إلى فعل الطاعات.

﴿وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّٰلِحِينَ﴾ الذين صلحت أحوالهم عند الله.

﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ (١١٥)

لما وصف سبحانه نفسه بالشكر في قوله: ﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾^(١) بمعنى: توفية الثواب، نفى هنا نقيض ذلك بقوله: ﴿فَلَنْ يُكْفَرُوهُ﴾ وعذاه إلى مفعولين، لأنه ضمنه معنى الحرمان، كأنه قال: فلن يجرموه، أي: لن يجرموا جزاءه.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ أي: بأحوالهم فيجازيهم بجزيل الثواب.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۖ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾

الصر: الريح الباردة، ومثله الصرصر.

شبهه سبحانه ما كانوا ينفقونه من أموالهم في المآثر وكسب الثناء بين الناس لا يبتغون بذلك وجه الله، بالزرع الذي أهلكه البرد فذهب حطاماً. وقيل: هو ما أنفقوه في عداوة الرسول فضاع عنهم إذ لم يبلغوا بإنفاقه مقاصدهم^(٢). وشبهه بـ ﴿حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ فأهلك عقوبة لهم على معاصيهم، لأن الإهلاك عن السخط أشد.

﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾ بأن لم يقبل نفقاتهم.

(١) التغابن: ١٧.

(٢) معاني القرآن وإعراجه ١: ٤٦١.

﴿وَلَكِنَّ﴾ ظلموا ﴿أَنْفُسَهُمْ﴾ حيث لم يأتوا بها على الوجه الذي يستحق

به الثواب.

يَكَايِهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ
خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي
صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٨﴾ هَآأَنْتُمْ
أَوْلَاءُ يُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ
قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَصَوْا عَٰلَمَكُمْ ءَلَأَنَّا مِلَٰ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا
بِعَٰظِمِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾

بطانة الرجل ووليجه: خاصته وصفية الذي يستبطن أمره، مأخوذة من
بطانة الثوب. ومثله قولهم: فلان شعار فلان، وعن النبي ﷺ: ((الأنصار شعار
والناس دثار))^(١).

﴿مِّن دُونِكُمْ﴾ أي: من دون أبناء جنسكم وهم المسلمون، ويجوز تعلقه بـ
﴿لَا تَتَّخِذُوا﴾ أو بـ ﴿بِطَانَةً﴾ على الوصف أي: ﴿بِطَانَةً﴾ كائنة ﴿مِّن دُونِكُمْ﴾.
﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ من قولهم: ألا في الأمر يالو: إذا قصر فيه، ثم استعمل
متعدياً إلى مفعولين في قولهم: لا ألك نصحاً، والمعنى: لا أمنعك نصحاً. والخبال:
الفساد.

﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: ودوا عنتكم، و(ما) مصدرية، والعنت: شدة الضرر
والمشقة، أي: تمنوا أن يضر وكم في دينكم ودنياكم أشد الضرر.
﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ لأنهم لا يضبطون أنفسهم وينفلت من

ألستهم ما يعلم به بغضهم للمسلمين.

﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ الدالة على وجوب الإخلاص في موالة أولياء الله ومعاداة أعدائه.

﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ما بين لكم فعملتم به.

والأحسن أن تكون هذه الجملة كلها مستأنفات على وجه التعليل للنهي عن اتخاذهم بطانة.

﴿هَا﴾ للتنبيه و﴿أَنْتُمْ﴾ مبتدأ و﴿أُولَآءِ﴾ خبره، أي: أنتم أولاء الخاطئون في موالة منافقي أهل الكتاب. وقيل: ﴿أُولَآءِ﴾ موصول و﴿تُحِبُّونَهُمْ﴾ صلته، والواو في ﴿وَتُؤْمِنُونَ﴾ للحال من قوله: ﴿وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾، والحال أنكم تؤمنون بكتابهم وهم مع ذلك لا يحبونكم، فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم! وفيه توبيخ بأنهم في باطلهم أصلب منكم في حقكم.

ويوصف النادم والمغتاض بعض الأنامل والبنان.

﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾ دعاء عليهم بأن يزداد غيظهم بزيادة ما يغیظهم من عز الإسلام وأهله حتى يهلكوا به.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بمضمرات الصدور، وهو يعلم ما في صدور المنافقين من البغضاء. ويجوز أن يكون قوله تعالى: ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾ أمراً لرسول الله بطيب النفس وقوة الرجاء والإبشار بوعد الله أن يهلكوا غيظاً بإعزاز الإسلام وإذلالهم به فلا يكون هناك قول.

إِنْ تَمَسَّكْتُمْ حَسَنَةً سَوْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا
وَإِنْ تَصِيرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا
يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾

أي: إن تصيبكم أيها المؤمنون نصرة وغنيمة ونعمة من الله تعالى ﴿سَوْهُمْ﴾ تحزنهم ﴿وَإِنْ تُصِيبَكُمْ سَيِّئَةٌ﴾ أي: محنة بإصابة العدو منكم ﴿يَفْرَحُوا بِهَا﴾ ﴿وَإِنْ تَصِيرُوا﴾ على عداوتهم ﴿وَتَتَّقُوا﴾ ما نهيتهم عنه من موالاتهم، أو ﴿وَإِنْ تَصِيرُوا﴾ على مشاق الدين وتكاليفه ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الله في اجتناب محارمه، كنتم في كنف الله وحفظه ف﴿لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾. وقرئ: لا يضرُّكم من ضاره يضره، ويضرُّكم على أنَّ ضمة الراء لاتباع ضمة الضاد، وقرئ: لا يضرُّكم بفتح الراء.

علَّم الله المسلمين أن يستعينوا على كيد العدو بالصبر والتقوى.

وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّتْ طَلِيفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ
وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾

واذكر ﴿إِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ بالمدينة إلى أحد.

خرج رسول الله ﷺ يوم الجمعة بعد الجمعة، وأصبح بالشعب من أحد يوم السبت للنصف من شوال، وصف أصحابه للقتال وأمر عبد الله بن جبير^(١) على الرماة وقال لهم: ((انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا)).

(١) عبد الله بن جبير بن النعمان الانصاري، شهد العقبة ويدرأ واستشهد بأحد وكان أمير الرماة يومئذ.
الإصابة ج ٢: ٢٨٦.

﴿تَبَوَّئِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: تنزلهم وتهبئ لهم.

﴿مَقْلَعِدَ﴾ أي: مواطن ومواقف ﴿لِلْقِتَالِ﴾. وقد استعمل المقعد والمقام في معنى المكان، ومنه قوله تعالى: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾^(١)، وقوله: ﴿قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ﴾^(٢) أي: من مجلسك وموضع حكمك.

﴿إِذْ هَمَّتْ﴾ بدل من ﴿إِذْ عَدَوْتَ﴾ أو تعلق بقوله: ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿طَائِفَتَانِ﴾ أي: حَيَّان من الأنصار: بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الأوس وهما الجناحان.

خرج رسول الله ﷺ في ألف، والمشركون في ثلاثة آلاف، ووعدهم الفتح إن صبروا، فانخزل^(٣) عبد الله بن أبي بلث الناس، وقال: يا قوم علام نقتل أنفسنا وأولادنا؟! فتبعهم عمرو بن حزم الأنصاري^(٤) فقال: أنشدكم الله في نبيكم وأنفسكم، فقال عبد الله: لو نعلم قتالاً لاتبعناكم، فهم الحَيَّان باتباع عبد الله، فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله ﷺ^(٥).

والظاهر أنها كانت همّة وحديث نفس، ولو كانت عزيمة لما ثبتت معها الولاية، والله تعالى يقول: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ أي: ناصرهما ومتولي أمرهما. والفشل: الجبن والخور.

(١) القمر: ٥٥.

(٢) النمل: ٣٩.

(٣) انخزل: انقطع. (الصحاح: مادة خزل).

(٤) عمرو بن حزم بن زيد الأنصاري الخزرجي النجاري، يكنى أبا الضحاك وأول مشاهده الخندق واستعمله النبي ﷺ على أهل نجران، توفي بعد سنة ٥٠ هـ. ينظر: أسد الغابة ج ٤: ٩٩، معجم رجال الحديث ج ١٣: ٩٦.

(٥) تاريخ الطبري ج ٣: ١٢، وفيه: عبد الله بن حرام بدل عمرو بن حزم.

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ أمرهم سبحانه بأن لا يتوكلوا إلا عليه، ولا يفوضوا أمورهم إلا إليه.

وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١١٣﴾
 إِذْ يَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُبَدِّدَ رَبُّكُمْ ثَلَاثَةَ آلِ لُحْيٍ
 مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزْلِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ
 فَوْرِهِمْ هَذَا يُبَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلِ لُحْيٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ
 ﴿١١٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِنُظْمِينَ قُلُوبِكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ
 إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١١٦﴾

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ بما أمّركم به من الملائكة، وبتقوية قلوبكم، وإلقاء الرعب في قلوب أعدائكم.

﴿وَأَنْتُمْ﴾ في حال قلة وذلة. والأذلة: جمع القلة للذليل، والذلال: جمع الكثرة. وإنما جيء بلفظ القلة ليدل على أنهم على ذلتهم كانوا قليلاً، وذلتهم: ضعف حالهم وقلة سلاحهم وما لهم. وذلك أنهم خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم على البعير الواحد، وما كان معهم إلا فرسان: فرس للمقداد بن عمرو^(١) وفرس لمرثد بن أبي مرثد^(٢)، وقتلهم أنهم كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً: سبعة وسبعون من المهاجرين ومائتان وستة وثلاثون من الأنصار، وكان صاحب راية رسول الله ﷺ والمهاجرين علي بن أبي طالب عليه السلام وصاحب راية الأنصار سعد بن عباد^(٣)، وكان

(١) المقداد بن عمرو الكندي، أسلم قديماً، هاجر المهجرتين وشهد بدرأ والمشاهد بعدها، توفي سنة ٣٣ هـ. ينظر: الإصابة ج ٣: ٤٥٤، معجم رجال الحديث ج ١٨: ٣٥٩.

(٢) مرثد بن أبي مرثد الغنوي، شهد بدرأ وأحدأ، قتل يوم الرجيع شهيداً. ينظر: الاستيعاب ج ٣: ٤٢٩.

(٣) سعد بن عباد بن دليم الأنصاري سيد الخزرج، كان أحد الثقباء في بيعة العقبة، تخلف عن بيعة أبي بكر وقصته مشهورة، مات بحوران. ينظر: الاستيعاب ج ٢: ٣٥، معجم رجال الحديث ج ٨: ٧٣.

معهم من السلاح ستة أدرع وثمانية أسياف ومن الإبل سبعون بعيراً، وكان عدد المشركين نحواً من ألف مقاتل ومعهم مائة فرس^(١).

وبدر: اسم ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمّى بدرأ فسمي به.

﴿فَلْتَقُوا﴾ في الثبات مع رسوله ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ما أنعم به عليكم

من نصرته.

﴿إِذْ تَقُولُ﴾ ظرف لـ ﴿نَصَرَكُمُ﴾ على أن يكون قال لهم ذلك يوم بدر، والخطاب للنبي ﷺ؛ أو بدل ثان من ﴿إِذْ غَدَوْتَ﴾ على أن يكون قال لهم ذلك يوم أحد، مع اشتراط الصبر والتقوى عليهم، فلم يصبروا عن الغنائم ولم يتقوا، حيث خالفوا أمر رسول الله ﷺ فلم تنزل الملائكة.

ومعنى: ﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ﴾ إنكار أن لا يكفيهم الإمداد ﴿بِثَلَاثَةِ أَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ﴾.

و﴿لَنْ﴾ إيجاب لما بعد ﴿لَنْ﴾ يعني: بل يكفيكم الإمداد بهم، ثم قال: إن تصبروا وتتقوا ﴿يُمْدِدْكُمْ﴾ بأكثر من ذلك العدد ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ للقتال.

﴿وَيَأْتِيَكُمْ مِنْ قَوْرِهِمْ هَذَا﴾ يعني: المشركين، من قولك: قفل فلان من غزوته وخرج من فوره إلى غزوة أخرى، ومنه قولنا في أصول الفقه: الأمر على الفور دون التراخي. وهو مصدر من فارت القدر: إذا غلت، فاستعير للسرعة. والمعنى: إن يأتوكم من ساعتهم هذه ﴿يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ﴾ بالملائكة في حال إتيانهم لا يتأخر نزولهم عن إتيانهم، يريد إن الله يعجل نصر تكم إن صبرتم، وقرئ: منزّلين ومنزّلين مخففاً ومشدداً، ومسوّمين ومسوّمين بمعنى: معلّمين ومعلّمين أنفسهم

(١) ينظر: مغازي الواقدي ج ١: ٢٣ وما بعدها.

أو خيلهم.

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾ الهاء لـ ﴿أَنْ يُبَدِّلَكُمْ﴾ أي: وما جعل الله إمدادكم بالملائكة
﴿إِلَّا﴾ بشارة ﴿لَكُمْ﴾ بأنكم تنصرون.

﴿وَلِنُطَمِّنَنَّ﴾ به ﴿قُلُوبَكُمْ﴾ كما كانت السكينة لبني إسرائيل بشارة بالنصر
وطمأنينة لقلوبهم.

﴿وَمَا النَّصْرُ﴾ بإمداد الملائكة ﴿إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ﴾ الذي لا يغالب في
حكمه ﴿الْحَكِيمِ﴾ الذي يعطي النصر ويمنعه بحسب ما يراه من المصلحة.

لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ
لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ
﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ
مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾

المعنى: ليهلك طائفة ﴿مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالقتل والأسر، وهو ما كان يوم
بدر قتل منهم سبعون وأسر سبعون، وأكثرهم رؤساء قريش وصناديدهم.

﴿أَوْ يَكْبِتُهُمْ﴾ أو يخزيهم بالخيبة مما أملوا من الظفر بكم، ويغيظهم بالهزيمة
﴿فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾ غير ظافرين، ونحوه: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا
خَيْرًا﴾^(١). ويقال: كبته، بمعنى كبده إذا ضرب كبده بالغيط والحرقة. واللام
متعلقة بقوله: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ﴾ أو بقوله: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾.

وقوله: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ عطف على ما قبله، و﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾
اعتراض. والمعنى: إن الله مالك أمرهم، فإما أن يهلكهم أو يهزمهم، أو يتوب عليهم

إِنْ أَسْلَمُوا ﴿أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ إِنْ أَصْرُوا عَلَى الْكُفْرِ، وَلَيْسَ لَكَ مِنْ أَمْرِهِمْ شَيْءٌ وَإِنَّمَا أَنْتَ نَبِيٌّ مَبْعُوثٌ لِإِنْذَارِهِمْ.

وقيل: ﴿أَوْ يُتَوَبَّ عَلَيْهِمْ﴾ نصب بإضمار (أَنْ) و(أَنْ يَتُوبَ) في حكم اسم معطوف بـ(أَوْ) على الأمر أو على (شيء). أي: ليس لك من أمرهم شيء أو من التوبة عليهم أو من تعذيبهم. [أو ليس لك من أمرهم شيء أو التوبة عليهم أو تعذيبهم]^(١). وقيل: ﴿أَوْ﴾ بمعنى (إِلَّا أَنْ) على معنى ليس لك من أمرهم شيء إلا أَنْ يَتُوبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، فتفرح بحالهم أو يعذبهم فتتشفى منهم.

﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ إِنَّمَا أَهَمُّ الْأَمْرِ فِي التَّعْذِيبِ وَالْمَغْفِرَةِ لِيَقِفَ الْمَكْلَفُ بَيْنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ، فَلَا يَأْمَنُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَلَا يِيَّاسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ.

يَتَأْتِيهَا اللَّيْلُ ءَامِنُونَ لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً
وَأَنْتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَأَنْتَقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ
لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾

هذا نهي عن أكل ﴿الرِّبَا﴾ مع توبيخ لهم بما كانوا عليه من تضعيفه، كان الرجل منهم إذا بلغ الدين محله زاد في الأجل، فربما يستغرق بالشيء اليسير مال المديون.

﴿وَأَنْتَقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ﴾ أي: هيئت واتخذت ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾. والوجه في تخصيص الكافرين بإعداد النار لهم أنهم معظم أهل النار، كان أبو حنيفة يقول: (هي أخوف آية في القرآن، أوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين إن لم يتقوه)

في اجتناب محارمه^(١). وقد أمدّ ذلك بما أتبعه من تعليق الرجاء منهم لرحمته بأن يتوفروا على طاعته وطاعة رسوله.

وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ
وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ
وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ
الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾

قرأ أهل المدينة والشام: سارعوا - بغير واو..

ومعنى المسارعة إلى المغفرة والجنة: الإقبال على ما يستحقّ به الثواب من فعل الطاعات وأداء الفرائض.

و﴿عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ أي: عرضها كعرض السماوات والأرض، والمراد وصفها بالسعة فشبهت بأوسع ما علمه الناس من خلق الله، وخصّ العرض لأنّه في العادة أدنى من الطول للمبالغة كقوله: ﴿بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾^(٢). وفي قوله: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ دلالة على أنّ الجنة مخلوقة اليوم، لأنها لا تكون معدّة إلا وهي مخلوقة.

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ صفة للمتقين، ومعناه: إنهم ينفقون في حال الرخاء واليسر، وفي حال الضيق والعسر ما قدروا عليه من قليل أو كثير، لا يمنعهم حال نعمة ولا حال محنة من المعروف.

وكظم الغيظ: أن يمسك على ما في نفسه منه بالصبر ولا يظهره، من كظم القربة: إذا ملأها وشدّ فاهها، وكظم البعير: إذا لم يجتر، وفي الحديث: ((من كظم

(١) الكشف ج ١: ٤١٤.

(٢) الرحمن: ٥٤.

غِيظًا وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَىٰ إِتْقَانِهِ مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهُ أَمْنًا وَإِيمَانًا^(١).

وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ
فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ ذُنُوبَهُ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا
عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاءُهم مَّغْفِرَةٌ مِّن
رَّبِّهِمْ وَجَنَّتٌ تَجْرَىٰ مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ
أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾

﴿وَالَّذِينَ﴾ عطف على ﴿الْمُتَّقِينَ﴾ وقوله: ﴿أُولَٰئِكَ﴾ إشارة إلى الفريقين.
ويجوز أن يكون ﴿وَالَّذِينَ﴾ مبتدأ، وخبره ﴿أُولَٰئِكَ﴾.

﴿فَنَحِشَةً﴾ فعلة متزايدة القبح ﴿أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بمقارفة الذنب.
﴿ذَكَرُوا اللَّهَ﴾ أي: ذكروا نهي الله ووعيده أو عقابه فانزجروا عن المعصية.
﴿فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ بأن قالوا: اللهم اغفر لنا ذنوبنا.

﴿وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ ذُنُوبَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ وصف لذاته بسعة الرحمة. وهي جملة
اعتراضية بين المعطوف والمعطوف عليه، متبهة على لطيف فضله وجليل عفوه
وكرمه، باعثة على التوبة وطلب المغفرة.

﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا﴾ أي: على أفعالهم القبيحة، وفي الحديث: ((ما
أصرَّ من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة))^(٢).

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ حال من فعل الإصرار. والمعنى: وليسوا بمن يصرون
على الذنوب وهم عالمون بالنهي عنها والوعيد عليها. وفي هذا بيان أنَّ المؤمنين

(١) سنن أبي داود ج ٤: ٢٤٩ ح ٧٧٨، وينظر: من لا يحضره الفقيه ج ٤: ٢٥٤.

(٢) سنن أبي داود ج ٢: ٨٦ ح ١٥١٤، الكافي ج ٢: ٢٨٨ بالمعنى.

ثلاث طبقات: (مَتَّقُونَ، وَتَائِبُونَ، وَمَصْرُورُونَ)، وَأَنَّ لِلْمُتَّقِينَ وَالتَّائِبِينَ مِنْهُمْ الْجَنَّةَ وَالْمَغْفِرَةَ.

﴿وَيَقَمُّ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ المخصوص بالمدح محذوف، تقديره: ونعم أجر العاملين ذلك، أي: المغفرة والجنات.

قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ
كَانَ عَقِبَةُ الْكَاذِبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ
لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾

﴿قَدْ﴾ مضت ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ يريد ما سنَّه الله تعالى في الأمم الخالية المكذبة رسلها من الاستئصال بالعذاب، وتبقية الآثار في الديار للاعتاظ والانزجار والاعتبار.

﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ فتعرفوا أخبار المكذبين، وانظروا إلى ما نزل بهم لتنتهوا عن مثل ما فعلوه.

﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾ أي: إيضاح لسوء ﴿عَقِبَةُ﴾ من كذب، وحث على النظر في آثار هلاكهم.

﴿وَهُدًى﴾ زيادة تثبيت ﴿وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ للذين اتقوا من المؤمنين.

وقوله: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ تسلية من الله تعالى لرسوله وللمؤمنين عما أصابهم يوم أُحُد. والمعنى: ولا تضعفوا عن الجهاد لما أصابكم، ولا تبالوا بذلك، ولا تحزنوا على من قتل منكم.

﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ أي: وحالكم أنكم أعلى منهم وأغلب، لأنكم أصبتم

منهم يوم بدر أكثر مما أصابوا منكم يوم أحد. أو يكون هذا بشارة لهم بالعلو والغلبة في العاقبة كقوله: ﴿وَإِنْ جُنَدْنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾^(١).

﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي: ولا تنهوا إن صح إيمانكم، لأن صحة الإيمان توجب الثقة بالله وقلة المبالاة بأعداء الله، ويجوز أن يريد: ﴿وَأَنْتُمْ أَلْعَلَّوْنَ إِنْ كُنْتُمْ﴾ مصدقين بما يعدكم الله من الغلبة.

إِنْ يَمَسَّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ، وَتِلْكَ الْآيَاتُ
نُذَوُّهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ
شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحَّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾

قرئ: ﴿قَرْحٌ﴾ بفتح القاف وضمها وهما لغتان، وقيل: هي - بالفتح -: الجراحات، وبالضم: ألمها.

يعني: إن تصبكم جراحة وألم يوم أحد فلقد أصاب القوم ذلك يوم بدر، ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يبتطهم عن معاودتكم بالقتال، وقيل: معناه: إن نالوا منكم يوم أحد فقد نلتهم منهم في هذا اليوم قبل أن تحالفوا أمر رسول الله ﷺ^(٢).

﴿وَتِلْكَ الْآيَاتُ﴾ ﴿تِلْكَ﴾ مبتدأ، و﴿الْآيَاتُ﴾ صفته، و﴿نُذَوُّهَا﴾ خبره، ويجوز أن يكون ﴿تِلْكَ الْآيَاتُ﴾ مبتدأ وخبراً. والمراد بالآيات: أوقات الظفر والغلبة.

﴿نُذَوُّهَا﴾ أي: نصرّفها ﴿بَيْنَ النَّاسِ﴾ نذيل تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء،

(١) الصافات: ١٧٣.

(٢) عن قتادة وغيره. تفسير الطبري ج ٤: ٦٨.

كما قيل في المثل: (الحرب سجال)^(١).

﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يجوز أن يكون المعلن محذوفاً، والمعنى: وليتميز الثابتون منكم على الإيمان من غيرهم فعلنا ذلك، وهو من باب التمثيل، أي: فعلنا ذلك فعل من يريد أن يعلم من الثابت على الإيمان منكم ومن غير الثابت، وإلا فإنه سبحانه لم يزل عالماً بما يكون قبل كونه. وقيل: معناه: وليعلمهم علماً يتعلق به الجزاء، وهو أن يعلمهم موجوداً منهم الثبات.

ويجوز أن تكون العلة محذوفة، وهذا عطف عليه بمعنى: وفعلنا ذلك ليكون كيت وكيت وليعلم الله، وإنما حذف ليؤذن بأن المصلحة فيما فعل ليست بواحدة. ﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ أي: وليكرم ناساً منكم بالشهادة، يريد بذلك شهداء أحد، أو يتخذ منكم من يصلح للشهادة على الأمم يوم القيامة من قوله: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾^(٢).

﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ اعتراض بين بعض التعليل وبعض، أي: والله لا يحب من ليس من هؤلاء الثابتين على الإيمان المجاهدين في سبيل الله المحصين من الذنوب. والتمحيص: التطهير.

﴿وَيَمَحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ أي: يهلكهم، يعني: [إن كانت الدولة على المؤمنين فللتمييز والتمحيص وغير ذلك مما هو صلاح لهم]^(٣)، وإن كانت الدولة على الكافرين فلمحقهم أي: إهلاكهم ومحو آثارهم.

(١) مجمع الأمثال ج ١: ٣٨٠.

(٢) البقرة: ١٤٣.

(٣) ساقطة من ج.

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ
وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ
فَقَدْ رَأَيْتُمْوهُ وَأَنْتُمْ نَظُرُونَ ﴿١٤٣﴾

﴿أَمْ﴾ منقطعة، والتقدير: بل أحسبتم ومعنى الهمزة فيها الإنكار ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ﴾ بمعنى: ولما تجاهدوا، لأن العلم يتعلق بالمعلوم فنزل نفي العلم منزلة نفي متعلقه لأنه يتنفي بانتفائه، تقول: (ما علم الله في فلان خيراً)، تريد ما فيه خير حتى يعلمه.

و﴿لَمَّا﴾ بمعنى: (لم) إلا أنّ فيه ضرباً من التوقع، فدلّ على نفي الجهاد فيما مضى وعلى توقّعه فيما يستقبل.

﴿وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ منصوب بإضمار (أن) والواو بمعنى الجمع كقولك: (لا تأكل السمك وتشرب اللبن). والمعنى: أظنتم أنكم تدخلون الجنة ولما يقع العلم بجهاد المجاهدين منكم والعلم بصبر الصابرين.

﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ﴾ خطاب للذين لم يشهدوا بدرأ، وكانوا يتمنون أن يشهدوا غزاة مع رسول الله ليفوزوا بالشهادة، وهم الذين ألحوا على رسول الله في الخروج إلى المشركين وكان رأيهم ﷺ في الإقامة بالمدينة. أي: ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ﴾ قبل أن تعرفوا شدّته وتشاهدوه.

﴿فَقَدْ رَأَيْتُمْوهُ﴾ مشاهدين له حين قتل منكم من قتل وشارفتم أن تقتلوا، ويجوز تمنّي الشهادة، لأنّ المراد منه نيل كرامة الشهداء لا غير.

وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ

اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤١﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُوَجَلًّا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٢﴾

رمى عبد الله بن قمئة عليه اللعنة يوم أحد رسول الله ﷺ بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه وأقبل يريد قتله، فذبح عنه مصعب بن عمير^(١) وهو صاحب الراية، فقتله ابن قمئة وهو يرى أنه رسول الله ﷺ فقال: قد قتلت محمداً، وفشا في القوم: أن محمداً قد قُتل فانهزموا، وجعل رسول الله يقول: ((إليّ عباد الله))، حتى انحازت إليه طائفة من أصحابه فلامهم على الفرار، فقالوا: يا رسول الله أتانا الخبر بأنك قتلت فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين، فنزلت^(٢).

وروي أنه قال بعضهم: ليت عبد الله بن أبي يأخذ لنا أماناً من أبي سفيان، وقال أنس بن النضر^(٣) - عم أنس بن مالك^(٤) -: إن كان محمد قُتل فإن رب محمد حي لا يموت، وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله؟! فقاتلوا على ما قاتل عليه رسول الله وموتوا على ما مات عليه، ثم قال: اللهم إني أعترض إليك بما يقول هؤلاء

(١) مصعب بن عمير بن هاشم العبدي، أحد السابقين إلى الإسلام، هاجر إلى الحبشة ثم رجع إلى مكة فهاجر إلى المدينة، شهد بدرًا ثم شهد أحدًا فاستشهد. ينظر: الإصابة ج ١: ٤٢١.

(٢) ينظر: الكشف والبيان ج ٣: ١٧٥.

(٣) أنس بن النضر بن ضمضم الأنصاري الخزرجي، غاب عن قتال بدر، وقتل يوم أحد شهيداً. ينظر: الإصابة ج ١: ٧٤.

(٤) أنس بن مالك بن النضر الأنصاري خادم النبي، أمه أم سليم الأنصارية، كان مقدم النبي المدينة ابن عشر سنين، توفي سنة ٩٣ هـ على قول. ينظر: الاستيعاب ج ١: ٧١، معجم رجال الحديث ج ٣: ٢٥٩.

- يعني المسلمين - [وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء - يعني المنافقين -] ^(١) ثم شدّ بسيفه فقاتل حتى قتل ^(٢).

والمعنى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ مضت ﴿مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ بعثوا فأدوا الرسالة وماتوا وقتل بعضهم، وآنه سيمضي كما مضوا، وأتباع كل رسول بقوا متمسكين بدينه بعد مضيّه.

﴿أَفَأَيْنَ مَاتَ﴾ محمد ﴿أَوْ قُتِلَ أَنْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾. المعنى: أفإن أماته الله أو قتله الكفار ارتددتم كفاراً بعد إيمانكم؟ فالفاء لتعليق الجملة الشرطية بالجملة قبلها، والهمزة للإنكار.

﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ﴾ ومن يرتدد عن دينه.

﴿فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾ ولم يضر إلا نفسه.

﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ الذين لم ينقلبوا [كأنس بن النضر وأضرابه، وسماهم شاكرين] ^(٣) لأنهم شكروا نعمة الإسلام فيها فعلوا.

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ يعني: إن موت النفوس محال أن يكون إلا بمشيئة الله، فأخرجه مخرج فعل لا ينبغي لأحد أن يقدم عليه إلا بإذن الله له فيه تمثيلاً. وفيه تحريض على الجهاد، وإخبار بأنّه لا يقدم أجلاً لم يحضر، وتركه لا يؤخر أجلاً قد حضر.

﴿كُنُوبًا﴾ مصدر مؤكد، لأنّ المعنى: كتب الموت كتاباً.

﴿مُؤَجَّلًا﴾ موقّتا له أجل معلوم لا يتقدّم ولا يتأخر.

(١) ساقطة من أ، ب، ج.

(٢) ينظر: تفسير الطبري ج ٤: ٧٣.

(٣) ساقطة من أ، ب، ج.

﴿وَمَنْ يُرِدْ﴾ بجهاده ﴿ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ يعني: الغنيمة.
 ﴿ثَوَاتِهِ مِنْهَا﴾ من ثوابها ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ ثَوَاتِهِ مِنْهَا﴾ من ثوابها.
 ﴿وَسَتَجَرِي الشُّكْرَيْنِ﴾ الذين لم يشغلهم شيء عن الجهاد.

وَكَايِنَ مَنِ نَجَّى قَتَلَ مَعَهُ رَيْثُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي
 سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٦٦﴾ وَمَا
 كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا
 وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٦٧﴾ فَكَانَتْهُمْ اللَّهُ
 ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦٨﴾

قري: قتل وقاتل والفاعل ﴿رَيْثُونَ﴾ أو الضمير المستكن فيه العائد إلى
 ﴿نَجَّى﴾، و﴿مَعَهُ رَيْثُونَ﴾ حال منه، بمعنى: قتل كائناً معه ريثون، والريثون:
 الربانيون.

﴿فَمَا وَهَنُوا﴾ عند قتل النبي^(١) ﴿وَمَا ضَعُفُوا﴾ عن الجهاد بعده ﴿وَمَا
 اسْتَكَانُوا﴾ للعدو. هذا تعريض بالوهن الذي أصابهم عند الإرجاف بقتل رسول
 الله ﷺ وبضعفهم عند ذلك واستكانتهم للمشركين حين أرادوا أن يعتضدوا
 بالمنافق عبد الله بن أبي في طلب الأمان من أبي سفيان.

﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا﴾ هذا القول، وهو إضافة الذنوب والإسراف إلى
 أنفسهم مع كونهم ربانيين كسراً لنفوسهم واستقصاراً لها، والدعاء بالاستغفار
 منها قبل طلبهم بثبوت الأقدام في مواطن الحرب والنصرة على العدو، ليكون
 طلبهم أقرب إلى الإجابة.

﴿فَقَاتِلْهُمْ اللَّهُ تَوَّابٌ أَلْذِي﴾ من النصر والغنيمة والعزة، وخصّ ﴿تَوَّابٌ﴾ بالآخر ﴿بِالْحَسَنِ دَلَالَةً عَلَى فَضِيلَتِهِ﴾.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ
عَلَىٰ أَعْقَبِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ
خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٥٠﴾

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: ((نزلت في قول المنافقين للمسلمين عند الهزيمة: ارجعوا إلى إخوانكم وادخلوا في دينهم))^(١).

والمعنى: ﴿إِنْ تُطِيعُوا﴾ الكافرين وأصغيتهم إلى قولهم: لو كان محمد نبياً لما غلب، أو استأمتهم أبا سفيان وأصحابه فاستكتتم لهم.

﴿يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَبِكُمْ﴾ أي: يرجعوك كفاراً في دينهم كما كنتم فترجعوا ﴿خَاسِرِينَ﴾ قد تبدلتكم الكفر بالإيمان والنار بالجنة.

﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾ أي: ناصركم وهو أولى بأن تطيعوه، ولا تحتاجون معه إلى نصره أحد وولايته.

سَكُنْ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا
بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ
مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ
إِذْ تَحْسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ
فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلَكُمْ مَّا تَحِبُّونَ
مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ

صَرَفَكُم عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو

فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٤﴾

قذف الله ﴿فِي قُلُوبِ﴾ المشركين الخوف يوم أحد، فانهزموا إلى مكة بعد أن كان لهم القوة والغلبة، ولما كانوا ببعض الطريق تلاوموا وقالوا: [يشس ما فعلنا] ^(١) لا محمداً قتلنا ولا الكواعب أردفنا، قتلناهم حتى إذا لم يبق منهم إلا الشريد تركناهم، ارجعوا فاستأصلوهم. فلما عزموا على ذلك ألقى الله في قلوبهم ﴿الرُّعْبَ﴾ فأمسكوا.

﴿بِمَا أَشْرَكُوا﴾ أي: بسبب إشراكهم، والمعنى: كان السبب في إلقاء الله الرعب في قلوبهم إشراكهم ﴿يَا لِلَّهِ﴾ آلهة لم ينزل الله بإشراكها حجة، وما عنى الله سبحانه أن هناك حجة لم تنزل عليهم، وإنما أراد نفي الحجة ونزولها جميعاً، كقول الشاعر:

وَلَا تَرَى الضَّبَّ يَهْتَاجُ حُرًّا ^(٢)

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ هو أنه سبحانه وعدهم النصر بشرط الصبر والتقوى في قوله: ﴿بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ﴾ ^(٣)، وقد وفي لهم بما وعدهم، وذلك أن رسول الله أقام الرماة عند الجبل - جبل أحد - حين جعل الجبل خلف ظهره واستقبل المدينة، وأمرهم أن يثبتوا في مكانهم ولا يبرحوا كانت الدولة للمسلمين أو عليهم، فلما أقبل المشركون

(١) ساقطة من أ، ط.

(٢) شعر عمرو بن أحر الباهلي: ٦٧، صدره: لاتفرع الأرنب أهواها.

(٣) آل عمران: ١٢٥.

جعل الرماة يرشقون خيلهم، وغيرهم يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا، وذلك قوله تعالى: ﴿إِذَا تَحُشُّونَهُمْ يَأْذِنِهِ﴾ أي: تقتلونهم قتلاً ذريعاً.

﴿حَتَّىٰ إِذَا فُشِلْتُمْ﴾ والفشل: الجبن وضعف الرأي.

﴿وَتَنْزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ وذلك قولهم: قد انهزم المشركون فما وقفنا هنا؟

وقال بعضهم: لا نخالف أمر رسول الله، فثبت مكانه عبد الله بن جبير - وهو أمير الرماة - في نفر دون العشرة وهم المعنيون بقوله: ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ ونفر الباقون ينهبون وهم الذين أرادوا الدنيا، فكّر المشركون على الرماة وقتلوا [عبد الله بن جبير وأقبلوا على المسلمين حتى هزموهم وقتلوا] ^(١) من قتلوا، وهو قوله: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ أي: ليمتحن صبركم وثباتكم على الشدائد.

﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾ بعد أن خالفتهم أمر الرسول ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى

الْمُؤْمِنِينَ﴾ يتفضل عليهم بالعتو.

ومتعلق قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُشِلْتُمْ﴾ محذوف تقديره: حتى إذا فشلتم

منعكم نصره.

إِذَا تَضَعُدُونَ وَلَا تَكُونُوا عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ
يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَجِكُمْ فَأَتْبَبَكُمْ عَمَّا يَغْمُرُ لِكَيْلًا
تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ
خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَدِّ أَلْفٍ أَمْنَةً
نُعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ

يَطُئُونَ بِأَلْقَامِهِمْ ظُنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ
الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا
يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا قُلْ
لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ
وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ
عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾

الإصعاد: الذهاب في الأرض والإبعاد فيه، تقول: صعد في الجبل وأصعد
في الأرض، والمعنى: ولقد عفا عنكم وقت إصعادكم أي: ذهابكم في وادي أحد
للاهنزام.

﴿وَلَا تَكُونُوا عَلَى أَحَدٍ﴾ أي: لا تلتفتون إلى من خلفكم في الحرب، لا
يقف أحد منكم على أحد.

﴿وَالرُّسُولَ يَدْعُوكُمْ﴾ يقول: ((إليّ عباد الله أنا رسول الله من يكرّر
فله الجنة))^(١).

﴿فِي آخِرَتِكُمْ﴾ أي: في سافتكم وجماعتكم الأخرى أي: المتأخرة، تقول:
جنت في آخر الناس وأخراهم، كما تقول: في أولهم وأولاهم بتأويل مقدمتهم
وجماعتهم الأولى.

﴿فَأَثْبَكُمْ﴾ عطف على ﴿صَرَفَكُمْ﴾ أي: فجازاكم الله ﴿عَمَّا﴾
حين صرفكم عنه وابتلاككم بسبب غم أذقتموه رسول الله ﷺ بعصيانكم إياه،
أو ﴿عَمَّا﴾ متصلاً ﴿بِغَيْرِ﴾ بما أرفج به من قتل رسول الله ﷺ، وبالجرح،

والقتل، وظفر المشركين، وفوت الغنيمة.

﴿لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ من الغنيمة ﴿وَلَا﴾ تحزنوا أيضاً على ﴿مَا أَصَابَكُمْ﴾ من الشدائد في سبيل الله.
﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ﴾ أي: عليم بأعمالكم.

ثم ذكر سبحانه ما أنعم عليهم بعد ذلك فقال: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنًا نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنْكُمْ﴾ هم أهل الصدق واليقين، وذلك أنه تعالى أنزل الأمن على المؤمنين وأزال عنهم الخوف الذي كان بهم حتى نعسوا وغلبهم النوم، وروي عن أبي طلحة^(١) أنه قال: (غشينا النعاس ونحن في مصافنا، فكان السيف يسقط من يد أحدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه، وما أحد إلا ويميل تحت جحفته)^(٢).
وقوله تعالى: ﴿نُّعَاسًا﴾ بدل من ﴿أَمْنًا﴾، ويجوز أن يكون هو المفعول و﴿أَمْنًا﴾ حال منه مقدّمة عليه كما تقول: رأيت راكباً رجلاً. وقرئ: ﴿يَغْشَىٰ﴾ بالياء والتاء رداً على النعاس أو الأمانة.

﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ وهم المنافقون مالههم إلا هم أنفسهم لا هم الدين ولا هم رسول الله والمسلمين.

﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ﴾ الظن ﴿الْحَقِّ﴾ الذي يجب أن يظن به، فقوله: ﴿غَيْرَ الْحَقِّ﴾ في حكم المصدر و﴿ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ بدل منه. ويجوز أن يكون المعنى: يظنون بالله ظن الجاهلية، و﴿غَيْرَ الْحَقِّ﴾ تأكيد لـ ﴿يَظُنُّونَ﴾ كما تقول: هذا القول غير

(١) أبو طلحة زيد بن سهل الأنصاري النجاري الخزرجي، شهد العقبة ثم شهد بدرًا وما بعدها من المشاهد، اختلف في وقت وفاته ف قيل سنة ٣١ هـ وقيل غير ذلك. ينظر: الاستيعاب ج ٤: ١١٣، معجم رجال الحديث ج ٧: ٣٤٣.

(٢) الكشف والبيان ج ٣: ١٨٧.

ما نقول.

﴿يَقُولُونَ﴾ لرسول الله يسألونه ﴿هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ﴾ معناه: هل لنا من أمر الله نصيب قط؟ يعنون: النصر والظفر.

﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ ولأوليائه المؤمنين وهو النصر والغلبة.

﴿يَخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾ معناه: يخفون الشك والنفاق وما لا يستطيعون إظهاره لك.

﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ﴾ أي: من الظفر الذي وعدنا به ﴿شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا﴾ أي: ما قتل أصحابنا ﴿هَنُهَا﴾ في هذه المعركة.

﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ أي: من علم الله منه أنه يقتل ويصرع في هذا المصرع، وكتب ذلك في اللوح المحفوظ لم يكن بدّ من وجوده، فلو قعدتم في بيوتكم ﴿لَبَرَزَ﴾ من بينكم ﴿الَّذِينَ﴾ علم الله أنهم يقتلون ﴿إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ وهي مصارعهم ليكون ما علم الله أنه يكون.

﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ من الإخلاص ﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ من وساوس الشيطان فعل ذلك، أو فعل ذلك لمصالح كثيرة وللابتلاء والتمحيص. [واللام في ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ﴾ متعلقة بـ(فعل ذلك) دلّ عليه الكلام تقديره: وليبتلي الله ما في صدوركم فرض عليكم القتال ﴿وَلِيُمَحِّصَ﴾ عطف على ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ﴾^(١).

إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ
الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ

(١) ساقطة من أ، ب، ج.

حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا
لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا
مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُخَيِّ
وُيْمِئُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾

﴿اسْتَرْزَلَهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ أي: طلب زلتهم ودعاهم إلى الزلل ﴿بِبَعْضِ مَا
كَسَبُوا﴾ من ذنوبهم، والمعنى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ﴾ انهزموا ﴿يَوْمَ﴾ أحد كان السبب في
انهزامهم أنهم كانوا أطاعوا ﴿الشَّيْطَانُ﴾ فافتروا ذنباً، فلذلك منعهم التأيد
والتوفيق في تقوية القلوب حتى تولوا، وقال الحسن: (استزلهم بقبول ما زين لهم
من الهزيمة)^(١).

وقوله: ﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ مثل قوله: ﴿وَيَغْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾^(٢).
وذكر البلخي^(٣): (إنه لم يبق يوم أحد مع النبي ﷺ إلا ثلاثة عشر نفساً: خمسة
من المهاجرين وثمانية من الأنصار، وقد اختلف في الخمسة إلا في علي عليه السلام وطلحة)^(٤).
قال الصادق عليه السلام: ((نظر رسول الله ﷺ إلى جبرئيل بين السماء والأرض على كرسي
من ذهب وهو يقول: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي))^(٥). ويروى: أَنَّ
علياً عليه السلام كان يقاتلهم ذلك اليوم حتى أصابه في وجهه ورأسه ويديه وبطنه ورجليه

(١) معالم التنزيل ج ١: ١٩٣.

(٢) المائدة: ١٥.

(٣) أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي المعتزلي، صاحب التصانيف في علم الكلام، من
متكلمي المعتزلة البغداديين، أقام ببغداد مدة طويلة ثم عاد إلى بلخ وتوفي بها سنة ٣١٩ هـ. ينظر:
طبقات المفسرين ج ١: ٢٢٢.

(٤) التبيان ج ٣: ٢٥.

(٥) الكافي ج ٨: ٩٥.

سبعون جراحة، فقال جبرئيل: إن هذه هي المواساة يا محمد، فقال رسول الله ﷺ: ((وما يمنعه من هذا فإنه مني وأنا منه))، قال جبرئيل: وأنا منكما^(١).

﴿وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾ أي: لأجل إخوانهم.

﴿إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: سافروا فيها وأبعدوا للتجارة أو غيرها ﴿أَوْ كَانُوا غُرَى﴾ جمع غازٍ. وقوله: ﴿إِذَا ضَرَبُوا﴾ حكاية حال ماضية، ومعناه: حين ي ضربون في الأرض.

وقوله: ﴿لِيَجْعَلَ﴾ متعلق بـ ﴿قَالُوا﴾ أي: قالوا ﴿ذَلِكَ﴾ واعتقدوه ليكون ﴿حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾، وتكون اللام للعاقبة كما في قوله: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَذَابٌ وَخَرْنَا﴾^(٢). ويجوز أن يكون المعنى: لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول واعتقاده، ليجعله الله ﴿حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ خاصة ويصون منها قلوبكم. وإنما أسند الفعل إلى الله تعالى، لأنه سبحانه عند ذلك الاعتقاد الفاسد يضع الحسرة في قلوبهم ويضيق صدورهم، وهو كقوله: ﴿يَجْعَلُ صَدْرُهُ ضَيْقًا خَرَجًا﴾^(٣).

﴿وَاللَّهُ يَحْيِي وَيُمِيتُ﴾ رد لقولهم، أي: الأمر بيده فقد يحيي المسافر والغازي، ويميت القاعد والمقيم ﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فلا تكونوا مثلهم.

وَلَكِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٍ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٧٧﴾ وَلَكِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ إِلَى اللَّهِ تَحْشُرُونَ ﴿١٧٨﴾ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ إِنَّتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْقَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ

(١) تفسير القمي ج ١: ١١٦ باختلاف.

(٢) القصص: ٨.

(٣) الأنعام: ١٢٥.

فَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُم مِّنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾

﴿لَمَغْفِرَةٌ﴾ جواب لقسم وقد سدّ مسدّ جواب الشرط، وكذا قوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَحْشَرُونَ﴾.

كذب سبحانه فيما قال الكفار في زعمهم أن من ضرب في الأرض أو غزا لو كان عندهم في المصر لم يمت، ونهى المسلمين عن ذلك الاعتقاد لآته سبب التخلف عن الجهاد، ثم قال: ولو كان الأمر كما ترعمون، وتمّ عليكم ما تحافون من الهلاك بالموت أو القتل في سبيل الله، فإنّ ما تنالونه من المغفرة والرحمة بالموت في سبيل الله ﴿خَيْرٌ مِّمَّا تَجْمَعُونَ﴾ من منافع الدنيا لو لم تموتوا، أو مما يجمعه الكفار فيمن قرأ بالياء، ثم قال: ﴿وَلَكِنْ مَتَّ مَّتَّ أَوْ قُتِلْتُمْ لِيَالَى اللَّهِ﴾ الرحيم ﴿تَحْشَرُونَ﴾. وقرئ: ﴿مَتَّ مَّتَّ﴾ بضم الميم وكسرهما من مات يموت، ومات ييات.

﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ﴾: (ما) مزيدة للتوكيد والدلالة على أنّ لينه لهم ما كان إلا برحمة من الله.

﴿وَلَوْ كُنْتَ فَطًّا﴾ أي: جافياً سيئ الخلق ﴿عَلِيظَ الْقَلْبِ﴾ قاسيه.

﴿لَا تَفْضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ لتفرّقوا عنك، لا يبقى حولك أحد منهم.

﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ ما بينك وبينهم.

﴿وَأَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ ما بينهم وبينني إتماماً للشفقة عليهم.

﴿وَسَاوِرَهُمْ فِي الْأَنْمِرِ﴾ يعني: في^(١) أمر الحرب ونحوه مما لم ينزل عليك

وحي فيه، لتطيب نفوسهم أو لتستظهر برأيهم، قال الحسن: (أراد أن يستن به من بعده فقد علم الله أنه لم يكن يحتاج إليهم)^(١). وفي الحديث: ((ما تشاور قوم قط إلا هدوا لأرشد أمرهم))^(٢).

﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾ فإذا قطعت الرأي على شيء بعد الشورى ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ في إمضاء أمرك على الأرشد الأصلح، فإن ذلك لا يعلمه إلا الله. وروي عن جعفر الصادق عليه السلام: فإذا عزمْتُ - بالضم - بمعنى: فإذا عزمْتُ لك على شيء وأرشدتك إليه، فتوكل علي ولا تشاور بعد ذلك أحداً.

﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ﴾ كما نصركم يوم بدر فلا أحد يغلبكم. ﴿وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ﴾ ويمنعكم معونته، ويخل بينكم وبين أعدائكم بمعصيتكم إياه ﴿فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُم مِّنْ بَعْدِهِ﴾ أي: من بعد خذلانه.

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ هذا تنبيه على وجوب التوكل على الله سبحانه.

وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ أَفَمَنْ
اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطِ اللَّهِ وَمَا أُوتِيَ جَهَنَّمَ
وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٣٢﴾ هُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا
يَعْمَلُونَ ﴿١٣٣﴾

غل شيئاً من المغنم غلواً وأغل: [إذا أخذه في خفية، وفي الحديث: ((لا

(١) شعب الايمان ج ٦: ٧٥ بالمعنى، وينظر: تحف العقول: ٢٣٣.

(٢) الكشف ج ١: ٤٣٢

إِغْلَالٌ وَلَا إِسْلَالٌ))^(١)، ويقال: أغلّه أي^(٢): وجده غالاً. والمعنى: ﴿مَا﴾ صح ﴿لَنَبِيِّ﴾ [أَن يَقُلَ] فَإِنَّ النُّبُوَّةَ تَنَافَى الْغُلُولُ، ومن قرأ: يُغْلُ فالمعنى: ماصح لنبي^(٣) أن يوجد غالاً، ولا يوجد غالاً إلا إذا كان غالاً.

﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ أي: يأتي بالشيء الذي غلّه بعينه يحمله، كما جاء في الحديث: ((جاء يوم القيامة يحمله على عنقه))^(٤)، ويجوز أن يراد: يأتي بها يحتمل من إثمه وتبعته.

﴿ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ﴾ جيء بالعام ليدخل تحته كل كاسب من غال وغيره.

﴿وَهُمْ لَا يظَلُمُونَ﴾ أي: يعدل بينهم في الجزاء، وكل جزاؤه على قدر كسبه. ثم بين سبحانه أن من اتبع رضاء الله في ترك الغلول ليس ﴿كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ﴾ في فعل الغلول، ثم قال: ﴿هُمْ دَرَجَتٌ﴾ أي: ذوو درجات ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾، والمراد: تفاوت مراتب أهل الثواب، ومراتب أهل العقاب، أو تفاوت ما بين الثواب والعقاب.

﴿وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ أي: عالم بأعمالهم ودرجاتها فيجازيهم على حسبها.

لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَزَكَّيَهُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ

(١) سنن الدارمي ج ٢: ٢٣١، المجازات النبوية: ١٣٦.

(٢) ساقطة من ج.

(٣) ساقطة من ج.

(٤) سنن الدارمي ج ١: ٣٩٤.

وَأِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أَوَلَمَّْا أَصْبَحْتُمْ
مُصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْنَمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ
إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾

مَنْ اللَّهُ عَلَى مَنْ آمَنَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ مِنْ قَوْمِهِ، وَخَصَّ ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ مِنْهُمْ
لَأَنَّهُمْ هُمُ الْمُتَفَعِّلُونَ بِمَبْعَثِهِ.

﴿إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ أَي: مِنْ جَنْسِهِمْ عَرَبِيًّا مِثْلَهُمْ، وَقِيلَ: مَنْ
وَلَدَ إِسْمَاعِيلَ كَمَا أَنَّهُمْ كَانُوا مِنْ وَلَدِهِ.

وَوَجَّهَ الْمُنَّةَ عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا كَانَ مِنْهُمْ كَانَ اللِّسَانُ وَاحِدًا فَيَسْهَلُ عَلَيْهِمْ
أَخْذُ مَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ أَخْذُهُ عَنْهُ، وَفِي كَوْنِهِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ شَرَفٌ لَهُمْ كَقَوْلِهِ: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ
لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾^(١). وَرَوَى: أَنَّ قِرَاءَةَ فَاطِمَةَ عليها السلام مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَمَعْنَاهُ: مَنْ أَشْرَفَهُمْ.
﴿رَتَّلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ﴾ بَعْدَ أَنْ كَانُوا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ لَمْ يَسْمَعُوا شَيْئًا مِنْ
الْوَحْيِ.

﴿وَيُزَكِّهِمْ﴾ أَي: وَيُطَهِّرُهُمْ مِنَ الدَّنَسِ وَأَوْضَارِ^(٢) الْكُفْرِ.
﴿وَيُعَلِّمُهُمُ﴾ الْقُرْآنَ وَالسَّنَةَ بَعْدَ مَا كَانُوا أَجْهَلَ النَّاسِ وَأَبْعَدَهُمْ مِنْ
دِرَاسَةِ الْعُلُومِ.

﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ﴾ بَعَثَ الرَّسُولَ ﴿لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾. (إِنْ) هِيَ الْمَخْفِةُ
مِنَ الثَّقِيلَةِ، وَاللَّامُ هِيَ الْفَارِقَةُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ النَّافِيَةِ، وَتَقْدِيرُهُ: وَإِنَّ الشَّأْنَ وَالْحَدِيثَ
كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ، أَي: ظَاهِرٌ.

(١) الزخرف: ٤٤.

(٢) الوَضَرُ: الدَّرَنُ. (الصَّحَاحُ مَادَّةُ: وَضَرَ).

و﴿لَمَّا﴾ نصب بـ﴿قُلْتُمْ﴾، و﴿أَصَبْتَكُمْ﴾ في محل الجر بإضافة ﴿لَمَّا﴾ إليه، وتقديره: أقلتم حين أصابتكم مصيبة يوم أحد من قتل سبعين منكم ﴿قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا﴾ يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين: ﴿أَنَّى هَذَا﴾ أي: من أين أصابنا هذا وفيما رسول الله ﷺ ونحن مسلمون وهم مشركون؟! و﴿أَنَّى هَذَا﴾ في موضع نصب لأنه مقول، والهمزة للتقرير والتقرير.

﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ أي: أنتم السبب فيما أصابكم لاختياركم الخروج من المدينة، أو لتخليتكم المركز، وعن علي عليه السلام: ((لأخذكم الفداء من أسارى بدر قبل أن يؤذن لكم))^(١).

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فهو قادر على أن ينصركم فيما بعد.

وَمَا أَصَبَكُمْ يَوْمَ التَّنَجَّى الْجَمْعَانِ فَإِذِنَ اللَّهُ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾
 وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا
 قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَكُمْ هُمْ لِلْكَافِرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ
 مِنْهُمْ لِلْإِيمَنِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
 بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾

﴿وَمَا أَصَبَكُمْ﴾ يوم أحد ﴿يَوْمَ التَّنَجَّى الْجَمْعَانِ﴾ جمعكم وجمع المشركين فهو كائن ﴿فَإِذِنَ اللَّهُ﴾ أي: بتخليته.

﴿وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وليتميز المؤمنون والمنافقون، ويظهر إيمان هؤلاء ونفاق هؤلاء. وإنما استعار لفظ الإذن لتخلية الكفار، وأنه لم يمنعهم لبيتليهم، لأن الأذن مغل بين المأذون ومراده.

﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾ عطف على ﴿نَافَقُوا﴾، ويجوز أن يكون كلاماً مبتدأ، وهم

عبد الله بن أبي وأصحابه انخزلوا يوم أحد وقالوا: علام نقتل أنفسنا؟، وكانوا ثلاثمائة، فقال لهم عبد الله بن عمرو بن حزام الأنصاري: تعالوا قاتلوا، أو ادفعوا عن حريمكم إن لم تقاتلوا، ﴿قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَكُمْ﴾ فقال لهم: أبعدكم الله، الله يغني عنكم.

وقوله: ﴿هُمُ لِلْكَافِرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ أي: تباعدوا بهذا الفعل والقول عن الإيمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر، وقيل: هم لأهل الكفر أقرب نصرة منهم لأهل الإيمان، لأنّ تقليلهم سواد المسلمين تقوية للمشركين.

﴿يَقُولُونَ يَا أَقْوَاهُمْ﴾ من كلمة الإيمان وما يقرب إلى الرسول ﴿مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ فإنّ في قلوبهم الكفر. والمعنى: إنّ الإيمان موجود في أفواههم معدوم في قلوبهم.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ من النفاق.

الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ

أَنْفُسِكُمْ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣٨﴾

محل ﴿الَّذِينَ﴾ يجوز أن يكون نصباً على الذم، أو على البدل من ﴿الَّذِينَ نَافَقُوا﴾، أو رفعاً على هم الذين قالوا، أو جراً بدلاً من الضمير في ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾. ﴿لِإِخْوَانِهِمْ﴾ أي: لأجل إخوانهم من جنس المنافقين المقتولين يوم أحد، أو إخوانهم في النسب.

﴿وَقَعَدُوا﴾ أي: وقد قعدوا، وهي جملة في موضع الحال.

﴿لَوْ أَطَاعُونَا﴾ إخواننا فيما أمرناهم به من القعود ﴿مَا قُتِلُوا﴾ كما لم يقتل.

﴿قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ أي: فادفعوا عن أنفسكم الموت ﴿إِنْ كُنْتُمْ

صَدِّقِينَ ﴿١٦٩﴾ في هذه المقالة، لأنكم إن دفعتم القتل الذي هو أحد أسباب الموت، لم تقدروا على دفع سائر أسبابه. وروي: أنه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقاً^(١).

وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٧٠﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧١﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧٢﴾

الخطاب لرسول الله ﷺ، أو لكل أحد. وقرئ: ﴿تَحْسَبَنَّ﴾ بفتح السين، و(قتلوا) بالتشديد.

﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: في الجهاد ونصرة دين الله.

﴿بَلْ أَحْيَاءُ﴾ أي: بل هم أحياء ﴿يُرْزَقُونَ﴾ [مثل ما يرزق سائر الأحياء يأكلون ويشربون.

﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ﴾^(٢) مِنْ فَضْلِهِ ﴿وَهُوَ التَّوْفِيقُ فِي الشَّهَادَةِ وَمَا سَاقَهُ إِلَيْهِمْ مِنَ الْكِرَامَةِ وَمَوَادِّ السَّعَادَةِ.

﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ﴾ بإخوانهم المجاهدين ﴿الَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ أي: لم يقتلوا بعد فليحقوقا بهم.

﴿مَنْ خَلْفَهُمْ﴾ يريد الذين من خلفهم قد بقوا بعدهم، وقيل: لم يلحقوا

(١) تفسير السمرقندي ج ١: ٢٨٩.

(٢) ساقطة من ج.

بهم^(١)، أي: لم يدركوا فضلهم ومراتبهم ومنزلتهم^(٢).

﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ بدل من ﴿الَّذِينَ﴾، والمعنى: ويستبشرون بما تبين لهم من حال من تركوا خلفهم من المؤمنين، وهو أنهم يبعثون آمنين يوم القيامة، بشرهم الله بذلك فهم مستبشرون به.

وكرر ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ ليتعلق به ما هو بيان لقوله: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ من ذكر نعمة الله وفضله. وقرئ: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾ بالفتح عطفاً على النعمة والفضل، وبالكسر على الابتداء وعلى أن الجملة اعتراض، وهي قراءة الكسائي. وفيه دلالة على أن الثواب مستحق وأن الله لا يبطئه، ولذلك أضاف نفي الإضاعة إلى نفسه.

الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٧﴾ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَى دِيَارِهِمْ فَأَتَى الْفِيلَ أَلَهُ الْكِبَادَةِ الْفِيلُ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٨﴾ إِنَّمَا ذَلِكَمُ الشَّيْطَانُ يَخَوْفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٩﴾

﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا﴾ مبتدأ، وخبره ﴿الَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ إلى آخره؛ أو جر صفة للمؤمنين؛ أو نصب على المدح.

لما انصرف أبو سفيان وأصحابه من أحد فبلغوا الروحاء^(٣) ندموا وهَمَّوا

(١) ساقطة من ج.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ج ١: ٤٨٩.

(٣) الروحاء: قرية على ليلتين من المدينة بينهما أحد وأربعون ميلاً. الروض المعطار: ٢٧٧.

بالرجوع، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأراد أن يرهم من نفسه وأصحابه قوة، فندب أصحابه للخروج وقال: ((لا يخرجن معنا أحد إلا من حضر يومنا بالأمس)) فخرج مع جماعة حتى بلغ حمراء الأسد - وهي على ثمانية أميال من المدينة - فألقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا، فنزلت^(١).

وأما قوله: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ فحديثه: إنَّ أبا سفيان لما انصرف من أحد نادى: يا محمد موعدا موسم بدر القابل إن شئت، فقال ﷺ: ((إن شاء الله))، فلما كان القابل خرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل مر الظهران^(٢)، فألقى الله سبحانه الرعب في قلبه فبدا له أن يرجع، فلقى نعيم بن مسعود الأشجعي وقد قدم معتمراً، فقال: يا نعيم إنِّي واعدت محمداً أن نلتقي بموسم بدر، وأنَّ هذا عام جذب وقد بدا لي، فالحق بالمدينة وثبطهم ولك عندي عشر من الإبل، فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون، فقال لهم: ما هذا بالرأي أتوكم في دياركم فلم يفلت منكم أحد إلا شريداً، فتريدون أن تخرجوا وقد جمعوا لكم عند الموسم، فوالله لا يفلت منكم أحد، فقال النبي ﷺ: ((والذي نفسي بيده لأخرجن وإن لم يخرج معي أحد))، فخرج في سبعين راكباً وهم يقولون: حسبنا الله ونعم الوكيل حتى وافوا بدرأً، وأقاموا بها ثمانى ليال، وكانت معهم تجارات فباعوها وأصابوا خيراً ثم انصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين. ورجع أبو سفيان إلى مكة فسمي أهل مكة جيشه جيش السويق، قالوا: إنَّما خرجتم لتشربوا السويق^(٣).

و﴿النَّاسُ﴾ الأول: نعيم بن مسعود، لأنَّه من جنس الناس، ولأنَّه ربَّما لم

(١) تفسير الطبري ج ٤: ١١٧.

(٢) مر الظهران: موضع بينه وبين البيت ستة عشر ميلاً. الروض المعطار: ٥٣١.

(٣) الكشف والبيان ج ٣: ٢٠٩.

يخل من ناس وصلوا جناح كلامه، و﴿النَّاس﴾ الثاني: أبو سفيان وأصحابه.
والضمير المستكن في ﴿فَزَادَهُمْ﴾ يرجع إلى المقول الذي هو: ﴿إِنَّ النَّاسَ
قَدْ جَعَلُوا لَكُمْ فَاخْشَوهُمْ﴾، أو إلى مصدر ﴿قَالُوا﴾، أو إلى نعيم.
ومعنى ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ﴾: محسبنا الله، أي: كافينا، يقال: أحسبه الشيء إذا
كفاه.

﴿وَنِعَمَ الْوَكِيلُ﴾ أي: نعم الموكل إليه هو.
﴿فَانْقَلَبُوا﴾ أي: فرجعوا من بدر ﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ وهو السلامة ﴿وَفَضْلٍ﴾
وهو الربح في التجارة.

﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ﴾ المثبط هو ﴿الشَّيْطَانُ يَخَوْفُ أَوْلِيَآءَهُ﴾ بيان لشيطنته، أي:
يخوفكم بأوليائه الذين هم أبو سفيان وأصحابه، وقيل: يخوف أولياءه القاعدين
عن الخروج مع رسول الله ﷺ.

وَلَا يَحْزُنَكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ
شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ
عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَسْتَرَوْا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ
شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾

خاطب سبحانه الرسول فقال: ﴿وَلَا يَحْزُنَكَ الَّذِينَ﴾ يقعون ﴿فِي الْكُفْرِ﴾
سريعاً، يعني: المنافقين الذين تخلفوا ﴿إِنَّهُمْ﴾ لا يضرّون بمسارعتهم في الكفر
غير أنفسهم، ولا يعود وبال الكفر إلا عليهم، ثم بين كيف يعود وبال الكفر عليهم
بقوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ﴾ أي: نصيباً من الثواب.
﴿وَلَهُمْ﴾ بدل الثواب ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

وفائدة إرادة الله هنا إنها إشعار بأن الداعي إلى تعذيبهم خالص حين سارعوا في الكفر، حتى أن أرحم الراحمين يريد أن لا يرحمهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾ هذا إما أن يكون تكريراً لذكرهم، وإما أن يكون عاماً للكفار، والأول خاصاً في من نافق من المتخلفين وارتد عن الإسلام. و﴿شَيْئًا﴾ نصب على المصدر، لأن المعنى: شيئاً من الضرر وبعض الضرر.

وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لَّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾

من قرأ: تحسبن - بالتاء - ف﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ نصب، و﴿أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لَّأَنفُسِهِمْ﴾ بدل منه، أي: ولا تحسبن أن إملأنا للذين كفروا خير لهم، و(أن) مع ما في حيزه ينوب عن المفعولين. ويجوز أن يقدر مضاف محذوف تقديره: ولا تحسبن الذين كفروا أصحاب الإملاء خير لأنفسهم، أو ولا تحسبن حال الذين كفروا أن الإملاء خير لأنفسهم^(١).

ومن قرأ بالياء ف﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ رفع، والإملاء لهم أن يتركهم وشأنهم، وقيل: هو إملأهم وإطالة عمرهم.

﴿إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾ (ما) هذه كافة، والأولى مصدرية. وهذه جملة مستأنفة تعليل للجملة قبلها وسبب لها، وإنما كان ازدياد الإثم علة للإملاء، لما كان في علم الله أنهم يزدادون إثماً، فكأن الإملاء وقع بسببه ومن أجله على طريق المجاز.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ بينهم في نار جهنم.

مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ
مِنَ الطَّيِّبِ ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن
رُسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ وَإِن تَوَلَّوْا فَتَعَفَّوْا فَلَكُمْ
أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٣٦﴾

اللام في ﴿لِيَذَرَ﴾ لتأكيد النفي، والمعنى: لا يدع الله ﴿الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ من اختلاط المؤمن المخلص بالمنافق ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ﴾ المنافق ويعزله عن المخلص، من مزته فانهاز. وقرئ: يميز من ميزته فتميز. وإنما يميز بين الفريقين بالوحي إلى نبيه وإخباره بأحوالكم.

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ فلا تظنوا إذا أخبركم النبي بنفاق الرجل أنه يطلع على ما في القلوب بنفسه، ولكن الله يوحى إليه بأن في الغيب كذا، وأن هذا منافق وهذا مخلص، فيعلم ذلك من جهة إطلاع الله تعالى إياه. ويجوز أن يكون المراد بالتمييز أنه يكلف التكليف الشاقة كبذل الأرواح في الجهاد وإنفاق الأموال في سبيل الله، ونحو ذلك مما يظهر به أحوالهم، فيعلم بعضكم ما في قلب بعض عن طريق الاستدلال، وما كان الله ليطلع أحداً منكم على الغيب ومضمورات القلوب. ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ﴾ فيخبره ببعض المغيبات.

﴿فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ بأن تقدروه حق قدره، وتعلموا رسله عباداً ومصطفين للرسالة لا يعلمون إلا ما علمهم الله، ولا يخبرون من الغيوب إلا بما أخبرهم الله به. وقيل: إن المشركين قالوا: إن كان محمد صادقاً فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر، فنزلت ^(١).

وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ
بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَاللَّهُ مِيرَاثُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾

من قرأ بالتاء قدر مضافاً محذوفاً، أي: ﴿وَلَا﴾ تحسبن بخل الذين يبخلون
﴿هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ﴾، وكذلك من قرأ بالياء وجعل فاعل ﴿يَحْسَبَنَّ﴾ ضمير رسول
الله أو ضمير أحد، ومن جعل فاعله ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ﴾ كان المفعول الأول عنده
محذوفاً تقديره: ولا يحسبن الذين يبخلون بخلهم ﴿هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ﴾ وإنما حذف
لدلالة ﴿يَبْخُلُونَ﴾ عليه، و﴿هُوَ﴾ فصل.

﴿سَيُطَوَّقُونَ﴾ تفسير لقوله: ﴿هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ﴾ أي: سيلزمون وبال ما بخلوا
به إلزام الطوق، وفي أمثالهم: (تقلدها طوق الحمامة)^(١) إذا فعل فعلة يذم بها،
وروي: أنها نزلت في منعي الزكاة^(٢).

﴿وَاللَّهُ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: له ما فيها مما يتوارثه أهلها من
مال وغيره، فإلههم يبخلون عليه بملكه. وقرئ: ﴿يَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ بالتاء على طريقة
الالتفات وهو أبلغ في الوعيد، وبالياء على الظاهر.

لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ
سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا
عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ
بِظَلَّامٍ لِلْعَمِيدِ ﴿١٨٢﴾ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهْدُ لَنَا
أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِينَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ

(١) مجمع الأمثال ج ١: ٢٥٦.

(٢) تفسير العياشي ج ١: ٢٠٧، صحيح البخاري ج ٣: ١١٤.

جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِ بِالْبَيِّنَاتِ وَإِلَّٰذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ

﴿١٨٣﴾ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ

قال ذلك اليهود حين سمعوا قول الله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾^(١)، وإنَّ ما قالوه إما اعتقاداً وإما استهزاء وعناداً، وأتبعها كان فهذه الكلمة لا تصدر إلا عن كفر صراح.

ومعنى ﴿سَمِعَ اللَّهُ﴾: إنه لم يخف عليه، وأعد له كفاؤه من العقاب.

﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾ في صحف الحفظة، أو نثبته في علمنا لا ننساه ولا يفوتنا إثباته.

﴿وَقَتَلْتُمُ الْأنْبِيَاءَ﴾ عطف على ﴿مَا قَالُوا﴾، وفيه إعلام أنها في العظم أخوان، وأن هذا ليس بأول ما ركبه من العظائم، وأن من قتل الأنبياء لم يستبعد منه الاجترأ على مثل هذا القول.

﴿وَنَقُولُ﴾ لهم ﴿ذُوقُوا﴾ أي: ومنتقم منهم بأن نقول لهم يوم القيامة: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما تقدّم من عقابهم.

﴿يَمَّا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ﴾ بما كنتم عملتموه، وذكر الأيدي لأن أكثر الأعمال تعمل بها، فجعل كل عمل كالواقع بالأيدي على سبيل التغليب. وعطف قوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَمِيدِ﴾ على ﴿يَمَّا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ﴾ لأن معناه: إنه عادل عليهم فيعاقبهم على حسب استحقاقهم.

﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عٰهَدَ إِلَيْنَا﴾ أي: أمرنا في التوراة وأوصانا بأن

﴿لَا تُؤْمِنُ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَّ﴾ بهذه الآية الخاصة، وهي أن يرينا قرباناً فتنزل نار من السماء فتأكله.

﴿قُلْ﴾ يا محمد لهم: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ﴾ أي: جاء أسلافكم.

﴿رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي: بالحجج والدلالات الكثيرة، وجاؤوهم أيضاً بهذه التي اقترحوها.

﴿فَلَمَّا قَتَلْتُمُوهُمْ﴾ أراد بذلك زكريا ويحيى وجميع من قتله اليهود من الأنبياء.

فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ
وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ
أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَن زُحِرَ عَنِ الْكَارِ وَأُدْخِلَ
الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾

هذا تسلية للنبي ﷺ في تكذيب الكفار إياه، أي: لست بأول مكذب، بل
﴿كَذَّبَ﴾ قبلك ﴿رُسُلٌ﴾ أتوا بالمعجزات الباهرة.

﴿وَالزُّبُرِ﴾ جمع زبور وهو كل كتاب فيه حكمة.

﴿وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ هو التوراة والإنجيل.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ ينزل بها الموت لا محالة فكأنها ذاقته.

﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ لا توفون أجوركم عقيب موتكم، وإنما توفونها يوم قيامكم عن القبور. والمراد: إن تكميل الأجور وتوفيتها يكون ذلك اليوم.

﴿فَمَن زُحِرَ عَنِ الْكَارِ﴾ أي: نُحِيَ عنها وأبعد ﴿وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ﴾.

﴿فَقَدْ قَارَ﴾ أي: فقد حصل له الفوز المطلق المتناول لكل ما يفاض به، ولا غاية للفوز وراء النجاة من سخط الرب وعذاب النيران ونيل رضا الله ونعيم الجنان.

﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا﴾ ولذاتها وشهواتها ﴿لَا مَتَّعُ الْغُرُورِ﴾ والخداع الذي لا حقيقة له، وهو المتاع الرديء الذي يدلس به على طالبه حتى يشتره ثم يتبين له رداءته. والشيطان هو المدلس الغرور.

لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِنْ نَصَرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٨﴾

هذا خطاب للمؤمنين خوطبوا بذلك ليوطنوا نفوسهم على احتمال ما سيلقونه من الأذى والشدائد والصبر عليها ويستعدوا لها.

والبلاء في الأموال: الإنفاق في سبيل الخير وما يقع فيها من الآفات، والبلاء في الأنفس: القتل والأسر والجراح وما يرد عليها من أنواع البليات، وما يسمعون من أذى أهل الكتاب: هو المطاعن في دين الإسلام وتخطئة من آمن.

﴿فَإِنَّ ذَلِكَ﴾ الصبر والتقوى ﴿مِنْ﴾ معزومات ﴿الْأُمُورِ﴾ أي: مما يجب العزم عليه من الأمور، أو ذلك البلاء من محكم الأمور الذي عزم الله أن يكون، فلا بد لكم أن ﴿نَصَرُوا وَتَتَّقُوا﴾.

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٩﴾

الضمير في قوله: ﴿لَتَنبَغَنَّكَ﴾ للكتاب، أكد الله سبحانه عليهم إيجاب بيان الكتاب واجتناب كتبه، كما يؤكد على الرجل إذا أخذ عليه العهد ويقال له: والله لتفعلن.

﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ أي: نبذوا الميثاق وتأكيده عليهم ولم يراعوه ولم يلتفتوا إليه، وقوله: ﴿وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ مثل في ترك اعتدادهم به، كما يقال في ضده: جعله نصب عينه. وفيه دلالة على أنه واجب على العلماء أن يبينوا الحق للناس، ولا يكتموا شيئاً منه لغرض فاسد من جر منفعة، أو لبخل بالعلم، أو تطيب لنفس ظالم، أو غير ذلك. وفي الحديث: ((من كتم علماً عن أهله أجم بلجام من نار))^(١)، وعن علي عليه السلام: ((ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا))^(٢). وقرئ: (ليبينه) و(لا يكتمونهم) - بالياء - لأنهم غيب، وبالتالي على حكاية مخاطبتهم.

لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْنَا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ
يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾

﴿لَا تَحْسَبَنَّ﴾ خطاب لرسول الله ﷺ، و﴿الَّذِينَ يَفْرَحُونَ﴾ أول المفعولين و﴿بِمَفَازَةٍ﴾ المفعول الثاني، وقوله: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ﴾ تأكيد، تقديره: لا تحسبنهم فلا تحسبنهم فائزين. وقرئ: (لا يحسبن) - بالياء وفتح الباء -، (فلا تحسبنهم) - بضم الباء - وبالتالي والياء معاً، فالتاء على خطاب المؤمنين على أن الفعل للذين يفرحون، والمفعول الأول محذوف، أي: لا يحسبن هم الذين يفرحون بمفازة فلا تحسبنهم أتيها المؤمنون.

(١) بصائر الدرجات: ١٠، جامع بيان العلم وفضله ج ١: ٤.

(٢) نهج البلاغة: ٦٦٢ ح ٤٧٨، الكشف والبيان ج ٣: ٢٢٨.

﴿يَمَفَّازَرْنَ مِنَ الْعَذَابِ﴾ أي: بمنجاة منه، والياء على التوكيد، وقوله: ﴿يَمَا أَتَوَا﴾ معناه: بما فعلوا، وقيل: معناه: لا يحسن اليهود الذين يفرحون بما فعلوا من كتمان نعت رسول الله ﷺ.

﴿وَيُحْيَوْنَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ من اتباع دين إبراهيم. ويجوز أن يكون ذلك عاماً لكل من أتى بحسنة فأعجب بها، وأحب أن يحمده الناس عليها ويشنوا عليه بما ليس فيه من الزهد والعبادة وغير ذلك.

وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨١﴾

أي: لله ملك السماوات والأرض وهو يملك أمرهم وهو يقدر على عقابهم.

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٨٢﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُثُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٨٣﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخُلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١٨٤﴾ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٨٥﴾ رَبَّنَا وَءَايَنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسْلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٨٦﴾

قوله: ﴿لَآيَاتٍ﴾ معناه: لأدلة واضحة على توحيد الله وعظيم قدرته وباهر

حكمته.

﴿لَآوُلِي الْأَلْبَابِ﴾ لذوي العقول.

﴿الَّذِينَ﴾ ينظرون إليها نظر استدلال، فيجدونها مضمّنة بأعراض حادثة لا تنفك عنها، وما لا ينفك عن الحادث حادث، وإذا كانت حادثة فلا بد لها من محدث موجد، لأنّ حدوثها يدلّ على أنّ لها محدثاً قادراً، ودلّ ما فيها من البدائع والأمور الجارية على غاية الانتظام على كون محدثها عالماً قديماً، لأنّه لو كان محدثاً لاحتاج إلى محدث آخر فيؤدي إلى التسلسل.

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا﴾ أي: قائمين وقاعدين.

﴿وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ أي: مضطجعين.

﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ في إبداع صنعتهما وما دبر فيهما مما تكلّف الأفهام عن إدراك بعض بدائعها، وفي الحديث: ((لا عبادة كالتفكير))^(١).

﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا﴾ على إرادة القول، أي: يقولون ذلك، وهو في محلّ الحال، أي: يتفكرون قائلين، والمعنى: ما خلقته خلقاً باطلاً من غير حكمة، بل خلقته لداعي حكمة عظيمة، وهو أن تجعلها مساكن لخلقك، وأدلة للمكلفين على معرفتك.

﴿سُبْحَنَكَ﴾ أي: تنزيهاً لك عما لا يجوز عليك ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ بلطفك

وتوفيقك.

وقوله: ﴿هَذَا﴾ إشارة إلى الخلق [بمعنى المخلوق]^(٢)، كأنّه قال: ويتفكرون في مخلوق السماوات والأرض أي: فيما خلق فيهما، ويجوز أن يكون إشارة إلى ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لأنّها في معنى المخلوق، فكأن المراد: ما خلقت ﴿هَذَا﴾ المخلوق العجيب ﴿بَطْلًا﴾. ويجوز أن يكون ﴿بَطْلًا﴾ حالاً

(١) المحاسن ج ١: ١٧، معجم الطبراني الكبير ج ٣: ٦٩.

(٢) ساقطة من ج.

من ﴿هَذَا﴾، و﴿سُبْحَنَكَ﴾ تنزيه من أن يخلق شيئاً عبثاً وبغير حكمة.

﴿مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ﴾ أي: أبلغت في إخراجته، وهو نظير قوله: ﴿فَقَدْ فَازَ﴾^(١) وهو منقول من الخزري الذي هو الهوان، وقيل: هو منقول من الخزاية الذي هو الاستحياء، أي: أحللتها محلاً يستحي منه.

﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ اللام إشارة إلى ﴿مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ﴾ أي: ليس لهم ﴿أَنْصَارٌ﴾ يدفعون عنهم عذاب الله.

﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا﴾ أوقع الفعل على مناد لأنه موصوف بما يسمع وهو قوله: ﴿يُنَادِي لِلْإِيمَانِ﴾ أي: إلى الإيمان، أي: داعياً يدعو إلى الإيمان، يقال: ناداه لكذا وإلى كذا، ودعاه له وإليه، ونحوه: هداه للطريق وإليه، والمنادي رسول الله ﷺ.

﴿أَنْ ءَامِنُوا﴾ أي: آمنوا، أو بأن آمنوا ﴿بِرَبِّكُمْ فَءَامِنَّا﴾ أي: فصدّقناه فيما دعا إليه وأجبناه.

﴿رَبَّنَا فَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ جمع بين سؤال المغفرة والتكفير، لأنّ تكفير السيئات يكون بالتوبة، والمغفرة قد تكون ابتداء من غير توبة.

﴿مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ في موضع الحال، أي: مخصوصين بصحبته معدودين في جملتهم، والأبرار جمع بر أو بار.

﴿وَمَا إِنَّا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ﴾ ﴿عَلَى﴾ هذه صلة للوعد، أي: ما وعدتنا على تصديق رسلك، وقيل: معناه: على السنة رسلك^(٢)، ويجوز أن يكون متعلقاً

(١) آل عمران: ١٨٥.

(٢) معاني القرآن وإعراجه ج ١: ٤٩٩.

بمحذوف أي: وعدتنا منزلاً على رسلك، والموعود هو الثواب أو النصره على الأعداء. وعن النبي ﷺ أنه لما نزلت هذه الآيات قال: ((ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتأمل ما فيها))^(١). وروي عن الصادق عليه السلام أنه قال: ((من حزبه^(٢)) أمر فقال خمس مرات: (ربنا...) أنجاه الله مما يخاف وأعطاه ما أراد، وقرأ الآيات))^(٣).

فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنِّي بِبَعْضِكُمْ مِّنْ بَعْضٍ فَأَلَّيْنِ هَاجِرُوا وَأُخْرِجُوا مِّنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقُتِلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾

يقال: استجابه واستجاب له.

﴿أَنِّي لَا أُضِيعُ﴾ أي: بأنّي لا أبطل ﴿عَمَلَ عَمِلٍ مِّنْكُمْ﴾، وقوله: ﴿مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنِّي بِبَعْضِكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ بيان لـ ﴿عَمِلٍ﴾، ﴿بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ أي: يجمع ذكوركم وإنائكم أصل واحد، وكل واحد منكم من الآخر أي: من أصله [أو كأنه منه]^(٤) لفرط اتحادكم واتصالكم، وقيل: هو وصلة الإسلام. وروي: إنّ أم سلمة^(٥) قالت: يا

(١) صحيح ابن حبان ج ٢: ٣٨٧ باختلاف يسير.

(٢) حَزْبُهُ أمر: أصابه. (الصحيح مادة: حزب)

(٣) الكشف والبيان ج ٣: ٢٣٤.

(٤) ساقطة من ج، ط.

(٥) أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومية، أم المؤمنين، اسمها هند كانت ممن أسلم قديماً وهاجرت إلى الحبشة، تزوجها النبي ﷺ بعد وفاة زوجها أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي، توفيت في إمارة يزيد بن معاوية، وهي آخر أمهات المؤمنين موتاً. ينظر: الإصابة ج ٤: ٤٥٨، معجم رجال الحديث ج ٢٤: ٢٠٣.

رسول الله إني أسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء، فنزلت الآية^(١).

﴿قَالِ الَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ من أوطانهم وفرّوا إلى الله بدينهم من دار الفتنة.

﴿وَأُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ﴾ التي ولدوا فيها ونشأوا.

﴿وَأُودُوا فِي سَبِيلِ﴾ يريد سبيل الدين.

﴿وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا﴾ وغزوا المشركين واستشهدوا. وقرئ: وقتلوا وقاتلوا،

لأن المعطوف بالواو يجوز أن يكون أولاً في المعنى، وإن تأخر في اللفظ، ويجوز أن يكون المراد أنهم لما قتل منهم قاتلوا ولم يهنوا.

﴿تَوَابًا﴾ في موضع المصدر المؤكد، بمعنى: إثابة من عند الله، لأن قوله:

﴿لَا كُفِرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا ذُخِّلَتْ لَهُمْ﴾ في معنى لأثيبهم.

﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ﴾ مثل أن يختص به وبقدرته وفضله ﴿حَسَنُ التَّوَابِ﴾ لا يشبه

غيره ولا يقدر عليه إلا هو، كما يقول الرجل: عندي ما تريد، يريد اختصاصه به وبملكه وإن لم يكن بحضرته.

لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١١٦﴾ مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ

مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَبْسُ الْمِهَادُ ﴿١١٧﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ

لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نَزُلًا مِنْ

عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴿١١٨﴾

الخطاب لرسول الله ﷺ أو لكل أحد، أي: لا تنظر إلى ما هم عليه من سعة

الرزق، ودرك المني، وإصابة حظوظ الدنيا، والتصرّف في البلاد يتجرون. وجعل

النهي في اللفظ للتقلّب وهو في المعنى للمخاطب، نزل السبب منزلة المسبب لأن

التقلب لو غرّه لا غتر به، فمنع السبب ليمتنع المسبب.

﴿مَتَّعٌ قَلِيلٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف، أي: تقلّبهم متاع قليل في جنب ما فاتهم من نعيم الآخرة، أو في جنب ما أعد الله للمؤمنين من الثواب، أو هو قليل في نفسه لزواله وانقضائه.

﴿وَيُنَسَّ إِلَيْهَا﴾ ما مهّدوه لأنفسهم.

والنزل: ما يهبط للضيف من الكرامة والبر، وانتصابه على الحال من ﴿جَنَّتْ﴾ لتخصصها بالوصف. ويجوز أن يكون بمعنى مصدر مؤكد كأنه قيل: رزقاً أو عطاء من عند الله.

﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ من الثواب والنعيم ﴿خَيْرٌ لِلَّازِرِ﴾ مما يتقلب فيه الفجار.

وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٠٠﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٠١﴾

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ نزلت في عبد الله بن سلام ومن آمن معه، وقيل: نزلت في أربعين من أهل نجران، واثنين وثلاثين من الحبشة، وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام^(١)، وقيل: في أصحابه النجاشي نعاه جبرئيل إلى النبي ﷺ فخرج إلى البقيع وكشف له عن أرض الحبشة فأبصر سرير النجاشي وصلى عليه، فقال المنافقون: انظروا إلى هذا يصلي على علج نصراني لم يره

قط وليس على دينه، فنزلت^(١).

﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ هو القرآن ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ التوراة والإنجيل.

﴿خَشِعِينَ لِلَّهِ﴾ حال من فاعل ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ لأنَّ ﴿مَنْ﴾ في معنى الجمع.

﴿لَا يَشْتَرُونَ بِقَائِبَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ كما يفعل من لم يسلم من أبحارهم.

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أي: ما يختص بهم من الأجر وهو ما وعدوه في قوله: ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرُهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾^(٢).

﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ لنفوذ علمه في كل شيء فيعلم ما يستوجهه كل عامل.

﴿أَصْبِرُوا﴾ على طاعة الله وعن معاصيه.

﴿وَصَابِرُوا﴾ أعداء الله في الجهاد، أي: غالبوهم في الصبر على مضض الحرب، لا تكونوا أقل صبراً منهم.

﴿وَرَايَطُوا﴾ وأقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها مستعدين للغزو.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي: واتقوا مخالفة الله.

﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾ [أي: تفوزون ببقاء الأبد، وأصل الفلاح البقاء، أي تفلحون]^(٣) بنعيم الأبد.

(١) أسباب النزول: ٩٨.

(٢) القصص: ٥٤.

(٣) ساقطة من أ، ب.

سورة النساء

مدنية، وهي مائة وخمس وسبعون آية بصري، وست كوفي، عد الكوفي ﴿أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ آية.

أبي عن النبي ﷺ: ((من قرأها فكأنها تصدق على كل من ورث ميراثاً، وأُعطي من الأجر كمن اشترى محرراً، وبرئ من الشرك، وكان في مشية الله من الذين يتجاوز عنهم))^(١)، وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام: ((من قرأها في كل جمعة أو من من ضغطة القبر إذا أدخل في قبره))^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَّوْا خَلْقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ

اللَّهُ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾

خطاب للمكلفين من بني آدم.

﴿اتَّقُوا﴾ مخالفة ربكم ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَّوْا﴾ أي: فرعكم من أصل

واحد وهو نفس آدم أبيكم.

(١) الكشف والبيان ج ٣: ٢٤١.

(٢) نواب الأعمال: ١٠٥.

﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ عطف على محذوف تقديره: أنشأها من تراب، وخلق حواء من ضلع من أضلاعها.

﴿وَبَيَّنَّا مِنْهُمْ﴾ نوعي الإنس، وهما الذكور والإناث، فوصفهما بصفة هي بيان لكيفية خلقهم منها.

ويجوز أن يكون الخطاب في ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ للذين بعث إليهم النبي ﷺ، فيكون قوله: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ عطفاً على ﴿خَلَقَكُمْ﴾. والمعنى: خلقكم من نفس آدم وخلق منها أمكم حواء ﴿وَبَيَّنَّا مِنْهُمْ رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ غيركم من الأمم الكثيرة.

﴿قَسَاءُ لُونٍ بِهِ﴾ تساءلون به فأدغمت (التاء) في (السين)، وقرئ: ﴿قَسَاءُ لُونٍ﴾ بطرح التاء الثانية، أي: يسأل بعضكم بعضاً بالله وبالرحم، فيقول: (بالله وبالرحم افعل كذا) على سبيل الاستعفاف، أو تسألون غيركم بالله وبالرحم، فوضع (تفاعلون) موضع (تفعلون) للجمع.

﴿وَالْأَرْحَامَ﴾ نصب على واتقوا الله والأرحام، أو أن يعطف على محل الجار والمجرور كما تقول: مررت بزيد وعمراً، وأما جرّه فعلى عطف الظاهر على المضمّر، وقد جاء ذلك في الشعر نحو قوله:

فَاذْهَبْ فَمَا بِكَ وَالْإِيمَانُ مِنْ عَجَبٍ^(١)

ولا يستحسنون ذلك في حال الاختيار. والمعنى: إثمهم كانوا يقرّون بأنّ لهم خالقاً وكانوا يتساءلون بذكر الله والرحم، فقليل لهم: اتقوا الله الذي خلقكم، واتقوا الله الذي تتناشدون به، واتقوا الأرحام فلا تقطعوها؛ أو واتقوا الله الذي

(١) الكتاب ج ٢: ٣٨٣ بدون نسبة، وصدّره: فالיום قرّبت تهجوناً وتشتبهاً.

تتعاطفون بإذكاره وإذكار الرحم.

وفي هذا أنّ صلة الرحم من الله بمكان، كما جاء في الحديث: ((للرحم حجنة عند العرش))^(١)، وعن ابن عباس: (الرحم معلقة فإذا أتاها الواصل بشت به وكلمته، وإذا أتاها القاطع احتجبت عنه)^(٢).

والرقيب: الحافظ، وقيل: العالم.

وَأَنۡتَوۡا۟ لِّلنِّعَمِ أَمْ۞وَالَهُمۡ وَلَا تَبَدَّلُوا۟ الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا۟ أَمْ۞وَالَهُمۡ
إِلَىٰ أَمْ۞وَالِكُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾

﴿النِّعَمِ﴾ الذين مات آباؤهم فانفردوا عنهم. واليتم: الانفراد، ومنه الدرّة اليتيمة.

هذا خطاب لأوصياء اليتامى، أي: أعطوهم ﴿أَمْ۞وَالَهُم﴾ بالإنفاق عليهم في حالة الصغر، والتسليم إليهم عند البلوغ وإيناس الرشد.

﴿وَلَا تَبَدَّلُوا۟ الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾ أي: لا تستبدلوا ما حرّم الله عليكم من أموال اليتامى بما أحله لكم من أموالكم فتأكلوه مكانه، أو لا تستبدلوا الأمر الخبيث وهو اختزال أموال اليتامى بالأمر الطيب وهو حفظها. والتفعل بمعنى الاستفعال كالتعجل والتأخر.

﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ أَمْ۞وَالَهُمۡ إِلَىٰ أَمْ۞وَالِكُمْ﴾ ولا تنفقوها معها ولا تضمّوها إليها في الإنفاق حتى لا تفرّقوا بين أموالكم وأموالهم قلة مبالاة بالحرام، وتسوية بينه وبين الحلال.

(١) ينظر: المجازات النبوية: ٣٣٢، شعب الإيثار ج ٦: ٢١٥، والحجنة: الموضع الذي أصابه اعوجاج من العصا. (لسان العرب: مادة حجن).

(٢) تخريج الأحاديث والآثار ج ١: ٢٧٣ عن نوادر الأصول.

والحوب: الذنب العظيم.

وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُفْسِدُوا فِي الْيَمْنِ فَوَافُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ
مَتًى وَتِلْكَ وَرُبِعٌ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُفْلِحُوا فَوَيْحَةٌ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ
ذَلِكَ أَذَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٢﴾ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ
عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ فَمِثْلُ مَا عَلَيْكُمْ وَنِصَابٌ مِّمَّا كَسَبْتُمْ

لما نزلت الآية في أكل أموال اليتامى، خاف الأولياء أن يلحقهم الحوب بترك الإقساط في حقوق اليتامى وتحرّجوا من ولايتهم، وكان الرجل منهم ربّما كانت تحته العشر من الأزواج أو أقل فلا يقوم بحقوقهن، فقبل لهم: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ﴾ ترك العدل ﴿فِي﴾ أموال ﴿الْيَتَامَى﴾ فتحرّجتم منها، فخافوا أيضاً ترك العدل والتسوية بين النساء، لأنّ من تاب من ذنب وهو مرتكب مثله فهو غير تائب، وقيل: معناه إن خفتهم الجور في حقّ اليتامى فخافوا الزنا أيضاً^(١).

﴿فَوَافُوا مَا طَابَ لَكُمْ﴾ أي: حلّ ﴿مِنَ النِّسَاءِ﴾ ولا تحوموا حول المحرّمات. ﴿مَتًى وَتِلْكَ وَرُبِعٌ﴾ محلّهن النصب على الحال، تقديره: فأنكحوا الطيبات لكم من النساء معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين، وثلاثاً ثلاثاً، وأربعاً أربعاً.

وإنّما وجب التكرير لأنّ الخطاب للجميع، ليصيب كل ناكح يريد الجمع بين ثنتين أو ثلاث أو أربع ما أراد من العدد الذي أطلق له، وهذا كما تقول للجماعة: اقتسموا هذا المال وهو ألف درهم بينكم درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة، ولو أفردت لم يكن له معنى. ولو جعلت مكان الواو (أو) فقلت: أو ثلاثة ثلاثة أو أربعة أربعة، أعلمت أنّه لا يسوغ لهم أن يقتسموه إلا على أحد أنواع هذه القسمة، وذهب معنى تجويز الجمع بين أنواع القسمة التي دلّت عليها الواو.

(١) عن مجاهد. تفسير الطبري ج ٤: ١٥٧.

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ بين هذه الأعداد كما خفتم فيما فوقها ﴿فَوَاحِدَةً﴾ أي: فاختاروا واحدة وذروا الجمع. وقرئ: فواحدة - بالرفع - أي: فحسبكم واحدة، أو المقنع واحدة.

﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ سوى بين الحرة الواحدة وبين الإماء من غير حصر ولا توقيت عدد.

﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى اختيار الواحدة أو التسري.

﴿أَذِقْ أَلًّا تَعُولُوا﴾ أقرب من أن لا تميلوا أو لا تجوروا، من عال الميزان: [إذا مال] ^(١)، وعال في حكمه: إذا جار.

﴿وَأَنزِلُوا إِلَيْهَا صَدُقَتَيْن﴾ أي: وأعطوهن مهورهن.

﴿نَحْلَةً﴾ أي: عن طيبة أنفسكم، من نحله كذا: إذا أعطاه إياه عن طيبة من نفسه نحلة ونحلاً. وانتصابها على المصدر، لأنّ النحلة بمعنى الإعطاء، أو يكون حالاً من المخاطبين، أي: أتوهن صدقاتهن ناحلين طيبي النفوس بالإعطاء، أو من الصدقات أي: منحولة معطاة عن طيبة الأنفس. وقيل: نحلة من الله، أي: عطية من عنده لهن، والخطاب للأزواج، وقيل: للأولياء، لأنهم كانوا يأخذون مهور بناتهم ^(٢).

﴿فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ﴾ خطاب للأزواج ﴿وَتَهُ﴾ أي: من الصداق.

﴿نَفْسًا﴾ تمييز، وتوحيدها لأنّ الغرض ببيان الجنس والواحد يدلّ عليه، والمعنى: فإن وهبن لكم شيئاً من الصداق، وطابت عنه نفوسهن من غير إكراه ولا خديعة.

(١) ساقطة من ب، ط.

(٢) عن أبي صالح. تفسير الطبري ج ٤: ١٦٤.

﴿فَكُلُوهُ هَيْئًا تَرِيَّتًا﴾ أي: أكلًا هينًا مريئًا، وهما صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ: إذا كان سائغاً لا تنغيص فيه، وقيل: الهنيء: ما يلذه الآكل، والمريء: ما يحمد عاقبته وينسأ في مجراه. ويجوز أن يكون كلاهما حالاً من الضمير، أي: كلوه وهو هنيء مريء. وقد يوقف على ﴿فَكُلُوهُ﴾، ويبتدأ ﴿هَيْئًا تَرِيَّتًا﴾ على الدعاء، وهذه عبارة عن التحليل والمبالغة في الإباحة.

وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٥﴾ وَابْتَلُوا الَّذِينَ حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْعَفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾

ولا تعطوا ﴿السُّفَهَاءَ﴾ وهم الذين ينفقون الأموال فيما لا ينبغي من النساء والصبيان والمبذرين.

﴿أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا﴾ تقومون بها وتنتعشون فكأنها قيامكم وانتعاشكم، وقوام الشيء وقيامه وقيمه: ما يقيمه، وقرئ: قِيَمًا.

﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ واجعلوا أموالكم مكاناً لرزقهم وكسوتهم إن كانوا ممن يلزمكم نفقته، وهذا أمر لكل أحد أن لا يخرج ماله إلى سفيه يعلم أنه يضعه فيما لا ينبغي ويفسده، رجلاً كان أو امرأة، قريباً كان أو أجنبياً.

﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ أي: تلطّفوا لهم في القول، وكل ما أحبته النفوس لحسنه عقلاً أو شرعاً من قول أو عمل فهو معروف، وما أنكرته لقبحه فهو منكر.

﴿وَابْتَلُوا الَّذِينَ﴾ واختبروا عقولهم قبل البلوغ حتى إذا تبَيَّنَ منهم رُشدًا

دفعتم إليهم أموالهم من غير تأخير عن حد البلوغ، وبلوغ ﴿النِّكَاحِ﴾ هو أن يحتلم، لأنه يصلح للنكاح عنده، أو يبلغ خمس عشرة سنة، أو ينبت.

﴿فَإِنْ ءَاسْتَمْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا﴾ أي: أبصرتهم منهم تهدياً إلى وجوه التصرف وصلاًحاً في الدين وإصلاحاً للمال ﴿فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾.

و﴿حَقٌّ﴾ هذه هي التي تقع بعدها الجمل، والجمله بعدها جملة شرطية لأن ﴿إِذَا﴾ متضمنة معنى الشرط.

وقوله: ﴿فَإِنْ ءَاسْتَمْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ جملة من شرط وجزاء وقعت جواباً للشرط الأول، فكأنه قيل: وابتلوا اليتامى إلى وقت بلوغهم، فاستحقاقهم دفع أموالهم إليهم بشرط إيناس الرشد منهم.

و﴿إِسْرَافًا﴾ مصدر في موضع الحال أي: مسرفين ومبادرين كبرهم، أو مفعول له أي: لإسرافكم ومبادرتكم كبرهم تفرطون في إنفاقها.

﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا﴾ من الأولياء ﴿فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ بهاله عن أكل مال اليتيم، ويقنع بما رزقه الله من الغنى إشفاقاً على اليتيم وإبقاء على ماله.

﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ قوتاً مقدراً محتاطاً في تقديره على وجه الأجرة، وقيل: يأخذ من ماله قدر الحاجة على وجه الاستقراض^(١).

﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ﴾ بأنهم تسلموها وقبضوها، لأن ذلك أبعد من التهمة.

﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَاشِيبًا﴾ أي: شاهداً على الدفع والقبض فعليكم بالتصادق.

(١) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج ٤: ١٧١.

لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ
الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾

﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ﴾ بدل ﴿مِمَّا تَرَكَ﴾ بتكرير العامل. وكانت العرب في الجاهلية يورثون الذكور دون الإناث، فقال سبحانه: ﴿لِلرِّجَالِ﴾ حظ وسهم من تركة الوالدين والأقربين ﴿وَالنِّسَاءِ﴾ حظ وسهم منها، من قليلها وكثيرها. ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ نصب على الاختصاص، أي: أعني نصيباً مفروضاً مقطوعاً واجباً لا بد أن يحوزوه، أو هو مصدر مؤكد بمعنى قسمة مفروضة. وفي هذه الآية دلالة على بطلان القول بالعصبة، لأن الله سبحانه فرض الميراث للرجال والنساء.

وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾

﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ﴾ أي: قسمة التركة ﴿أُولُو الْقُرْبَىٰ﴾ من لا يرث ﴿فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾ أي: مما ترك الوالدان والأقربون، وهو أمر على الندب. وقيل: هو على الوجوب^(١)، والآية منسوخة بآية الميراث^(٢)، وقال سعيد بن جبير: (إنَّ ناساً يقولون: نسخت، والله ما نسخت ولكنها مما تهاون به الناس)^(٣).

(١) عن مجاهد وغيره. تفسير الطبري ج ٤: ١٧٧.

(٢) النساء: ١١.

(٣) تفسير الطبري ج ٤: ١٧٧.

والقول المعروف: أن يلففوا لهم القول ويعتذروا إليهم، ويستقلّوا ما يعطونهم، ولا يمتنوا بذلك عليهم.

﴿لَوْ﴾ مع ما في حيزه صلة ﴿الَّذِينَ﴾، والمراد بهم الأوصياء أمروا أن يخافوا الله على من في حجورهم من اليتامى ويشفقوا عليهم، كما يخافون على ذريتهم لو تركوهم ﴿ضِعْفًا﴾ [ويشفقون عليهم وأن يصوروا ذلك في نفوسهم حتى لا يحسروا].

والمعنى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ﴾ حالهم أنهم لو قاربوا أن يتركوا خلفهم ﴿ذُرِّيَّةً ضِعْفًا﴾ وذلك إذا حان يومهم ﴿خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾ الضياع بعدهم لذهاب كافلهم ﴿فَلْيَسْتَأْذِنُوا اللَّهَ﴾ في يتامى غيرهم أن يحفّوهم ويظلموهم ﴿وَلْيَقُولُوا﴾ لهم ﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴾ موافقاً للشرع، أو يخاطبهم بخطاب جميل.

ثم أوعده سبحانه آكلي مال اليتيم ﴿ظُلْمًا﴾ أي: ظالمين، أو على وجه الظلم من أولياء السوء أو القضاة.

﴿فِي بُطُونِهِمْ﴾ ملء بطونهم، ومعنى يأكلون ناراً: يأكلون ما يحترق إلى النار فكأنه نار في الحقيقة. وقرئ: وسيصلون، يقال: صلى النار يصلها صلياً وأصلاه الله النار.

﴿سَعِيرًا﴾ أي: ناراً مستعرة.

يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ

إِخْوَةٌ فَلِأَمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ؕ أَبَاؤُكُمْ
وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنْ اللَّهِ إِنَّ
اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾ أي: يأمركم به ويفرض عليكم، لأن الوصية منه سبحانه أمر وفرض.

﴿فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ أي: في شأن ميراثهم، وهذا إجمال تفصيله ﴿لِلَّذَكَرِ
مِثْلَ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾. والمعنى: للذكر منهم أي: من أولادكم فحذف العائد لأنه
مفهوم، أي: للابن مثل نصيب البنتين. هذا في حال الاجتماع، فأما في حال الانفراد،
فالابن يأخذ المال كله، والبنتان تأخذان الثلثين، ويدل عليه قوله: ﴿فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً
فَوْقَ اثْنَتَيْنِ﴾ أي: فإن كانت البنات أو المولودات نساء ليس معهن رجل، يعني:
بنات ليس معهن ابن فوق اثنتين أي: زائدات على اثنتين ﴿فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾.

والضمير في ﴿تَرَكَ﴾ للميت وإن لم يجز له ذكر، لأن الآية لما كانت في الميراث
علم أن التارك هو الميت.

وفي قوله: ﴿لِلَّذَكَرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ دلالة على أن حكم البنتين حكم
الابن، وذلك أن الابن كما يحوز الثلثين مع البنت الواحدة فكذلك البنتان تحوزان
الثلثين، فلما ذكر ما دل على حكم البنتين أتبعه بقوله: ﴿فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ
فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ على معنى: فإن كن جماعة بالغات ما بلغن من العدد فلهن ما
للبنيتين لا يتجاوزنه.

﴿وَإِنْ كَانَتْ﴾ المولودة ﴿وَحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ﴾ أي: نصف ما ترك الميت
﴿وَلَا بَوِيَّهٖ﴾ أي: ولا بوي الميت ﴿لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا﴾ بدل من ﴿لِلْبَوِيَّهٖ﴾ بتكرير

العامل ﴿السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ﴾ الولد يقع على الذكر والأنثى. يعني: فللاب السدس مع الولد ذكراً كان أو أنثى واحداً كان أو أكثر، وللأم السدس مع الولد كذلك.

﴿فَإِنْ لَّمْ يَكُنْ لَهُ﴾ أي للميت ﴿وَلَدٌ﴾: ابن ولا بنت ولا أولادهما، لأن اسم الولد يعم الجميع.

﴿وَوَرِثُهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾ وهذا الظاهر يدل على أن الباقي للأب.

﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ﴾ وإنا يكون لها السدس مع وجود أخوين، أو أخ وأختين، أو أربع أخوات إذا كان هناك أب عند أئمة الهدى عليه السلام ^(١) بدلالة أن هذه الجملة معطوفة على قوله: ﴿فَإِنْ لَّمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثُهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾ فيكون التقدير: فإن كان له أخوة وورثه أبواه فلأمه السدس. وقرئ: فلامه - بكسر الهمزة - أتبع الهمزة الكسرة التي قبلها.

﴿مَنْ بَعْدَ وَصِيِّ يَوْصِي بِهَا﴾ الميت، وقرئ: يوصى بها على البناء للمجهول. ﴿أَوْ دَيْنٍ﴾ أي: تقسم التركة على ما ذكرنا بعد قضاء الديون وإفraz الوصية، ولا خلاف في أن الدين مقدم على الوصية والميراث، وإن قدمت الوصية على الدين في الآية، فكأنه قيل: من بعد أحد هذين، فإن لفظة ﴿أَوْ﴾ لا توجب الترتيب وإنما هي لأحد الشئتين أو الأشياء.

﴿ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ أي: لا تدرون من أنفع لكم من آبائكم وأبنائكم الذين يموتون: أمن أوصى منهم أم من لم يوص، يعني: إن من أوصى ببعض ماله فعرضكم لثواب الآخرة بإمضاء وصيته، فهو أقرب لكم

(١) ينظر: الوسائل ج ١٧ باب ١١ من أبواب ميراث الأبوين والأولاد.

نفعاً ممن ترك الوصية فوقر عليكم متاع الدنيا.

﴿فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ﴾ نصبت نصب المصدر المؤكد، أي: فرض الله فريضة.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بمصالح خلقه ﴿حَكِيمًا﴾ فيما فرض من الموارث

وغيرها.

وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّو يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ
 فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِن بَعْدِ
 وَصِيَّةٍ يُّوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمُ
 إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ
 الثُّمْنُ مِمَّا تَرَكَتُمُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُّوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ
 وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتُ
 فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ
 فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُّوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ
 غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾

﴿وَلَكُمْ﴾ أيها الأزواج ﴿نِصْفُ مَا﴾ تركت زوجاتكم ﴿إِن لَّو يَكُن

لَّهُنَّ وَلَدٌ﴾ ذكر ولا أنثى ولا ولد وولد.

﴿فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ﴾ منكم [أو من غيركم] ^(١) ﴿فَلَكُمْ الرُّبْعُ﴾

جعلت المرأة على النصف من الرجل بحق الزواج كما جعلت كذلك في النسب،
 والواحدة والجماعة سواء في الربع والثلث.

﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ﴾ يعني: الميت ﴿يُورَثُ﴾ أي: يورث منه من ورث، أو

يورث من أورث، فيكون الرجل وارثاً لا موروثاً منه. وهو صفة لـ ﴿رَجُلٍ﴾،

و﴿كَلَّلَهُ﴾ خبر ﴿كَانَ﴾، أي: وإن كان رجل موروث منه أو وارث كلاله، ويجوز أن يكون ﴿يُورَثُ﴾ خبر ﴿كَانَ﴾، و﴿كَلَّلَهُ﴾ حالاً من الضمير في ﴿يُورَثُ﴾.

واختلف في معنى الكلاله، والمروي عن أئمتنا^(١) أنها تطلق على الأخوة والأخوات^(٢)، والمذكور في هذه الآية من كان من قبل الأم منهم، والمذكور في آخر السورة^(٣) من كان منهم من قبل الأب والأم، أو من قبل الأب.

فعلى هذا تكون الكلاله أن يترك الإنسان من أحاط بأصل النسب الذي هو الوالد والولد، وتكلله كالإكليل الذي يحيط بالرأس ويشتمل عليه، لأنّ الكلاله في الأصل مصدر فطلق على من ليس بولد ولا والد، وعلى من لم يخلف ولداً ولا والداً وخلف ما عدهما من الأخوة والأخوات، وتكون صفة للموروث أو الوارث بمعنى ذي كلاله، كما تقول: فلان من قرابتي تريد من ذوي قرابتي.

﴿أَوْ امْرَأَةً﴾ تورث كذلك ﴿وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾ يعني: من الأم ﴿فَلِكُلِّ وَجْهٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثَّلْثِ﴾ جعل الذكر والأنثى هاهنا سواء.

﴿غَيْرَ مُضْكَرٍ﴾ لورثته، وذلك أن يوصي بزيادة على الثلث، أو يوصي بدين ليس عليه يريد بذلك ضرر الورثة.

﴿وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ﴾ مصدر مؤكد لقوله: ﴿فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ﴾^(٣).

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بمن جار في وصيته ﴿حَلِيمٌ﴾ عنه لا يعاجله بالعقوبة، وهذا

(١) ينظر: الوسائل ج ١٧ باب ٨ من أبواب ميراث الأخوة والأجداد.

(٢) الآية ١٧٦.

(٣) النساء: ١١.

وعيد.

تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ
مُهِينٌ ﴿١٤﴾

﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى الأحكام المذكورة في التامى والمواريث، وسماها
حدوداً لأن الشرائع كالحدود المضروبة للمكلفين لا يجوز لهم أن يتجاوزوها.
قال: ﴿يُدْخِلْهُ﴾ و﴿خَالِدِينَ﴾ حملاً على لفظ ﴿مَنْ﴾ ومعناه.
وفي قوله: ﴿وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ﴾ دلالة على أن المراد بقوله: ﴿وَمَنْ يَعْصِ
اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ الكافر، لأن من تعدى جميع حدود الله التي هي فرائضه وأوامره
ونواهيه لا يكون إلا كافراً.

وَالَّذِي يَأْتِيكَ الْفَجِشَةُ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ
أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى
يَتَوَقَّهِنَّ الْمَوْتَ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِيَا
مِنْكُمْ فَتَاوُهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ
اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿١٦﴾

﴿وَالَّذِي يَأْتِيكَ الْفَجِشَةُ﴾ أي: يفعلنها، والفاحشة: الزنا لزيادتها في
القبح على كثير من القبائح.
﴿وَمِنْ نِسَائِكُمْ﴾ الحرائر ﴿فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ﴾ أي: من المسلمين.

﴿فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُمْ فِي الْبُيُوتِ﴾ أي: فخلدوهم من محبوسات في بيوتكم، وكان ذلك عقوبتهن في أول الإسلام، ثم نسخ بقوله: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي... الآية﴾^(١).

﴿أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ هو النكاح الذي يستغنين به عن السفاح، وقيل: السبيل هو الحد^(٢)، إذ لم يكن مشروعاً في ذلك الوقت. فقد روي: أنه لما نزل قوله: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي... الآية﴾ قال ﷺ: ((خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً: البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم))^(٣). وعندنا: إن هذا الحكم مختص بالشيخ والشيخة إذا زنيا^(٤).

﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَنِهَا مِنْكُمْ﴾ يريد الزاني والزانية ﴿فَتَاذُوهُمَا﴾ فذمّوها وعيروهما.

﴿فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا﴾ وغيرا الحال ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا﴾ واقطعوا الزم والتعير وكفوا عن أذاهما. وقرئ: (واللذان) بتشديد النون.

إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي بُتُّ أَتَيْنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾

(١) النور: ٢.

(٢) عن الباقر ﷺ. تفسير العياشي ج ١: ٢٢٧، وعن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج ٤: ١٩٨.

(٣) مسند أحمد ج ٥: ٣١٣، التبيان ج ٣: ١٤٣.

(٤) ينظر: الوسائل ج ١٨ باب ١ من أبواب حد الزنا.

﴿التَّوْبَةُ﴾ من تاب الله عليه: إذا قبل توبته، أي: إنها القبول للتوبة واجب على الله هؤلاء، أوجبه سبحانه في كرمه وفضله.

﴿بِجَهْلَةٍ﴾ في موضع الحال، أي: ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ﴾ جاهلين سفهاء، لأن ارتكاب القبيح مما يدعو إليه السفه والشهوة، ولا يدعو إليه العقل والحكمة. ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ من زمان قريب. والزمان القريب: ما قبل حضور الموت، قال ابن عباس: (قبل أن ينزل به سلطان الموت)^(١).

﴿وَالَّذِينَ يَمُوتُونَ﴾ عطف على ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾، سوى سبحانه بين مسوف التوبة إلى وقت حضور الموت وبين من يموت كافراً.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِيَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفِدْحَةٍ مُنَيَّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١١﴾

كانوا يظلمون نساءهم بأنواع من الظلم فنهوا عن ذلك، كان الرجل إذا مات له قريب عن امرأة ألقى ثوبه عليها وقال: أنا أحق بها من غيري، فقيل: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾ أي: تأخذوهن على سبيل الإرث وهن كارهات لذلك أو مكراهات، وقد قرئ بالكاف وضمها.

وقيل: كانوا يمسكونهن حتى يمتن^(٢)، فقيل: لا يحل لكم أن تمسكنهن حتى ترثوا منهن وهن غير راضيات بذلك. وكان الرجل يمسك زوجته إضراراً بها حتى تفتدي ببعض مالها، فقيل: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِيَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾

(١) تفسير الطبري ج ٤: ٢٠٤.

(٢) عن الزهري. تفسير الطبري ج ٤: ٢٠٩.

والعضل: الحبس والتضييق. والأولى أن يكون ﴿تَعْضُلُوهُنَّ﴾ نصباً عطفاً على ﴿أَنْ تَرْتُوْا﴾، و﴿لَا﴾ لتأكيد النفي، أي: لا يحلّ لكم أن تترثوا النساء ولا أن تعضلوهن. ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ يَفْحَشَةً مُّبَيَّنَةً﴾ وهي النشوز، والبذاء، والمعصية، وإيذاء الزوج وأهله، يعني: إلا أن يكون سوء العشرة من جهتهن فتصيروا معذورين في طلب الخلع. والتقدير: ولا تعضلوهن إلا أن يأتين بفاحشة، أو وقت أن يأتين بفاحشة. الصادق عليه السلام قال: ((إذا قالت للزوج لا أغتسل لك من جنبه ولا أبر لك قسماً ولا وطن فراشك، حلّ له أن يخلعها))^(١).

وكانوا يسيئون معاشرة النساء فقيل لهم: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ وهو النصفة في النفقة والإجمال في القول والفعل.

﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ﴾ أي: إن كرهتم صحبتهن فلا تفارقوهن لكرهه النفس وحدها، فربما كرهت النفس ما هو أصلح في الدين وأحمد، وأحبّت ما هو نقيض ذلك.

وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَاتٍ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِخْدَانَهُنَّ
قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَنًا وَإِنَّمَا
مُؤْمِنًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ
وَأَخَذْتُ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾

كان الرجل إذا أراد استطراف امرأة رمى زوجته بفاحشة حتى يلجئها إلى الافتداء منه بما أعطاها، فقال سبحانه: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَاتٍ زَوْجٍ﴾ أي: إقامة امرأة مقام امرأة، وأعطيتم التي أردتم الاستبدال بها غيرها ﴿قِنْطَارًا﴾ أي: مالا كثيراً ﴿فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ﴾ أي: من الموتى والمعطى ﴿شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَنًا

(١) ينظر: الوسائل ج ١٥ باب ١ من كتاب الخلع والمباراة.

وَأَيْمًا مُبِينًا ﴿١﴾ أي: باهتين وأئمين.

انتصب ﴿بَهْتَنَّا﴾ و﴿أَيْمًا﴾ على الحال، ويجوز أن يكون مفعولاً له وإن لم يكن غرضاً، كما يقال: قعد عن القتال جبناً.

والميثاق الغليظ: حق الصبغة والمضاجعة، كأنه قيل: ﴿وَأَخَذْتُ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ بإفشاء بعضكم إلى بعض. وقيل: إن الميثاق الغليظ هو العهد المأخوذ على الزوج حالة العقد من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان^(١). وعن النبي ﷺ: ((استوصوا بالنساء خيراً، فإتن عوان في أيديكم، أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله))^(٢).

وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾

كانوا ينكحون روايتهم^(٣)، وكان ناس من ذوي مروءاتهم يمقتونه ويسمونهم نكاح المقت، ويقولون لمن ولد عليه: المقتي، ولذلك قال سبحانه: ﴿وَمَقْتًا﴾، أي: ولا تزوجوا ما تزوجه ﴿آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ ثم استثنى ﴿مَا قَدْ سَلَفَ﴾ كما استثنى (غير أن سيوفهم) من قوله:

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ بَيْنَ قُلُوبٍ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ^(٤)

يعني: إن أمكنكم أن تنكحوا ما قد سلف فانكحوه ولا يحل لكم غيره، ولكنه غير ممكن، والغرض المبالغة في تحريمه.

(١) عن الضحاك وغيره. تفسير الطبري ج ٤: ٢١٥.

(٢) ينظر: مسند أحمد ج ٥: ٧٣، تحف العقول: ٢٤.

(٣) روايتهم: جمع رابّة وهي امرأة الأب. (الصحيح: مادة رب)

(٤) ديوان النابغة الذبياني: ١١.

﴿لَإِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً﴾ في دين الله بالغة في القبح.

﴿وَمَقْتًا﴾ أي: قبيحاً عمقوتاً في المروءة ولا مزيد على ما يجمع القبحين.

﴿وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ أي: بشس طريقاً ذلك النكاح السيئ الفاحش.

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ
وَعَمَّتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ
وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضْعَةِ
وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبَاتُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم
مِّنْ نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِنْ لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم
بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ
مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا
قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾

المعنى: حرّم عليكم نكاحهن، لأن ذلك هو المفهوم من تحريمهن، كما يفهم من تحريم الخمر تحريم شربها، ومن تحريم الميتة تحريم أكلها.

ويتضمن قوله: ﴿أُمَّهَاتُكُمْ﴾ تحريم نكاح الجدات من قبل الأب ومن قبل الأم وإن علون بدرجات؛ وقوله: ﴿وَبَنَاتُكُمْ﴾ تحريم نكاح بنات الصلب وبنات الابن وبنات البنت وإن نزلن بدرجات؛ وقوله: ﴿وَأَخَوَاتُكُمْ﴾ يتضمن تحريمهن سواء كن من قبل أب أو من قبل أم أو منهما.

ويتضمن العمات: كل أخت لذكر رجع النسب إليه بالولادة، من قبل الأب كان أو من قبل الأم.

ويتضمن الخالات: كل أخت لأنثى رجع النسب إليها بالولادة، من جهة

الأم كان أو من جهة الأب.

ويتضمن بنات ﴿الْأَخْ وَيَنَاتُ الْأَخْتِ﴾ كل بنات الأخوة والأخوات من قبل الأب كن أو من قبل الأم قرين أو بعدن. فهؤلاء السبع هن المحرمات من جهة النسب.

ثم ذكر المحرمات من جهة السب فقال: ﴿أُمَّهَاتُكُمُ اللَّائِي أَرْضَعْنَكُمْ﴾ سُمِّيَ المرضعات أمهات إذ نزل الرضاعة منزلة النسب، وسُمِّيَ المرضعات أخوات بقوله: ﴿وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرِّضَاعَةِ﴾.

فعلى هذا يكون زوج المرضعة أباً للرضيع، وأبواه جداه، وأخته عمته، وكل ولد ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم أخوته وأخواته لأبيه، وأم المرضعة جدته، وأختها خالته، وكل ولد لها من هذا الزوج فهم أخوته وأخواته لأبيه وأمه، وكل ولد لها من غير هذا الزوج فهم أخوته وأخواته لأمه، ومنه قول النبي ﷺ: ((يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب))^(١). وفيه: أَنَّ المحرمات السبع بالنسب محرمات بالرضاع أيضاً.

ثم قال: ﴿وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ﴾ وهذا يتضمن تحريم نكاح أمهات الزوجات وجداتهن، قرين أو بعدن من جهة النسب والرضاع، ويحرم بنفس العقد.

﴿وَرَبِّبُكُمُ اللَّائِي فِي حُجُورِكُمْ﴾ أي: في ضمانكم وتربيتكم، سُمِّيَ ولد المرأة من غير زوجها ربيباً وربيبه لآته يربّيها في غالب الأمر كما يربّي ولده، ثم سُمِّيَ بذلك وإن لم يربّيها. وهذا يقتضي تحريم بنت المرأة من غير زوجها على زوجها، وتحريم بنت ابنها وبنت بنتها قربت أم بعدت لوقوع اسم الربيبة عليهن.

(١) تهذيب الأحكام ج ٧: ٢٩٤، صحيح البخاري ج ٢: ١٠٠.

وقوله: ﴿مِنْ نِّسَائِكُمُ الَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾ متعلق بـ ﴿وَرَبَّيْكُمُ﴾ والمعنى: أنَّ الربيبة من المرأة المدخول بها محرمة على الرجل، وإذا لم يدخل بها فهي حلال له. ومعنى الدخول بهن كناية عن الجماع كما يقال: بنى عليها، وضرب عليها الحجاب. فقوله: ﴿دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾ معناه: أدخلتموهن الستر، والباء للتعدية، وما يجري مجرى الجماع من التجريد واللمس بالشهوة، فذلك أيضاً دخول بها عند أبي حنيفة^(١)، وهو مذهبنا^(٢).

﴿وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ﴾ أي: وحرم عليكم نكاح أزواج أبنائكم ﴿الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾ دون من تبنيتم، فأن رسول الله ﷺ تزوج زينب بنت جحش^(٣) حين فارقتها زيد بن حارثة^(٤).

﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾ في موضع الرفع، أي: وحرم عليكم الجمع بين الأختين في النكاح والوطء بملك اليمين، ويجوز الجمع بينهما في الملك. ﴿وَلَا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ ولكن ما مضى مغفور بدليل قوله: ﴿لَا تَكُنْ اللَّهُ كَانَ عَفْوَراً رَحِيماً﴾.

والمحرّمات بالنسب أو السبب على وجه التأييد يسمّين مبهمات، لأنهن يحرم من جميع الجهات، قال ابن عباس: (حرم الله من النساء سبعاً بالنسب وسبعاً

(١) تحفة الفقهاء ج ٢: ١٢٣.

(٢) التبيان ج ٣: ١٥٨.

(٣) زينب بنت جحش بن رثاب الأسدية أم المؤمنين، أمها أئمة بنت عبد المطلب، تزوجها رسول الله ﷺ بعد أن طلقها زيد بن حارثة، والقصة مشهورة، توفيت سنة ٢٠ هـ. ينظر: الاستيعاب ج ٤: ٣١٣.

(٤) زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي مولى رسول الله ﷺ، من أوائل السابقين إلى الإسلام، قتل بمؤنة سنة ٨ هـ، وكان أحد أمراء تلك الغزوة. ينظر: الاستيعاب ج ١: ٥٤٤، معجم رجال الحديث ج ٧: ٣٣٩.

بالسبب، وتلا هذه الآية ثم قال: والسابعة: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ﴾^(١).

وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢١﴾

القراءة هنا ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ﴾ بفتح الصاد، أي: وحُرِّمَتْ عليكم اللاتي أحصن ﴿مِنَ النِّسَاءِ﴾ وهن ذوات الأزواج ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ من اللاتي سبين وهن أزواج في ديار الكفر فهن حلال وإن كن محصنات.

﴿كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ مصدر مؤكد، أي: كتب الله ذلك عليكم كتاباً وهو تحريم ما حرم.

﴿وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ﴾ هو عطف على الفعل المضمر الذي نصب ﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾. ومن قرأ: ﴿وَأُحِلَّ لَكُمْ﴾ على البناء للمفعول فهو عطف على ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ﴾.

﴿أَنْ تَبْتَغُوا﴾ مفعول له، والمعنى: بين لكم ما يحل وما يحرم إرادة أن تبتغوا، أي: تطلبوا ﴿بِأَمْوَالِكُمْ﴾ نكاحاً بصدّق أو شراء بثمرن، فيكون مفعول ﴿تَبْتَغُوا﴾ مقدراً، ويجوز أن يكون ﴿أَنْ تَبْتَغُوا﴾ بدلاً من ﴿مَا وَرَاءَ ذَلِكَ﴾.

﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ﴾ أي: أعفاء غير زناة، والإحصان: العفة

وتحصين النفس من الوقوع في الحرام، وقيل: محصنين: متزوجين^(١).

﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ﴾ من النساء، و﴿مَا﴾ في معنى النساء ويرجع الضمير في ﴿بِهِ﴾ إليه على اللفظ، وفي ﴿فَاتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ على المعنى. والمراد به متعة النساء وهو النكاح المنعقد بمهر معين إلى أجل معلوم، وإليه ذهب ابن عباس وابن مسعود وسعيد بن جبير وجماعة من التابعين^(٢) وهو مذهب أهل البيت^(٣)، وقرأوا: فما استمتعتم به منهن إلى أجل مستمى فاتوهن أجورهن. معناه: فاللاتي عقدتم عليهن هذا العقد من جملة النساء فأعطوهن أجورهن، فأوجب إيتاء الأجر بنفس العقد، وإنها يجب كمال المهر بنفس العقد في نكاح المتعة خاصة.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا رَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِیضَةِ﴾ من استئناف عقد آخر بعد انقضاء مدة الأجل ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ فيما شرع لعباده من النكاح الذي به يحفظ الأموال والأنساب.

وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكَحَ الْمُحْصَنَاتِ
الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَيِّتِكُمْ الْمُؤْمِنَاتِ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ
وَءَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسْفُوحَاتٍ وَلَا
مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أَحْصَيْتُمْ فَإِنْ أَتَيْتُمْ بِفَحِشَةٍ فَلَعْنَيْنِ

(١) معاني القرآن وإعرابه ج ١: ٢١٨.

(٢) تفسير الطبري ج ٥: ٩.

(٣) ينظر: الوسائل ج ١٤ باب ١ من أبواب المتعة.

نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ
 أَلَعَنَتْ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصِيرُوا خَيْرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٥﴾

الطَّوْل: الفضل والزيادة، أي: من لم يجد غنى وزيادة في المال وسعة يبلغ بها
 نكاح ﴿الْمُحْصَنَاتِ﴾ أي: الحرائر.

﴿فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ أي: فلينكح أمة مما ملكت أيما نكح، والخطاب
 للمسلمين.

﴿مِنْ فَيَبِيحُكُمْ﴾ من إيمانكم لا من فتيات غيركم من المخالفين في الدين.
 ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ﴾ والله أعلم بتفاضل ما بينكم وبين أرقائكم في
 الإيمان، ورجحانه ونقصانه فيهم وفيكم، وربما كان إيمان الأمة أرجح من إيمان
 الحرة، والمرأة أفضل في الإيمان من الرجل، فمن حقكم أن تعتبروا فضل الإيمان لا
 فضل الأحساب والأنساب.

﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ أي: أنتم وأرقاؤكم متناسبون لاشتراككم في الإيمان،
 فلا تستنكفوا من نكاحهن.

﴿فَأَنْكِحُوهُنَّ﴾ والضمير للفتيات، أي: تزوجوهن ﴿بِأَذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾ أي:
 بأمر مواليهن.

﴿وَأَتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ أي: مهورهن.

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ من غير مظل وضرار وإحواج إلى الاقتضاء، والمراد: فأتوا
 مواليهن، لأن الموالى هم مالكو مهورهن فحذف المضاف.

﴿مُحْصَنَاتٍ﴾ عفاف غير مجاهرات بالسفاح ولا مسرات له، وهو قوله:
 ﴿غَيْرِ مُسْتَفْحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ والأخذان: الأخلاء في السر.

﴿فَإِذَا أَحْصَيْنَ﴾ من قرأ بالضم فالمعنى: فإذا زوجن فأحصنهن أزواجهن أي: تزوجن، ومن قرأ بالفتح فمعناه: أسلمن، وقيل: أحصن أنفسهن بالتزويج^(١).
﴿فَإِنْ آتَيْتَ بِمَحْشَةٍ﴾ أي: فإن زنين ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ﴾ أي: الحرائر.

﴿مِنَ الْعَذَابِ﴾ من الحد، كما في قوله: ﴿وَلَيْشْهَدْ عَذَابُهُمَا﴾^(٢) وهو خمسون جلدة، ولا رجم عليهن لأن الرجم لا ينتصف.
﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى نكاح الإماء.

﴿لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ﴾ لمن خاف الإثم الذي يؤدي إليه غلبة الشهوة. وأصل العنت انكسار العظم بعد الجبر، فاستعير لكل مشقة وضرر، ولا ضرر أعظم من الوقوع في الزنا.

﴿وَأَنْ نَّصِيرُوا﴾ أي: وصبركم عن نكاح الإماء متعفين ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾.

يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا ﴿١٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴿١٨﴾

الأصل ﴿يُرِيدُ اللَّهُ﴾ أن ﴿يُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ فزيدت اللام مؤكدة لإرادة التبيين، كما زيدت في (لا أبا لك) لتأكيد إضافة الأب، والمعنى: يريد الله أن يبين لكم ما

(١) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج ٥: ١٦.

(٢) النور: ٢.

خفي عنكم من مصالحكم وأن يهديكم ﴿سُنَنَ الَّذِينَ﴾ كانوا ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ من الأنبياء وأهل الحق لتقتدوا بهم.

﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: وأن يقبل توبتكم.

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ يوفقكم لها، ويقوي دواعيكم إليها.

﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ﴾ من المبتلين ﴿أَنْ يَمِيلُوا﴾ أي: تعدلوا عن الاستقامة والقصد بمساعدتهم وموافقتهم ﴿مَيْلًا عَظِيمًا﴾ إذ لا ميل أعظم من الموافقة على اتباع الشهوات.

﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾ بإحلال الأمة وغير ذلك من الرخص.

﴿وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾ لا يصبر على مشقة الطاعة وعن الشهوة.

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ

إِلَّا أَنْ تَكُونَتْ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ

اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿١٩﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا

فَسَوْفَ نُضَلِّهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٢٠﴾

ذكر الأكل والمراد به سائر التصرفات.

و﴿الْبَاطِلِ﴾: ما لم يبيحه الشرع من الربا والقمار والخيانة والظلم والسرقة.

﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَتْ تِجَارَةً﴾ بالنصب على: إلا أن تكون التجارة تجارة ﴿عَنْ

تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾، وبالرفع على: إلا أن تقع تجارة. والاستثناء منقطع معناه: ولكن كون تجارة عن تراض منكم غير منهى عنه.

و﴿عَنْ تَرَاضٍ﴾ صفة ل﴿تِجَارَةً﴾ أي: تجارة صادرة عن تراض، والتراضي:

رضا المتبايعين بما تعاقدوا عليه في حال البيع وقت الإيجاب والقبول.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ بأن تقتلوا من لا تطيقونه فقتلوا، وقيل: لا يقتل بعضهم بعضاً لأنكم أهل دين واحد فأنتم كنفس واحدة^(١)، وقيل: لا يقتل الرجل نفسه كما يفعل بعض الجهال في حال غضب أو ضجر^(٢).

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ ينهاكم عما يضركم لرحمته عليكم.

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ إشارة إلى القتل، أي: ومن يقدم على قتل النفس ﴿عَدُوًّا وَظُلْمًا﴾ لا خطأ ولا اقتصاصاً ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا﴾ مخصوصة شديدة العذاب.

إِنْ يَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ
وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ
بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ
نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ
بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾

قال أصحابنا رضي الله عنهم: المعاصي كلها كبائر من حيث كانت قبائح، لكن بعضها أكبر من بعض، وإنها يكون الذنب صغيراً بالإضافة إلى ما هو أكبر منه واستحقاق العقاب عليه أكثر^(٣). ونحوه قول ابن عباس: (كل ما نهى الله عنه فهو كبير)^(٤)، وقول مجاهد وسعيد بن جبير: (كل ما أوعده الله عليه عقاباً في العقبى،

(١) عن السدي. تفسير الطبري ج ٥: ٢٣.

(٢) تفسير الماوردي ج ١: ٤٧٥.

(٣) التبيان ج ٣: ١٨٢.

(٤) تفسير الطبري ج ٥: ٢٧.

وأوجب عليه حداً في الدنيا فهو كبيرة^(١).

ومعنى الآية: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ﴾ ما نهيتم ﴿عَنْهُ﴾ في هذه السورة من المناكح، وأكل الأموال بالباطل، وغير ذلك، وتركتموها في المستقبل ﴿نُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ التي اكتسبتموها بارتكاب ذلك فيما سلف، ويعضده قوله سبحانه: ﴿إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾^(٢)، وعن ابن مسعود: (كل ما نهى الله عنه من أول السورة إلى رأس الثلاثين فهو كبير)^(٣). وروي: أَنَّ رجلاً قال لابن عباس: (الكبائر سبع؟ فقال: هي إلى سبعمائة أقرب، إلا أنه لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار)^(٤).

وقرئ: ﴿مُدْخَلًا﴾ بضم الميم وفتحها بمعنى المكان والمصدر فيهما.

﴿وَلَا تَمْتَمُوا﴾ نهي عن التحاسد وعن تمنّي ﴿مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ﴾ بعض الناس ﴿عَلَى بَعْضٍ﴾ من الجاه والمال، لأنّ ذلك التفضيل قسمة من الله العالم بأحوال العباد، فوجب على الخلق أن يرضوا بقسمته الصادرة عن الحكمة والعلم بالمصلحة.

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا﴾ جعل سبحانه ما قسمه لكل من الرجال والنساء على حسب ما عرفه من مصالحه كسباً له.

﴿وَسَلُّوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ﴾ ولا تحسدوا غيركم بما أوتي من الفضل، ولكن

(١) تفسير الطبري ج ٥: ٢٧.

(٢) الأنفال: ٣٨.

(٣) تفسير الطبري ج ٥: ٢٤.

(٤) تفسير الطبري ج ٥: ٢٧.

اسألوا الله من فضله الذي لا يغيض^(١)، قال سفيان بن عيينة^(٢): (لم يأمر بالمسألة إلا ليعطي)^(٣).

وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلَىٰ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ
وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَنُكُمْ فَتَأْتُوهُمْ نَصِيْبُهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ
عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ
بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ
فَالَّذِينَ حَسِبْتُمْ فَتِنْتُكُمْ فَحَفِظْتُ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَالَّذِينَ
تَخَافُونَ نُشُوزَهُمْ فَعِظُوهُمْ ۖ وَاهْجُرُوهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ
وَأَضْرِبُوهُمْ ۖ فَإِنْ أَطَعَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَ سَبِيلًا ۚ إِنَّ اللَّهَ
كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾

أي: ولكل واحد من الرجال والنساء ﴿جَعَلْنَا مَوْلَىٰ﴾ أي: ورثة هم أولى بميراثه، يرثون ﴿مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ الموروثون.

﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَنُكُمْ﴾ أي: ويرثون مما ترك الذين عقدت أيمانكم، لأن لهم ورثة هم أولى بميراثهم، فيكون عطفاً على ﴿الْوَالِدَانِ﴾ ويكون المضمر في ﴿فَتَأْتُوهُمْ﴾ للموالي، ويجوز أن يكون في ﴿تَرَكَ﴾ ضمير ﴿لِكُلِّ﴾ و﴿الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ تفسيراً لـ ﴿مَوْلَىٰ﴾ كأنه قيل: من هم؟ فقيل: ﴿الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾.

(١) غاض الماء يغيض: قلّ ونضب. (الصحاح: مادة غيض)

(٢) سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي محدث الحرم، ولد سنة ١٠٧ هـ وطلب العلم في صغره، سمع ابن دينار والزهري وغيرهما وحديث عنه الكثيرون، مات سنة ١٩٨ هـ. ينظر: تذكرة الحفاظ ج ١:

٢٦٢، معجم رجال الحديث ج ٩: ١٦٤.

(٣) معالم التنزيل ج ١: ٢٢٤.

﴿الَّذِينَ عَقَدْتَ أَيْمَنُكُمْ﴾ مبتدأ ضمن معنى الشرط فوقع خبره مع الفاء وهو قوله: ﴿فَتَأْتُوهُمْ نَاصِبُهُمْ﴾، والمراد بـ ﴿الَّذِينَ عَقَدْتَ أَيْمَنُكُمْ﴾ موالي الموالاة. كان الرجل يعاقد الرجل فيقول: (دمي دمك، وهدمي هدمك، وحربي حربك، وسلمي سلمك، وترثني وأرثك، وتعقل عني وأعقل عنك) فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف، فنسخ بقوله: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾^(١). وقرئ: (عَاقَدْتَ) و(عَقَدْتَ)، ومعنى عاقدت أيمانكم: عاقدتهم أيديكم وماسحتموهم، ومعنى (عقدت): عقدت عهودهم أيمانكم.

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ يقومون عليهن بالأمر والنهي كما تقوم الولاية على رعاياهم، ولذلك سموا قواماً، بسبب تفضيل الله.

﴿بَعْضُهُمْ﴾ وهم الرجال ﴿عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ يعني: النساء. وقد ذكر في تفضيل الرجال أشياء: منها العقل، والحزم، والجهاد، والخطبة، والأذان، وعدد الأزواج، والطلاق، وغير ذلك.

﴿وَيِمَا أَنْفَقُوا﴾ أي: وبسبب ما أنفقوا في نكاحهن من الأموال يعني: المهر والنفقة.

﴿فَالصَّدَاقُ كَفَرْتُمْ﴾ أي: مطيعات الله قائبات بها عليهن للأزواج. ﴿حَفِظْتُ لِّلْغَيْبِ﴾ الغيب: خلاف الشهادة، أي: راعيات لحقوق أزواجهن وحرمتهم في الفروج والبيوت والأموال في حال غيبتهم.

﴿يِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ بما حفظهن الله حين أوصى بهن الأزواج في كتابه، أو بما حفظهن الله [إذ وفقهن]^(٢) لحفظ الغيب فتكون ﴿مَا﴾ مصدرية. وقرئ: (بها)

(١) الأنفال: ٧٥.

(٢) ساقطة من ج.

حفظ الله) - بالنصب - على أَنَّ ﴿مَا﴾ موصولة، أي: بالأمر الذي يحفظ حقَّ الله وأمانة الله، وهو التعفف والشفقة على الرجال. وفي الحديث: ((خير النساء امرأة إن نظرت إليها سرتك، وإن أمرتها أطاعتك، وإذا غبت عنها حفظتك في ما لها ونفسها وتلا الآية))^(١).

﴿وَالَّذِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُمْ﴾ أي: عصيانهن، وأصل النشوز: الانزعاج والترفع على الزوج.

﴿فَعِظُوهُمْ﴾ أولاً بالقول والنصيحة ﴿وَأَهْجُرُوهُمْ﴾ ثانياً ﴿فِي الْمَضَاجِعِ﴾ والمراد وهي كناية عن الجماع، وقيل: هو أن يوليها ظهره في المضجع^(٢). ﴿وَأَضْرِبُوهُمْ﴾ إن لم ينجع فيهن الوعظ والهجران ضرباً غير مبرح لا يقطع لحماً ولا يكسر عظماً، وعن الباقر عليه السلام: ((إنه الضرب بالسواك))^(٣).

﴿فَإِنْ أَطَعَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِمْ سَبِيلاً﴾ أي: أزيلوا عنهم التعرض بالأذى والتجني، وتوبوا عليهن بعد رجوعهن إلى الطاعة وترك النشوز.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً كَبِيراً﴾ فاحذروه ولا تكلفوهن ما لا يطقن.

وإن خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيماً

خَيْرًا ﴿٣٥﴾

الأصل شِقَاقًا ﴿بَيْنَهُمَا﴾، فأضيف الشقاق إلى الظرف على سبيل الاتساع، والضمير للزوجين وإن لم يجر ذكرهما لدلالة ذكر الرجال والنساء عليهما.

(١) مسند الطيالسي: ٣٠٦، الكافي ج ٥: ٣٢٧ بالمعنى.

(٢) عن السدي وغيره. تفسير الطبري ج ٥: ٤١.

(٣) التبيان ج ٣: ١٩١.

﴿فَابْعَثُوا حَكَمًا﴾ أي: رجلاً رضي ﴿مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾ كذلك، يصلح كلاهما لحكومة العدل والإصلاح بينهما، والألف في ﴿إِنْ يُرِيدَ إِصْلَاحًا﴾ ضمير الحكمين، وفي ﴿يُوفَّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ للزوجين، أي: إن قصدا إصلاح ذات البين بورك في وساطتهما، وأوقع الله بحسن نيتها الوفاق والألفة بين الزوجين. وقيل: الضميران للحكمين^(١) يوفق الله بينهما حتى يتفقا على الكلمة الواحدة. وروى أصحابنا: إنَّ للحكمين أن يجمعا بينهما إن رأيا ذلك صلاحاً، وليس لهما أن يفرقا بينهما إلا بعد أن يستأمرهما ويرضيا بذلك^(٢).

وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا وَبِذِي
الْأَرْحَامِ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ
وَالصَّاحِبِ بِالْجَنُبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ
لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِأَمْوَالِهِمْ
الَّتِي بَخِلُوا بِهَا أَنْفُسَهُمْ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ
وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾

﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا﴾ بمعنى: وأحسنوا بالوالدين إحساناً.

﴿وَبِذِي الْأَرْحَامِ﴾ وبكل من بينكم وبينه قرابة.

﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى﴾ أي: الذي جواره قريب.

﴿وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ الذي جواره بعيد، وقيل معناهما: الجار القريب النسب

والجار الأجنبي^(٣).

(١) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج ٥: ٥٠.

(٢) ينظر: الوسائل ج ١٥ باب ١٢، ١٣ من أبواب القسم والنشوز والشقاق.

(٣) عن مجاهد وغيره. تفسير الطبري ج ٥: ٥٠.

﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾ هو الذي يصحب الإنسان بأن يحصل بجانبه، بكونه رفيقه في سفره، أو جاراً له ملاصقاً، أو شريكاً، أو قاعداً إلى جنبه في مجلس، فعليه أن يرفع حقه.

﴿وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾ المسافر المنقطع به، وقيل: هو الضيف^(١).

والمختال: التباه الجھول الذي يتكبر عن إكرام أقاربه وأصحابه، والفخور: الذي يفخر بكثرة ماله.

﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ بدل من قوله: ﴿مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾، أو نصب على الذم، أو رفع على الذم أيضاً، أو يكون مبتدأ خبره محذوف كأنه قيل: الذين يبخلون ويفعلون كذا ملومون مستحقون للعقوبة، أي: يبخلون بما عندهم وبما في أيدي غيرهم، فيأمروهم بأن يبخلوا كما جاء في المثل: (أبخل من الضنين بنائل غيره)^(٢).

﴿وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ﴾ من فضل الغنى، بالتفاقر إلى الناس، وقيل: هم اليهود كتموا صفة رسول الله ﷺ^(٣).

وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا
بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَا ذَا
عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ
اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾

﴿رِئَاءَ النَّاسِ﴾ أي: للمراءاة والفخار وليقال: إنهم أسخياء، لا لوجه الله،

(١) عن الضحاك وغيره. تفسير الطبري ج ٥: ٥٣.

(٢) مجمع الأمثال ج ١: ١٩٩.

(٣) عن السدي وغيره. تفسير الطبري ج ٥: ٥٥.

وقيل: هم مشركو قريش أنفقوا أموالهم في عداوة رسول الله ﷺ.

﴿فَسَاءَ قَرِينًا﴾ إذ حملهم على البخل والرياء وكل شرّ وفساد، ويجوز أن يكون وعيداً لهم بأن يكون الشيطان مقروناً بهم في النار.

﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: أي شيء عليهم من الوبال والتبعة في الإيمان والإنفاق في سبيل الله؟! وهذا توبيخ لهم وتهجين، وإلا فإنّ المنفعة كل المنفعة في ذلك.

﴿وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ وعيد لهم.

إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُّضْعِفْهَا وَيُؤْتِ

مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾

الذرة: النملة الصغيرة، وقيل: كل جزء من أجزاء الهباء ذرة. وفي هذا دلالة على أنه لو نقص من الأجر أدنى شيء، أو زيد على المستحق من العقاب لكان ظلماً. ﴿وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً﴾ أي: وإن تك مثقال الذرة حسنة، وإنما آتت لكونه مضافاً إلى مؤنث. وقرئ: حسنة - بالرفع - على (كان) التامة.

﴿يُضْعِفْهَا﴾ أي: يضاعف ثوابها.

﴿وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ أي: يعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل عطاء عظيماً، وسماه أجراً لأنه تابع للأجر. وقرئ: يضاعفها - بالتشديد..

فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ

شَهِيدًا ﴿١١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرُّسُولَ لَوْ

سُورُوا بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿١٢﴾

﴿فَكَيْفَ﴾ يصنع هؤلاء الكفار ﴿إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ يشهد عليهم بما فعلوا وهو نبيهم.

﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمد ﴿عَلَىٰ هَؤُلَاءِ﴾ يعني: قومه ﴿شَهِيدًا﴾. والمعنى: إنَّ الله سبحانه يستشهد يوم القيامة كل نبيٍّ على أُمَّته فيشهد لهم وعليهم. وعن ابن مسعود: (إنَّه قرأ هذه الآية على النبي ﷺ ففاضت عيناه)^(١). فانظر في هذه الحالة إذا كان الشاهد يبكي لهول هذه المقالة، فماذا ينبغي أن يصنع المشهود عليه من الانتهاء عن كل ما يستحى منه على رؤوس الأشهاد!

﴿يَوْمَ يُذَوِّدُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوْا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ﴾ من التسوية، وقرئ: (لو تسوى) بحذف التاء من (تسوى)، و(تسوى) بإدغام التاء في السين، يقال: سَوَّيْتُهُ فَتَسَوَّى. والمعنى: يودون أنهم لم يبعثوا، وأنهم كانوا والأرض سواء، وقيل: يودون لو يدفنون فتسوى بهم الأرض كما تسوى بالموتى^(٢).

﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ ولا يقدرُونَ على كتمانهِ لأنَّ جوارحهم تشهد عليهم.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِ سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾

أي لا تقوموا إلى الصلاة وأنتم نشاوى، وقيل: معناه: لا تقربوا مواضع الصلاة وهي المساجد^(٣)، كقوله ﷺ: ((جَنَّبُوا مَسَاجِدَكُمْ صَبَانَكُمْ

(١) الكشف والبيان ج ٣: ٣١٠.

(٢) الكشف ج ١: ٥١٢.

(٣) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج ٥: ٦٣.

وَمَجَانِينَكُمْ))^(١). وقيل: هو سكر النوم وغلبة النعاس خاصة^(٢)، وروي ذلك عن الباقر عليه السلام^(٣).

﴿وَلَا جُنْبًا﴾ عطف على قوله: ﴿وَأَنْتُمْ سَكَرْتُمْ﴾ لَأَنَّ محلَّ الجملة مع الواو نصب على الحال، كأنه قيل: لا تقربوا الصلاة سكارى ولا جنباً، لأنَّ الجنب اسم جرى مجرى المصدر الذي هو الإجنب، فاستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث.

﴿إِلَّا عَابِرِ سَبِيلٍ﴾ أي: لا تقربوا الصلاة في أحوال الجنابة، إلا إذا كنتم مسافرين فيجوز لكم أن تؤدوها بالتيمة، فإنَّ التيمم لا يرفع حكم الجنابة. فيكون قوله: ﴿عَابِرِ سَبِيلٍ﴾ منصوباً على الحال، وعبور السبيل عبارة عن السفر، فكأنه قيل: لا تقربوا الصلاة غير مغتسلين حتى تغتسلوا إلا في حال كونكم مسافرين. ومن فسر الصلاة بالمسجد قال: إنَّ معناه لا تقربوا مواضع الصلاة جنباً، إلا مجتازين فيها حتى تغتسلوا من الجنابة.

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْحَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ أراد سبحانه أن يرخّص للذين تجب عليهم الطهارة في التيمم عند عدم الماء، فخصَّ أولاً من بينهم مرضاهم ومسافريهم، لكثرة المرض والسفر وغلبتهما على سائر الأسباب الموجبة للرخصة، ثم عمَّ كل من وجب عليه الطهارة وأعوزه الماء، لخوف عدو أو سبع أو عدم ما يتوصل به إلى الماء، أو غير ذلك مما لا يكثر كثرة المرض والسفر؛ فلذلك نظم في سلك واحد بين المريض والمسافر، وبين المحدث والجنب، وإن كان المرض والسفر سببين من

(١) تهذيب الأحكام ج ٣: ٢٥٤، معجم الطبراني الكبير ج ٨: ١٣٢.

(٢) عن الضحاك. تفسير الطبري ج ٥: ٦٢.

(٣) تفسير العياشي ج ١: ٢٤٢.

أسباب الرخصة، والحدث سبباً لوجوب الوضوء، والجنابة سبباً لوجوب الغسل. ومن قرأ: (أو لمستم) فإنّ اللمس والملاسة بمعنى الجماع، قال ابن عباس: (سقى الله الجماع لمساً كما يسقى المطر سماء)^(١).

﴿الْفَاطِطُ﴾ أصله المطمئن من الأرض، وكانوا يتبرّزون هناك ثم كثر ذلك حتى كنوا بالغائط عن الحدث.

والتييم: أصله القصد، وقد تخصص في الشرع بقصد الصعيد لمسح أعضاء مخصوصة، وقال الزجاج^(٢): (الصعيد: وجه الأرض تراباً كان أو صخراً لا تراب عليه)^(٣). لو ضرب المتييم يده عليه ومسح لكان ذلك طهوره. وهو مذهب أبي حنيفة^(٤)، وهو المروي عن أئمة الهدى عليهم السلام^(٥).

﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ وهو ضربة واحدة للوجه واليدين إذا كان بدلاً من الوضوء، وضربتان: إحداها للوجه والأخرى لليدين إذا كان بدلاً من الغسل. ومسح الوجه من قصاص الشعر إلى طرف الأنف، ومسح اليدين من الزندين إلى رؤوس الأصابع.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشَرُّونَ الصَّلَاةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ

(١) الكشف والبيان ج ٣: ٣١٤.

(٢) أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج النحوي، كان يخرط الزجاج ثم مال إلى النحو، مات سنة ٣١١ هـ عن سبعين عاماً. ينظر: بغية الوعاة ج ١: ٤١١.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ج ٢: ٥٦.

(٤) المبسوط للسرخسي ج ١: ١٠٦.

(٥) ينظر: الوسائل ج ٢ باب ٧ من ابواب التييم.

نَصِيرًا ﴿١٥﴾ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعَ غَيْرُ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنِهِمْ وَطَعْنَا فِي الَّذِينَ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعَ وَأَنْظَرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ من رؤية القلب، وعدي بـ ﴿إِلَى﴾ لآته بمعنى: ألم تنظر إليهم، أو ألم ينته علمك إليهم.

﴿أَوَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ أعطوا حظاً من علم التوراة، وهم أحبار اليهود.

﴿يَنْشَرُونَ الْأَصْنَافَ﴾ يستبدلون بالهدى، وهي البقاء على اليهودية بعد وضوح المعجزات الدالة على صدق محمد ﷺ والآيات الموضحة عن صحة نبوته، وآته النبي العربي المبشر به في التوراة والإنجيل.

﴿وَيُرِيدُونَ أَن يُضِلُّوا﴾ [أنتم أيها المؤمنون سبيل الحق كما ضلوه، فكأنهم إذا ضلوا] ^(١) أحبوا أن يضل غيرهم معهم.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ﴾ منكم ﴿بِأَعْدَائِكُمْ﴾ وقد أخبركم بعداوة هؤلاء لكم، فاحذروهم ولا تستشيروهم في أموركم.

﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا﴾ فتقوا بولايته ونصرته ولا تبالوا بهم.

﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ بيان لـ ﴿الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ لأنهم يهود ونصارى، وتوسطت بين البيان والمبين جل اعتراضية وهي قوله: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾. ويجوز أن يكون بياناً لـ (أعدائكم) أو

صلة لـ ﴿نَصِيرًا﴾ أي: ينصركم من الذين هادوا كقوله: ﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا﴾^(١).

ويجوز أن يكون كلاماً مبتدأ على تقدير: من الذين هادوا قوم ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ يعني: يميلونه عنها، لأنهم إذا بدلوه ووضعوا مكانه غيره فقد أمالوه عن موضعه الذي وضعه الله فيه وأزالوه عنه، كما حرّفوا (أسمر ربعة) عن موضعه في التوراة ووضعوا مكانه (آدم طوال).

وقولهم: ﴿وَأَسْمَعَ غَيْرَ مُسْمِعٍ﴾ معناه: اسمع منا مدعواً عليك بـ (لا سمعت)، أو اسمع غير محاب إلى ما تدعو إليه، فيكون ﴿غَيْرَ مُسْمِعٍ﴾ حالاً من المخاطب.

﴿وَرَاعَنَا﴾ مرّ معناه^(٢).

﴿لِيَأْ بِالسِّنِينَ﴾ فتلاً بها وتحريفاً، أي: يفتلون بالسنتهم الحق إلى الباطل حيث يضعون ﴿رَاعَنَا﴾ موضع ﴿أَنْظَرْنَا﴾، و﴿غَيْرَ مُسْمِعٍ﴾ موضع لا أسمع مكروهاً. أو يفتلون بالسنتهم ما يضمرونه من الشتم إلى ما يظهره من التوقيف نفاقاً.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا﴾ قولك ﴿وَأَطَعْنَا﴾ أمرك ﴿وَأَسْمَعَ﴾ منا ﴿وَأَنْظَرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ الضمير في ﴿كَانَ﴾ يرجع إلى ﴿أَنَّهُمْ قَالُوا﴾، لأنّ المعنى: ولو ثبت قولهم: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ لكان قولهم ذلك ﴿خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ﴾ أي: أعدل وأسدّ. ﴿وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ أي: أبعدهم عن رحمته.

(١) الأنبياء: ٧٧.

(٢) تقدم في البقرة: ١٠٤.

﴿يَكْفُرِهِمْ﴾ أي: بسبب كفرهم.

﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا﴾ إيماناً ﴿قَلِيلاً﴾ ضعيفاً لا إخلاص فيه، أو إلا قليلاً منهم قد آمنوا.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ أَوْتُوا أَلْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ
مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارَهَا أَوْ نَنْفَعَهُمْ كَمَا
لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿١٧﴾

أي: صدقوا بما نزلناه من القرآن والأحكام على محمد ﷺ ﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ من التوراة.

﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا﴾ أي: نمحو آثارها ونخطيط صورها من عين وحاجب وأنف.

﴿فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارَهَا﴾ فنجعلها على هيئة أدبارها وهي الأقفاء مطموسة مثلها، أو يريد ننكس وجوهاً إلى خلف وأقفاءها إلى قدام، أو يريد بالطمس: التغيير وبالوجوه الوجهاء والرؤساء، أي: من قبل أن نغير أحوال وجهائهم، فنسلبهم وجاهتهم وإقبالهم ونكسوهم صغارهم وإدبارهم.

﴿أَوْ نَنْفَعَهُمْ﴾ الضمير يرجع إلى أصحاب الوجوه أو الوجهاء، أي: نخزيهم بالمسح ﴿كَمَا﴾ مسخنا ﴿أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾.

وهذا الوعيد لليهود كان مشروطاً بالإيمان، فلما آمن جماعة منهم كعبد الله بن سلام وثعلبة بن سعة^(١) وخيريق^(٢) وغيرهم، رفع العذاب عن غيرهم، وقيل:

(١) ثعلبة بن سعة هو أحد الثلاثة الذين أسلموا يوم قريظة، قيل: إنه توفي في حياة النبي ﷺ. ينظر: الاستيعاب ج ١: ٢٠١.

(٢) خيريق النضري الإسرائيلي من بني النضر، وقيل: إنه من بني قينقاع، أسلم وشهد أحداً وقتل بها، ثم

هو منتظر ولا بد من طمس ومسح لليهود قبل يوم القيامة^(١).

﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ فلا بد أن يقع أحد الأمرين إن لم يؤمنوا.

إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ

يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾

هذه الآية أرجى آية في القرآن، لأنّ فيها إدخال جميع الذنوب التي هي دون الشرك الداخلة تحت عموم قوله: ﴿مَا دُونَ ذَلِكَ﴾ في مشيئة الغفران، ألا ترى أنّه سبحانه نفى غفران الشرك أولاً، وقد حصل الإجماع على أنّه سبحانه يغفره بالتوبة، ثم أثبت غفران ما دون الشرك من المعاصي، فينبغي أن يكون المراد غفران من لم يتب منها ليخالف المنفي المثبت. ثم علّق المشيئة بالمغفور لهم فقال: ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ أي: يغفر الذنوب التي هي دون الشرك لمن يشاء أن يغفر له من المذنبين، ليكون العبد واقفاً بين الخوف والرجاء خارجاً عن الإغراء، إذ الإغراء إنّما يحصل بالقطع على الغفران دون الرجاء للغفران المعلق بالمشيئة.

وقال جار الله: إنّ المنفي والمثبت في الآية موجهان إلى قوله: ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ والمراد بالأول: من لم يتب، وبالثاني: من تاب^(٢).

وهذا الذي قاله غاية في الفساد والبطلان، لأنّه يكون معنى الآية إذ ذاك: أنّه سبحانه لا يغفر الشرك لمن يشاء وهو غير التائب ويغفر لمن تاب منه، ويغفر ما دون الشرك لمن يشاء وهو التائب ولا يغفر لمن لم يتب منه، فيصير المنفي والمثبت - كما ترى - سواء في الحكم والمعنى؟! حاشا كلام الله الذي بهر العقول بفصاحته

﴿تأوصى إلى النبي ﷺ بجميع أمواله. ينظر: الإصابة ج ٣: ٣٩٣.

(١) عن المبرد. الكشف والبيان ج ٣: ٣٢٤.

(٢) الكشف ج ١: ٥٢٠.

عن مثل هذه النقيصة التي يربأ بكلام كل عاقل عنها.

على أن التوبة إذا حصلت أوجبت عنده إسقاط العقاب فكيف تعلق بها المشيئة؟! وهل يستجيز عاقل أن يقول: أنا أقضي الدين إن شئت أو لم شئت؟.

جل ربنا عن مثله وتقدس، اللهم لك الحمد على تأييدك وتسديدك.

﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ﴾ أي: ارتكب ﴿إِثْمًا عَظِيمًا﴾ وهو مفتر في

زعمه أن العبادة يستحقها غير الله سبحانه.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُرَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يَظْلَمُونَ

فَتِيلًا ﴿١٩﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ يَقْرَوْنَ عَلَى اللَّهِ الْكَلِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾

﴿الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ هم اليهود والنصارى قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ

وَأَحِبَّاءُهُ﴾^(١)، ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾^(٢). ويدخل

في الآية كل من زكى نفسه ووصفها بزيادة الطاعة والزلفى عند الله.

﴿بَلِ اللَّهُ يُرَكِّي مَن يَشَاءُ﴾ إيدان بأن تزكية الله هي التي يعتد بها دون تزكية

المرء نفسه، لأنه سبحانه العالم بمن هو أهل التزكية.

﴿وَلَا يَظْلَمُونَ﴾ الضمير يرجع إلى ﴿الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ أي: لا يظلمون

في تعذيبهم على تركيتهم أنفسهم مقدار فتيل، وهو ما يكون في شق النواة؛ أو يرجع

إلى ﴿مَن يَشَاءُ﴾ أي: يثابون ولا ينقص من ثوابهم.

﴿أَنْظِرْ كَيْفَ يَقْرَوْنَ عَلَى اللَّهِ الْكَلِبَ﴾ في زعمهم أنهم أزكيا عند الله.

﴿وَكَفَىٰ﴾ بزعمهم هذا ﴿إِثْمًا مُّبِينًا﴾ أي: بيتنا ظاهراً من بين سائر آثامهم.

(١) المائدة: ١٨.

(٢) البقرة: ١١١.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكَتَابِ يُؤْمِنُونَ
بِالْحَبِيبِ وَالطَّغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ
الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن
نَّجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾

الجب: كل ما عبد من دون الله، والطاغوت: الشيطان.

روي: أن حبي بن أخطب وكعب بن الأشرف خرجا مع جماعة من اليهود
إلى مكة يحالفون قريشاً على محاربة رسول الله ﷺ، فقالت قريش لهم: أنتم أقرب إلى
محمد منكم إلينا فلا نأمن مكرهم، فاسجدوا لأهتنا حتى نطمئن إليكم، ففعلوا،
فهذا إيمانهم.

﴿وَالْحَبِيبِ وَالطَّغُوتِ﴾ لأنهم سجدوا للأصنام وأطاعوا الشيطان فيما
فعلوا. وقال أبو سفيان: أنحن أهدى سبيلاً أم محمد؟ فقال كعب: ماذا يقول
محمد؟ قالوا: يأمر بعبادة الله وحده وينهى عن الشرك، قال: وما دينكم؟ قالوا:
نحن ولادة البيت، نسقي الحاج، ونقري الضيف، ونفك العاني، وذكروا أفعالهم،
فقال: أنتم أهدى سبيلاً^(١).

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ أبعدهم الله من رحمته وخذلهم.

﴿وَمَن يَلْعَنِ﴾ يلعنه ﴿اللَّهُ فَلَن نَّجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ في الدنيا والآخرة.

أَمْ لَمْ نَصِيبْ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ
يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ ءَاتَيْنَا ءَالَ
إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُمْ مَّن

﴿أَمِنْ بِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ (٥٥)

وصف سبحانه اليهود بالبخل والحسد وهما شر الخصال، لأن البخل يمنع ما أوتي من النعمة، والحاسد يتمنى أن تكون له نعمة غيره وزوالها عنه.

و﴿أَمْ﴾ هذه منقطعة، والهمزة لإنكار أن يكون ﴿لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ﴾ أي: ولو كان لهم نصيب من الملك ﴿فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ﴾ أحداً مقدار نقيير، وهو النقرة في ظهر النواة، والملك: إما ملك أهل الدنيا وإما ملك الله كما في قوله: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ﴾ (١).

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ﴾ بل يحسدون ﴿النَّاسَ﴾ يعني: رسول الله والمؤمنين ﴿عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ﴾ النبوة والنصرة وزيادة العز كل يوم ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ﴾ [هذا إلزام لهم بما عرفوه من أن الله تعالى آتى آل إبراهيم] (٢) الذين هم أسلاف محمد ﴿الْكَتَبَ﴾ وهو التوراة والإنجيل ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ وهي ما أعطوا من العلم. ﴿وَوَاتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ وهو ملك يوسف وداود وسليمان (٣).

﴿فَمِنْهُمْ﴾ أي: من اليهود ﴿مَنْ آمَنَ﴾ بما ذكر من حديث آل إبراهيم ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ﴾ أنكره مع علمه بصحته، أو يكون المعنى: فمن اليهود من آمن برسول الله، ومنهم من أنكر نبوته، أو فمن آل إبراهيم من آمن بإبراهيم ومنهم من كفر كقوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (٣).

(١) الإسراء: ١٠٠.

(٢) ساقطة من ج.

(٣) الحديد: ٢٦.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِتَايَدِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كَلَّمًا فَصَبَتْ جُلُودُهُمْ
 بِدَلَنَّهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا
 ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ
 تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ
 ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾

﴿سَوْفَ نُصْلِيهِمْ﴾ أي: نلزمهم ﴿نَارًا﴾ ونلقيهم فيها ونحرقهم بها.
 ﴿بَدَلَنَّهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ أبدلناهم إياها.
 ﴿لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ أي: ليجدوا ألم العذاب.
 ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا﴾ لا يمتنع عليه إنجاز ما وعده أو توعد به ﴿حَكِيمًا﴾
 لا يعذب إلا من يستحقه.

﴿لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ من الحيض والنفاس ومن جميع الدنيا والأدناس.
 ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ أي: دائماً لا تنسخه الشمس. وهو وصف اشتق
 من لفظ الظل كما يقال: يوم أيوم، وليل أليل، وداهية دهياء.

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ
 النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا
 ﴿٥٨﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ
 فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
 وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾

قيل: إن الخطاب عام لكل أحد في كل أمانة من أمانات الله التي هي أوامره

ونواهيه، وأمانات عباده فيما يأتين بعضهم بعضاً فيه^(١)، وقيل: الخطاب لولاة الأمر^(٢) أمرهم الله بأداء الأمانات والحكم بالعدل. ثم أمر الرعية في الآية الأخرى بأن يسمعوا لهم ويطيعوا، ثم أكد ذلك بقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾. وروي عنهم عليهم السلام: ((أَنَّهُ أَمْرٌ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَثَمَةِ أَنْ يَسْلَمَ الْأَمْرَ إِلَى وَلِيِّ الْأَمْرِ بَعْدَهُ))، وقالوا: ((إِنَّ الْآيَةَ الْأُولَى لَنَا وَالْآيَةَ الْآخِرَى لَكُمْ))^(٣).

وقوله: ﴿نِعْمًا﴾ أي: نعم شيئاً ﴿يُعْظَمُ بِهِ﴾ فتكون ﴿مَا﴾ نكرة منصوبة موصوفة بـ ﴿يُعْظَمُ بِهِ﴾، أو نعم الشيء الذي يعظكم به فتكون ﴿مَا﴾ مرفوعة موصولة والمخصوص بالمدح محذوف، أي: نعماً يعظكم به ذاك وهو المأمور به من أداء الأمانات والحكم بالعدل.

وأولو الأمر: هم أمراء الحقِّ وأئمة الهدى الذين يهدون الخلق ويقضون بالحقِّ، لأنَّه لا يعطف على الله ورسوله في وجوب الطاعة، ولا يقرن بهما في ذلك إلا من هو معصوم مأمون منه القبيح أفضل ممن أمر بطاعته وأعلم، ولا يأمرنا الله عزَّ اسمه بالطاعة لمن يعصيه، ولا بالانقياد لوالٍ علة حاجتنا إليه موجودة فيه.

﴿فَإِنْ نَزَعْنَاهُ﴾ أي: فإن اختلفتم ﴿فِي شَيْءٍ﴾ من أمور دينكم ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ أي: ارجعوا فيه إلى الرسول ﷺ في حياته، وإلى من أمر بالرجوع إليه بعد وفاته في قوله: ((إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ مَا إِن تَمَسَّكْتُمَا بِيَا لَنْ تَضِلُّوا: كِتَابُ اللَّهِ وَعِترتي أَهْلُ بَيْتِي، وَإِنَّمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرْدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ))^(٤)، فقد صرح عليه السلام:

(١) عن زيد بن اسلم وغيره. تفسير الطبري ج ٥: ٩٢.

(٢) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج ٥: ٩٣.

(٣) الكافي ج ١: ٢٧٦.

(٤) بصائر الدرجات: ٤١٤، مسند أحمد ج ٣: ١٤.

أَنَّ فِي التَّمَسُّكِ بِهِمَا الْأَمَانُ مِنَ الضَّلَالِ، فَالرَّدُ إِلَى أَهْلِ بَيْتِهِ الْعَتَرَةُ الْمُلَازِمَةُ كِتَابِ اللَّهِ الْغَيْرِ الْمُخَالَفَةِ لَهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ مِثْلَ الرَّدِّ إِلَيْهِ فِي حَيَاتِهِ، لِأَنَّهُمْ الْحَافِظُونَ لِشَرِيعَتِهِ الْقَائِمُونَ بِمَقَامِهِ فِي أَمْتِهِ، فَثَبِتَ أَنَّ ﴿أَوَّلِي الْأَمْرِ﴾ هُمُ الْأَثَمَةُ ﷺ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ.

﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى الرد إلى الله والرسول ﴿خَيْرٌ﴾ لكم.

﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ أي: وأحد عاقبة.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ، وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٠﴾
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿١١﴾

كان بين رجل من المنافقين وبين رجل من اليهود خصومة، فقال اليهودي: أحاكم إلى محمد لأنه علم أنه لا يقبل الرشوة، وقال المنافق: بل بيني وبينك كعب ابن الأشرف فترلت^(١).

سمى الله كعب بن الأشرف طاغوتاً، لإفراطه في الطغيان وفي عداوة رسول الله، أو على التشبيه بالشیطان والتسمية باسمه، أو جعل سبحانه اختيار التحاكم إليه على التحاكم إلى رسول الله تحاكماً إلى الشيطان بدليل قوله: ﴿وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ، وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾.

فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ يَمَّا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا أَحْسَنًا وَتَوْفِيقًا ﴿١٢﴾

أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ
وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿١٣﴾

﴿فَكَيْفَ﴾ يكون حالهم ﴿إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ﴾ أي: نالتهم من الله تعالى عقوبة ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من التحاكم إلى غيرك وإظهار السخط لحكمك.

﴿ثُمَّ جَاءُوكَ﴾ فيعتذرون إليك و﴿يَخْلِفُونَ﴾ ما ﴿أَرَدْنَا﴾ بالتحاكم إلى غيرك ﴿إِلَّا إِحْسَنًا﴾ وهو التخفيف عنك ﴿وَتَوْفِيقًا﴾ بين الخصمين بالتوسط، ولم نرد المخالفة لك والتسخط لحكمك.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من الشرك والنفاق.

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ أي: لا تعاقبهم لمصلحة في استبقائهم.

﴿وَعِظْهُمْ﴾ بلسانك ﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ يبلغ من نفوسهم كل مبلغ، أي: خوفهم بالقتل والاستتصال إن نجم منهم النفاق. ويجوز أن يكون المعنى: وقل لهم في أنفسهم خالياً بهم ليس معهم غيرهم قولاً بليغاً يبلغ منهم ويؤثر فيهم فإن النصيحة في السر أنجع [أي أنفع] ^(١).

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ
إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ
لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿١٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا
يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا
فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا ﴿١٥﴾

أي: ولم نرسل رسولاً من رسلنا قط ﴿إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي: بسبب إذن الله في طاعته، وبأنه أمر المبعوث إليهم بأن يطيعوه ويتبعوه لأنه مؤد عن الله، فطاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بالتحاكم إلى الطاغوت ﴿جَاءُواكَ﴾ تائبين مما ارتكبوه ﴿فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ﴾ من ذلك بالإخلاص ﴿وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾ ولم يقل: واستغفرت لهم، لكنه عدل عنه إلى طريقة الالتفات تفخياً لشأن رسول الله ﷺ وتعظيماً لاستغفاره، وتنبهياً على أن شفاعته من اسمه الرسول من الله بمكان ﴿لَوْجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا﴾ [لعلموه تواباً]^(١)، أي: لتاب عليهم.

﴿فَلَا وَرَيْكَ﴾ معناه: فوربك، و﴿لَا﴾ مزيدة لتأكيد معنى القسم كما زيدت في ﴿لَيْتَلَا يَعْلَمَ﴾^(٢) لتأكيد وجوب العلم، و﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ جواب القسم.

﴿حَتَّى يُحَكِّمُوكُمْ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ فيما اختلف بينهم، ومنه الشجر لتداخل أجزائه.

﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا﴾ أي: ضيقاً، أي: لا يضيق صدورهم من حكمك، وقيل: شكاً^(٣)، لأن الشاك في ضيق من أمره.

﴿وَأَسْلَمُوا﴾ أي: وينقادوا أو يذعنوا لقضائك من قولك: سلم لأمر الله وأسلم له.

﴿سَلِيمًا﴾ تأكيد للفعل بمنزلة تكريره.

(١) ساقطة من ج.

(٢) الحديد: ٢٩.

(٣) عن مجاهد تفسير الطبري ج ٥: ١٠٠.

قيل: نزلت في شأن الزبير وحاطب بن أبي بلتعة^(١)، فأتتهما اختصما إلى رسول الله ﷺ في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل، فقال رسول الله ﷺ: ((اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك))، فغضب حاطب وقال: لئن كان ابن عمك. فتغير وجه رسول الله ﷺ ثم قال: ((اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر واستوف حقك ثم أرسله إلى جارك))^(٢). كان قد أشار على الزبير برأي فيه السعة له ولخصمه، [فلما أحفظ رسول الله ﷺ استوعب للزبير حقه في صريح الحكم]^(٣).

وَلَوْ أَنَا كُتِبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ
مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا
لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنْبِيئًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا لَا تَأْتِيَنَّهُمْ مِنَ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾
وَلَهَدَيْتَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾

أي: ﴿وَلَوْ﴾ أوجبنا ﴿عَلَيْهِمْ﴾ مثل ما أوجبنا على بني إسرائيل من قتلهم أنفسهم، ﴿أَوْ﴾ خروجهم ﴿مِنْ﴾ ديارهم ﴿مَا فَعَلُوهُ إِلَّا﴾ أناس ﴿قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾، وهذا توبيخ بليغ. والرفع على البدل من الواو في ﴿فَعَلُوا﴾، وقرئ: إلا قليلاً بالنصب على أصل الاستثناء، أو على: إلا فعلاً قليلاً.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾ من اتباع رسول الله ﷺ والانقياد له والرضا بحكمه ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ عاجلاً وأجلاً ﴿وَأَشَدَّ تَنْبِيئًا﴾ لإيمانهم. ﴿وَإِذَا﴾ جواب لسؤال مقدر، كأنه قيل: وماذا يكون لهم أيضاً بعد التثبيت؟

(١) حاطب بن أبي بلتعة اللخمي حليف بني أسد بن عبد العزى، شهد بدرًا والحديبية، وقصة كتابته إلى أهل مكة قبل الفتح مشهورة، توفي سنة ٣٠ هـ. الإصابة ج ١: ٣٠٠.

(٢) أنساب النزول: ١١٤.

(٣) ساقطة من ج.

فقيل: وإذا لو ثبتوا ﴿لَا تَلَيْتَهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا﴾، لأن ﴿إِذَا﴾ جواب وجزاء. ﴿وَلَهَدَيْتَهُمْ﴾ أي: وفقناهم لازدياد الخيرات.

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾

رغب الله المؤمنين في طاعة الله ورسوله حيث وعدهم مرافقة ﴿النَّبِيِّينَ﴾ في أعلى عليين ﴿وَالصِّدِّيقِينَ﴾ الذين صدقوا في أقوالهم وأفعالهم ﴿وَالشُّهَدَاءِ﴾ القتولين في الجهاد ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾ الذين صلحت حالهم واستقامت طريقتهم ﴿وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ فيه معنى التعجب، كأنه قيل: وما أحسن أولئك رفيقاً! والرفيق كالصديق والخليط في استواء الواحد والجمع فيه. ويجوز أن يكون مفرداً بين به الجنس في باب التمييز.

﴿ذَلِكَ﴾ مبتدأ، و﴿الْفَضْلُ﴾ صفته، و﴿مِنَ اللَّهِ﴾ الخبر. ويجوز أن يكون ﴿الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ﴾ خبر المبتدأ. والمعنى: إن ما أُعطي المطيعون من الأجر العظيم، ومرافقة أقرب عباد الله إلى الله؛ تفضل عليهم من الله تبعاً لثوابهم.

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّلُنَّ فَإِنْ أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ قَالْ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلَيْسَ لِي بِكُنْ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾

الحذر والحذر بمعنى، يقال: أخذ حذره: إذا تيقظ وتحفظ من المخوف، كأنه جعل الحذر آله التي يحفظ بها نفسه. أي: احذروا واحذروا من العدو، وعن

الباقر عليه السلام: ((خذوا أسلحتكم))^(١) فسمي الأسلحة حذراً لأن بها يتقى المحذور.

﴿فَأَنفِرُوا﴾ إلى قتال عدوكم، أي: اخرجوا إلى الجهاد إما ﴿بَنَاتٍ﴾ أي: جماعات متفرقة، وإما ﴿جَمِيعًا﴾ مجتمعين كوكبة واحدة ولا تتخاذلوا.

واللام في ﴿لَمَن﴾ للابتداء، وفي ﴿لِيُطِئَنَّ﴾ جواب قسم محذوف تقديره: وإن منكم لمن أقسم بالله ليطئن، والقسم وجوابه صلة ﴿مَن﴾.

والخطاب لعسكر النبي ﷺ، والمبطنون هم المنافقون، ومعنى ﴿لِيُطِئَنَّ﴾: ليتناقلن وليتخلفن عن الجهاد، وبطأ بمعنى أبطأ، ويقال: ما بطأ بك أي: أخرك عنا، والتبطئة: التأخر عن الأمر فيعدى بالباء، ويجوز أن يكون منقولاً من بطؤ فيكون المعنى: ليطئن غيره وليبطئه عن الغزو.

﴿فَإِنْ أَصَبْتُمْ مُصِيبَةً﴾ من قتل أو هزيمة ﴿قَالَ﴾ قول الشامت: ﴿قَدْ أَنعمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا﴾ أي: حاضرًا في القتال فكان يصيبني ما أصابهم. وإن ﴿أَصَبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ من فتح أو غنيمة ﴿لِيَقُولَنَّ﴾ يا ليتني.

وقوله: ﴿كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾ اعتراض بين الفعل الذي هو ﴿لِيَقُولَنَّ﴾ وبين مفعوله الذي هو ﴿يَلْتَلِيَنَّ﴾ يعني: كأن لم يتقدم له معكم مودة. ﴿فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ أي: أصيب غنيمة وأخذ حظاً وافراً منها.

فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا
بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ
فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٦﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا

أَخْرَجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا
وَاجْعَل لَّنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾

﴿يَشْرُوت﴾ أي: يبيعون الحياة الفانية بالحياة الباقية ويستبدلونها بها، ثم وعد المقاتل ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ظافراً أو مظفوراً به إيتاء الأجر العظيم.
﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ﴾ أي: أي عذر لكم في ترك القتال مع اجتماع الأسباب الموجبة للقتال.

﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ في طاعته وإعزاز دينه وإعلاء كلمته.
﴿وَالْمُسْتَضْعِفِينَ﴾ فيه وجهان: أحدهما: أن يكون مجروراً عطفاً على ﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [أي: في سبيل الله وفي]^(١) خلاص المستضعفين، أو منصوباً على الاختصاص بمعنى: وأختص من سبيل الله خلاص المستضعفين، لأنَّ سبيل الله عام في كل خير، وخلاص المستضعفين من المؤمنين من أيدي الكفار من أعظم الخيرات وأخص القربات.

والمستضعفون هم الذين أسلموا بمكة وصدَّهم المشركون عن الهجرة، فبقوا بين أظهرهم يلقون منهم الأذى، فكانوا يدعون الله بالخلاص ويستنصرونه، فيسرَّ الله لبعضهم الخروج إلى المدينة، وبقي بعضهم إلى الفتح حتى جعل الله لهم من لدنه خير وليّ وخير ناصر وهو محمد ﷺ، فتولاهم أحسن التولي ونصرهم أعزَّ النصر، وكانوا قد أشركوا صبيانهم في دعائهم استنزاً لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا، كما وردت السّنة بإخراجهم في الاستسقاء^(٢)، وعن ابن عباس:

(١) ساقطة من ج.

(٢) المبسوط للشيخ الطوسي ج ١: ١٣٥.

(كنت أنا وأمي من المستضعفين من النساء والولدان)^(١).

وذَكَرَ الظالم وإن كان وصفاً للقرية لأنه مسند إلى أهلها، فأعطي إعراب القرية لأنه صفتها، وذَكَرَ لإسناده إلى الأهل.

الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ
الطَّاغُوتِ فَفَعِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾

هذا ترغيب للمؤمنين وإخبار بأنهم أولياء الله والله ناصرهم، وأعداؤهم ﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ﴾ الشيطان، فلا ولي لهم إلا الشيطان، و﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ﴾ للمؤمنين ضعيف وأوهن في جنب كيد الله للكافرين.

ودخل ﴿كَانَ﴾ هنا ليدلّ على أنّ الضعف لازم لكيد الشيطان في جميع الأحوال والأوقات.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا
كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً
وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَنَّ
اللَّهُ عَلَى الْقَوْمِ الْأَخْيَرِ خَيْرٌ لِمَنِ الْغَنَى وَلَا يُظْلَمُونَ فَبَيَّنَّا ﴿٧٧﴾

﴿كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ أي: كفوها عن القتال، وكان المسلمون بمكة مكفوفين عن قتال الكفار، وكانوا يتمنون أن يؤذن لهم فيه.

﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ﴾ بالمدينة كره فريق منهم ذلك خوفاً من القتل والإخطار بالروح.

﴿كَخَشْيَةِ اللَّهِ﴾ إضافة للمصدر إلى المفعول، ومحل الكاف النصب على

الحال من الضمير في ﴿يَخْشَوْنَ﴾ أي: يخشون الناس مثل أهل خشية الله، بمعنى مشبهين لأهل خشية الله ﴿أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ [من أهل خشية الله، وليس التقدير: يخشون خشية مثل خشية الله، لأنَّ ﴿أَشَدَّ خَشْيَةً﴾^(١) معطوف عليه، ولا تقول: خشي فلان أشدَّ خشية، فتصب (خشية) وأنت تريد المصدر، وإنما تقول: أشدَّ خشية بالجر، وإذا نصبها كان (أشدَّ) حالاً من الفاعل.

﴿لَوْلَا أَخَّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ استمهال إلى وقت آخر، فأعلمهم سبحانه أنَّ ما يستمتع به من منافع ﴿الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾.

﴿وَلَا تُظْلَمُونَ فَيَلًا﴾ أي: لا تبخسون أدنى شيء من أجوركم على مشاق المقاتلة فلا ترغبوا عنها.

أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّسَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِيبَهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا (٧٨) مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا (٧٩)

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا﴾ من الأماكن يلحقكم ﴿الْمَوْتُ﴾ وإن ﴿كُنْتُمْ فِي﴾ قصور ﴿مُؤَيَّدَةٍ﴾ مجصصة أو مطولة في ارتفاع، وقيل: في بروج السماء^(٢).

والحسنة تقع على النعمة والطاعة، والسيئة تقع على البلية والمعصية، قال الله تعالى: ﴿وَبَلَّوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^(٣). المعنى: وإن تصبهم

(١) ساقطة من ج.

(٢) عن سفيان. الدر المنثور ج ٢: ١٨٤.

(٣) الأعراف: ١٦٨.

نعمة من خصب ورخاء نسبها إلى الله، وإن تصبهم بلية من جذب وقحط نسبها إليك، وقالوا: هي ﴿مِنْ عِنْدِكَ﴾ وبشؤمك كما حكى عن قوم موسى: ﴿وَأِنْ تُصِيبْهُمْ سَيْئَةٌ يَظْهَرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾^(١)، وعن قوم صالح: ﴿قَالُوا أَطِئْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ﴾^(٢).

وإنما قاله اليهود والمنافقون فردّ الله عليهم ﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ يبسط الأرزاق ويقبضها يبتلي بذلك عباده.

﴿قَالَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ فيعلموا أن الله هو الباسط والقباض، وأفعاله كلها صادرة عن حكمة وصواب.

ثم قال: ﴿مَا أَصَابَكَ﴾ يا إنسان خطاباً عاماً ﴿مِنْ حَسَنَةٍ﴾ من نعمة وإحسان ﴿فَإِنَّ اللَّهَ تَفَضَّلَ مِنْهُ وَامْتَنَانًا وَامْتِحَانًا﴾.

﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ﴾ أي: بلية ومصيبة ﴿فَإِنَّ نَفْسِكَ﴾ لأنك السبب فيها بما اكتسبت من الذنوب، ومثله: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾^(٣).

﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ﴾ جميعاً ﴿رَسُولًا﴾ لست برسول للعرب وحدهم.

﴿وَكُنِيَ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ على ذلك فما ينبغي لأحد أن يخرج عن طاعتك.

مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُوا طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَرُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ

(١) الأعراف: ١٣١.

(٢) التمل: ٤٧.

(٣) الشورى: ٣٠.

عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾

﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ لأنه إنَّها يأمر بها أمر الله به وينهى عما نهى الله عنه، فكانت طاعته في امتثال ما أمر به والانتفاء عما نهى عنه طاعة الله.

﴿وَمَنْ تَوَكَّلْ﴾ أي: أعرض ولم يطع ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ بل نذيراً، إن عليك إلا البلاغ، وما عليك أن تحفظ عليهم أعمالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم.

﴿وَيَقُولُونَ﴾ إذا أمرتهم بشيء: ﴿طَاعَةٌ﴾ أي: أمرنا وشأننا طاعة، كأنهم قالوا: قابلنا أمرك بالطاعة.

﴿فَإِذَا بَرَزُوا﴾ أي: خرجوا ﴿مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ﴾ [أي: دبر طائفة ﴿مَنْهُمْ﴾] (١) ليلاً.

﴿غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾ أي: خلاف ما قلت وأمرت به، أو خلاف ما قالت وما ضمنت من الطاعة، لأنهم نافقوا بها قالوا وأبطنوا خلاف ما أظهروا. والتبیت: إما من البيوتة لأنها تدبر الأمر بالليل، يقال: هذا أمر بيت بلیل، وإما من أبيات الشعر لأن الشاعر يدبرها ويسويها.

﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ﴾ أي: يثبت في صحائف أعمالهم، وهذا وعيد.

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ وأبق عليهم إلى أن يستقر أمر الإسلام.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ في شأنهم فإن الله ينتقم لك منهم.

أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا
كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا
بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ
يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ
الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾

التدبر: النظر في أدبار الأمور وتأملها، ثم استعمل في كل تأمل، ومعنى تدبر
القرآن: تأمل معانيه.

﴿لَوْجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ ﴿٨٢﴾ لكان الكثير منه مختلفاً متناقضاً متفاوتاً
نظمه ومعانيه، فكان بعضه معجزاً، وبعضه غير معجز يمكن معارضته، وبعضه
إخباراً لا يوافق المخبر عنه، فلما تناسب كله فصاحة فاقت قوى الفصحاء، وصحة
معان، وصدق أخبار، علم أنه ليس إلا من جهة الله تعالى.

﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ﴾ يعني: ناساً من المنافقين أو من ضعفة المسلمين، كانوا
إذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله من أمن وسلامة أو خوف وضرر ﴿أَذَاعُوا بِهِ﴾،
وكانت إذاعتهم مفسدة. وقيل: كانوا إذا وقفوا من رسول الله ﷺ وأولي الأمر على
أمن، أي: وثوق بالظفر على الأعداء أو خوف منهم أذاعوه^(١).

﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ﴾ يعني: رسول الله ﷺ.

﴿وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ قيل: هم أهل العلم والفقهاء الملازمون للنبي ﷺ^(٢).

(١) التبيان ج ٣: ٢٧٢.

(٢) عن قتادة وغيره. تفسير الطبري ج ٥: ١١٥.

وقيل: هم أمراء السرايا والولاة^(١)، وقال الباقر عليه السلام: ((هم الأئمة المعصومون))^(٢).
﴿لَعَلَّمُهُ﴾ أي: لعلم صحته ﴿الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ من الرسول وأولي الأمر، ولعرفوا هل هو مما يذاع أو لا يذاع.

ومعنى ﴿يَسْتَنْبِطُونَهُ﴾: يتلقونه منهم ويستخرجون علمه من جبهتهم، وعلى هذا فالذين يستنبطونه هم الذين أذاعوا به، وقيل: معناه لعلم الذين يستنبطون تدبيره كيف يدبرونه.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ بإرسال الرسول وإنزال الكتاب. وعنهم عليهم السلام: ((فضل الله ورحمته: النبي وعلي عليهما السلام))^(٣).

﴿لَا تَتَّبِعْتُمُ الشَّيْطَانَ﴾ فيما يلقي إليكم من الوسواس الموجهة لضعف اليقين والبصيرة، ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ منكم وهم أهل البصائر النافذة وذوو الصدق واليقين.

فَقَلِيلٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى
اللَّهُ أَنْ يَكْفِيَ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ
تَنْكِيلًا ﴿٨٤﴾ مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا
وَمَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ

شَيْءٍ مُّقْبِلًا ﴿٨٥﴾

لما تقدّم في الآي قبلها تثبيطهم عن القتال، قال: ﴿فَقَلِيلٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾
إن أفردوك وتركوك وحدك ﴿لَا تُكَلَّفُ﴾ غير ﴿نَفْسِكَ﴾ وحدها أن تقدّمها إلى
الجهاد، فإن الله سبحانه هو ناصرك لا جنودك، فإن شاء نصرك وحدك كما ينصرك

(١) عن ابن زيد. تفسير الطبري ج ٥: ١١٥.

(٢) تفسير العياشي ج ١: ٢٦٠.

(٣) تفسير العياشي ج ١: ٢٦١.

وحولك الجنود. وروي: إن أبا سفيان يوم أحد لما رجع واعد رسول الله ﷺ موسم بدر الصغرى فكره الناس وتناقلوا حين بلغ الميعاد فتزلت، فخرج النبي ﷺ وما معه إلا سبعون، ولو لم يتبعه أحد لخرج وحده^(١).

﴿وَحَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وما عليك في شأنهم إلا التحريض.

﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفَّ بِأَسْ أَلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وهم قريش، وقد كف بأسهم بأن بدا لأبي سفيان وقال: هذا عام مجذب، وانصرف النبي ﷺ بمن معه سالمين. ﴿وَاللَّهُ أَشَدُّ بِأَسًا﴾ من قريش ﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ تعذيباً.

الشفاعة الحسنة هي التي يدفع بها شر عن مسلم وابتغي بها وجه الله، والسيئة ما كان خلاف ذلك، وقيل: الشفاعة الحسنة: الدعوة للمسلم^(٢)، لأنها في معنى الشفاعة إلى الله. وفي الحديث: ((من دعا لأخيه المسلم بظهر الغيب أستجيب له، وقال له الملك: ولك مثله))^(٣) فذلك النصيب، والدعوة على المسلم بضد ذلك. وأصل الشفاعة من الشفع الذي هو ضد الوتر، فإن الرجل إذا شفع لصاحبه فقد شفعه أي: صار ثانيه. والكفل: النصيب أيضاً وكأنه النصيب من الشر. والمقيت: الحفيظ الذي يعطي الشيء على قدر الحاجة، وقيل: هو المقتدر^(٤).

وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِنَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَ بَيْنَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾

(١) الكشف والبيان ج ٣: ٣٥٢.

(٢) عن الجبائي. التبيان ج ٣: ٢٧٦.

(٣) الكافي ج ٢: ٥٠٧، صحيح ابن حبان ج ٣: ٢٦٨.

(٤) عن السدي وغيره. تفسير الطبري ج ٥: ١١٨.

أمر سبحانه برّد السلام على المسلم ﴿يَا حَسَنَ﴾ مما سلّم وهو أن يقول: وعليكم السلام ورحمة الله إذا قال: السلام عليكم، وأن يزيد (وبركاته) إذا قال: السلام عليكم ورحمة الله.

﴿أَوْ رُدُّوْهَا﴾ أو أجيبوها بمثلها، وردّ السلام: رجع جوابه بمثله. وجواب التسليم واجب، والتخير إنّما وقع بين الزيادة وتركها، وعن النبي ﷺ: ((إذا سلّم عليكم أهل الكتاب فقولوا: وعليكم))^(١) أي: وعليكم ما قلتم، لأنهم كانوا يقولون: السام عليكم، والسام: الموت.

والحسب: المحاسب الحفيظ.

و﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ إما خبر المبتدأ، وإما اعتراض، والخبر ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ [ومعناه: والله ليجمعنكم]^(٢) أي: ليحشرنكم.

﴿إِلَى يَوْمِ الْفَيْصَةِ﴾ وهو يوم قيامهم من القبور أو قيامهم للحساب. ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ أي: موعداً لا خلف لوعده.

فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يَهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وِلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾

﴿فِتْنَيْنِ﴾ نصب على الحال تقول: مالك قائماً، أي: ما ﴿لَكُمْ﴾ اختلفتم ﴿فِي﴾ شأن ﴿الْمُنَافِقِينَ﴾ أو تفرقتم فيه فرقتين ﴿وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾ من

(١) صحيح البخاري ج ٤: ٩١، وانظر الكافي ج ٢: ٦٤٩.

(٢) ساقطة من ط.

لحقوقهم بالمشركون. وهم قوم قدموا من مكة وأظهروا الإسلام، ثم رجعوا إلى مكة فأظهروا الشرك، ثم سافروا إلى اليمامة، فاختلف المسلمون في غزوهم فقال بعضهم: إنهم مسلمون.

والإركاس: الرد، أي: أركسهم في الكفر، بأن خذلهم حتى ارتكسوا فيه لما علم من مرض قلوبهم.

﴿أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا﴾ أي: تجعلوا من جملة المهتدين من جعله الله من جملة الضلال وحكم عليه بذلك، أو خذله حتى ضل.

وقوله: ﴿تَكُونُونَ﴾ عطف على ﴿تَكْفُرُونَ﴾، والمعنى: ﴿وَدُّوا﴾ كفركم فكونكم معهم شرعاً سواء فيما هم عليه من الضلال، فلا تتولوهم وإن آمنوا.

﴿حَتَّى يَهْجُرُوا﴾ هجرة صحيحة هي لله لا لغرض من أغراض الدنيا.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن الإيمان المصاحب للهجرة المستقيمة، فحكمهم حكم سائر المشركين أن يقتلوا حيث وجدوا في أرض الله من الحل والحرم.

﴿وَلَا تَنَحِّدُوا مِنْهُمْ﴾ خليلاً ولا ناصراً، وإن بذلوا لكم الولاية والنصرة فلا تقبلوا منهم.

إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ
صُدُورُهُمْ أَنْ يَقْتُلُوكُمْ أَوْ يُقْبِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ
عَلَيْكُمْ فَلَقَتْلُوكُمْ فَإِنْ أَعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقْبِلُوكُمْ وَالْقَوَا إِلَيْكُمْ أَلْسَلَمْ
فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿١٠﴾

هو استثناء من قوله: ﴿فَخَذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ﴾.

ومعنى ﴿يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ﴾: ينتمون إليهم ويتصلون بهم بحلف أو جوار.

﴿يَبْتَغِيكُمْ وَيَبْتَغِيكُمْ مِيثَاقُ﴾ أي: موادة وعهد. وهؤلاء القوم هم المسلمون وادعهم رسول الله وقت خروجه إلى مكة وواثق عنهم هلال بن عويمر الأسلمي^(١) على أن لا يعين رسول الله ولا يعين عليه، وعلى أن من وصل إلى هلال ولجأ إليه فله من الجوار مثل الذي لهلال.

و﴿جَاءَكُمْ﴾ يجوز أن يكون معطوفاً على صفة ﴿قَوْمٍ﴾ كأنه قيل: إلا الذين يصلون إلى قوم معاهدين، أو قوم ممسكين عن القتال لا لكم ولا عليكم، أو على صلة ﴿الَّذِينَ﴾ كأنه قيل: إلا الذين يصلون إلى المعاهدين أو الذين لا يقاتلونكم. ﴿حَصَرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ [في موضع الحال بإضمار (قد)، ويدل عليه قراءة من قرأ: حَصَرَةٌ صدورهم]^(٢)، وقيل: هو صفة لموصوف محذوف أي: جاؤوكم قوماً حصرت صدورهم. وقيل: هو بيان لجاؤوكم، وهم بنو مدلج جاؤوا رسول الله ﷺ غير مقاتلين^(٣). والحصر: الضيق والانقباض.

﴿أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ﴾ عن أن يقاتلوكم، أو كراهة أن يقاتلوكم. ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ﴾ هذا إخبار عن المقدور، وليس فيه أنه يفعل ذلك أو يأذن لهم فيه، بل قذف سبحانه الرعب في قلوبهم حتى طلبوا المودة، ولولم يقذفه لكانوا مسلطين أي: مقاتلين غير كافين. ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا عَنْكُمْ﴾ فإن لم يتعرضوا لكم.

﴿وَأَلْفُوا إِلَيْكُمْ أَلْسِنَهُمْ﴾ أي: الاستسلام والانقياد. ﴿فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ أي: فما أذن لكم في أخذهم وقتلهم.

(١) الكشف والبيان ج ٣: ٣٥٧.

(٢) ساقطة من ج.

(٣) عن ابن عباس الكشف والبيان ج ٣: ٣٥٧.

سَتَجِدُونَ ءَآخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلٌّ مَا رَدُّوا
إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ وَيَكْفُوا
أَيْدِيَهُمْ فَحُدُّوهُمْ وَأَقْلُبُوهُمْ حَيْثُ تَفْقَهُوهُمْ وَأُولَئِكَ
جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١١﴾

هم قوم من بني أسد وغطفان كانوا إذا أتوا المدينة أسلموا وعاهدوا ليامنوا
المسلمين، فإذا رجعوا إلى قومهم نكثوا عهدهم وكفروا.

﴿كُلٌّ مَا رَدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ﴾ أي: كلما دعاهم قومهم إلى قتال المسلمين قلبوا
﴿فِيهَا﴾ أقبح قلب، وكانوا شرّاً فيها من كل عدو.

﴿فَإِن لَّمْ﴾ يعزّل هؤلاء قتالكم ولم يستسلموا لكم ولم يكفوا ﴿أَيْدِيَهُمْ﴾
عن قتالكم فأسروهم ﴿وَأَقْلُبُوهُمْ حَيْثُ تَفْقَهُوهُمْ﴾ أي: حيث تمكّنتم منهم.

﴿سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ أي: حجة واضحة لظهور عداوتهم وكفرهم وإضرارهم
بأهل الإسلام، وقيل: تسلطاً ظاهراً حيث أذنّا لكم في قتلهم وأسروهم^(١).

وَمَا كَانَتْ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا
خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَن
يَصَّدَّقُوا فَإِن كَانَتْ مِن قَوْمٍ عَدُوٌّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ
رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَتْ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم
مِيقَةٌ فِدْيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ
فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُّتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ
وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٢﴾

﴿وَمَا﴾ صح ﴿لِلْمُؤْمِنِ﴾ ولا استقام له وما لاق بحاله، كقوله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَقُولَ﴾^(١)، ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا﴾^(٢).

﴿أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا﴾ ابتداء غير قصاص.

﴿إِلَّا خَطَا﴾ إلا على وجه الخطأ، وانتصب ﴿خَطَا﴾ على أنه مفعول له، أي: ما ينبغي له أن يقتله لعله من العلل إلا للخطأ وحده، ويجوز أن يكون حالاً بمعنى: لا يقتله في حال من الأحوال إلا في حال الخطأ؛ أو صفة للمصدر أي: إلا قتلاً خطأ. والمعنى: إن من شأن المؤمن أن ينتفي عنه وجود قتل المؤمن ابتداءً البتة، إلا إذا وجد منه خطأ من غير قصد بأن يرمي شخصاً على أنه كافر فيكون مسلماً أو نحو ذلك.

﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ أي: فعلية تحرير رقبة، والتحرير: الإعتاق، والحر: الكريم، والعقيق كذلك لأن الكرم في الأحرار، ومنه: عتاق الطير، وعتاق الخيل لكرامتهما، وحر الوجه: أكرم موضع منه، والرقبة عبارة عن النسمة.

﴿وَدِيَّةٌ مُسْلَمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ﴾ أي: مؤداة إلى ورثته يقتسمونها كما يقتسمون الميراث، والدية على عاقلة القاتل ﴿إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا﴾ أي: يتصدق أولياء المقتول بالدية ومعناه: العفو، وفي الحديث: ((كل معروف صدقة))^(٣).

﴿فَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ﴾ أي: قوم كفار محاربين لكم ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ يعني: أن يكون آمن بالنبي ﷺ وهو بين ظهرائي قومه لم يفارقهم بعد، فعلى قاتله الكفارة إذا قتله خطأ، وليس على عاقلته لأهله شيء لأنهم كفار.

(١) آل عمران: ١٦١.

(٢) الأعراف: ٨٩.

(٣) الكافي ج ٤: ٢٦، صحيح البخاري ج ٤: ٥٤.

﴿وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ أي: عهد وذمة وليسوا أهل حرب ﴿فَدِيَةٌ مُسْلَمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ﴾ تلزم عاقلة قاتله ﴿وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ تلزم قاتله.

﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾ رقة أي: لم يملكها فعليه صيام ﴿شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ﴾ قبولاً من الله، من تاب الله عليه أي: شرع ذلك توبة منه. وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿١٣﴾

في هذه الآية من التهديد والوعيد أمر عظيم وخطب جسيم، ولذلك قال بعض أصحابنا: إِنْ قَاتَلَ الْمُؤْمِنُ لَا يَوْفِقُ لِلتَّوْبَةِ^(١)، على معنى أَنَّهُ لَا يُخْتَارُ التَّوْبَةُ. وعن الصادق عليه السلام: ((إِنْ مَعْنَى التَّعَمُّدِ: أَنْ يَقْتُلَهُ عَلَى دِينِهِ))^(٢)، وعن عكرمة وجاعة: (هُوَ أَنْ يَقْتُلَهُ مُسْتَحِلًّا لِقَتْلِهِ)^(٣).

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمْ أَسْلَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٤﴾

وقرئ: فتنَّبَّوْا، وهما جميعاً من التفعل بمعنى الاستفعال، أي: اطلبوا بيان الأمر وثباته، ولا تعجلوا في القتل من غير روية.

(١) التبيان ج ٣: ٢٩٥.

(٢) تفسير العياشي ج ١: ٢٦٧.

(٣) التبيان ج ٣: ٢٩٥.

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن أَلْفَقَ إِلَيْكُمْ أَسَلَّمَ﴾ أي: حياكم بتحية أهل الإسلام، ومن قرأ: السلم، فهو الاستسلام، وقيل: الإسلام، وقرئ: لست مؤمناً. بفتح الميم. من آمنه، أي: لا تقولوا له: لا تؤمنك.

﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾ أي: تطلبون الغنيمة التي هي حطام الدنيا، وهو الذي يدعوكم إلى ترك التثبت وقلة البحث عن حال من تقتلون.

﴿فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ يغنمكموها تغنيكم عن قتل رجل يظهر الإسلام لتأخذوا ماله.

﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِن قَبْلُ﴾ أول ما دخلتم في الإسلام، سُمعت من أفواهكم كلمة الشهادة، فحصنت دماءكم وأموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطأة قلوبكم لألستكم.

﴿فَمَرَبَّ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالاستقامة والاشتهار بالإيمان.

﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ تكرير للأمر بالتبين ليؤكد عليهم.

لَا يَسْتَوِ الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا

رَحِيمًا ﴿٩٦﴾

قرئ: ﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ بالرفع صفة لـ ﴿الْقَاعِدُونَ﴾، وبالنصب استثناء منهم أو حالاً عنهم.

والضرر: المرض أو العاهة من عمى أو عرج أو زمانة أو نحوها، عن ابن

عباس: (لا يستوي القاعدون عن بدر والخارجون إليها)^(١)، وعن مقاتل^(٢): (عن تبوك)^(٣).

﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ جملة موضحة لما نفي من استواء القاعدين والمجاهدين، كآته قيل: ما لهم لا يستوون؟ فأجيب بذلك، والمعنى على القاعدين غير أولي الضرر، لكون الجملة بياناً للجملة الأولى المتضمنة لهذا الوصف.

﴿وَكُلًّا﴾ أي: وكل فريق من المجاهدين والقاعدين.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْحُسَيْنَ﴾ أي: المثوبة الحسنى وهي الجنة، وإن كان المجاهدون مفضلين ﴿عَلَى الْقَتْلَيْنِ دَرَجَةً﴾. وعن النبي ﷺ: ((لقد خلفتم بالمدينة أقواماً ما سرتهم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم))^(٤)، وهم الذين صحت نياتهم، ونصحت جيوبهم، وهوت أفئدتهم إلى الجهاد، وقد منعهم من المسير ضرر أو غيره. ذكر سبحانه المفضلين ﴿دَرَجَةً﴾ ثم ذكر المفضلين ﴿دَرَجَتَيْنِ﴾، والأولون هم الذين فضلوا على القاعدين الأضرء، والآخرون هم الذين [فضلوا على القاعدين الذين]^(٥) أذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم، لأن الجهاد فرض على الكفاية.

(١) تفسير الطبري ج ٥: ١٤٥.

(٢) مقاتل بن سليمان الخراساني مولى الأزد أصله من بلخ ثم انتقل الى البصرة وبها مات. ينظر: المجروحين من المحدثين ج ٣: ١٤، معجم رجال الحديث ج ١٩: ٣٣٧.

(٣) الكشف ج ١: ٥٥٣.

(٤) صحيح البخاري ج ٣: ٩٠.

(٥) ساقطة من أ.

و﴿دَرَجَةً﴾ انتصبت لوقوعها موقع المرة، كأنه قال: فضلهم تفضيلة، نحو ضربه سوطاً بمعنى: ضربة.

وانتصب ﴿أَجْرًا﴾ بـ﴿فَضَّلَ﴾ أيضاً، لأنه في معنى أجرهم أجراً. و﴿دَرَجَتٍ﴾ و﴿مَغْفِرَةً﴾ و﴿رَحْمَةً﴾ بدل من ﴿أَجْرًا﴾.

إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾

﴿تَوَفَّيْنَاهُمْ﴾ يجوز أن يكون ماضياً كقراءة من قرأ: توفئهم، [ويجوز أن يكون] (١) مضارعاً بمعنى تتوفاهم، وقرئ في الشواذ: تُوفاهم فيكون مضارعاً وفيت.

والمعنى: إن الله يوفي الملائكة أنفسهم فيتوفونها، أي: يمكنهم من استيفائها فيستوفونها.

﴿ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ في حال ظلمهم أنفسهم.

﴿قَالُوا﴾ أي: قال الملائكة للمتوفين: ﴿فِيمَ كُنْتُمْ﴾ أي: في أي شيء كنتم من أمر دينكم؟.

﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ وهم جماعة أسلموا بمكة ولم يهاجروا حين كانت الهجرة فريضة، فلما خرج المشركون إلى بدر لم يخلّفوا أحداً إلا صبيّاً [أو

مريضاً^(١) أو شيخاً كبيراً، فخرج هؤلاء معهم فلما نظروا إلى قلة المسلمين ارتابوا، فأصيبوا فيمن أصيب من المشركين، فنزلت الآية^(٢).

وصح قولهم: ﴿كُنَّا مُسْتَضَعِفِينَ﴾ جواباً عن ﴿فِيمَ كُنْتُمْ﴾، لأنه كالتوبيخ لهم بأنهم لم يكونوا في شيء من الدين حيث قدروا على المهاجرة ولم يهاجروا، فاعتذروا مما وبخوا به بالاستضعاف وأنهم لم يتمكنوا من الهجرة، فبكتهم الملائكة بأن قالوا: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا﴾ أي: كنتم قادرين على الخروج من مكة إلى بعض البلاد التي لا تمنعون فيها من إظهار دينكم. وهذا يدل على أن الإنسان إذا كان في بلد لا يتمكن فيه من إقامة أمر الدين لبعض العوائق، وعلم أنه في غير بلده أقوم بحق الله وجبت عليه المهاجرة. وفي الحديث: ((من فرّ بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبراً من الأرض استوجب الجنة، وكان رفيق إبراهيم ومحمد ﷺ))^(٣).

ثم استثنى من أهل الوعيد ﴿الْمُسْتَضَعِفِينَ﴾ الذين ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾ في الخروج، لفقرهم وعجزهم وقلة معرفتهم بالطرق.

وقوله: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾ صفة للمستضعفين أو للرجال والنساء والولدان، وجاز ذلك وإن كانت الجملة يجب كونها نكرات، لأن الموصوف وإن كان فيه حرف التعريف فليس لشيء بعينه، كقول الشاعر:

وَلَقَدْ أُمِرُّ عَلَى اللَّيْمِ يَسْتُثْنِي^(٤)

(١) ساقطة من ط.

(٢) أسباب النزول: ١٢٢.

(٣) الكشف والبيان ج ٣: ٣٧٢.

(٤) البيت لرجل من بني سلول. الكتاب ج ٣: ٢٤، وبقيته: فمضيت ثمت قلت لا يعنيني.

وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ
مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى
اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٠﴾

﴿مُرَغَمًا﴾ أي: مهاجراً وطريقاً يراغم بسلكه قومه، أي: يفارقهم على رغم
أنوفهم، والرغم: الذل والهوان، وأصله لصوق الأنف بالرغام، وهو التراب، قال
النابغة الجعدي:

كَطُودٍ يُلَادُ بِأَرْكَانِهِ عَزِيزِ الْمَرَاعِمِ وَالْمَهْرَبِ^(١)

﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ فقد وجب ثوابه على الله، وأصل الوجوب
السقوط، كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾^(٢) يعني فقد علم الله كيف يثيبه،
وذلك واجب عليه.

وكل هجرة لغرض ديني من طلب علم، أو حج، أو فرار إلى بلد يزداد فيه
طاعة، أو زهداً في الدنيا؛ فهي هجرة إلى الله ورسوله.

وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِذَا
خِفْتُمْ أَنْ يَقْبَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَكْفَرْتُمْ كَانُوا كُفْرًا عَدُوًّا مُبِينًا ﴿١٠١﴾

الضرب في الأرض هو السفر، أي: إذا سافرتم ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ﴾ حرج وإثم
في ﴿أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ﴾ عدد ﴿الصَّلَاةِ﴾ فتصلّوا الرباعيات ركعتين ركعتين.
والقصر ثابت بنص الكتاب في حال الخوف خاصة، وهو قوله: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ﴾

(١) ديوان النابغة الجعدي: ٤٤، وفي النسخ: المضطرب بدل المهرب.

(٢) الحج: ٣٦.

يَقِينَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴿٦﴾، أما في حال الأمن فبنص النبي ﷺ^(١)، وهو عزيمة واجبة غير رخصة عند أبي حنيفة^(٢)، وهو مذهب أهل البيت ﷺ^(٣)، وعند الشافعي رخصة^(٤).
وإنما قال: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ في الواجب لثلا يخطر ببالهم أنّ عليهم نقصاناً في القصر، فهو مثل قوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾^(٥). والمراد بالفتنة في الآية: القتال والتعرض بها يكره، فإنهم كانوا يخافون الكفار في عامة أسفارهم.

وحّد السفر الذي فيه القصر عند أبي حنيفة مسيرة ثلاثة أيام لباليهن سير الإبل^(٦)، وعند الشافعي مسيرة يومين^(٧)، وعند أهل البيت ﷺ مسيرة يوم واحد، وهي ثمانية فراسخ أربعة وعشرون ميلاً^(٨). وأجمعت الطائفة على أنّه ليس بقصر، بل فرضت الصلاة ركعتين ركعتين في السفر وأربعاً أربعاً في الحضر^(٩).

وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَنْفُتُمْ طَائِفَةً
مِّنْهُمْ مَّعَكَ وَلِيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن

(١) رجال الكشي ج ١: ١٦٧، التمهيد ١٦: ٢٩٦.

(٢) المبسوط للسرخسي ج ١: ٢٣٩.

(٣) ينظر: الوسائل ج ٥ باب ١ من ابواب صلاة المسافر.

(٤) كتاب الأم ج ١: ١٥٩.

(٥) البقرة: ١٥٨.

(٦) المبسوط للسرخسي ج ٢: ١٠٧.

(٧) كتاب الأم ج ١: ١٦٢.

(٨) من لا يحضره الفقيه ج ١: ٢٧٩.

(٩) التبيان ج ٣: ٣٠٧.

وَرَأَيْكُمْ وَلَتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ
وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ
عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا
جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضَىٰ
أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ
عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٠٢﴾

﴿فِيهِمْ﴾ الضمير للخائفين.

﴿فَلَنُفِئَنَّ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ مَّعَكَ﴾ فاجعلهم طائفتين، فلتقم إحدى الطائفتين

معك فصل بهم.

﴿وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ﴾ الضمير للمصلين يأخذون من السلاح ما لا

يشغلهم عن الصلاة، كالسيف يتقلدونه والخنجر يشدونه إلى دروعهم ونحوهما.

﴿فَإِذَا سَجَدُوا﴾ وفرغوا من سجودهم.

﴿فَلْيَكُونُوا مِن رَّأْيِكُمْ﴾ أي: فليصيروا بعد فراغهم من السجود

مصافين للعدو.

وعندنا: إتهم يصلون الركعة الأخرى ويتشهدون ويسلمون، وينصرفون

إلى مواقف أصحابهم، والإمام قائم في الثانية، ويحيي الآخرون فيستفتحون

الصلاة ويصلي بهم الإمام الركعة الثانية، ويطلق التشهد حتى يقوموا فيصلوا

بقية صلاتهم ثم يسلم بهم^(١)، وذلك قوله: ﴿وَلَتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا

فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ﴾.

﴿وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ جعل الحذر وهو التحرز كأنه آلة يستعملها الغازي، فلذلك جمع بينه وبين الأسلحة في الأخذ، كما جعل الإيمان مستقراً ومتبوعاً لتمكّنهم فيه في قوله: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾^(١).
 ﴿وَدَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: تمّنوا ﴿لَوْ تَقَفُّوا عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ﴾ تستغلون عن أخذها في القتال.

﴿فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ﴾ فيشدّون عليكم شدة واحدة.

ثم رخص لهم في وضع الأسلحة إن ثقل عليهم حملها إذا نالهم ﴿أَذَى مِنْ مَطَرٍ أَوْ﴾ مرض، وأمرهم مع ذلك بأخذ الحذر لئلا يغفلوا فيحمل عليهم العدو.
 ﴿إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ هذا إخبار بأنّه سبحانه يهين عدوهم ليقوي قلوبهم.

فَإِذَا قُضِيَتْهُمُ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ فِيمَا وَفَعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴿١٢﴾ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقُوَىٰ
 إِنْ تَكُونُوا تَأْلُمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلُمُونَ كَمَا تَأْلُمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٣﴾

﴿فَإِذَا﴾ صليتم في حال الخوف والقتال ﴿فَادْكُرُوا اللَّهَ﴾ فصلّوا ﴿فِيمَا﴾ مسافين ﴿وَفَعُودًا﴾ جاثين على الركب مرامين ﴿وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ مشخين بالجراح.
 ﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ﴾ حين تضع الحرب أوزارها واستقررتهم وأمتهم ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ فأنموا حدود الصلاة.

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ أي: محدوداً بأوقات لا يجوز إخراجها عن أوقاتها في حال خوف كنتم أو أمن.

وقيل: معناه: فإذا قضيت صلاة الخوف فأدوموا ذكر الله مكبرين ومهللين داعين بالنصرة والتأييد في كافة أحوالكم من قيام وقعود واضطجاع، فإذا اطمأنتم فإذا أقمتهم فأتموا الصلاة.

﴿وَلَا تَهِنُوا﴾ ولا تضعفوا في طلب الكفار، ثم ألزمهم الحجة بأن قال: ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ﴾ فإن ذلك أمر مشترك بينكم وبينهم يصيبهم كما يصيبكم، ثم إنهم يصبرون عليه ويتشجعون، فما لكم لا تصبرون مثل صبرهم مع أنكم أولى منهم بالصبر! لأنكم ﴿تَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ من الظفر بهم في الدنيا والثواب الجزيل في الآخرة.

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ لا يأمركم ولا ينهاكم إلا بما يعلم أن فيه صلاحكم.

إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرْنَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا (١٠٥) وَاسْتَغْفِرِ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (١٠٦) وَلَا تَجِدُ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَفُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا (١٠٧) يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا (١٠٨) هَآئِنْتُمْ هَآؤُلَاءِ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجِدِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا (١٠٩)

يروى: إن أبا طعمة بن أبيرق سرق درعاً من جارية له اسمه قتادة بن النعمان (١)

(١) قتادة بن النعمان بن زيد الأنصاري الظفري، عقي شهد بدرًا والمشاهد كلها، توفي سنة ٢٣ هـ وقيل للـ

وخبأها عند رجل من اليهود، فأخذ الدرع من منزل اليهودي، فقال: دفعها إلي أبو طعمة، فجاء بنو أبيرق إلى رسول الله فكلّموه أن يجادل عن صاحبهم، وقالوا: إن لم تفعل هلك واقتضح وبرئ اليهودي. فهم رسول الله أن يفعل وأن يعاقب اليهودي، فترلت^(١).

﴿يَمَّا آتَاكَ اللَّهُ﴾ أي: بما عرفك الله وأوحى إليك.

﴿وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ أي: لأجل الخائنين مخاصماً للبراء.

﴿وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾ مما هممت به من عقاب اليهودي.

﴿يَحْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ يخونونها بالمعصية، [جعلت معصية]^(٢) العصاة خيانة

منهم لأنفسهم، كما جعلت ظلماً لها لأن الضرر راجع إليهم، ونحوه: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾^(٣).

﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ﴾ أي: يستترون من الناس حياء منهم وخوفاً من

ضررهم ﴿وَلَا﴾ يستترون ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ ولا يستحيون منه ﴿وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ عالم بأحوالهم.

﴿إِذْ يُبَيِّنُونَ﴾ يدبرون ويزورون بالليل ﴿مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾.

﴿هَآئِنْتَ هَؤُلَاءِ﴾: ﴿هَآ﴾ للتنبيه في ﴿أَنْتَ﴾ و﴿أُولَآءِ﴾ وهما مبتدأ

وخبر، و﴿جَدَّ لَتَمَّ﴾ جملة مبيّنة لوقوع ﴿أُولَآءِ﴾ خبراً، كما تقول للرجل السخي:

أنت حاتم تجود بمالك. والمعنى: هبوا أنكم خاصمتم عن بني أبيرق ﴿فِي﴾ الدنيا

٢٤٤ هـ. ينظر: الاستيعاب ج ٣: ٢٤٨.

(١) أسباب النزول: ١٢٤.

(٢) ساقطة من ج.

(٣) البقرة: ١٨٧.

﴿فَمَنْ﴾ يخاصم ﴿عَنْهُمْ﴾ في الآخرة إذا عذبهم الله.

﴿وَكَيْلًا﴾ أي: حافظاً من بأس الله ونقمته.

وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ
عَفُورًا رَحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ
وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ
يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدْ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ
اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا
يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ
عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ
فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾

﴿سُوءًا﴾ أي: قبيحاً متعدياً يسوء به غيره، كما فعل أبو طعمة بقتادة
واليهودي ﴿أَوْ يَظْلِمُ نَفْسَهُ﴾ بما يختص به، وقيل: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا﴾ أي: ذنباً
دون الشرك ﴿أَوْ يَظْلِمُ نَفْسَهُ﴾ بالشرك. وفيه: إن كل ذنب وإن عظم فإنه غير
مانع من المغفرة إذا استغفر منه.

﴿فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ أي: لا يتعدى ضرره إلى غيره.

﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً﴾ أي: ذنباً على غير عمد.

﴿أَوْ إِثْمًا﴾ أي: ذنباً تعمده.

﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا﴾ كما رمى به أبو طعمة غيره.

﴿فَقَدْ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ لأنه بكسب الإثم آثم، وبرمي البريء به

باهت، فهو جامع بين الأمرين.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ﴾ أي: عصمته والطفاه وإطلاعه إياك على سرهم.

﴿لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ﴾ عن القضاء بالحق وسلوك طريق العدل ﴿وَمَا يُضِلُّوكَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ﴾ لأن وبالهم عليهم.

﴿وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ﴾ فإن الله حافظك وناصرك ومؤيدك.

﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾ القرآن والسنة.

﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾ من خفيات الأمور، أو من أمور الدين وأحكام الشرع.

لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ
أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ
اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن
بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ
وَتُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ
بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ
ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ﴾ تناجي الناس ﴿إِلَّا﴾ نجوى ﴿مَنْ أَمَرَ﴾، على
أنه مجرور بدل من ﴿كَثِيرٍ﴾، كما تقول: لا خير في قيامهم إلا قيام فلان، ويجوز
أن يكون منصوباً على الاستثناء المنقطع أي: لكن ﴿مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾ ففي نجواه
الخير. وقيل: المعروف: القرض^(١)، وقيل: هو عام في كل جميل^(٢). والإصلاح بين

(١) عن مقاتل بن حيان. الدر المنثور ج ٢: ٢٢٠.

(٢) معالم التنزيل ج ١: ٢٥٥.

الناس: التأليف بينهم بالمودة. وعن أمير المؤمنين عليه السلام: ((إِنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْكُمْ زَكَاةَ جَاهِكُمْ كَمَا فَرَضَ عَلَيْكُمْ زَكَاةَ مَا مَلَكَتْ أَيْدِيكُمْ))^(١).

﴿وَرَبِّعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وهو السبيل الذي هم عليه من الدين الحنيفي.

﴿تَوَلَّاهُ مَا تَوَلَّى﴾ نجعله والياً لما تولى من الضلال، بأن نخذله ونخلي بينه

وبين ما اختاره.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ تكرير للتأكيد، وقيل: كرر لقصة أبي

طعمة^(٢).

إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنْتَا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا
مَرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَا تُخَذِّنْ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا
مَفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَا أَضِلَّنَّهُمْ وَلَا تُنِيتَنَّهُمْ وَلَا مَرْنَهُمْ فَلْيُبْتَكُنْ
مَاذَاكَ الْأَنْفَعُ وَلَا مَرْنَهُمْ فَلْيَغْيِرْكَ خَلْقُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ
الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا
مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا
﴿١٢٠﴾ أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَخْرُجُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾

﴿إِلَّا إِنْتَا﴾ هي اللات والعزى ومناة. وعن الحسن: (لم يكن حيٍّ من أحياء

العرب إلا ولهم صنم يعبدونه يسمونه أنثى بني فلان)^(٣)، وقيل: كانوا يقولون في أصنامهم: هن بنات الله، وقيل: المراد الملائكة لقولهم: الملائكة بنات الله^(٤).

(١) تفسير القمي ج ١: ١٤١.

(٢) التبيان ج ٣: ٣٢٩.

(٣) تفسير الطبري ج ٥: ١٧٩.

(٤) عن الضحاك. تفسير الطبري ج ٥: ١٧٩.

﴿وَإِنْ يَدْعُونَ﴾ أي: وما يدعون بعبادة الأصنام ﴿إِلَّا شَيْطَانًا﴾ لأنه الذي أغراه بعبادتها فأطاعوه، فجعل طاعتهم له عبادة.

وقوله: ﴿لَعْنَةُ اللَّهِ﴾، ﴿وَقَالَ لَا تَخْذَنْ﴾ صفتان، يعني: ﴿شَيْطَانًا مَّرِيدًا﴾ جامعاً بين لعنة الله وهذا القول الشنيع.

﴿تَصِيبًا مَّقْرُوضًا﴾ مقطوعاً واجباً فرضته لنفسه، وهو من قولهم: فرض له في العطاء.

﴿وَلَا تُؤْمِنُنَّهُمْ﴾ الأماي الكاذبة من طول العمر وبلوغ الأمل.

وتبتيكهم ﴿ءَاذَاتُ الْأُنْتَمِرِ﴾ هو ما فعلوه بالبحائر، كانوا يشقون أذنهم إذا ولدت خمسة أبطن والخامس ذكر.

وتغيرهم ﴿خَلَقَ اللَّهُ﴾ هو فقؤهم عين الحامي^(١) وإعفاؤه من الركوب، وقيل: هو الخصاء^(٢)، وقيل: فطرة الله التي هي دين الإسلام وأمره^(٣)، وقيل للحسن: (إنّ عكرمة يقول: هو الخصاء، فقال: كذب عكرمة، هو دين الله)^(٤)، وعن ابن مسعود: (هو الوشم)^(٥).

﴿يَعِدُّهُمْ﴾ الفقر إن أنفقوا مالهم.

﴿وَيُؤْمِنُنَّهُمْ﴾ طول البقاء في الدنيا ودوام نعيمها ليؤثروها على الآخرة.

(١) الحامي: الفحل من الإبل الذي طال مكثه عندهم. (الصحاح: مادة حم)

(٢) عن عكرمة وغيره. تفسير الطبري ج ٥: ١٨١.

(٣) عن الضحاك. تفسير الطبري ج ٥: ١٨٢.

(٤) ينظر: تفسير الطبري ج ٥: ١٨٢.

(٥) تفسير الطبري ج ٥: ١٨٣.

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ
تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ
أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ
الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ، وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ
اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ
ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا
يُظْلَمُونَ نَبْذًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ
وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا
﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ
شَيْءٍ مُخِيطًا ﴿١٢٦﴾

﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ مصدران مؤكدان: الأول مؤكد لنفسه، التقدير: وعد الله ذلك وعداً، والثاني مؤكد لغيره، التقدير: أحقّه حقاً. ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ تأكيد آخر بليغ، و﴿قِيلًا﴾ نصب على التمييز.

وفي ﴿لَيْسَ﴾ ضمير ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ أي: ليس ينال ما وعد الله من الثواب ﴿بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ والخطاب للمسلمين، وعن الحسن: (ليس الإيمان بالتمني، ولكن ما وفر في القلب وصدقه العمل)^(١). وقيل: إن الخطاب للمشركين^(٢) قالوا: إن كان الأمر على ما يزعم هؤلاء لنكونن خيراً منهم

(١) الدر المنثور ج ٢: ٢٢٦.

(٢) عن مجاهد. تفسير الطبري ج ٥: ١٨٦.

وأحسن حالاً: ﴿لَاؤْتَيْنَ مَالًا وَلَوْلَا﴾^(١)، ﴿إِنَّ لِي عِنْدَهُ لِلْحُسْنَى﴾^(٢)، وقال أهل الكتاب: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾^(٣).

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾ (من) للتبويض، أي: ومن يعمل بعض الصالحات، و(من) في قوله: ﴿مَنْ ذَكَرَ أَوْ أَنْتَى﴾ لتبيين الإيهام في ﴿مَنْ يَعْمَلْ﴾. ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ أي: ولا يبخسون مقدار نقير مما يستحقونه من الثواب.

و﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ﴾ أي: أخلص نفسه ﴿لِلَّهِ﴾ وجعلها سالمة له لا يعرف لها رباً ومعبوداً سواه.

﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ أي: فاعل للفعل الحسن، أو هو محسن في جميع أفعاله، وفي الحديث: ((الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك))^(٤).
﴿حَنِيفًا﴾ حال من المتبع.

﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ عبارة عن اصطفائه واختصاصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله. والخليل: الذي يخالك، أي: يوافقك في خلالك أو يسايرك في طريقك، من الخل وهو الطريق في الرمل، أو يسدّ خللك كما تسدّ خلله. وهي جملة اعتراضية لا محلّ لها من الإعراب، وفائدتها تأكيد وجوب اتباع ملته.
﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ متصل بذكر الصالحين والطالحين، أي: إنّ من له ملك أهل السماوات والأرض فطاعته واجبة عليهم.

(١) مريم: ٧٧.

(٢) فصلت: ٥٠.

(٣) المائدة: ١٨.

(٤) صحيح البخاري ج ١: ١٩.

﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ فيعلم أعمالهم ويمجازيهم عليها.

وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتِمَّى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُوْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَرَغِبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضَعِفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَمَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾

﴿وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ في محل الرفع على العطف، أي: ﴿اللَّهُ يُفْتِيكُمْ﴾، والمتلو ﴿فِي الْكِتَابِ﴾ في معنى ﴿يَتِمَّى النِّسَاءِ﴾ يعني قوله: ﴿وَأِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ﴾^(١) وهو نحو قولك: أعجبنى زيد وكرمه، فيكون ﴿فِي يَتِمَّى النِّسَاءِ﴾ من صلة ﴿يُتْلَىٰ﴾. ويجوز أن يكون ﴿فِي يَتِمَّى النِّسَاءِ﴾ بدلاً من ﴿فِيهِنَّ﴾، وهذه الإضافة أعني ﴿يَتِمَّى النِّسَاءِ﴾ بمعنى: (من) نحو ثوب خز، وسحق عمامة.

﴿الَّتِي لَا تُوْتُونَهُنَّ﴾ أي: لا تعطينهن.

﴿مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾ أي: ما فرض لهن من الميراث، وكان الرجل منهم يضم اليتيمة وما لها إلى نفسه، فإن كانت جميلة تزوجه وأكل المال، وإن كانت دمية عضلها عن التزوج حتى تموت فيرتها.

﴿وَرَغِبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾ يحتمل الوجهين، أي: ترغبون في أن تنكحوهن لجمالهن وما لهن، أو ترغبون عن أن تنكحوهن لدمامتهن.

وقوله: ﴿وَالْمُسْتَضَعِفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ﴾ مجرور معطوف على ﴿يَتِمَّى﴾ النِّسَاءِ. وكانوا في الجاهلية إنما يورثون الرجال الذين يقومون بالأمر دون

الأطفال والنساء.

والمعنى: يفتيكم في يتامى النساء وفي المستضعفين من الصبيان بأن تعطوهم حقوقهم، وفي ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ﴾ أي: بالعدل في أنفسهم وموارثهم، وتعطوا كل ذي حق منهم حقه، صغيراً كان أو كبيراً، ذكراً كان أو أنثى.

﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ من عدل أو برّ يعلمه الله ولا يضيع عنده أجره.

وَإِنْ أَمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾

﴿خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا﴾ أي: توقعت منه ذلك، وهو أن يمنعها نفسه ومودته ونفقتها ويؤذيها بسب أو ضرب.

﴿أَوْ إِعْرَاضًا﴾ بأن يعرض عنها ويقلّ مجالستها ومؤانستها.

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ﴾ يتصالحا، أي: يصطلحا ﴿بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ بأن تترك المرأة له يومها، أو تضع عنه بعض ما يجب لها من نفقة تستعطفه بذلك، أو تهب له بعض المهر.

﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ من الفرقة، أو من النشوز والإعراض وسوء العشرة، أو الصلح خير من الخصومة في كل شيء. وهذه الجملة اعتراض.

وكذا قوله: ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾ أي: جعل الشح حاضراً لها لا يغيب عنها أبداً إذ هي مطبوعة عليه. والغرض: إنّ المرأة لا تسمح بقسمتها، والرجل لا يسمح بأن يمسكها إذا أحب غيرها ولم يحبّها.

﴿وَإِنْ تُحْسِنُوا﴾ بالإقامة على نسائكم وإن كرهتموهن، وتصبروا على

ذلك ﴿وَتَتَّقُوا﴾ النشوز والإعراض وما يؤدي إلى الأذى والخصومة ﴿فَاتُ﴾
 اللَّهُ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿وهو يشيكم عليه.

وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا
 تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا
 وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِنْ يَنْفَرَقَا يُغْنِ
 اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾

ومحال أن ﴿تَسْتَطِيعُوا﴾ العدل ﴿بَيْنَ النِّسَاءِ﴾ والتسوية حتى لا يقع
 ميل البتة في المحبة والمودة بالقلب ﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ على ذلك، وعن النبي ﷺ:
 ((أنه كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول: هذه قسمتي فيما أملك فلا تؤاخذي فيما
 تملك ولا أملك))^(١) يعني المحبة. وقيل: إن العدل بينهما صعب، وهو أن يسوي
 بينهما في القسمة والنفقة والتعهد والنظر والمؤانسة وغير ذلك مما لا يحصى، فهو
 كالخارج عن حد الاستطاعة، هذا إذا كن محبوبات كلهن، فكيف إذا مال القلب
 مع بعضهن!

﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ﴾ فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور،
 فتمنعوها قسمتها من غير رضی منها.

﴿فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ وهي التي ليست بذات بعل ولا مطلقة، ويروى:
 إن علياً عليه السلام كان له امرأتان، فكان إذا كان يوم واحدة لا يتوضأ في بيت الأخرى^(٢).
 ﴿وَإِنْ تُصْلِحُوا﴾ في القسمة والتسوية بين الأزواج ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الله في
 أمرهن.

(١) سنن الترمذي ج ٢: ٣٠٤، التبيان ج ٣: ٣٤٩ باختلاف يسير.

(٢) التبيان ج ٣: ٣٥٠.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا﴾ يغفر لكم ما مضى منكم من الحيف في ذلك، ويرحمكم بترك المؤاخذه عليه.

﴿وَإِنْ يَفْرَقَا﴾ وإن يفارق كل واحد منهما صاحبه.

﴿يُعْزِزُ اللَّهُ كُلًّا﴾ أي: يرزقه الله زوجاً خيراً من زوجه وعيشاً أهنأ من عيشه. والسعة: الغنى والمقدرة، والواسع: الغني المقتدر.

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ
مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا
فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾

تعلق قوله: ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ بـ ﴿وَصَّيْنَا﴾ أو بـ ﴿أُوتُوا﴾، و﴿إِيَّاكُمْ﴾ عطف على ﴿الَّذِينَ أُوتُوا﴾، و﴿الْكِتَابَ﴾ اسم للجنس يتناول الكتب السماوية.

﴿أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي: بأن اتقوا الله. والمعنى: ووصيناكم ووصيناكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا﴾ [فإن الله] ^(١). والمعنى: إن الله الخلق كله وهو خالقهم والمنعم عليهم بصنوف النعم، فاستديموا نعمه باتقاء معاصيه، ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من الأمم السالفة ووصيناكم أن اتقوا الله، يعني: إنها وصية قديمة ما زال يوصي الله بها عباده، لأنَّ بالتقوى تنال النجاة والسعادة.

﴿وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ﴾ في سماواته وأرضه من يوحده ويعبده.

﴿وَكَانَ اللَّهُ﴾ مع ذلك ﴿غَنِيًّا﴾ عن خلقه وعن عبادتهم جميعاً.

﴿حَمِيدًا﴾ مستحقاً لأن يحمد لكثرة نعمه.

وكرر قوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ تقريراً لما هو موجب تقواه ليتقوه ويطيعوه ولا يعصوه.

إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِخَآخِرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾

﴿إِنْ يَشَأْ﴾ الله يفنكم ويعدمكم كما أوجدكم.

﴿وَيَأْتِ بِخَآخِرِينَ﴾ ويوجد خلقاً آخرين غيركم أو إنشاء آخرين مكانكم.

﴿وَكَانَ اللَّهُ﴾ على الإعدام والإيجاد ﴿قَدِيرًا﴾ لا يمتنع عليه شيء أرادته، وقيل:

هو خطاب لمن كان يعادي رسول الله من العرب^(١)، يعني: إن يشأ يمتكم ويأت بناس آخرين يوالون رسول الله ﷺ، وروي: أنها لما نزلت ضرب رسول الله ﷺ بيده على ظهر سلمان^(٢) وقال: ((إنهم قوم هذا))^(٣) يعني: أبناء فارس.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ﴾ بجهاده ﴿ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ يعني: الغنيمة.

﴿فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ فماله يطلب أحدهما دون الآخر، والذي

يطلبه أحسهما، لأن الغنيمة في جنب ثواب الآخرة كلاشيء.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتُوبًا قَوْمِينَ بِأَلْقُسُطِ شَهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ

(١) التبيان ج ٣: ٣٥٢.

(٢) أبو عبد الله سلمان الفارسي، الصحابي الجليل المشهور، كان أول مشاهده الخندق وهو الذي أشار بحفره، ولم يفته بعد ذلك مشهد مع النبي ﷺ، توفي في آخر زمن عثمان، وقيل في آخر زمن عمر. ينظر: الاستيعاب ج ٢: ٥٦، معجم رجال الحديث ج ٨: ١٨٧.

(٣) تفسير الطبري ج ٥: ٢٠٥.

أُولَٰئِكَ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَىَٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَّوْا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ
اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٧٥﴾

﴿قَوِّمِينَ بِالْقِسْطِ﴾ مجتهدين في إقامة العدل حتى لا تجوروا.

﴿شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾ تقيمون شهادتكم لوجه الله كما أمركم بإقامتها ﴿وَلَوْ﴾
كانت الشهادة ﴿عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾ وهي الإقرار، لأنه في معنى الشهادة عليها ﴿أَوْ
الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ أو على آبائكم وأقاربكم.

﴿إِنْ يَكُنْ﴾ المشهود عليه ﴿غَنِيًّا﴾ فلا تمتنعوا من الشهادة عليه لغناه
﴿أَوْ فَقِيرًا﴾ فلا تمتنعوا منها ترحمًا عليه ﴿فَاللَّهُ أُولَٰئِكَ بِهِمَا﴾ بالغني والفقير، أي:
بالنظر إليهما وإرادة مصلحتهما، ولولا أنَّ الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها.

﴿فَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَىَٰ﴾ كراهة ﴿أَنْ تَعْدِلُوا﴾ بين الناس، أو إرادة أن تعدلوا
عن الحق.

﴿وَإِنْ تَلَّوْا﴾ أَلستكم عن شهادة الحق أو حكومة العدل ﴿أَوْ تُعْرِضُوا﴾
عن الشهادة بما عندكم وتمنعوها. وقرئ: وإن تَلَّوْا بمعنى: وإن وليتم إقامة الشهادة
أو أعرضتم عن إقامتها.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ﴾ بأعمالكم وبمجازاتكم عليها ﴿خَبِيرًا﴾.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي
نَزَلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ
بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ
ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ
كَفَرُوا ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا

﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ
الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِئِنَّهُمْ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةُ
فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾

هو خطاب للمسلمين.

﴿ءَامِنُوا﴾ أي: اثبتوا على الإيمان ودوموا عليه، [﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ
عَلَى رَسُولِهِ﴾ هو القرآن] ^(١).

﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ مِنْ قَبْلُ﴾ المراد به جنس الكتب المنزلة على
الأنبياء. وقرئ: (نزل) و(أنزل) على البناء للفاعل.

وقيل: الخطاب لأهل الكتاب ^(٢) لأنهم آمنوا ببعض الكتب والرسل وكفروا
ببعض، أي: ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ محمد والقرآن وبكل كتاب أنزل قبله.
وقيل: هو خطاب للمنافقين ^(٣) يريد: يا أيها الذين آمنوا نفاقاً آمنوا إخلاصاً. وإنما
قيل: نزل - بالتشديد - للقرآن، لأنه نزل مفرقاً منجماً في نيف وعشرين سنة بخلاف
الكتب قبله.

﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ... الآية﴾ أي: ومن يكفر بشيء من ذلك ﴿فَقَدْ ضَلَّ﴾ لأن
الكفر بالبعض كفر بالكل، ألا ترى كيف قدم الإيمان بالجميع.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾ هم اليهود آمنوا بالتوراة وبموسى ثم كفروا
بها بكفرهم بمحمد ﷺ ﴿ثُمَّ ءَامَنُوا﴾ بعبسى والإنجيل يعني: النصارى ﴿ثُمَّ

(١) ساقطة من أ، ب، ط.

(٢) عن الضحاك وغيره. الدر المنثور ج ٢: ٢٣٤.

(٣) عن مجاهد. معالم التنزيل ج ١: ٢٦٠.

كُفِّرُوا ﴿﴾ بهما بكفرهم بمحمد ﷺ ﴿ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا﴾ بكفرهم بالقرآن.

وقيل: هم طائفة من أهل الكتاب أرادوا تشكيك المسلمين بإظهار الإيمان به، ثم بإظهار الكفر به كما تقدّم ذكرهم عند قوله: ﴿آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^(١)، وقيل: هم المنافقون أظهروا الإيمان بمحمد ﷺ ثم الكفر به ثم الإيمان به ثم الكفر به ثم ازدادوا كفراً بإصرارهم على الكفر حتى ماتوا عليه^(٢)، وعن ابن عباس: (دخل في هذه الآية كل منافق كان في عهد النبي ﷺ)^(٣).

﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ يَغْفِرْ لَكُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ نفي للغفران والهداية التي هي اللطف، واللام للمبالغة في النفي.

﴿بَشِيرِ الْمُتَّقِينَ﴾ وضع ﴿بَشِيرِ﴾ مكان (أخبر) تهكماً بهم.

﴿الَّذِينَ يَخْذُونَ﴾ نصب على الذم، أو رفع بمعنى: أريد الذين، أو هم الذين. وكانوا يوالون الكفرة ويأيلونهم يطلبون ﴿عِنْدَهُمُ الْعِزَّةُ﴾ والغلبة باتخاذهم إياهم ﴿أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ﴾ والغلبة ﴿لِلَّهِ﴾ ولأوليائه يعزّ من يشاء، والله العزّة ولرسوله وللمؤمنين.

وَقَدْ نَزَلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُتَّقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١١﴾

(١) آل عمران: ٧٢.

(٢) عن مجاهد. تفسير الطبري ج ٥: ٢١٠.

(٣) الكشف والبيان ج ٣: ٤٠٢.

﴿أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ﴾ هي ﴿أَنْ﴾ المخففة من الثقيلة، والمعنى: أنه إذا سمعتم، و ﴿أَنْ﴾ مع ما في حيزها في موضع الرفع بـ ﴿نَزَّلَ﴾، أو في موضع النصب بـ (نزل) فيمن قرأ به. والمراد به ما نزل عليهم بمكة من قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾^(١)، وذلك أن المشركين كانوا يخوضون في ذكر القرآن فيستهزئون به، فنهى المسلمون عن القعود ﴿مَعَهُمْ﴾، وكان اليهود في المدينة يفعلون مثل فعلهم فنهوا أن يجلسوا معهم، وكان المنافقون يجالسونهم فقبل لهم: ﴿لَكُمْ إِذَا مَثَلُهُمْ﴾.

والضمير في قوله: ﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ﴾ يرجع إلى من دلّ عليه قوله: ﴿يَكْفُرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا﴾، كأنه قال: فلا تقعدوا مع الكافرين بها والمستهزئين بها. وفي هذا دلالة على تحريم مجالسة الفساق وأهل البدع من أي جنس كانوا.

الَّذِينَ يَرْبِضُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعُكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن يَجْدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾

﴿الَّذِينَ يَرْبِضُونَ﴾ بدل من ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ﴾، أو صفة لـ ﴿الْمُنَافِقِينَ﴾، أو نصب على الذم. ومعناه: ينتظرون بكم ما يتجدد لكم من فتح أو إخفاق.

﴿قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ فأسهموا لنا في الغنيمة.

﴿وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ﴾ أي: ألم نغلبكم ونتمكّن من قتلكم فأبقينا عليكم ﴿وَنَمْنَعُكُمْ مِنْ﴾ المسلمين بأن تبطنناهم عنكم، وتوانينا في مظاهرتهم عليكم، وأطلعناكم على أسرارهم، وأفضينا إليكم بأخبارهم، فاعرفوا لنا هذا الحق. وسمّى ظفر المسلمين فتحاً وظفر الكافرين نصيباً، تعظيماً لشأن المسلمين وتحقيراً لحظ الكافرين.

﴿قَالَ اللَّهُ يَخِشُّكُمْ بَيْنَكُمْ﴾ وبين المنافقين أيها المؤمنون ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ بالحق فيدخلكم الجنة ويدخلهم النار.

﴿إِنَّ الْمُتَفِفِينَ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ﴾ أي: يفعلون فعل المخادع من إظهار الإيمان وإبطان الكفر.

﴿وَهُوَ خَدِيعُهُمْ﴾ من خادعته فخدعته، أي: فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع، حيث عصم دماءهم وأموالهم في الدنيا، وأعدّ لهم الدرك الأسفل من النار في الآخرة.

﴿قَامُوا كَسَالَى﴾ أي: متثاقلين لاعن رغبة.

﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ﴾ يقصدون بصلاتهم الرياء والسمعة.

﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ﴾ أي: لا يصلّون ﴿إِلَّا قَلِيلاً﴾ لأنهم لا يصلّون قط غائبين عن عيون الناس، وما يجاهرون به قليل. أو لا يذكرون الله بالتسبيح والتحميد إلا ذكراً قليلاً في النذرة.

والمرأة: مفاعلة من الرؤية، فكأن المرائي يري الناس عمله وهم يرونه استحسانه، ويجوز أن يكون بمعنى التفعيل كما قيل: نعمة وناعمة، وقد قرئ في الشواذ: يراؤن مثل يرعون أي: يبصرونهم أعمالهم.

﴿مُذَبِّينَ﴾ إما حال عن واو ﴿رَاءُونَ﴾ نحو قوله: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ﴾ أي: يراؤون الناس غير ذاكرين مذبيين، أو منصوب على الذم يعني: ذبذبه الشيطان ﴿يَنَ﴾ الكفر والإيمان فهم مترددون بينهما متحيرون. وحقيقة المذبذب: الذي يذب عن كلا الجانبين، أي: يذاد ويدفع فلا يقر في حال واحدة كما قيل: فلان يرمى به الرجوان^(١). وقراءة ابن عباس: مذبيين - بكسر الدال - معناه: يذبذبون قلوبهم أو دينهم أو رأيهم.

و﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى الكفر والإيمان.

﴿لَا﴾ منسوين ﴿إِلَى هَؤُلَاءِ﴾ فيكونوا مؤمنين ﴿وَلَا﴾ منسوين ﴿إِلَى هَؤُلَاءِ﴾ فيكونوا كافرين.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ
أُرِيدُونَ أَنْ يُجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي
الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ
تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ
الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾

أي: لا تتشبهوا بالمنافقين في اتخاذهم الكافرين أولياء.

﴿أُرِيدُونَ أَنْ يُجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ حجة بينة، يعني: إن موالاة الكافرين
بيّنة على النفاق.

﴿الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ﴾ الطبقة الذي في قعر جهنم، والنار سبع دركات. وقرئ
بسكون الراء.

(١) أي طرح في المهالك، والرجوان: حافتا البشر. الصحاح: مادة (رجا)

﴿وَأَصْلَحُوا﴾ نيتهم ﴿وَأَعْتَصَمُوا بِاللَّهِ﴾ وثقوا به كما يثق المؤمنون المخلصون.

﴿وَأَخْلَصُوا دِيْنَهُمْ لِلَّهِ﴾ أي: لا يبتغون بطاعتهم إلا وجه الله.
 ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: فهم أصحاب المؤمنين ورفقاؤهم في الدارين.
 ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ فيشاركونهم فيه. وسوف كلمة ترقية وإطعام، وهي من الله سبحانه وإيجاب، لأنه سبحانه أكرم الأكرمين ووعد الكريم إنجاز.

مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١١٧﴾ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١١٨﴾ إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١١٩﴾

﴿مَا﴾ يصنع ﴿اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ﴾ أيتشفى به من الغيظ، أم يستجلب به نفعاً، أو يستدفع به ضرراً؟! لا بل هو الغني الذي لا يجوز عليه شيء من ذلك، فإن قمتم بشكر نعمته ﴿وَأَمَنْتُمْ﴾ به فقد أبعدتم عن أنفسكم استحقاق العذاب.
 ﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ يشكر القليل من أعمالكم، ويعلم ما تستحقونه من الجزاء.

﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾ إلا جهر من ظلم، استثنى من الجهر الذي لا يحبه الله جهر المظلوم، وهو أن يدعو على الظالم ويذكره بما فيه من السوء، وقيل: هو أن يُبدأ بالشتيمة فيرد على الشاتم ينتصر منه^(١).

ثم حثَّ سبحانه على العفو، وأن لا يجهر أحد لأحد بسوء وإن كان على وجه الانتصار، حثاً على الأحب إليه والأفضل عنده. وذكر إبداء الخير وإخفاءه تسيباً للعفو، ثم عطف العفو عليهما تنبيهاً على لطف منزلته عند الله، ويدل على ما ذكرنا قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ أي: يعفو مع قدرته على الانتقام، فعليكم أن تقتدوا بسنة الله.

إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا
بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ
وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ
الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا
بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ
أُجُورُهُمْ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا رَحِيمًا ﴿١٥٢﴾

جعل ﴿الَّذِينَ﴾ آمنوا بالله وكفروا برسله، أو آمنوا بالله وكفروا ببعض رسله؛ كافرين بالله وبرسله جميعاً.

ومعنى اتخاذهم ﴿بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ أي: طريقاً وسطاً، ولا واسطة بين الكفر والإيمان، ولذلك قال: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ أي: هم الكاملون في الكفر، و﴿حَقًّا﴾ تأكيد لمضمون الجملة أو صفة لمصدر الكافرين، أي: كفراً حقاً لاشك فيه.

وجاز دخول ﴿بَيْنَ﴾ على ﴿أَحَدٍ﴾، لأنه عام في الواحد المذكور والمؤنث وتثنيتهما وجمعهما، تقول: ما رأيت أحداً فتقصد العموم، والمعنى: ولم يفرقوا بين اثنين منهم أو بين جماعة.

﴿سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورُهُمْ﴾ معناه: إن ذلك كائن لا محالة وإن تأخر،

والغرض تأكيد الوعد لا كونه متأخراً.

يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنِزَلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَعَآئِنَا مُوسَى سُلْطَنَا مُبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾

روي: أن كعب بن الأشرف وجماعة من اليهود قالوا لرسول الله ﷺ: إن كنت نبياً فأنتا بكتاب من السماء جملة كما أتى موسى بالتوراة جملة فنزلت^(١). وقيل: سألو كتاباً يعاينونه حين ينزل، وإنما اقترحوا ذلك على سبيل التعنت^(٢)، قال الحسن: (لو سألوهم لكي يتبينوا الحق لأعطاهم وفيما آتاهم كفاية)^(٣).

﴿فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى﴾ جواب لشروط مقدّر، معناه: إن استكبرت ما سألوهم منك فقد سألو موسى ﴿أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ﴾، وإنما أسند السؤال إليهم وإن وجد من آبائهم لكونهم راضين بسؤالهم.

﴿جَهْرَةً﴾ عياناً. والمعنى: ﴿أَرِنَا اللَّهَ﴾ نره ﴿جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ بسبب ﴿ظُلْمِهِمْ﴾ وهو سؤالهم الرؤية.

﴿وَعَآئِنَا مُوسَى سُلْطَنَا مُبِينًا﴾ أي: تسلطاً واستيلاءً ظاهراً عليهم حين أمرهم بأن يقتلوا أنفسهم حتى يتاب عليهم فأطاعوه.

(١) أسباب النزول: ١٢٨.

(٢) عن الجبائي. التبيان ج ٣: ٣٧٦.

(٣) الكشف ج ١: ٥٨٤.

﴿بِمِثْقِهِمْ﴾ بسبب ميثاقهم ليخافوا فلا ينقضوا.

﴿وَقُلْنَا لَهُمْ﴾ والطور فوقهم: ﴿أَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾، و﴿لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ﴾ وأخذنا منهم الميثاق على ذلك والعهد، ثم نقضوه من بعد. وقرئ: لَا تَعْدُوا. بتشديد الدال وسكون العين. والأصل: لَا تَعْتَدُوا فأدغم التاء في الدال وجمع بين الساكنين كما جمع في نحو: أصيم ودوية.

فِيمَا نَقَضَهُمْ مِثْقَهُمْ وَكَفَرَهُمْ بَيَّاتَ اللَّهُ وَقَلِيلُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكَفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِمَّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ابْتِغَاءَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾

أي: فبنقضهم، و﴿مَا﴾ مزيدة للتوكيد، والباء يتعلق بمحذوف. والمعنى: فيما نقضهم وكفرهم وقتلهم وقولهم، فعلنا بهم ما فعلنا. ويجوز أن يتعلق بقوله: ﴿حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ﴾ فيما بعد، على أن قوله: ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ بدل من قوله: ﴿فِيمَا نَقَضَهُمْ﴾.

﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ أي: في أكنة لا يصل إليها شيء من الموعدة والذكر، فرد الله عليهم بقوله: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ أي: خذها الله ومنعها الألفاظ بسبب كفرهم فصارت كالمطبوع عليها.

﴿وَبِكَفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا﴾ يجوز أن يكون عطفًا على ما يليه من قوله: ﴿بِكَفْرِهِمْ﴾. والوجه أن يعطف على ﴿فِيمَا نَقَضَهُمْ﴾، ويكون

قوله: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيَا يَكْفُرِهِمْ﴾ كلاماً تابعاً لقوله: ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ على وجه الاستطراد. والبهتان العظيم هو التزنية.

وروي: أَنَّ جماعة من اليهود سَبَّوا عيسى عليه السلام وسَبَّوا أمه فقال: ((اللهم أنت ربِّي وبكلمتك خلقتني، اللهم العن من سبَّني وسبَّ والدتي)) فمسح الله من سبِّها قردة وخنازير. فاجتمعت اليهود على قتله، فأخبره الله بأنَّه يرفعه إلى السماء ويظهره من صحبة اليهود، وقال لأصحابه: أيكم يرضى أن يلقي عليه شبيهي فيقتل ويصلب فيكون معي في درجتي؟ فقال له شاب منهم: يا نبي الله أنا، فألقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وهم يظنون أنَّه عيسى^(١).

﴿وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ أسند ﴿شُبِّهَ﴾ إلى الجار والمجرور، كقولك: خيَل إليه، كأنَّه قال: ولكن وقع لهم التشبيه، أو أسند إلى ضمير المقتول الذي يدلُّ عليه قوله: ﴿إِنَّا قَتَلْنَا﴾ كأنَّه قيل: ولكن شُبِّهَ لهم من قتلوه.

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أَخْلَفُوا فِيهِ﴾ في عيسى أنَّه قتل أو لم يقتل، وقيل: اختلفوا في أنَّه إله أو ابن إله.

﴿لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ﴾ بعيسى ﴿مَنْ عِلْمٍ إِلَّا ابْنَاءَ الظَّنِّ﴾ استثناء منقطع، لأنَّ اتباع الظن ليس من جنس العلم، أي: ولكنهم يتبعون الظن.

﴿وَمَا قَتَلُوهُ﴾ قتلاً ﴿يَقِينًا﴾، أو ما قتلوه متيقنين كما ادَّعوا ذلك في قولهم: ﴿إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ﴾، وقيل: هو من قولهم: قتل الشيء علماً.

وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٨﴾ فَيُظَاهَرُ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَبِئَتْ

أَجَلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾

﴿لِيُؤْمِنَ بِهِ﴾ جملة قسمية وقعت صفة لمحدوف، والتقدير: ﴿وإن من أهل الكتاب أحد﴾ (١) ﴿إلا ليؤمنن به﴾، ونحوه: ﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾ (٢)، ﴿وإن منكم إلا واردوها﴾ (٣). والمعنى: وما من اليهود أحد إلا ليؤمنن ﴿قبل موته﴾ بعبسى وبأنه عبد الله ورسوله، حين لا ينفعه إيمانه لانقطاع وقت التكليف، وقيل: الضمير ان لعبسى (٣)، أي: وإن منهم أحد إلا ليؤمنن بعبسى قبل موت عبسى، وهم أهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله، فإنه ينزل من السماء في آخر الزمان، فلا يبقى أهل ملة إلا يؤمنون به، ويصلي خلف المهدي من آل محمد وتقع الأمانة حتى ترع الذناب مع الغنم والأسود مع البقر. وقيل: الضمير في ﴿به﴾ يرجع إلى الله تعالى، وقيل: يرجع إلى محمد ﷺ (٤).

وروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام: ((حرام على روح امرئ أن تفارق جسدها حتى ترى محمداً وعلياً بحيث تقرّ عينها أو تسخن)) (٥).

﴿فِيُظَلِّمُونَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ أي: فبأي ظلم عظيم! والمعنى: ما ﴿حرمنا

(١) الصفات: ١٦٤.

(٢) مريم: ٧١.

(٣) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج ٦: ١٤.

(٤) عن عكرمة. تفسير الطبري ج ٦: ١٦.

(٥) أمالي الشيخ الطوسي ج ٢: ٢٤١، و(تسخن) عكس (قرت)، يقال: أسخن الله عينه أي أبكاه. الصحاح مادة: سخن.

عَلَيْهِمْ ﴿ الطَّيِّبَاتِ إِلَّا لَظْلَمَ عَظِيمَ ارْتِكَبُوهُ، وَهُوَ مَا عَدَّدَ لَهُم مِنَ الْكُفْرِ وَالْكَبَائِرِ الْمَوْبِقَةِ. وَالطَّيِّبَاتِ الَّتِي حَرَّمَ عَلَيْهِمْ عِقَابُهُ عَلَى ظَلَمِهِمْ مَا ذَكَرَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ... الْآيَةُ﴾^(١)، كَلِمًا أَذْنَبُوا ذَنْبًا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ بَعْضُ الطَّيِّبَاتِ.

﴿وَبَصَدَّ هُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ أي: ناساً كثيراً، أو صداداً كثيراً.

﴿بِالْبَطْلِ﴾ بالرشوة التي كانوا يأخذونها من عوامهم في تحريف الكتاب.

لَنَكُنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٢﴾

﴿الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ الثابتون فيه المتقنون له، وهم من آمن من اليهود كعبد

الله بن سلام وأضرابه من علماء اليهود.

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ من المهاجرين والأنصار.

﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ نصب على المدح لبيان فضل الصلاة، وقيل: هو

عطف على ﴿بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ أي: يؤمنون بالكتاب وبالمقيمين الصلاة وهم الأنبياء.

إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿١١٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١١٤﴾ رُسُلًا

مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ
وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾

هذا جواب لأهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله ﷺ أن ينزل عليهم كتاباً من السماء، واحتجاج عليهم بأن إرساله كإرسال من تقدمه من الأنبياء، وأن المعجزات قد ظهرت على يده كما كانت تظهر على أيديهم. وقرئ: زُبوراً - بضم الزاي - جمع زبر وهو الكتاب.

ونصب ﴿رُسُلًا﴾ بمضمر في معنى ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ وهو أرسلنا. ﴿قَدْ قَضَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾ بمكة في الأنعام وغيرها، وعرفناك شأنهم وأخبارهم.

﴿وَرُسُلًا لَمْ نَقْضِصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ فيه دلالة على أن له سبحانه رسلاً لم يذكرهم في القرآن.

﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ بلا واسطة إبانة له بذلك.

﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ نصب على المدح، ويجوز أن يكون منصوباً على التكرير.

﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ لأن في إرسالهم إزاحة للعلة وإتماماً لإلزام الحجّة، لئلا يقول الناس: لولا أرسلت إلينا رسلاً يوصل إلى المحجّة، وينته على الحجّة، ويوقظ من سنة الغفلة.

لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ، يَعْلَمُهُ. وَالْمَلَكُ
يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

وَزَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَعْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿٣٨﴾ إِلَّا
طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٩﴾

لما سألوا أنزال الكتاب من السماء، واحتج سبحانه عليهم بقوله: ﴿إِنَّا
أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾، قال: ﴿لَيْكِنَ اللَّهُ يَشْهَدُ﴾ على معنى: أنهم لا يشهدون لكن الله
يشهد، وقيل: لما نزلت ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ قالوا: ما نشهد لك بهذا فنزل ﴿لَيْكِنَ
اللَّهُ يَشْهَدُ﴾^(١).

ومعنى شهادة الله ﴿بِمَا أُنْزِلَ﴾ إليه: إثباته لصحته بالمعجزات، كما تثبت
الدعاوى بالبينات؛ وشهادة الملائكة: شهادتهم بأنه حق وصدق.

ومعنى قوله: ﴿أَنْزَلُهُ بِعِلْمِهِ﴾ أنزله ملتبساً بعلمه الخاص الذي لا يعلمه
غيره، وهو تأليفه على أسلوب ونظم أعجز كل بليغ، وقيل: أنزله وهو عالم بأنك
أهل لإنزاله إليك ومبلغ له ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ وإن لم يشهد غيره.

﴿كَفَرُوا وَزَلَمُوا﴾ جمعوا بين الكفر والظلم، أو كان بعضهم كافرين
وبعضهم ظالمين.

﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾ لا يلفظ بهم فيسلكون الطريق الموصل إلى جهنم،
أو لا يهديهم يوم القيامة إلا طريقها.

يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرُّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَتَأْمِنُوا
خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ
عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ يَأْهَلُ الْكِتَابِ لَا تَقُولُوا فِي دِينِكُمْ
وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ

رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرِّمَ رُوحٍ مِنْهُ فَتَأْمُرُوا
 بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً ^{١٧١} أَنْتَهُمَا خَيْرٌ لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ
 وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي
 الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا

﴿فَتَأْمُرُوا خَيْرًا لَكُمْ﴾ ومثله: ﴿أَنْتَهُمَا خَيْرًا لَكُمْ﴾، انتصب بمضمر، وهو
 أنه لما دعاهم إلى الإيمان، وإلى الانتهاء عن التثليث، علم أنه يحملهم على أمر فقال:
 ﴿خَيْرًا لَكُمْ﴾ اقصدوا أو اتوا أمراً خيراً لكم مما أنتم فيه من الكفر والتثليث وهو
 الإيمان والتوحيد.

﴿لَا تَقُولُوا فِي دِينِكُمْ﴾ غلت اليهود في المسيح حتى قالت: ولد لغير
 رشدة، وغلت النصارى فيه حيث جعلوه إلهاً.

﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ وهو تنزيهه عن الشريك والولد.
 ﴿وَكَلِمَتُهُ﴾ قيل لعيسى: كلمة الله وكلمة منه، لأنه وجد بكلمته وأمره
 لا غير من غير واسطة أب ولا نطفة، وقيل له: روح الله وروح منه كذلك، لأنه
 ذو روح وجد من غير جزء من ذي روح، كالنطفة المنفصلة من الحي، وإنما أنشئ
 إنشاءً من عند الله خالصاً.

﴿أَلْقَاهَا إِلَى مَرِّمَ﴾ أوصلها إليها وحصلها فيها.
 ﴿ثَلَاثَةً﴾ خبر مبتدأ محذوف، فإن صح عنهم قولهم: هو جوهر واحد ثلاثة
 أقانيم فتقديره: الله ثلاثة، وإلا فتقديره: الآلهة ثلاثة.

﴿سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾ أي: أسبحه تسبيحاً من أن يكون له ولد.
 ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ بيان لتزهره مما نسب إليه. المعنى: إن كل

ما فيها خلقه وملكه، فكيف يكون بعض خلقه وملكه جزء منه!

﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ يكل الخلق إليه أمورهم، فهو الغني عنهم وهم الفقراء إليه.

لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ
الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفَ عَنْ عِبَادَتِهِ، وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ
إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٣﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ
أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ. وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا
فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَخْدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا
نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾

أي: ﴿لَنْ﴾ يأنف ﴿الْمَسِيحُ﴾ ولن يذهب بنفسه عزة، من نكفت الدمع:
إذا نحيت عن خدك بإصبعك، من ﴿أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾
يأنفون، وهو عطف على ﴿الْمَسِيحُ﴾ أي: ولا كل واحد من الملائكة يأنف من أن
يكون عبداً لله، أو ولا الملائكة المقربون يأنفون من أن يكونوا عباداً لله فحذف لدلالة
قوله: ﴿عَبْدًا لِلَّهِ﴾ عليه إيجازاً.

﴿وَمَنْ﴾ يأنف ﴿عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ ويترك الإذعان له.
﴿فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ﴾ أي: فسيحشر المستنكف والمستكبر والمقرّ بالعبودية
﴿جَمِيعًا﴾ إلى موضع الجزاء، فيجازيهم جميعاً على حسب أحوالهم.
والآية الأخرى ظاهرة المعنى.

يَتَأَيَّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا
﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَأَعْتَصَمُوا بِهِ، فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي

رَحْمَةً مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾

البرهان والنور المبين هو القرآن، أو أريد بالبرهان الدين الحق أو رسول الله، وبالنور المبين ما بيّنته من الكتاب المعجز.

﴿فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ﴾ أي: في ثواب مستحقّ وتفضل.

﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى﴾ يوفّقهم لإصابة فضله الذي يتفضل به على أوليائه، وسلوك طريق من أنعم عليه من أصفياه، واتباع دينهم وهو الصراط المستقيم الذي ارتضاه الله سبحانه منهجاً لعباده.

يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ أَمْرُؤُا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ إِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا
وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾

قالوا: إنه آخر ما نزل من أحكام الدين.

كان جابر بن عبد الله مريضاً فعاده رسول الله ﷺ، فقال: (يا رسول الله، إن لي كلاله فكيف أصنع في مالي؟) فتزلت^(١).

﴿إِنْ أَمْرُؤُا هَلَكَ﴾ مرفوع بفعل مضمّر يفسّره الظاهر، و﴿لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ﴾ جملة منصوبة الموضع على الحال، أي: هلك غير ذي ولد ﴿وَلَهُ أُخْتٌ﴾ يعني: الأخت للأب والأم، أو للأب.

﴿فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ﴾ يعني: إنها إذا كانت

(١) ينظر: أسباب النزول: ١٢٩.

الميتة فالأخ يرثها المال كله إذا كانت غير ذات ولد ولا والد، وشرط انتفاء الوالد بينه النبي ﷺ^(١) وفيه إجماع.

﴿فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ﴾ الأصل: فإن كان من يرث بالأخوة اثنتين ﴿فَلَهُمَا الثُّلَثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾.

﴿وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً﴾ وإن كان من يرث بالأخوة أخوة ذكوراً وإناثاً.
﴿فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ فالمراد بالأخوة: الأخوة والأخوات تغليباً
لحكم الذكور.

وإنما قيل: ﴿فَإِنْ كَانَتَا﴾ و﴿وَإِنْ كَانُوا﴾ كما قيل: (من كانت أمك)، فكما
أنت ضمير (من) لمكان تأنيث الخبر كذلك ثني وجمع ضمير من يرث في ﴿كَانَتَا﴾
و﴿كَانُوا﴾ لمكان ثنية الخبر وجمعه.

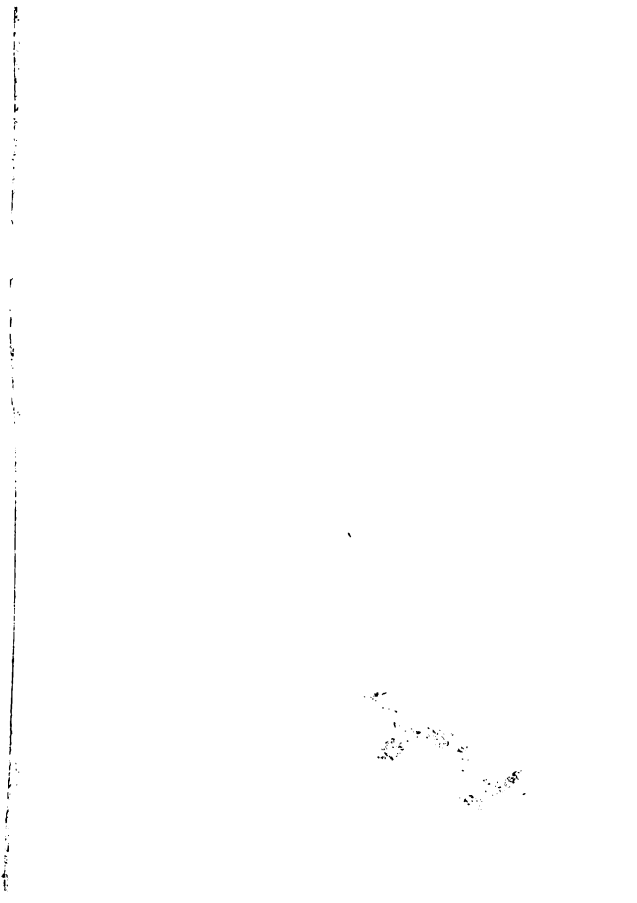
و﴿أَنْ تَضَلُّوا﴾ مفعول له، ومعناه: كراهة أن تضلوا، أي: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ
لَكُمْ﴾ جميع أحكام دينكم لثلاث تضلوا.

﴿وَاللَّهُ يَكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ من أمور معاشكم ومعادكم فيجزئكم بها على ما
تقتضيه المصلحة وتوجه الحكمة.

(١) المستدرک علی الصحیحین ج ٤: ٣٣٦، تهذیب الأحکام ج ٩: ٣١٩.

فهرس المحتويات





فهرس المحتويات

٥	مقدّمة الناشر
٧	مقدّمة المحقق
١٨	منهج التحقيق
٢١	نماذج من المخطوطات
٥	مقدّمة المؤلف
٩	سورة فاتحة الكتاب
١٨	سورة البقرة
٢٣٨	سورة آل عمران
٣٤٧	سورة النساء
٤٥٣	فهرس المحتويات